تاريخ الخلفاء الراشدين

ودولة بني أمية

المعروف بالإمامة والسياسة

تأليف

الإمام المؤرخ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦ ﻫ

وقف على طبعه جماعة من أدباء العصر

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر



بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى :

نفتتح كلامنا بحمد الله تعالى ونقدس ربنا بذكره والثناء عليه لا إله إلا هو لاشريك له الذى اتخذ الحمد لنفسه ذكرا . ورضى به من عباده شكراً . وصلى الله على سيدنا محمد الذى أرسله بالهدى . وختم به رسل الله السعدا . صلاة زاكية . وسلم تسليما كثيراً أبدا .

فضل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما

حدثنا ابن أبى مريم قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا وكيع عن يونس بن أبى إسحاق عن الشعبى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال عليه السلام : هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين عليهم السلام ولاتخبرهما ياعلى . حدثنا يحي بن عبد الحميد الحمامى رضى الله عنه حدثنا أحمد بن حواش الحنفى قال حدثنا ابن المبارك عن عمر بن سعيد عن أبى مليكة قال سمعت ابن عباس رضى الله عنه يقول : وضع عمر رضى الله عنه على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع فلم يرعنى إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائى فالتفت فاذا على بن أبى طالب كرم الله وجهه يترحم على عمر رضى الله عنه وقال : والله ماخلفت أحداً أحب لى أن ألقى الله تعالى بمثل عمله منك ياعمر وايم الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك وذلك أنى كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت أنا وأبو بكر

وعمر وكنت أنا وأبو بكر وعمر وإني كنت لأظن أن يجعلك الله تعالى معهما. وأخبرنا ابن أبي شيبة قال حدثنا يزيد بن الحباب عن موسى بن عبيد قال أخبرني أبو معاذ وأبو الخطاب عن علي رضى الله عنه قال بينما أنا جالس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ياعلى هذان سيدا كهول أهل الجنة إلا ما كان من الأنبياء عليهم السلام ولا تخبرهما. حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الله بن عبد الله العجلي عن القاسم بن أبي عبد الرحمن رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال. لقد هممت أن أبعث إلى الأمم رجالا يدعونهم إلى الاسلام ويرغبونهم في الدين فابعث أبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل كما فعل عيسى بن مريم عليهما السلام فقالوا يارسول الله أفلا تبعث أبا بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم. هما مني بمنزلة السمع والبصر. وحدثنا قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا محمد بن الزبير قال أرسلني عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري رحمهما الله تعالى أسأله إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر رضى الله عنه. فأتيته فاستوى جالسا وقال: أي والذي لاإله إلا هو استخلفه وهو كان أعلم بالله تعالى وأتقى لله تعالى من أن يتوثب عليهم لولم يأمره

استخلاف رسول الله أبا بكر رضى الله عنه

عن ابن أبي مريم قال حدثنا الغرياني عن أبي عون بن عمرو بن تيم الأنصاري وحدثنا سعيد بن كثير عن عفير بن عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا بقصة استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وشأن السقيفة وما جرى فيها من القول والتنازع بين المهاجرين والأنصار وبعضهم يزيد على بعض في الكلام فجمعت ذلك وألفته على معنى حديثهم ومجاز لغتهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في مرضه الذي قبض فيه متوكئا على الفضل بن العباس رضى الله

عنهما وغلام يقال له ثوبان ثم رجع صلى الله عليه وسلم فدخل منزله وقال لغلامه اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الأنصار فأحدقوا بالباب وقالوا للغلام ائذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عنده نساؤه رضى الله تعالى عنهن فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهم فقال من هؤلاء فقيل له الأنصار يبكون فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على على والعباس فدخل المسجد واجتمع الناس إليه فقال صلى الله عليه وسلم إنه لم يمت نبي قط إلا خلف وراءه تركة وإن تركتي فيكم الأنصار «رضى الله عنهم» وهم كرشى التى اوى إليها . أوصيكم بتقوى الله تعالى والاحسان إليهم فقد علمتم أنهم شاطروكم وواسوكم فى العسر واليسر ونصروكم فى النشط والكسل فاعرفوا لهم حقهم واقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله وهو معصوب الرأس شديد الوجع فلما كانت الصلاة أتى بلال المؤذن رضى الله عنه يدعو إلى الصلاة ففتح صلى الله عليه وسلم عينه وقال للنساء : ادعن لى حبيبى فعرفت عائشة رضى الله عنها أنه يريد أبا بكر فقالت أرسل إلى عمر فان أبا بكر رجل رقيق وإن قام مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم افتضح من البكاء وعمر أقوى منه فأرسلت إلى عمر رضى الله عنه فأتى فسلم ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه فرد السلام ثم أطرق عنه فعرف عمر أنه لم يرده فلما خرج أقبل صلى الله عليه وسلم عليهن وقال : ادعن لى حبيبى فقالت عائشة رضى الله عنها : يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق فلو أمرت عمر يصلى بالناس فقال صلى الله عليه وسلم إنكن صواحبات يوسف «عليه السلام» ادعن لى حبيبى إنما أفعل ما أؤمر فدعى أبو بكر رضى الله تعالى عنه فلما جاء قال له . اذهب مع المؤذن فصل بالناس فلم يزل أبو بكر رضى الله عنه يصلى بالناس حتى كان اليوم الذى مات فيه رسول الله وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فأتمروا فقال قائل يدفن رسول

الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يصلى فى مقامه فقال أبو بكر رضى الله عنـه . معاذ الله أن نجعله وثنا نعبده . وقال قائل ندفنه صلى الله عليه وسلم فى البقيع حيث دفن إخوانه من المهاجرين والأنصار فقال أبو بكر إنا نكره أن نخرج قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا إلى البقيع قالوا فما ترى ياأبا بكر قال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول . ماقبض نبي قط إلا دفن جسده حيث قبض روحه . قالوا فأنت والله رضى ومقنع وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قدلقى علياً فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم يقبض فاسأله إن كان الأمر لنا بينه وإن كان لغيرنا أوصى بنا خيراً فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس لعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه ابسط يدك أبايعك فيقال عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليـه وسلم ويبايعك أهل بيتك فان هـذا الأمر إذا كان لم يقل (١) فقال له على ومن يطلب هـذا الأمر غيرنا وقد كان العباس رضى الله عنه لقى أبا بكر فقال هل أوصاك رسول الله بشيء قال لا ولقى العباس أيضا عمر فقال له مثل ذلك . فقال عمر لا فقال : العباس لعلى رضى الله عنه . ابسط يدك أبايعك ويبايعك أهل بيتك

ذكر السقيفة وماجرى فيها من القول

وحدثنا قال حدثنا ابن عفير عن أبي عون عن عبدالله بن عبدالرحمن الأنصارى رضى الله عنه أن النبي عليـه السلام لما قبض اجتمعت الأنصار رضى الله عنهم إلى سعد بن عبادة فقالوا له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض فقال سعد لابنه قيس رضى الله عنهما إنى لاأستطيع أن أسمع الناس كلاماً لمرضى ولكن تلق منى قولى فأسمعهم . فكان سعد يتكلم ويحفظ ابنـه رضى الله عنهما قوله فيرفع

---

(١) من الاقالة لامن القول اه مصححه

صوته لكى يسمع قومه . فكان مما قال رضى الله عنه بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه : يامعشر الأنصار إن لكم سابقة فى الدين وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب إن رسول الله صلى الله عليه لبث فى قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأوثان فما آمن به من قومه إلا قليل والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفوا دينه ولا يدفعوا عن أنفسهم حتى أراد الله تعالى لكم الفضيلة وساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ورزقكم الايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم والمنع له ولأصحابه والاعزاز لدينه والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على من تخلف منه منكم وأثقله على عدوكم من غيركم حتى استقاموا لأمر الله تعالى طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغراً داحراً حتى أثخن الله تعالى لنبيه بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب توفاه الله تعالى وهو راض عنكم قرير العين فشدوا أيديكم بهذا الأمر فانكم أحق الناس وأولاهم به فأجابوه جميعاً أن قد وفقت فى الرأى وأصبت فى القول وكفى بعد ذلك مارأيت بتوليتك هذا الأمر فأنت مقنع ولصالح المؤمنين رضى . قال فأتى الخبر إلى أبى بكر رضى الله عنه ففزع أشد الفزع وقام ومعه عمر رضى الله عنهما فخرجا مسرعين إلى سقيفة بنى ساعدة فلقيا أباعبيدة بن الجراح رضى الله عنه فانطلقوا رضى الله عنهم جميعاً حتى دخلوا سقيفة بنى ساعدة وفيها رجال من الاشراف معهم سعد بن عبادة رضى الله عنه فأراد عمر رضى الله عنه أن يبدأ بالكلام وقال : خشيت أن يقصر أبو بكر رضى الله عنه عن بعض الكلام فلما تيسر عمر للكلام تجهز أبو بكر رضى الله عنه وقال له على رسلك فستكفى الكلام فتشهد أبو بكر رضى الله عنه وانتصب له الناس فقال إن الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق فدعا إلى الاسلام فأخذ الله تعالى بنواصينا وقلوبنا إلى مادعا اليه فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاما والناس لنا فيه تبع ونحن

عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مع ذلك أوسط العرب أنسابا ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة وأنتم أيضا والله الذين آووا ونصروا وأنتم وزراؤنا فى الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم إخواننا فى كتاب الله تعالى وشركاؤنا فى دين الله عزوجل وفيما كنا فيه من سراء وضراء والله ما كنا فى خير قط إلا كنتم معنا فيه فأنتم أحب الناس الينا وأكرمهم علينا . وأحق الناس بالرضى بقضاء الله تعالى والتسليم لأمر الله عز وجل لما ساق لكم ولاخوانكم المهاجرين رضى الله عنهم وأحق الناس فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة والله مازلتم تؤثرون إخوانكم من المهاجرين وأنتم أحق الناس أن لا يكون هذا الأمر واختلافه على أيديكم وأبعد أن لا تحسدوا إخوانكم على خير ساقه الله تعالى إليهم وإنما أدعوكم إلى أبي عبيدة أو عمر وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الأمر وكلاهما له أهل . فقال عمر وأبو عبيدة رضى الله عنهما ماينبغى لأحد من الناس أن يكون فوقك ياأبا بكر أنت صاحب الغار ثانى اثنين وأمرك رسول الله صلى الله عليه بالصلاة فأنت أحق الناس بهذا الأمر فقال الأنصار والله مانحسدكم على خير ساقه الله اليكم وإنا لكما وصفت ياأبا بكر والحمد لله ولا أحد من خلق الله أحب الينا منكم ولا أرضى عندنا ولا أيمن ولكننا نشفق مما بعد اليوم ونحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس مناولا منكم فلو جعلتم اليوم رجلا منا ورجلا منكم بايعنا ورضينا على أنه إذا هلك اخترنا آخر من الأنصار فاذا هلك اخترنا آخر من المهاجرين أبدا مابقيت من هذه الأمة كان ذلك أجدر أن يعدل فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأن يكون بعضنا يتبع بعضا فيشفق القرشى أن يرفع فينقض عليه الأنصارى ويشفق الأنصارى أن يرفع فينقض عليه القرشى فقام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا إلى خلقه وشهيدا على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم إذذاك يعبدون آلهة شتى يزعمون أنها

لهم شافعة وعليهم بالغة نافعة . وإنما كانت حجارة منحوتة وخشبا منجورة فاقرؤا إن شئتم « إنكم وماتعبدون من دون الله . ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وقالوا « مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله تعالى المهاجرين الأولين رضى الله عنهم بتصديقه والايمان به والمواساة والصبر معه على الشدة من قومهم وإذلالهم وتكذيبهم إياهم وكل الناس مخالف عليهم يزأر لهم فلم يستوحشوا قلة عددتهم وإزراء الناس لهم واجتماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله فى الأرض . وأول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بالأمر من بعده لاينازعهم فيه إلا ظالم وأنتم يامعشر الأنصار من لاينكر فضلهم ولا النعمة العظيمة لهم فى الاسلام . رضيكم الله تعالى أنصارا لدينه ولرسوله وجعل اليكم مهاجرته فليس بعد المهاجرين الأولين أحد عندنا بمنزلتكم فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لانفتات دونكم بمشورة ولا تنقضى دونكم الأمور فقام الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام رضى الله عنه فقال : يامعشر الأنصار املكوا على أيديكم فانما الناس فى فيئكم وظلالكم ولن يجبر مجبر على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم . أنتم أهل العز والثروة وأولو العدد والنجدة وإنما ينظر الناس ماتصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وتقطعوا أموركم أنتم أهل الايواء واليكم كانت الهجرة ولكم فى السابقين الأولين مثل ماهم وأنتم أصحاب الدار والايمان من قبلهم والله ماعبدوا الله علانية إلا فى بلادكم ولا جمعت الصلاة إلا فى مساجدكم ولا دانت العرب للاسلام إلا بأسيافكم فأنتم أعظم الناس نصيبا فى هذا الأمر وإن أبى القوم فمنا أمير ومنهم أمير فقام عمر رضى الله عنه فقال : هيهات لايجمع سيفان فى غمد واحد إنه والله لاترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لاينبغى أن تولى هذا الأمر إلا من كانت

النبوة فيهم وأولى الأمر منهم . لنا بذلك على من خلفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا تعدل بباطل أو متجانف لاثم أو متورط فى هلكة . فقام الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقال . يامعشر الأنصار املكوا على أيديكم ولاتسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فان أبوا عليكم ماسألتم فأجلوهم عن بلادكم وولوا عليكم وعليهم من أردتم فأنتم والله أولى بهذا الأمر منهم فانه دان لهذا الأمر من لم يكن يدين له بأسلافنا (١) أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد على أحد ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف قال عمر بن الخطاب . فلما كان الحباب هو الذى يجيبنى لم يكن لى معه كلام لأنه كان بينى وبينه منازعة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهانى عنه فحلفت أن لا أكلمه كلمة تسوؤه أبدا . ثم قام أبو عبيدة فقال : يامعشر الأنصار أنتم أول من نصر وآوى فلا تكونوا أول من يبدل ويغير .

مخالفة قيس بن سعد

قال وإن قيساً لما رأى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسداً لسعد وكان قيس من سادات الخزرج فقال . يامعشر الأنصار أما والله لئن كنا أولى الفضيلة فى جهاد المشركين والسابقة فى الدين ما أردنا إن شاء الله غير رضا ربنا وطاعة نبينا والكرام لأنفسنا . وما ينبغى أن نستطيل بذلك على الناس وما نبتغى به عرضا من الدنيا فان الله تعالى ولى النعمة والمنة علينا بذلك ثم إن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولى سلطانه

---

(١) فى رواية أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أما والله الخ

والجذيل مصغر جذل عود ينصب للجربى لتحتك به وعذيق مصغر عذق قنو النخلة والمرجب المعظم

وايم الله لايرانى أنازعهم هذا الأمر أبداً فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تخادعوهم

بيعة أبي بكر الصديق رضى الله عنه

قال ثم إن أبا بكر قام على الأنصار فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعاهم إلى الجماعة ونهاهم عن الفرقة وقال إنى ناصح لكم فى أحد هذين الرجلين أبى عبيدة بن الجراح أو عمر فبايعوا من شئتم منهما . فقال عمر : معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا أنت أحقنا بهذا الأمر وأقدمنا صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل منا فى المال وأنت أفضل المهاجرين وثانى اثنين وخليفته على الصلاة والصلاة أفضل دين الاسلام فمن ذا ينبغى أن يتقدمك ويتولى هذا الأمر عليك ابسط يدك أبايعك فلما ذهبا يبايعانه سبقهما اليه قيس الأنصارى فبايعه فناداه الحباب ابن المنذر : ياقيس بن سعد عاقك عاق ما اضطرك إلى ما صنعت ؟ حسدت ابن عمك على الامارة : قال لا والله ولكنى كرهت أن أنازع قوماً حقاً لهم فلما رأت الأوس ماصنع قيس بن سعد وهو من سادات الخزرج وما دعوا اليه المهاجرين من قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير رضى الله عنه لئن وليتموها سعداً عليكم مرة واحدة لازالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم نصيباً فيها أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر رضى الله عنه فقاموا اليه فبايعوه فقام الحباب بن المنذر إلى سيفه فأخذه فبادروا اليه فأخذوا سيفه منه فجعل يضرب بثوبه وجوههم حتى فرغوا من البيعة فقال : فعلتموها يامعشر الأنصار أما والله لكأنى بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولايسقون الماء . قال أبو بكر : أمنا تخاف ياحباب قال ليس منك أخاف ولكن من يجىء بعدك ، قال أبو بكر : فاذا كان ذلك كذلك فالأمر إليك وإلى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة . قال الحباب : هيهات ياأبا بكر إذا ذهبت أنا وأنت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم .

تخلف سعد بن عبادة رضى الله عنه عن البيعة

فقال سعد بن عبادة أما والله لو أن لى ما أقدر به على النهوض لسمعتم منى فى أقطارها زئيراً يخرجك أنت وأصحابك ولألحقتك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع خاملا غير عزيز فبايعه الناس جميعاً حتى كادوا يطأون سعداً فقال سعد. قتلتمونى فقيل اقتلوه قتله الله فقال سعد : احملونى من هذا المكان فحملوه فأدخلوه داره وترك أياماً . ثم بعث اليه أبو بكر رضى الله عنه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال : أما والله حتى أرميكم بكل سهم فى كنانتى من نبل وأخضب منكم سنانى ورمحى وأضربكم بسيفى ما ملكته يدى وأقاتلكم بمن معى من أهلى وعشيرتى ولا والله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى أعرض على ربى وأعلم حسابى . فلما أتى بذلك أبو بكر من قوله قال عمر : لاتدعه حتى يبايعك . فقال لهم قيس بن سعد إنه قد أبى ولج وليس يبايعك حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وعشيرته ولن تقتلوهم حتى يقتل الخزرج ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الأوس فلا تفسدوا على أنفسكم أمراً قد استقام لكم فاتركوه فليس تركه بضاركم وإنما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه . فكان سعد لايصلى بصلاتهم ولايجمع بجمعتهم ولا يفيض بافاضتهم ولو يجد عليهم أعواناً لصال بهم ولو يبايعه أحد على قتالهم لقاتلهم فلم يزل كذلك حتى توفى أبو بكر رحمه الله تعالى وولى عمر بن الخطاب فخرج إلى الشام فمات بها ولم يبايع لأحد رحمه الله : وإن بنى هاشم اجتمعت عند بيعة الأنصار إلى على بن أبى طالب ومعهم الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب وإنما كان يعد نفسه من بنى هاشم وكان على كرم الله وجهه يقول مازال الزبير منا حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا واجتمعت بنو أمية إلى عثمان واجتمعت بنو زهرة إلى سعد وعبد

الرحمن بن عوف فكانوا فى المسجد الشريف مجتمعين . فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد بايع الناس أبا بكر قال لهم عمر : مالى أراكم مجتمعين حلقا شتى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الأنصار فقام عثمان بن عفان ومن معه من بنى أمية فبايعوه وقام سعد وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بنى زهرة فبايعوا . وأما على والعباس بن عبد المطلب ومن معهما من بنى هاشم فانصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام فذهب اليهم عمر فى عصابة فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أشيم فقالوا انطلقوا فبايعوا أبا بكر فأبوا فخرج الزبير بن العوام رضى الله عنه بالسيف فقال عمر رضى الله عنه : عليكم بالرجل فخذوه فوثب عليه سلمة ابن أشيم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار وانطلقوا به فبايع وذهب بنو هاشم أيضاً فبايعوا

إنابة على كرم الله وجهه بيعة أبى بكر رضى الله عنهما

ثم إن علياً كرم الله وجهه أتى به إلى أبى بكر وهو يقول أنا عبد الله أخو رسول الله فقيل له بايع أبا بكر فقال أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لى أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبى صلى الله عليه وسلم وتأخذوه منا أهل البيت غصباً ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة فاذاً أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار نحن أولى برسول الله حياً وميتاً فأنصفونا إن كنتم تؤمنون وإلا فبؤوا بالظلم وأنتم تعلمون فقال له عمر : إنك لست متروكا حتى تبايع فقال له على احلب حلباً لك شطره وشد له اليوم يردده عليك غداً ثم قال : والله ياعمر لا أقبل قولك ولا أبايعه فقال له أبو بكر فان لم تبايع فلا أكرهك فقال أبو عبيدة بن الجراح لعلى كرم الله وجهه يا ابن عم إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور

ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالا واستطلاعاً فسلم لأبى بكر هذا الأمر فانك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك . فقال على كرم الله وجهه : الله الله يامعشر المهاجرين لاتخرجوا سلطان محمد فى العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم وتدفعون أهله عن مقامه فى الناس وحقه فوالله يامعشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم ماكان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه فى دين الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لأمر الرعية الدافع عنهم الأمور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً . وقال بشير بن سعد الأنصارى : لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك ياعلى قبل بيعتها لأبى بكر ما اختلفت عليك قال : وخرج على كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابة ليلا فى مجالس الأنصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون يابنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق الينا قبل أبى بكر ماعدلنا به فيقول على كرم الله وجهه : أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس بسلطانه ؟ فقالت فاطمة : ماصنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغى له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم

كيف كانت بيعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه

قال وإن أبا بكر رضى الله عنه تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند على كرم الله وجهه فبعث اليهم عمر فجاء فناداهم وهم فى دار على فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال والذى نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها فقيل له ياأبا حفص إن فيها فاطمة فقال وإن فخرجوا فبايعوا إلا علياً فانه زعم أنه قال حلفت أن لا أخرج

ولا أضع ثوبى على عاتق حتى أجمع القرآن فوقفت فاطمة رضى الله عنها على بابها فقالت لاعهد لى بقوم حضروا أسوأ محضر منكم تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقا فأتى عمر أبا بكر فقال له ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له . فادع لى علياً قال فذهب إلى على فقال له ماحاجتك فقال يدعوك خليفة رسول الله فقال على لسريع ما كذبتم على رسول الله فرجع فأبلغ الرسالة قال فبكى أبو بكر طويلا فقال عمر الثانية أن لاتمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال أبو بكر رضى الله عنه لقنفذ . عد اليه فقل له أمير المؤمنين (١) يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به فرفع على صوته فقال سبحان الله لقد ادعى ماليس له فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة فبكى أبو بكر طويلا . ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها : ياأبت يارسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبى قحافة فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تتفطر وبقى عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبى بكر فقالوا له بايع فقال إن أنا لم أفعل فمه قالوا إذاً والله الذى لا إله إلا هو نضرب عنقك قال إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله قال عمر : أما عبدالله فنعم وأما أخو رسوله فلا وأبوبكر ساكت لايتكلم فقال له عمر : ألا تأمر فيه بامرك فقال لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه . فلحق على بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح ويبكى وينادى . يابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فقال عمر لأبى بكر رضى الله عنهما . انطلق بنا إلى فاطمة فانا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا

---

(١) فى متن هذه الرواية اضطرابات كثيرة منها هذا فقد ثبت من غير وجه أن أول من لقب بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

علياً فكلماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلم أبو بكر فقال : ياحبيبة رسول الله والله إن قرابة رسول الله أحب إلى من قرابتى . وإنك لأحب إلى من عائشة ابنتى ولوددت يوم مات أبوك أنى مت ولاأبق بعده . أفترانى أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله إلا أنى سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لانورث ماتركنا فهو صدقة . فقالت أرأيتكما إن حدثتكما حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفانه وتفعلان به قالا نعم فقالت نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول : رضا فاطمة من رضاى وسخط فاطمة من سخطى فمن أحب فاطمة ابنتى فقد أحبنى ومن أرضى فاطمة فقد أرضانى ومن أسخط فاطمة فقد أسخطنى . قالا : نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت . فانى أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتمانى وما أرضيتمانى ولئن لقيت النبى لأشكونكما إليه . فقال أبو بكر . أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يافاطمة ثم انتحب أبو بكر يبكى حتى كادت نفسه أن تزهق وهى تقول والله لأدعون الله عليك فى كل صلاة أصليها ثم خرج باكيا فاجتمع إليه الناس فقال لهم : يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسروراً بأهله وتركتمونى وماأنا فيه لاحاجة لى فى بيعتكم أقيلونى بيعتى قالوا ياخليفة رسول الله إن هذا الأمر لايستقيم وأنت أعلمنا بذلك إنه إن كان هذا لم يقم لله دين فقال . والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة مابت ليلة ولى فى عنق مسلم بيعة بعد ماسمعت ورأيت من فاطمة قال فلم يبايع على كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضى الله عنها ولم تمكث بعد أبيها إلا خمسا وسبعين ليلة . قال فلما توفيت أرسل على إلى أبى بكر أن أقبل إلينا فأقبل أبو بكر حتى دخل على على وعنده بنو هاشم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمابعد يا أبا بكر فانه لم يمنعنا أن نبايعك إنكاراً لفضيلتك

ولا نفاسة عليك ولكنا كنا نرى أن لنا فى هذا الأمر حقا فاستبددت علينا ثم ذكر على قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر . فقال أبو بكر رضى الله عنه لقرابة رسول الله أحب إلى أن أصل من قرابتى وإنى والله لاأدع أمرا رأيت رسول الله يصنعه إلاصنعته إن شاء الله تعالى فقال على : موعدك غداً فى المسجد الجامع للبيعة إن شاء الله . ثم خرج فأتى المغيرة ابن شعبة فقال . أترى يا أبا بكر إن تلقوا العباس فتجعلوا له فى هذا الأمر نصيبا يكون له ولعقبه وتكون لكما الحجة على على وبنى هاشم إذا كان العباس معكم قال فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة حتى دخلوا على العباس رضى الله عنه فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال . إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم نبياً وللمؤمنين ولياً فمن الله تعالى بمقامه بين أظهرنا حتى اختار له الله ما عنده فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم فى مصلحتهم متفقين لا مختلفين فاختارونى عليهم واليا ولأمورهم راعيا وما أخاف بحمد الله وهنا ولا حيرة ولا جبنا وما توفيقى إلا بالله العلى العظيم عليه توكلت واليه أنيب ومازال يبلغنى عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامة المسلمين ويتخذونكم لجافا فاحذروا أن تكونوا جهد المنيع فلما دخلتم فيما دخل فيه العامة أودفعتموهم عما مالوا اليه وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك فى هذا الأمر نصيبا يكون لك ولعقبك من بعدك إذ كنت عم رسول الله وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان أصحابك فعدلوا الأمر عنكم على رسلكم بنى عبدالمطلب فان رسول الله منا ومنكم : ثم قال عمر أى والله وأخرى إنالم نأتكم حاجة منا اليكم ولكنا كرهنا أن يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم ولعامتكم . فتكلم العباس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . إن الله بعث محمدا كما زعمت نبياً وللمؤمنين وليا فمن الله بمقامه بين أظهرنا حتى اختار له ما عنده فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين

للحق لامائلين عنه بزيغ الهوى فان كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدمون فيهم وإن كان هذا الأمر إنما يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين فأما مابذلت لنا فان يكن حقا لك فلا حاجة لنا فيه وإن يكن حقا للمؤمنين فليس لك أن تحكم عليهم وإن كان حقنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض وأما قولك إن رسول الله منا ومنكم فانه قد كان من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها . قال ثم خرج أبو بكر إلى المسجد الشريف فأقبل على الناس فعذر عليا بمثل ما اعتذر عنده ثم قام على فعظم حق أبي بكر وذكر فضيلته وسابقته ثم مضى فبايعه فأقبل الناس على على فقالوا أصبت يا أبا الحسن وأحسنت . قال فلما تمت البيعة لأبي بكر أقام ثلاثة أيام يقيل الناس ويستقيلهم يقول قد أقلتكم فى بيعتى هل من كاره هل من مبغض فيقوم على فى أول الناس فيقول والله لانقيلك ولا نستقيلك أبدا قد قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتوحيد ديننا من ذا الذى يؤخرك لتوجيه دنيانا

خطبة أبي بكر الصديق رضى الله عنه

قال ثم إن أبا بكر قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن الله الجليل الكريم العليم الحكيم الرحيم الحليم بعث محمدا بالحق وأنتم معشر العرب كما قد علمتم من الضلالة والفرقة ألف بين قلوبكم ونصركم به وأيدكم ومكن لكم دينكم وأورثكم سيرته الراشدة المهدية فعليكم بحسن الهدى ولزوم الطاعة وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به ألفتكم ويقيم به كلمتكم فأعينونى على ذلك بخير ولم أكن لأبسط يدا ولا لسانا على من لم يستحل ذلك إن شاء الله وايم الله ماحرصت عليها ليلا ولا نهاراً ولا سألتها الله قط فى سر ولا علانية ولقد قلدت أمراً عظيما مالى به طاقة ولا يد ولوددت أنى وجدت أقوى الناس عليه مكانى فأطيعونى ما أطعت الله . فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ثم بكى وقال اعلموا أيها الناس أنى لم أجعل

لهذا المكان ان اكون خيركم ولوددت أن بعضكم كفانيه ولئن اخذتمونى بما كان الله يقيم به ورسوله من الوحى ما كان ذلك عندى وما أنا الا كأحدكم فاذا رأيتمونى قد استقمت فاتبعونى وإن زغت فقومونى واعلموا أن لى شيطانا يعترينى أحيانا فاذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى لا أؤثر بأشعاركم وابشاركم ثم نزل ثم دعا عمر والاوجاه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما ترون لى من هذا المال فقال عمر أنا والله أخبرك مالك منه أما ما كان لك من ولد قد بان عنك وملك أمره فسهمه كرجل من المسلمين وأما ما كان من عيالك وضعفة أهلك فتقوت منه بالمعروف وقوت أهلك . فقال ياعمر : انى لأخشى أن لا يحل لى أن أطعم عيالى من فىء المسلمين فقال عمر يا خليفة رسول الله انك قد شغلت بهذا الأمر عن أن تكسب لعيالك فلما تمت البيعة لأبى بكر واستقام له الأمر اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب فنصب لهم أبو بكر الحرب وأراد قتالهم فقالوا نصلى ولانؤدى الزكاة فقال الناس إقبل منهم ياخليفة رسول الله فان العهد حديث والعرب كثير ونحن شرذمة قليلون لا طاقة لنا بالعرب مع إنا قد سمعنا رسول الله يقول . أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فقال أبو بكر هذا من حقها لابد من القتال فقال الناس لعمر إخل به فكلمه لعله يرجع عن رأيه هذا فيقبل منهم الصلاة ويعفيهم من الزكاة فخلا به عمر نهاره اجمع فقال والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه ولو لم أجد أحداً أقاتلهم به لقاتلتهم وحدى حتى يحكم الله بينى وبينهم وهو خير الحاكمين وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . أمرت أن أقاتل الناس على ثلاث شهادة أن لا إله إلا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فوالله الذى لا إله إلا هو لأقصر دونهن فضرب منهم من أدبر بمن أقبل حتى دخل الناس فى الاسلام طوعا وكرها وحمدوا رأيه وعرفوا فضله . قال أبو رجاء العطاردى

رأيت الناس مجتمعين وعمر يقبل رأس أبي بكر ويقول أنا فداؤك لولا أنت لهلكنا فحمد له رأيه فى قتال أهل الردة

(مرض أبى بكر واستخلافه عمر رضى الله عنه)

قال ثم إن أبا بكر عمل سنتين وشهورا ثم مرض مرضه الذى مات فيه فدخل عليه اناس من أصحاب النبى عليه السلام فيهم عبد الرحمن بن عوف فقال له : كيف أصبحت يا خليفة رسول الله فانى أرجو أن تكون بارئاً قال أترى ذلك قال نعم قال أبو بكر : والله انى لشديد الوجع ولما ألقى منكم يا معشر المهاجرين أشد على من وجعى إنى وليت أمركم ولست خيركم فى نفسى فكلكم ورم أنفه (١) ارادة أن يكون هذا الأمر له وذلك لما رأيتم الدنيا قد أقبلت أما والله لتتخذن نضائد (٢) الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الأذرى كما يألم أحدكم النوم على جنبك السعدان والله لئن يقدم أحدكم فنضرب عنقه فى غير حدث خيراً له من أن يخوض غمرات الدنيا فقال له عبد الرحمن ابن عوف خفض عليك من هذا يرحمك الله فان هذا يهيضك على مابك وانما الناس رجلان رجل رضى ماصنعت فرايه كرأيك ورجل كره ما صنعت فأشار عليك برأيه ما رأينا من صاحبك الذى وليت إلا خيرا ومازلت صالحا مصلحا ولا أراك تأسى على شىء من الدنيا فانك قال أجل والله ما آسى إلا على ثلاث فعلتهم ليتنى كنت تركتهن وثلاث تركتهن ليتنى فعلتهن وثلاث ليتنى سألت رسول الله عنهم فأما اللاتى فعلتهن وليتنى لم أفعلهن فليتنى تركت بيت على وان كان أعان على الحرب وليتنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين أبى عبيده أو عمر فكان هو الأمير وأنا الوزير وليتنى حين أتيت بالفجأة السلمى أسيراً انى

---

(١) ورم أنفه أى امتلأ غضبا قال الشاعر : ولا يهاج اذا ما أنفه ورما * أى لايكلم عند الغضب (٢) نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهى الوسادة

قتلته ذبيحا أو أطلقته نجيحا ولم أكن أحرقته بالنار وأما اللاتى تركتهن وليتنى كنت فعلتهن حين أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً انى قتلته ولم أستحيه فانى سمعت منه واراه لا يرى غيا ولا شرا الا أعان عليه وليتنى حين بعثت خالد بن الوليد الى الشام انى كنت بعثت عمر بن الخطاب الى العراق فأكون قد بسطت يدى جميعا فى سبيل الله وأما اللاتى كنت أود إنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فليتنى سألته لمن هذا الأمر من بعده فلا ينازعه فيه أحد وليتنى كنت سألته هل للانصار فيها من حق وليتنى كنت سألته عن ميراث بنت الأخ والعمة فان فى نفسى من ذاك شيئا ثم دخل عليه اناس من أصحاب رسول الله فقالوا يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيبا ينظر اليك فقال قد نظر الى قالوا فماذا قال؟ قال إنى فعال لما أريد ثم قال لهم أنظروا ماذا أنفقت من بيت المال فنظروا فاذا هو ثمانية آلاف درهم فأوصى أهله أن يؤدوها الى الخليفة بعده ثم دعا عثمان بن عفان فقال اكتب عهدى فكتب عثمان وأملى عليه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر بن أبى قحافة آخر عهده فى الدنيا نازحا عنها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان تروه عدل فيكم ظنى به ورجائى فيه وان بدل وغير فالخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ثم ختم الكتاب ودفعه ودخل عليه المهاجرون والأنصار حين بلغهم انه استخلف عمر فقالوا نراك استخلفت علينا عمر وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا فكيف إذا وليت عنا وأنت لاق الله عز وجل فسائلك فما أنت قائل؟ فقال أبو بكر لئن سألنى الله لأقولن استخلفت عليهم خيرهم فى نفسى قال ثم أمر أن يجتمع له الناس فاجتمعوا فقال أيها الناس قد حضرنى من قضاء الله ما ترون وانه لابد لكم من رجل يلى أمركم ويصلى بكم ويقاتل عدوكم ويقسم فيكم وإن شئتم اجتمعتم فأتمرتم ثم وليتم عليكم من أردتم وإن شئتم اجتهدت لكم رأيى ووالله الذى لا إله إلا هو لا آلوكم فى نفسى

خيرا فبكى وبكى الناس وقالوا ياخليفة رسول الله أنت خيرنا وأعلمنا فاختر لنا قال سأجتهد لكم رأيى واختار لكم خيركم ان شاء الله . قال فخرجوا من عنده ثم أرسل الى عمر فقال يا عمر أحبك محب وأبغضك مبغض وقديما يحب الشر ويبغض الخير فقال عمر لا حاجة لى بها فقال أبو بكر لكن بها اليك حاجة والله ما حبوتك بها ولكن حبوتها بك ثم قال خذ هذا الكتاب واخرج به إلى الناس وأخبرهم انه عهدى وسلهم عن سمعهم وطاعتهم فخرج عمر بالكتاب واعلمهم فقالوا سمعا وطاعة فقال له رجـل مافى الكتاب يا أبا حفص قال لا أدرى ولكنى أول من سمع وأطاع قال لكنى والله أدرى ما فيه أمرته عام أول وأمرك العام

(ولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه)

قال ولما توفى أبو بكر وولى عمر وقعد فى المسجد مقعد الخلافة أتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين أدنو منك فان لى حاجة قال عمر لا قال الرجل اذا أذهب فيغنيني الله عنك فولى ذاهبا فاتبعه عمر ببصره ثم قام فأخذه بثوبه فقال له ما حاجتك فقال الرجل بغضك الناس وكرهك الناس قال عمر : ولم ويحك فقال الرجل للسانك وعصاك قال فرفع عمر يديه فقال اللهم أحببهم الى وحببنى اليهم قال الرجل فما وضع يديه حتى ما على الأرض أحب الى منه وكان أهل الشام قد بلغهم مرض أبى بكر واستبطئوا الخبر فقالوا انا لنخاف أن يكون خليفة رسول الله قد مات وولى بعده عمر فان كان عمر هو الوالى فليس لنا بصاحب وانا نرى خلعه قال بعضهم فابعثوا رجلا ترضون عقله قال فانتخبوا لذلك رجلا فقدم على عمر وقد كان عمر استبطأ خبر أهل الشام فلما أتاه قال له كيف الناس قال سالمون صالحون وهم كارهون لولايتك ومن شرك مشفقون فارسلونى انظر أحلو أنت أم مر قال فرفع يديه الى السماء وقال اللهم حببنى الى الناس وحببهم

الى قال فعمل عمر عشر سنين بعد أبى بكر فوالله ما فارق الدنيا حتى أحب ولايته من كرهها لقد كانت امارته فتحا واسلامه عزاً ونصرا اتبع فى عمله سنة صاحبيه و آثارهما كما يتبع الفصيل أثر أمه ثم اختار الله له ماعنده

قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال عمر بن ميمون شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن فما منعنى أن أكون فى الصف الأول إلا هيبته فكنت فى الصف الذى يليه وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المتقدم بوجهه فان رأى رجلا متقدما من الصف أو متأخراً ضربه بالدرة فذلك الذى منعنى من التقدم قال فأقبل لصلاة الصبح وكان يغلس بها فعرض له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فطعنه ثلاث طعنات فسمعت عمر وهو يقول دونكم الكلب فانه قد قتلنى وماج الناس فخرج عشرة رجال وصاح بعضهم ببعض دونكم الكلب فشد عليه رجل من خلفه فاحتضنه وماج الناس فقال قائل الصلاة عباد الله طلعت الشمس فدفعت عبد الرحمن بن عوف فصلى بأقصر سورتين فى القرآن واحتمل عمر ومات من الذين جرحوا ستة أو سبعة وجرى الناس الى عمر فقال يا ابن عباس أخرج فناد فى الناس اعن ملا ورضى منهم كان هذا فخرج فنادى فقالوا معاذ الله ما علمنا ولا أطلعنا قال فأتاه الطبيب فقال اى الشراب أحب اليك قال النبيذ فسقوه نبيذ فخرج من بعض طعناته فقال الناس صديد اسقوه لبنا فخرج اللبن فقال الطبيب لااري ان تمسى فما كنت فاعلا فافعل فقال لابنه عبد الله ناولنى الكتف فلو اراد الله ان يمضى ما فيه امضاه فمحاها بيده وكان فيها فريضة الجد ثم دخل عليه كعب الأحبار فقال ياأمير المؤمنين الحق من ربك فلا تكونن من الممترين قد كنت أنبأتك انك شهيد قال ومن أين لى بالشهادة وانا بجزيرة العرب ثم جعل الناس يثنون عليه ويذكرون فضله فقال إن من غررتموه لمغرور انى والله وددت ان اخرج منها كفافا كما دخلت

فيها والله لو كان لى اليوم ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع
فقال يا أمير المؤمنين لا بأس عليك فقال ان يكن القتل بأسا فقد قتلنى أبو لؤلؤة
قالوا فان يكن ذلك فجزاك الله عنا خيرا فقال لا أراكم تغبطونى بها فوالذى
نفس عمر بيده ما أدرى على ما أهجم ولوددت انى نجوت منها كفافا لى ولا على
فيكون خيرها بشرها ويسلم لى ما كان قبلها من الخير ودخل على بن ابى طالب
فقال ياعلى اعن ملامنكم ورضى كان هذا فقال على ما كان من ملامنا ولا رضى
ولوددنا ان الله زاد من أعمارنا فى عمرك . قال وكان رأسه فى حجر ابنه عبد الله
فقال له ضع خدى بالأرض فلم يفعل فلحظه وقال ضع خدى بالأرض لا أم لك
فوضع خده بالأرض فقال الويل لعمر ولأم عمر ان لم يغفر الله لعمر ثم دعا
عبد الله بن عباس وكان يحبه ويدنيه ويسمع منه فقال له : يابن عباس انى لاظن
ان لى ذنبا ولكن احب ان تعلم لى اعن ملامنهم ورضى كان هذا فخرج بن عباس
فجعل لا يرى ملا من الناس الا وهم يبكون كانما فقدوا اليوم انصارهم فرجع
اليه فأخبره بما رأى قال فمن قتلنى قال ابو لؤلؤة المجوسى غلام المغيرة بن شعبة قال
عبد الله فرأيت البشر فى وجهه فقال الحمد لله الذى لم يقتلنى رجل يحاجنى بلا إله
إلا الله يوم القيامة ثم قال ياعبد الله الا لو ان لى ما طلعت عليه الشمس وما
غربت لافتديت به من هول المطلع وما ذاك والحمد لله ان اكون رايت الاخيرا
فقال له ابن عباس فان يك ذاك ياامير المؤمنين فجزاك الله عنا خيرا ليس قد دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعز الله بك الدين والمسلمون محتسبون بمكة
فلما اسلمت كان اسلامك عزاً اعز الله به الاسلام وظهر النبى واصحابه ثم هاجرت
الى المدينة فكانت هجرتك فتحا ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله من قتال
المشركين وقال فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ثم قبض رسول
الله وهو عنك راض ثم ارتد الناس بعد رسول الله عن الاسلام فوازرت الخليفة
على منهاج رسول الله وضربتم من ادبر بمن أقبل حتى دخل الناس فى الاسلام

طوعا وكرها ثم قبض الخليفة وهو عنك راض ثم وليت بخير ما يلى أحد من الناس . مصر الله بك الامصار وجبى بك الأموال ونفى بك العدو وأدخل الله على أهل كل بيت من المسلمين توسعة فى دينهم وتوسعة فى أرزاقهم ثم ختم الله لك بالشهادة فهنيئا لك فصب الله الثناء عليك صبا فقال أتشهد لى بهذا ياعبد الله عند الله يوم القيامة قال نعم فقال عمر اللهم لك الحمد

(تولية عمر بن الخطاب الستة الشورى وعهده إليهم)

قال ثم أن المهاجرين دخلوا على عمر رضى الله عنه وهو فى البيت من جراحته تلك فقالوا ياأمير المؤمنين استخلف علينا قال والله لا احملكم حيا وميتا ثم قال أن استخلف فقد استخلف من هو خير منى يعنى أبو بكر وأن ادع فقد ودع من هو خير منى يعنى النبى عليه السلام فقالوا جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فقال ما شاء الله راغبا وددت أن انجو منها لا لى ولا على فلما أحس بالموت قال لابنه اذهب الى عائشة واقرئها منى السلام واستأذنها ان أقبر فى بيتها مع رسول الله ومع ابى بكر فأتاها عبد الله بن عمر فأعلمها فقالت نعم وكرامة ثم قالت يابنى ابلغ عمر سلامى وقل له لاتدع أمة محمد بلا راع استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فانى أخشى عليهم الفتنة فاتى عبد الله فاعلمه فقال ومن تأمرني ان استخلف لو ادركت ابا عبيدة بن الجراح باقيا استخلفته ووليته فاذا قدمت على ربى فسألنى وقال لى من وليت على أمة محمد قلت أى ربى سمعت عبدك ونبيك يقول : لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته فاذا قدمت على ربى فسألنى من وليت على أمة محمد قلت أى ربى سمعت عبدك ونبيك يقول : أن معاذ بن جبل يأتى بين يدى العلماء يوم القيامة ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته فاذا قدمت على ربى فسألنى من وليت على أمة محمد قلت أى ربى سمعت عبدك ونبيك يقول : خالد بن سيف من سيوف الله سله

على المشركين ولكنى سأستخلف النفر الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض فأرسل اليهم فجمعهم وهم على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله والزبير ابن العوام وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليهم وكان طلحة غائبا فقال يامعشر المهاجرين الأولين انى نظرت فى أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقا ولا نفاقا فان يكن بعدى شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة أيام فان جاءكم طلحة الى ذلك والا فأعزم عليكم بالله أن لا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحدكم فان أشرتم بها الى طلحة فهو لها أهل وليصل بكم صهيب هذه الثلاثة أيام التى تتشاورون فيها فانه رجل من الموالى لاينازعكم امركم واحضروا معكم من شيوخ الانصار وليس لهم من أمركم شىء واحضروا معكم الحسن بن على وعبد الله بن عباس فان لهما قرابة وارجوا لكم البركة فى حضورهما وليس لهما من أمركم شىء ويحضر ابنى عبد الله مستشارا وليس له من الأمر شىء قالوا يا أمير المؤمنين ان فيه للخلافة موضعاً فاستخلفه فانا راضون به فقال: حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة ليس له من الأمر شىء ثم قال ياعبد الله إياك ثم إياك لا تتلبس بها ثم قال إن استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه وان استقام أربعة واختلف اثنان فاضربوا اعناقهما وان استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابنى عبد الله فلاى الثلاثة قضى والخليفة منهم وفيهم فان أبى الثلاثة الأخر من ذلك فاضربوا اعناقهم. فقالوا قل فينا يا أمير المؤمنين مقالا نستدل فيها برأيك ونقتدى به فقال والله ما يمنعنى ان استخلفك ياسعد إلا شدتك وغلظتك مع انك رجل حرب وما يمنعنى منك ياعبد الرحمن إلا أنك فرعون هذه الأمة وما يمنعنى منك يازبير إلا أنك مؤمن الرضا كافر الغضب وما يمنعنى من طلحة إلا نخوته وكبره ولو وليها وضع خاتمه فى أصبع امرأته وما يمنعنى منك ياعثمان الا عصبيتك وحبك قومك وما يمنعنى منك ياعلى إلا حرصك عليها وانك احرى القوم ان وليتها تقيم على الحق المبين والصراط

المستقيم . أوصى الخليفة منكم بتقوى الله العظيم واحذره مثل مضجعي هذا وأخوفه يوما تبيض فيه وجوه وتسود وجوه يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية ثم غشى عليه حتى ظنوا أنه قضى فجعلوا ينادونه ولا يفيق اغمائه فقال قائل ان كان شيء ينبه فالصلاة فقالوا يا أمير المؤمنين الصلاة ففتح عينه فقال : الصلاة ها أناذا ولاحظ فى الاسلام لمن ترك الصلاة فصلى وجرحه يثعب دما ثم التفت اليهم وقال قد قومت فيكم الطريق فلا تعوجوه ثم التفت إلى على بن أبى طالب فقال : لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وقرابتك وشرفك من رسول الله وما آتاك الله من العلم والفقه والدين فليستخلفونك فان وليت هذا الأمر فاتق الله ياعلى فيه ولا تحمل أحداً من بنى هاشم على رقاب الناس ثم التفت إلى عثمان فقال ياعثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك فيستخلفونك إن وليت هذا الامر فلا تحمل أحدا من بنى امية على رقاب الناس ثم دعا صهيبا فقال : ياصهيب صل بالناس ثلاثة أيام ويجتمع هؤلاء النفر ويتشاورون بينهم اخرجوا عنى اللهم ألفهم واجمعهم على الحق ولا تردهم على اعقابهم وولى أمر أمة محمد خيرهم فخرجوا من عنده . وتوفى رحمه الله تعالى من يومه ذلك ودفن وصلى عليه صهيب

(ذكر الشورى وبيعة عثمان رضى الله عنه)

ثم أنه بعد موت عمر اجتمع القوم فخلوا فى بيت أحدهم واحضروا عبد الله ابن عباس والحسن بن على وعبد الله بن عمر فتشاوروا ثلاثة أيام فلم يبرموا فتيلا فلما كان اليوم الثالث قال لهم عبد الرحمن بن عوف أتدرون أى يوم هذا ؟ هذا يوم عزكم عليكم أمراً قالوا وما تعرض قال ان تولونى أمركم وأهب لكم نصيبى فيها واختار لكم من انفسكم قالوا اعطيناك الذى سألت . فلما سلم القوم قال لهم عبد الرحمن اجعلوا امركم إلى ثلاث منكم فجعل الزبير أمره إلى على

وجعل طلحة امره الى عثمان وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف . قال المسور بن مخرمة فقال لهم عبد الرحمن كونوا مكانكم حتى آتيكم وخرج يتلقى الناس فى أنقاب المدينة متلثما لا يعرفه أحد فما ترك أحدا من المهاجرين والانصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم إلا سألهم واستشارهم أما أهل الرأى فأتاهم مستشيرا وتلقى غيرهم سائلا يقول : من ترى الخليفة بعد عمر ؟ فلم يلق أحدا يستشيره ولا يسأله إلا ويقول عثمان فلما رأى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان قال المسور جاءنى رضى الله عنه عشاء فوجدنى نائما فخرجت اليه فقال : الا أراك نائما فوالله ما اكتحلت عينى بنوم منذ هذه الثلاثة ادع لى فلانا وفلانا (نفرا من المهاجرين) فدعوتهم فناجاهم فى المسجد طويلا ثم قاموا من عنده فخرجوا ثم دعا عليا فناجاه طويلا ثم قام من عنده على طمع ثم قال ادع لى عثمان فدعوته فناجاه طويلا حتى فرق بينهما ان آتت صلاة الصبح فلما صلوا جميعهم فأخذ كل واحد منهم العهد والميثاق لئن بايعتك لتقيمن كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك من قبلك فأعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك وأيضاً لئن بايعت غيرك لترضين ولتسلمن وليكونن سيفك معى على من أبي فأعطوه ذلك من عهودهم ومواثيقهم فلما تم ذلك أخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك وشرط عمر أن لا تجعل أحدا من بنى أمية على رقاب الناس فقال عثمان نعم ثم أخذ بيد على فقال له : ابايعك على شرط عمر ان لا تحمل احدا من بنى هاشم على رقاب الناس . فقال على عند ذلك مالك ولهذا اذا جعلتها فى عنقى فان على الاجتهاد لامة محمد حيث علمت القوة والأمانة استعنت بها كان فى بنى هاشم او غيرهم : قال عبد الرحمن : لا والله حتى تعطينى هذا الشرط قال على والله لا اعطيكه ابدا فتركه فقاموا من عنده فخرج عبد الرحمن إلى المسجد فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنى نظرت فى أمر الناس فلم أراهم يعدلون بعثمان فلا تجعل يا على سبيلا إلى نفسك فانه السيف.

لا غير . ثم أخذ بيد عثمان فبايعه وبايع الناس جميعا . قال : فكان عثمان رضى الله عنه ست سنين فى ولايته وهو أحب الى الناس من عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان عمر رجلا شديدا قد ضيق على قريش انفاسها لم ينل احدا معه من الدنيا شيئا اعظاما له واجلالا ناسيا به واقتداء فلما وليهم عثمان ولى رجل لين قال حسن البصرى : شهدت عثمان وهو يخطب وانا يومئذ قد راهقت الحلم فما رأيت قط ذكرا ولا انثى اصبح وجها ولا أحسن نضرة منه فسمعته يقول ايها الناس اغدوا على اعطياتكم فيأخذونها وافية ، أيها الناس اغدوا على كسوتكم فيغدون فيجاء بالحلل فتقسم بينهم حتى والله سمعت أذناى يامعشر المسلمين اغدوا على السمن والعسل فيغدون فيقسم بينهم السمن والعسل ثم يقول يامعشر المسلمين اغدوا على الطيب فيغدون فيقسم بينهم الطيب من المسك والعنبر وغيره والعدوان والله منفى والاغطيات داره والخير كثير وما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنا من لقى فى أى البلدان فهو أخوه وأليفه وناصره ومؤدبه فلم يزل المال متوفرا حتى لقد بيعت الجارية بوزنها ورقا وبيع الفرس بعشرة آلاف دينار وبيع البعير بألف والنخلة الواحدة بألف ثم انكر الناس على عثمان اشياء شراً وبطراً . قال ابن عمر لقد عيبت عليه أشياء لو فعلها عمر ما عيبت عليه

(ذكر الانكار على عثمان رضى الله عنه)

قال عبد الله بن مسلم حدثنا بن أبى مريم وابن عفير قالا حدثنا بن عون قال أخبرنا المخول بن ابراهيم وأبو حمزة الثمالى وبعضهم يزيد على بعض والمعنى واحد فجمعته وألفته على قولهم ومعنى ما أرادوا عن على بن الحسين قال . لما انكر الناس على عثمان بن عفان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . أما بعد فان لكل شىء آفة ولكل نعمة عاهة وان آفة هذا الدين وعاهة هذه الملة قوم عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون أما والله يا معشر المهاجرون والانصار لقد عبتم على أشياء ونقمتم أمورا قد أقررتم لابن الخطاب مثلها

ولـكنه وقمكم وقمعكم ولم يجترىء أحد بملأ بصره منه ولا يشير بطرفه اليه.أما
والله لانا أكثر من ابن الخطاب عددا وأقرب ناصرا وأجدر . الى ان قال لهم
اتفقدون من حقوقكم شيئا فما لى لا أفعل فى الفضل ماارید فلم كنت أماما اذا
أما والله ما عاب على من عاب منكم أمرا أجهله ولا أتيت الذى أتيت الا وانا
اعرفه قال وقدم معاوية بن أبى سفيان على أثر ذلك من الشام فأتى مجلسا فيه على
ابن أبى طالب وطلحة بن عبيد أوالزبير بن العوام وسعد بن ابى وقاص وعبد
الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر فقال لهم يامعشر الصحابة اوصيكم بشيخى هذا
خيراً فوالله لئن قتل بين اظهركم لاملأنها عليكم خيلا ورجالا ثم اقبل على عمار
ابن ياسر . فقال : يا عمار ان بالشام مائة الف فارس كل يأخذ العطا مع مثلهم
من ابنائهم وعبدانهم لا يعرفون عليا ولا قرابته ولا عمارا ولا سابقته ولا
الزبير ولا صحابته ولا طلحة ولا هجرته ولا يهابون بن عوف ولا ماله ولا
يتقون سعدا ولا دعوته فاياك ياعمار ان تقع غدا فى فتنة تنجلى فيقال هذا قاتل
عثمان وهذاقاتل على . ثم قبل على ابن عباس فقال : ياابن عباس انا كنا وإياكم
فى زمان لانرجو فيه ثوابا ولا يخاف عقابا وكنا أكثر منكم فوالله ما طلبناكم
ولا قهرناكم ولا اخرجناكم عن مقام تقدمناه حتى بعث الله رسوله منكم
فسبق اليه صاحبكم فوالله ما زال يكره شركنا ويتغافل به عنا حتى ولى الأمر
علیناوعليكم ثم صارالأمر الیناوالیکم فأخذصاحبناعلى صاحبكم لسنه ثم غير فنطق
ونطق على لسانه فقد اوقدتم نارا لاتطفأ بالماءفقال بن عباس كنا كما ذكرت حتى
بعث الله رسولهمنا ومنكم ثم ولى الأمر علينا وعليكم ثم صارالأمرالينا واليكم
فأخذ صاحبكم على صاحبنا لسنه ولما هو افضل من سنه فوالله ما قلنا إلا ماقال
غيرنا ولا نطقنا الا بما نطق به سوانا فتركتم الناس جانبا وصيرتمونا بين ان اقمنا
متهمين او نزعنا معتبين وصاحبنا من قد علمتم والله لا يهجهج مهجهج الا ركبه
ولايرد حوضا الا أفرطه وقد اصبحت أحب منك ما أحببت وأكره ما كرهت

ولعلى لا القاك إلا فى خير .

(ذكر القول والمجادلة لعثمان ومعاوية رضى الله عنهما)

قال وذكروا ان ابن عباس قال خرجت الى المسجد فانى لجالس فيه مع على حين صليت العصر اذ جاء رسول عثمان يدعوا علياً فقال على نعم فلما أن ولى الرسول اقبل على فقال : لم تراه دعانى قلت له دعاك ليكلمك فقال انطلق معى فأقبلت فاذا طلحة والزبير وسعد واناس من المهاجرين فجلسنا فاذا عثمان عليه ثوبان ابيضان فسكت القوم ونظر بعضهم الى بعض فحمد الله عثمان ثم قال : اما بعد فان ابن عمى معاوية هذا قد كان غائبا عنكم وعن ما نلتم منى وماعاتبتكم عليه وعاتبتونى وقد سألنى ان يكلمكم وان يكلمه من أراد فقال سعد بن ابى وقاص : وما عسى ان يقال لمعاوية او يقول الا ما قلت وقيل لك فقال على ذلكم تكلم يامعاوية فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد يامعشر المهاجرين وبقية الشورى فاياكم اعنى وإياكم أريد فمن اجابنى بشىء فمنكم واحد فانى لم أرد غيركم . توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايع الناس احد المهاجرين التسعة ثم دفنوا نبيهم فأصبحوا سالما امرهم كان نبيهم بين أظهرهم فلما ايس الرجل من نفسه بايع رجلا من بعده احد المهاجرين فلما احتضر ذلك الرجل شك فى واحد ان يختاره فجعلها فى ستة نفر بقية المهاجرين فاخذوا رجلا منهم لا يألون عن الخير فيه فبايعوه وهم ينظرون الى الذى هو كائن من بعده لا يشكون ولا يمترون . مهلا مهلا معشر المهاجرين فان وراءكم من ان دفعتموه اليوم اندفع عنكم ومن أن فعلتم الذى انتم فاعلوه دفعكم فأشد من ركنكم وأعد من جمعكم ثم استن عليكم بسنتكم ورأى ان دم الباقى ليس تمتنع بعد دم الماضى فسددوا ورافقوا لا يغلبكم على امركم من حذرتكم . فقال على بن أبى طالب كأنك تريد نفسك يا ابن اللخناء لست هنالك فقال معاوية مهلا عن بنت عمك فانها ليست بشر نسائك .

يامعشر المهاجرين وولاة هذا الامر ولا كم الله إياه فانتم أهله وهذان البلدان مكة والمدينة مأوى الحق ومنتهاه وإنما ينظر التابعون إلى السابقون والبلدان إلى البلدين فان استقاموا استقاموا وأيم الله الذى لا إله إلا هو لئن صفقت إحدى اليدين على الأخرى لا يقوم السابقون للتابعين ولا البلدان للبلدين وليسلبن امركم ولينقلن الملك من بين أظهركم . وما انتم فى الناس إلا كالشامة السوداء فى الثور الأبيض فانى رأيتكم نشبتم فى الطعن على خليفتكم وبطرتم معيشتكم وسفهتم أحلامكم وما كل نصيحة مقبولة والصبر على بعض المكروه خير من تحمله كله قال ثم خرج القوم وامسك عثمان بن عباس فقال له عثمان ياابن عمى ويا ابن خالتى فانه لم يبلغنى عنك فى امرى شيء أحبه ولا أكرهه على ولا لى وقد علمت أنك رأيت بعض ما رأى الناس فمنعك عقلك وحلمك من ان تظهر ما أظهروا وقد احببت ان تعلمنى رأيك فيما بينى وبينك فاعتذر . قال ابن عباس فقلت يا أمير المؤمنين انك قد ابتليتنى بعد العافية وأدخلتنى فى الضيق بعد السعة ووالله إن رأيى لك ان يجل سنك ويعرف قدرك وسابقتك ووالله لوددت انك لم تفعل ما فعلت مما ترك الخليفتان قبلك فان كان شيئا تركاه لما رأى انه ليس لهما علمت انه ليس كذا لم يكن لهما وان كان ذلك لهما فتركاه خيفة ان ينال منهما مثلى الذى نيل منك تركته لما تركاه له ولم يكونا احق باكرام انفسهما منك باكرام نفسك ، قال فما منعك ان تشير على بهذا قبل ان افعل ما فعلت قال وما علمى انك تفعل ذلك قبل ان تفعل قال فهب لى صمتا حتى ترى رأيى . قال فخرج ابن عباس فقال عثمان لمعاوية : ما ترى فان هؤلاء المهاجرين قد استعجلوا القدر ولا بد لهم مما فى انفسهم فقال معاوية الرأى أن تأذن لى بضرب اعناق هؤلاء القوم قال من ؟ قال على وطلحة والزبير قال عثمان . سبحان الله اقتل اصحاب رسول الله بلا حدث احدثوه ولا ذنب ركبوه قال معاوية فان لم تقتلهم فانهم سيقتلوك قال عثمان لا أكون أول من خالف رسول الله فى أمته باهراق الدماء قال معاوية فاختر منى احدى

ثلاث خصال قال عثمان وما هى قال معاوية ارتب لك ههنا أربعة آلاف من خيل اهل الشام يكونون لك رداء وبين يديك يدا قال عثمان ارزقهم من أين قال من بيت المال قال عثمان ارزق أربعة آلاف من الجند من بيت مال المسلمين لحرز دمى لا فعلت هذا . قال فثانية قال وما هى قال فرقهم عنك فلا يجتمع منهم اثنان فى مصر واحد واضرب عليهم البعوث والندب حتى يكونوا دبر بعير احدهم اهم عليه من صلاته قال عثمان سبحان الله شيوخ المهاجرين وكبار اصحاب رسول الله وبقية الشورى اخرجهم من ديارهم وافرق بينهم وبين اهلهم وأبنائهم لا أفعل هذا قال معاوية فثالثة قال وما هى قال اجعل لى الطلب بدمك إن قتلت قال عثمان نعم هذه لك ان قتلت فلا يطل دمى . قال ثم خرج عثمان فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس ان نصيحتى كذبتنى ونفسى منتنى وقد سمعت رسول الله يقول لا تتمادوا فى الباطل فان الباطل يزداد من الله بعدا من أساء فليتب ومن أخطأ فليتب وأنا اول من اتعظ والله لئن ردنى الحق عبدا لأنتسبن نسب العبيد ولا أكونن كالمرقوق الذى ان ملك صبر وان اعتق شكر ثم نزل فدخل على زوجته نائلة بنت الفرافصة ودخل معه مروان بن الحكم فقال : يا أمير المؤمنين اتكلم او اسكت فقالت له نائلة : بل اسكت فوالله لئن تكلمت لتغرنه ولتوبقنه فالتفت اليها عثمان مغضبا فقال اسكتى تكلم يا مروان فقال مروان : يا أمير المؤمنين انك والله لو قلت وانت فى عز ومنعة لتابعتك ولكنك قلت الذى قلت وقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين فانقض التوبة ولا تقر بالخطيئة

(ما انكر الناس على عثمان رحمه الله)

قال وذكروا انه اجتمع ناس من أصحاب رسول الله عليه السلام كتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه وما كان

من هبته خمس أفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وما كان من تطاوله فى البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته وبنيان مروان القصور بذى خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله وما كان من افشائه العمل والولايات فى أهله وبنى عمه من بنى أمية أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمور . وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة اذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربعة ركعات ثم قال لهم : ان شئتم أن أزيدكم ركعة زدتكم. وتعطيله إقامة الحد عليه وتأخيره ذلك عنه وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شىء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم وما كان من الحمى الذى حمى حول المدينة وما كان من ادراره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبى عليه السلام ثم لا يغزون ولا يذبون وما كان من مجاوزته الخيزران الى السوط وانه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس وانما كان ضرب الخليفتين قبلة بالدرة والخيزران ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب فى يد عثمان وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه الى عثمان والكتاب فى يد عمار جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقى وحده فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فاذن له فى يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم واهله من بنى أمية فدفع اليه الكتاب فقرأه فقال له أنت كتبت هذا الكتاب قال نعم قال ومن كان معك قال معى نفر تفرقوا فرقا منك قال ومن هم قال لا أخبرك بهم قال فلم اجترأت على من بينهم فقال مروان ياأمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود (يعنى عمارا) قد جرأ عليك الناس وانك ان قتلته نكلت به من وراءه قال عثمان اضربوه فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشى عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار فأمرت به أم سلمة زوج النبى

عليه السلام فادخل منزلها وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال اما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لاقتلن به رجلا عظيما من بنى امية فقال عثمان لست هناك . قال ثم خرج عثمان الى المسجد فاذا هو بعلي وهو شاك معصوب الراس فقال عثمان والله يا ابا الحسن ما ادرى اشتهى موتك ام اشتهى حياتك فوالله لئن مت ما احب ان ابق بعدك لغيرك لانى لا اجد منك خلفا ولئن بقيت لا اعدم طاغيا يتخذك سلما وعضداً ويعدك كهفا وملجأ لا يمنعنى منه إلا مكانه منك ومكانك منه فانا منك كالابن العاق من ابيه ان مات فجعه وان عاش عقه . فاما سلم فنسالم واما حرب فنحارب فلا تجعلنى بين السماء والارض فانك والله ان قتلتنى لاتجد منى خلفا ولئن قتلتك لا اجد منك خلفا ولن يعلى أمر هذه الامة بادىء فتنة . فقال علي: ان فيما تكلمت به جواباً ولكنى عن جوابك مشغول بوجعى فانا أقول كما قال العبد الصالح فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . قال مروان انا والله اذاً لنكسرن رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون فى هذا الامر خير لمن بعدنا فقال له عثمان . اسكت ما انت وهذا فقام اليه رجل من المهاجرين فقال له ياعثمان ارأيت ماحميت من الحمى الله اذن لكم ام على الله تفترون فقال عثمان انه قد حمى الحمى قبلى عمر لا بل الصدقة وانما زادت فزدت فقام عمرو بن العاص فقال : ياعثمان انك ركبت بالناس نهابير من الامر فتب الى الله يتوبوا فرفع عثمان يديه وقال توبوا الى الله من كل ذنب اللهم إني اول من تاب اليك ثم قام رجل من الانصار فقال ياعثمان مابال هؤلاء النفر من أهل المدينة يأخذون العطايا ولا يغزون فى سبيل الله وانما هذا المال لمن غزا فيه وقاتل عليه إلا من كان من هذه الشيوخ من أصحاب محمد عليه السلام فقال عثمان فاستغفر الله وأتوب اليه ثم قال يا اهل المدينة من كان له منكم ضرع فليلحق بضرعه ومن كان له زرع فليلحق بزرعه فانا والله لانعطى مال الله الا لمن غزا فى سبيله الا من كان من هذه الشيوخ

من الصحابة . قال فما بال هذا القاعد الشارب لا تقيم عليه الحد(يعنى الوليد بن عقبة) فقال عثمان لعلى دونك ابن عمك فاقم عليه الحد فقال على للحسن قم فاجلده فقال الحسن ما انت وذاك هذا لغيرك قال على لا ولكنك عجزت وفشلت يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده فقام فضربه وعلى يعد فلما بلغ اربعين امسك وقال جلد رسول الله اربعين وأبو بكر اربعين و كملها عمر ثمانين وكل سنة

(حصار عثمان رضى الله عنه)

قال وذكروا انه لما اشتد الطعن على عثمان استأذنه على فى بعض بواديه يتنحى اليها فأذن له واشتد الطعن على عثمان بعد خروج على ورجا الزبير وطلحة ان يميلا اليهما قلوب الناس ويغلبا عليهم واغتنما غيبة على فكتب عثمان الى على اذ اشتد الطعن عليه : اما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وارتفع امر الناس فى شأنى فوق قدره وزعموا انهم لا يرضون دون دمى وطمع فى زمن لا يدفع عن نفسه

وانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد كان يقال : اكل السبع خير من افتراس الثعلب . فاقبل على اولى

فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فأدركنى ولما امزق

قال حويطب بن عبد العزى : ارسل الى عثمان حين اشتد حصاره فقال : قد بدا لى ان أتهم نفسى لهؤلاء فأت عليا وطلحة والزبير فقال لهم هذا أمركم تولوه واصنعوا فيه ماشئتم فخرجت حتى جئت عليا فوجدت على بابه مثل الجبال من الناس والباب مغلق لا يدخل عليه احد ثم انصرفت فاتيت الزبير فوجدته فى منزله ليس ببابه أحد فاخبرته بما أرسلنى به عثمان فقال قد والله قضى ماعليه أمير المؤمنين هل جئت عليا قلت نعم فلم أخلص اليه . فقمنا جميعا فاتينا طلحة ابن عبيد الله فوجدناه فى داره وعنده ابنه محمد فقصصنا عليه ماقال عثمان فقال طلحة

قد والله قضى ماعليه أمير المؤمنين هل جئتم عليا قلنا نعم فلم نخلص اليه فارسل طلحة الى الاشتر فأتاه فقال لى أخبره فأخبرته بما قال عثمان فقال طلحة وقد دمعت عيناه والله قضى ماعليه أمير المؤمنين فقام الاشتر فقال تبعثون الينا وجاءنا رسولكم بكتابكم وها هو ذا فأخرج كتابا فيه . بسم الله الرحمن الرحيم من المهاجرين الاولين وبقية الشورى الى من بمصر من الصحابة والتابعين اما بعد أن تعالوا الينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل ان يسلبها أهلها فان كتاب الله قد بدلا وسنة رسوله قد غيرت واحكام الخليفتين قد بدلت فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين باحسان الا اقبل الينا واخذ الحق لنا واعطاناه فاقبلوا الينا ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر واقيموا الحق على المنهاج الواضح الذى فارقتم عليه نبيكم وفارقكم عليه الخلفاء غلبنا على حقنا واستولى على فيئنا وحيل بيننا وبين أمرنا وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة وهى اليوم ملكا عضودا من غلب على شيء اكله . أليس هذا كتابكم الينا؟ فبكى طلحة فقال الاشتر لما حضرنا اقبلتم تعصرون اعينكم والله لانفارقه حتى نقتله وانصرف . قال ثم كتب عثمان كتابا بعثه مع نافع بن طريف الى أهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفة بمكة وابن عباس يخطب وهو يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان أمير المؤمنين الى من حضر الحج من المسلمين . أما بعد فانى كتبت اليكم كتابي هذا وانا محصور أشرب من بئر القصر ولا آكل من الطعام مايكفينى خيفة ان تنفد ذخيرتى فأموت جوعا انا ومن معى لا ادعى الى توبة أقبلها ولا تسمع منى حجة اقولها فانشد الله رجلا من المسلمين بلغه كتابى الاقدم على فأخذ الحق فى ومنعنى من الظلم والباطل . قال ثم قام ابن عباس فأتم خطبته ولم يعرض لشيء من شأنه . وكتب الى أهل الشام عامة والى معاوية وأهل دمشق خاصة : أما بعد فانى فى

قوم طال فيهم مقامي واستعجلوا القدر في وقد خيروني بين ان يحملوني على شارف من الابل الدخيل وبين ان انزع بينهم رداء الله الذى كسانى وبين ان أقيدهم ممن قتلت . ومن كان على سلطان يخطىء ويصيب فياغوثاه وياغوثاه ولا أمير عليكم دونى فالعجل العجل يامعاوية وادرك ثم ادرك وما أدراك تدرك

(تولية محمد بن أبى بكر على مصر)

قال وذكروا ان اهل مصر جاؤوا يشكون ابن ابى سرح عاملهم فكتب اليه عثمان كتابا يتهدد فيه فأبي ابن ابى سرح ان يقبل مانهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه به من قبل عثمان من أهل مصر حتى قتله فخرج من أهل مصر بسبعمائة رجل فنزلوا فى المسجد وشكوا الى أصحاب رسول الله فى مواقيت الصلاة ماصنع بهم ابن أبى سرح فقام طلحة وتكلم بكلام شديد وارسلت عائشة الى عثمان فقالت له قد تقدم اليك أصحاب رسول الله وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت إلا واحدة فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك . ودخل عليه على وكان متكلم القوم فقال له انما يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم فان وجب لهم عليه حق فانصفهم منه فقال اختاروا رجلا أوله عليهم فقالوا استعمل محمد بن ابى بكر فكتب عهده وولاه وخرج معه عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين ابن ابى سرح واهل مصر فخرج محمد ومن معه حتى اذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة فاذا هم بغلام اسود على بعير يخبط البعير كأنه رجل يطاب أو يطاب فقال له اصحاب محمد ماقصتك وما شأنك كانك طالب أو هارب فقال انه غلام أمير المؤمنين وجهنى الى عامل مصر فقال له رجل هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا أريد فاخبر محمد بامره فبعث فى طلبه رجلا فجاء به اليه فقال له غلام من أنت فاقبل مرة يقول انا غلام مروان ومرة يقول انا غلام أمير المؤمنين حتى عرف رجل

أنه لعثمان فقال له محمد الى من أرسلك قال الى عامل مصر قال بماذا قال أما معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا قال وكانت معه أداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا أداوته فاذا فيها كتاب من عثمان الى عبد الله بن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار ثم فك الكتاب بمحضر منهم فقرأه فاذا فيه : اذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاقتلهم وابطل كتابهم وأقر على عملك حتى يأتيك رأيي فلما رأوا الكتاب فزعوا منه ورجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم النفر الذين كانوا معه ودفعه الى رجل منهم ثم قدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب رسول الله ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبرهم بقصة الغلام واقرأهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان وقام أصحاب النبي فلحقوا بمنازلهم وحصر الناس عثمان وأحاطوا به ومنعوه الماء والخروج ومن كان معه وأجلب عليه محمد بن أبي بكر

(حصار أهل مصر والكوفة عثمان رحمه الله)

قال وذكروا أن أهل مصر أقبلوا الى علي فقالوا ألم تر عدو الله ماذا كتب فينا قم معنا اليه فقد أحل الله دمه فقال علي لا والله لا أقوم معكم قالوا فلم كتبت الينا قال ما كتبت اليكم كتاباً قط فنظر بعضهم الى بعض ثم أقبل الاشتر النخعي من الكوفة في الف رجل وأقبل ابن أبي حذيفة من مصر في اربعمائة رجل فأقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلا ونهاراً وطلحة يحرض الفريقين جميعاً على عثمان ثم أن طلحة قال لهم ان عثمان لا يبالي ما حصرتموه وهو يدخل اليه الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه .

(مخاطبة عثمان من أعلى القصر طلحة وأهل الكوفة وغيرهم)

قال وذكروا أن عثمان لما منع الماء صعد على القصر واستوى في أعلاه ثم

نادى أين طلحة فأتاه فقال يا طلحة أما تعلم أن بئر رومة كانت لفلان اليهودى لا يسق أحداً من الناس منها قطرة إلا بثمن فاشتريتها بأربعين ألفاً فجعلت رشائى فيها كرشاء رجل من المسلمين لم استأثر عليهم ؟ قال نعم : قال فهل تعلم أن أحداً يمنع أن يشرب منها اليوم غيرى لم ذلك قال لأنك بدلت وغيرت . قال فهل تعلم أن رسول الله قال من اشترى هذا البيت وزاده فى المسجد فله به الجنة فاشتريته بعشرين ألفا وأدخلته فى المسجد قال طلحة نعم قال فهل تعلم اليوم احدا يمنع فيه من الصلاة غيرى قال لا قال لم لأنك غيرت وبدلت ثم انصرف عثمان وبعث الى على يخبره انه منع من الماء ويستغيث به فبعث اليه على ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه فقال طلحة ما أنت وهذا وكان بينهما فى ذلك كلام شديد فبينما هم كذلك إذ أتاهم آت فقال لهم ان معاوية قد بعث من الشام يزيد بن أسيد ممداً لعثمان فى أربعة آلاف من خيل الشام فاصنعوا ما أنتم صانعون والا فانصرفوا وكان معه فى الدار مائة رجل ينصرونه منهم عبد الله ابن الزبير ومروان بن الحكم والحسن بن على وعبد الله بن سلام وأبو هريرة فلما سمع القوم إقبال أهل الشام قاموا فألهبوا النار بباب عثمان فلما نظرا أهل الدار الى النار نصبوا للقتال وتهيؤا فكره ذلك عثمان قال لا أريد أن تهرق فى محجمة دم وقال لجميع من فى الدار أنتم فى حل من بيعتى لا أحب أن يقتل فى أحد وكان فيهم عبد الله بن عمر فقال يا أمير المؤمنين مع من تأمرنى أكون ان غلب هؤلاء القوم عليك قال عليك بلزوم الجماعة قلت فان كانت الجماعة هى التى تغلب عليك قال عليك بلزوم الجماعة حيث كانت قال ثم دخل عليه الحسن ابن على فقال مرنى بما شئت فانى طوع يديك فقال له عثمان ارجع يا بن أخى اجلس فى بيتك حتى يأتى الله بأمره ثم دخل عليه أبو هريرة متقلداً سيفه فقال طاب الضراب يا أمير المؤمنين قد قتلوا منا رجلا وقد ألهبوا النار فقال عثمان عزمت عليك يا أبا هريرة الا ألقيت سيفك قال أبو هريرة فألقيته فلا أدرى من أخذه قال ودخل المغيرة بن شعبة فقال له يا أمير المؤمنين ان هؤلاء قد اجتمعوا

عليك فان أحببت فالحق بمكة وان أحببت أن نخرق لك بابا من الدار فتلحق بالشام ففيهامعاوية وأنصارك من أهل الشام وان أبيت فاخرج ونخرج ونحاكم القوم الى الله تعالى فقال عثمان أما ما ذكرت من الخروج الى مكة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب هذه الأمة من الانس والجن فلن أكون ذلك الرجل ان شاء الله وأما ما ذكرت من الخروج الى الشام فان المدينة دار هجرتى وجوار قبر النبى عليه السلام فلا حاجة لى فى الخروج من دار هجرتى وأما ما ذكرت من محاكمة هؤلاء القوم الى الله فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته باهراق الدم ثم قال انى رأيت أبا بكر وعمر أتيانى الليلة فقالا لى ضم فانك مفطر عندنا الليلة وانى أصبحت صائما وإنى أعزم ما كان يؤمن بالله واليوم الآخر إلا خرج من الدار سالما فقالوا إنا إن أخرجنا لم نأمن على أنفسنا منهم فاذن لنا فنكون فى موضع من الدار فلما رأى ذلك على بعث لى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب محمد كلهم بدرى ثم دخلوا على عثمان ومعهم الكتاب والغلام والبعير فقال على الغلام غلامك والبعير بعيرك فقال نعم قال فأنت كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وكتاب عليه خاتمك لاتعلم به فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا وجهت ولا أمرت فشك القوم فى أمر عثمان وعلموا إنه لايحلف بباطل فقال قوم منهم لايبرأ عثمان عن قلوبنا إلا إن يدفع الينا مروان حتى نعرف كيف يأمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله وقطع أيديهم بغير حق فان كان عثمان كتبه عزلناه وإن كان مروان كتبه نظرنا فى أمره وما يكون فىأمر مروان فانصرفوا القوم ولزموا بيوتهم وأبى عثمان إن يخرج لهم مروان وخشى عليه القتل فبلغ عليا إن عثمان يراد قتله إنا أردنا مروان فأما قتل عثمان

فلا ثم قال للحسن والحسين إذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان ولا تدعا أحداً يصل اليه وبعث الزبير إبنه على كره وبعث طلحة إبنه كذلك وبعث عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس يدخلون على عثمان ويسألوه إن يخرج مروان فأشرف عليهم عثمان من أعلى القصر فقال: يامعشر المسلمين أذكركم الله ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب دار بنى فلان ليوسع بها للمسلمين فى مساجدهم فاشتريتها من خالص مالى وأنتم اليوم تمنعونى أن أصلى فيه أذكركم الله يامعشر المسلمين ألستم تعلمون إن بئر رومة كانت تباع القربة منها بدرهم فاشتريتها من خالص مالى فجعلت رشائى كرشاء واحد من المسلمين وأنتم تمنعونى أن أشرب من مائها وأنا إشتريتها حتى إنى ماأفطر إلا على ماء البحر ألستم تعلمون إنكم نقمتم على أشياء فاستغفرت الله وتبت اليه منها وتزعمون إنى غيرت وبدلت فابعثوا على شاهدين مسلمين وإلا فأحلف بالله الذى لاإله إلا هو ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا إطلعت عليه. ياقوم لا يجرمنكم شقاقى إن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ياقوم لا تقتلونى فانكم إن قتلتمونى كنتم هكذا وشبك بين أصابعه ياقوم إن الله رضى لكم السمع والطاعة وحذركم المعصية والفرقة فاقبلوا نصيحة الله واحذروا عقابه فانكم إن فعلتم الذى أنتم فاعلون لاتقوم الصلاة جميعا ويسلط عليكم عدوكم وإنى أخبركم إن قوما ظهروا للناس إنهم إنما يدعوننى إلى كتاب الله والحق فلما عرض عليهم الحق رغبوا عنه وتركوه وطال عليهم عمرى واستعجلوا القدر بى وقد كانوا كتبوا اليكم إنهم قد رضوا بالذى أعطيتهم ولا أعلم أنى تركت من الذى عاهدتهم عليه شيئا وكانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود وترك المظالم وردها إلى أهلها فرضيت بذلك وقالوا يؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس ومثلهما من ذوى القوة والامانة وكل ذلك فعلت فلم يرضوا وحالوا بينى وبين المسجد فابتزوا ماقدروا عليه بالمدينة وهم يخيروننى بين إحدى ثلاث إما إن

يقيدوني بكل رجل أصبت خطأ أو عمداً وإما أن أعتزل عن الأمر فيؤمروا أحداً وإما أن يرسلوا إلى من أطاعهم من الجنود وأهل الأمصار فأرسلوا اليكم فأتيتم لتبتزونى من الذى جعل الله لى عليكم من السمع والطاعة فسمعتم منهم وأطعتموهم والطاعة لى عليكم دونهم فقلت لهم اما إقادة من نفسى فقد كان قبلى خلفا ومن يتولى السلطان يخطىء ويصيب فلم يستفد من أحد منهم وقد علمت أنهم يريدون بذلك نفسى وإما أن أتبرأ من الأمر فان يصلبونى أحب إلى من أن أتبرأ من جنة الله تعالى وخلافته بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لى . ياعثمان إن الله تعالى سيقمصك قميصا بعدى فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى ولم أكن استكرهتم من قبل على السمع والطاعة ولكن أتوها طائعين يبتغون بذلك مرضاة الله وصلاح الأمة ومن يكن منهم يبتغى الدنيا فلن ينال منها إلا ما كتب له فاتقوا الله فانى لا أرضى لكم إن تنكثوا عهد الله وإنى أنشدكم الله والاسلام أن لا تأخذوا الحق ولا تعطوه منى وما أبرىء نفسى إن النفس لامارة بالسوء إلا مارحم ربى وإنى عاقبت أقواما وما أبتغى بذلك إلا الخير وإنى أتوب إلى الله من كل عمل عملته وأستغفره . أما والله لقد علمتم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل دم امرىء مسلم إلا فى إحدى ثلاث الردة عن الاسلام والزنا بعد الاحصان ولا والله ماكان ذلك منى فى جاهلية ولا إسلام أورجل قتل رجلا فيقاد به . فقال بعضهم إنه لا يقول مقالا وقال آخر لئن سمعت منه ليصرفنكم فأبوا ورموه بالسهام واستقبلوه بما لا يستقبل مثله ثم اشرف عليهم عبد الله بن سلام وكان من أهل الدار فقال يامعشر من حاصر دار عثمان من المهاجرين والأنصار ممن أنعم الله عليهم بالاسلام لاتقتلوا عثمان فوالله إن حقه على كل مؤمن كحق الوالد على ولده ووالله إن على حوائط المدينة اثنى عشر الف ملك منذ أمد الله بهم نبيكم صلى الله عليه وسلم ووالله لئن قتلتموه ليسخطن عليكم ربكم ولتتفرقن ملائكته عنكم وليقتلن بقتله أقواما هم فى

الأصلاب والأرحام وما خلقوا . وانى لأجده فى التوراة التى أنزل الله على موسى عليه السلام وكتب بيده عز وجل اليكم بالعبرانى وبالعربى خليفتكم المظلوم الشهيد والذى نفسى بيده لئن قتلتموه لا تؤدى بعده طاعة إلا عن مخافة ولا توصل رحم عن مكافأة وليقتلن به الرجال ومن فى الأصلاب فقالوا له أيا يهودى أشبع بطنك وكسى ظهرك والله لا ينطح فيه شاتان ولا يتناقر فيه ديكان فقال أما الشاتان والديكان فصدقتم ولكن التيسان الأكبران يتناطحان فيه فحصبوه ورموه حتى شجوه فالتفت الى عثمان فقال له زعموا أنك أشبعت وكسوت ظهرى فاصبر يا أمير المؤمنين فوالذى نفسى بيده انى أجدك فى كتاب الله تعالى المنزل الخليفة المظلوم الشهيد فرميت بالسهام من كل جانب وكان الحسن بن على حاضراً فأصابه سهم فخضبه الدم وأصاب مروان بسهم وهو فى الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى على فخشى محمد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم للحسن فيسيرونها فتنة .

(قتل عثمان رضى الله عنه وكيف كان)

وذكروا أن محمد بن أبى بكر لما خرج الحسن بن على أخذ بيد رجلين فقال لهما ان جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ولكن قوموا حتى نتسور عليه فنقتله من غير أن يعلم أحد فتسور هو وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه لأن كل من معه كان فوق البيت ولم يكن معه إلا امرأته فدخل عليه محمد بن أبى بكر فصرعه وقعد على صدره وأخذ بلحيته وقال يانعثل ما أغنى عنك معاوية وما أغنى عنك بن عامر وابن أبى سرح فقال له عثمان : لو رآنى أبوك رضى الله عنه لبكانى ولساءه مكانك منى فتراخت يده عنه وقام عنه وخرج فدعا عثمان بوضوء فتوضأ وأخذ مصحفا فوضعه فى حجره ليتحرم به ودخل عليه رجل من

أهل الكوفة بمشقص في يده فوجأ بها منكبه مما يلي الترقوة فأدماه ونضح الدم على ذلك المصحف وجاء آخر فضربه برجله وجاء آخر فوجاه بقائم سيفه فغشى عليه ومحمد بن أبي بكر لم يدخل مع هؤلاء فتصايح نساؤه ورش الماء على وجهه فأفاق فدخل محمد بن أبي بكر وقد أفاق فقال له أى نعثل غيرت وبدلت وفعلت ثم دخل رجل من أهل مصر فأخذ للحيته فنتف منها خصلة وسل سيفه وقال افرجوا لى فعلاه بالسيف فتلقاه عثمان بيده فقطعها فقال عثمان أما والله انها أول يد خطت المفصل وكتبت القرآن . ثم دخل رجل أزرق قصير مجدر ومعه جزر من حديد فمشى اليه فقال على أى ملة أنت يانعثل فقال لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان وأنا على ملة ابراهيم حنيفاً وما أنا من المشركين قال كذبت وضربه بالجزر على صدغه الايسر فغسله الدم وخر على وجهه وحالت نائلة بنت الفرافصة زوجته بينه وبينه وكانت جسيمة وألقت بنت شيبة نفسها عليه ودخل عليه رجل من أهل مصر ومعه سيف مصلت فقال والله لأقطعن أنفه فعالج امرأته عنه فكشف عنها درعها فلما لم يصل اليه أدخل السيف بين قرطها ومنكبها فضربت على السيف فقطع أناملها فقالت يارباح غلام لعثمان أسود ومعه سيف أعن عنى هذا فضربه الأسود فقتله ثم دخل الآخر معه سيف فقال أفرجوا لى فوضع ذباب السيف فى بطن عثمان فأمسكت نائلة زوجته السيف فحز أصابعها ومضى السيف فى بطن عثمان فقتله فخرجت امرأته وهى تصيح وخرج القوم هاربين من حيث دخلوا فلم يسمع صوت نائلة لما كان فى الدار من الجلبة فصعدت امرأته الى الناس فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان معها فوجدوا عثمانا مقتولا قد مثل به فأكبوا عليه يبكون وخرجوا فدخل الناس فوجدوه مقتولا فبلغ عليا الخبر وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم فدخلوا عليه واسترجعوا وأكبوا عليه يبكون ويعولون حتى غشى على على ثم أفاق فقال لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما

على الباب فرفع يده فضرب الحسن والحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله ابن الزبير وخرج علي وقد سلب عقله لا يدري ما يستقبله من أمره فقال طلحة مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين فقال يا طلحة يقتل أمير المؤمنين ولم تقم عليه بينة ولا حجة فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال علي لو دفع مروان قتل قبل أن تقوم عليه حكومة فخرج علي فأتى منزله وأغلق الباب . وكتبت نائلة بنت الفرافصة الى معاوية تصف دخول القوم على عثمان وأخذ المصحف ليتحرم به وما صنع محمد بن أبي بكر وأرسلت بقميص عثمان مضرجا بالدم ممزقا وبالخصلة التي نتفها محمد بن أبي بكر من لحيته فعقدت الشعر في زر القميص ثم دعت النعمان بن بشير الانصاري فبعثته الى معاوية ومضى بالقميص حتى أتى على يزيد بن أسيد مددا لعثمان بعثه معاوية في أربعة آلاف فأخبرهم بقتل عثمان فانصرفوا الى الشام قال ثم دخل أهل مصر الدار فلما رأوا عثمان مقتولا ندموا واستحيوا وكره أكثرهم ذلك وثار أهل الدار في وجوههم فأخرجوهم منها ثم اقتتلوا عند الباب فضرب مروان بالسيف فصرع .

(دفن عثمان بن عفان رضي الله عنه)

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن ازهر قال لم أكن دخلت في شيء من أمر عثمان لا عليه ولا له فاني جالس بفناء داري ليلا بعد ماقتل عثمان بليلة اذ جاءني المنذر بن الزبير فقال ان اخي يدعوك فقمت اليه فقال لي إنا اردنا ان ندفن عثمان فهل لك قلت والله مادخلت في شيء من شأنه وما اريد ذلك فانصرفت عنه ثم اتبعته فاذا هو في نفر فيهم جبير بن مطعم وأبو الجهم بن حذيفة والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الله بن الزبير فاحتملوه على باب وان راسه ليقول طق طق فوضعوه في موضع الجنائز فقام اليهم رجال من الانصار فقالوا لهم لا والله لا تصلون عليه فقال أبو الجهم الا تدعون نصلي عليه فقد صلى الله

تعالى عليه وملائكته فقال له رجل منهم ان كنت فأدخلك الله مدخله فقال له حشرني الله معه قال له ان الله حاشرك مع الشياطين والله ان تركنا كم به لعجز منا فقال القوم لابي الجهم اسكت عنهم وكف فسكت فاحتملوه ثم انطلقوا مسرعين كاني اسمع وقع رأسه على اللوح حتى وضعوه في ادنى البقيع فاتاهم جبلة بن عمر والساعدي من الانصار فقال لا والله لا تدفنوه في بقيع رسول الله ولا نتركم تصلون عليه : فقال أبو الجهم انطلقوا بنا ان لم نصل عليه فقد صلى الله عليه فخرجوا ومعهم عائشة بنت عثمان معها مصباح في حق حتى اذا اتوا به حسر كوكب حفروا له حفرة ثم قاموا يصلون عليه وأمهم جبير بن مطعم ثم دلوه في حفرته فلما رأته ابنته صاحت فقال ابن الزبير والله لئن لم تسكتي لاضربن الذي فيه عينيك فدفنوه ولم يلحدوه بلبن وحثوا عليه التراب حثوا

(بيعة على كرم الله وجهه وكيف كانت)

قال وذكروا انه لما كان في الصباح اجتمع الناس في المسجد وكثر الندم والتأسف على عثمان رحمه الله وسقط في أيديهم وأكثر الناس على طلحة والزبير واتهموهما بقتل عثمان فقال الناس لهما أيها الرجلان قد وقعتما في أمر عثمان فخليا عن أنفسكما فقام طلحة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انا والله ما نقول اليوم إلا ماقلناه أمس إن عثمان خلط الذنب بالتوبة حتى كرهنا ولايته وكرهنا إن نقتله وسرنا ان نكفاه وقد كثر فيه اللجاج وأمره إلى الله ثم قام الزبير فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن الله قد رضى لكم الشورى فاذهب بها الهوى وقد تشاورنا فرضينا عليا فبايعوه وأما قتل عثمان فانا نقول فيه إن أمره إلى الله وقد أحدث إحداثا والله وليه فيما كان . فقام الناس فأتوا عليا في داره فقالوا نبايعك فمد يدك لابد من أمير فأنت أحق بها فقال ليس ذلك اليكم إنما هو لأهل الشورى وأهل بدر فمن رضى به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة

فنجتمع وننظر فى هذا الأمر فأبى إن يبايعهم فانصرفوا عنه وكلم بعضهم بعضا فقالوا يمضى قتل عثمان فى الآفاق والبلاد فيسمعون بقتله ولا يسمعون إنه بويع لأحد بعده فيثور كل رجل منهم فى ناحية فلا نأمن إن يكون فى ذلك الفساد . فارجعوا إلى على فلا تتركوه حتى يبايع فيسير مع قتل عثمان بيعة على فيطمئن الناس ويسكنون فرجعوا إلى على وترددوا إلى الاشتر النخعى فقال لعلى ابسط يدك نبايعك فقال له مثل ما قال لهم فقال الأشتر والله لتمدن يدك لنبايعك أو لتعصرن عينك عليها ثالثة ولم يزل به يكلمه ويخوفه الفتنة ويذكر مثله إنه ليس أحد يشبهه فمد يده فبايعه الأشتر ومن معه ثم أتوا طلحة فقالوا له اخرج فبايع قال من ؟ قالوا علياً قال تجتمع الشورى وتنظر فقالوا أخرج فبايع فامتنع عليهم فجاؤا به يلببونه فبايعه بلسانه ومنعه يده فقال أبو ثور كنت فيمن حاصر عثمان فكنت آخذ سلاحى وأضعه وعلى ينظر إلى لايأمرنى ولاينهانى فلما كانت البيعة له خرجت فى أثره والناس حوله يبايعونه فدخل حائطا من حيطان بنى مازن فألجأوه إلى نخلة وحاولوا بينى وبينه فنظرت اليهم وقد أخذت أيدى الناس ذراعه تختلف أيديهم على يده ثم أقبل إلى المسجد الشريف وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه بيده وكانت أصابعه شلا فتطير منها على فقال ما أخلقها أن تنكث ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم جميعا ثم نزل فدعا الناس وأمر بطلب مروان فهرب منه وطلب نفراً من بنى أمية وابن أبى معيط فهربوا وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان رحمه الله فقال لها عمار بالأمس تحرضين عليه الناس واليوم تبكينه ثم جاء على إلى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لاأدرى دخل عليه رجالا لا أعرفهم إلا إن أرى وجوههم وكان معهم محمد بن أبى بكر فدعا على محمداً فسألة عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد صدقت قد والله دخلت عليه فذكر لى أبى فقمت عنه وأنا تائب إلى الله تعالى والله ماقتلته ولا أمسكته فقالت صدق ولكن هو أدخلهم قال ثم خرج طلحة فلقى عائشة فقالت له

ماصنع الناس قال قتلوا عثمان قالت ثم ماصنعوا قال بايعوا علياً ثم أتونى فأكرهونى وليبونى حتى بايعت قالت وما لعلى يستولى على رقابنا لا أدخل المدينة ولعلى فيها سلطان فرجعت وكان الزبير خارجا لم يشهد قتل عثمان وكان عمرو بن العاص بفلسطين يوم قتل عثمان فطلع عليه راكب من الحجاز فقال ما وراءك قال تركت عثمان محصوراً فقال عمرو قد يضرط البعير والمكواة فى النار ثم لبث أياماً فطلع عليه راكب آخر فقال له عمرو وما الخبر قال قتل عثمان قال فما فعل الناس فقال بايعوا عليا قال فما فعل على فى قتلة عثمان قال دخل عليه الوليد بن عقبة فسأله عن قتله فقال ما أمرت ولا نهيت ولا سرنى ولا ساءنى قال فما فعل بقتلة عثمان فقال آوى ولم يرض وقد قال له مروان ان لا تكن أمرت فقد توليت الأمر وان لا تكن قتلت فقد آويت القاتلين فقال عمرو بن العاص خلط والله أبو الحسن قال ثم كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبى وقاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولى كبره فكتب اليه سعد : إنك سألتنى من قتل عثمان وإنى أخبرك إنه قبل بسيف سلته عائشة وصقله طلحة وسمه ابن أبى طالب وسكت الزبير وأشار بيده وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ولكن عثمان غير وتغير وأحسن وأساء فان كنا أحسنا فقد أحسنا وإن كنا أسأنا فنستغفر الله وأخبرك إن الزبير مغلوب بغلبة أهله وبطلبه بذنبه وطلحة لو يجد إن يشق بطنه من حب الامارة لشقه قال وكان ابن عباس غائبا بمكة المشرفة فأقبل إلى المدينة وقد بايع الناس عليا قال ابن عباس فوجدت عنده المغيرة بن شعبة فجلست حتى خرج ثم دخلت عليه فسألنى وسألته ثم قلت له ماقال لك الخارج من عندك آنفا قال قال لى قبل هذه الدخلة أرسل إلى عبدالله بن عامر يعهده على البصرة وإلى معاوية يعهده على الشام فانك تهدىء عليك البلاد وتسكن عليك الناس ثم أتانى الآن فقال لى إنى كنت أشرت عليك برأيى لم أتعقبه فلم أرى ذلك رأيا وإنى أرى إن تنبذ اليهما العداوة فقد كفاك الله عثمان وهما أهون موتة منه فقال له ابن عباس أما المرة الأولى

فقد نصحك فيها وأما الثانية فقد غشك فيها قال فانى قد وليتك الشام فسر اليهما قال قلت ليس هذا برأيى أترى معاوية وهو ابن عم عثمان مخليا بينى وبين عمله ولست آمن أن أظفر بى أن يقتلنى بعثمان وأدنى ما هو صانع أن يحبسنى ويحكم على ولكن أكتب الى معاوية فمنه وعده فان استقام لك الأمر فابعثنى قال ثم أرسل بالبيعة الى جميع الأمصار فجاءته البيعة من كل مكان إلا الشام فانه لم يأته منها بيعة . فأرسل الى المغيرة بن شعبة فقال له سر الى الشام فقد وليتكها قال تبعثنى الى معاوية وقد قتل ابن عمه ثم آتيه واليا فيظن انى من قتلة ابن عمه ولكن ان شئت ابعث اليه بعهده فانه بالحرى اذا بعثت له بعهده يسمع ويطيع فكتب على الى معاوية : أما بعد فقد وليتك ما قبلك من الأمر والمال فبايع من قبلك ثم أقدم الى فى ألف رجل من أهل الشام فلما أتى معاوية كتاب على دعا بطومار فكتب فيه من معاوية الى على : أما بعد فانه .

ليس بينى وبين قيس عتاب * غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فلما أتى عليا الكتاب ورأى ما هو مشتمل عليه كره ذلك وقام فأتى منزله فدخل عليه الحسن ابنه فقال له : اما والله قد كنت امرتك فعصيتنى فقال له على وما امرتنى به فعصيتك فيه قال امرتك ان تركب رواحلك فتلحق بمكة المشرفة فلا تتهم به ولا تحل شيئا من امره فعصيتنى وامرتك حين دعيت الى البيعة ان لا تبسط يدك إلا على بيعة جماعة فعصيتنى وأمرتك حين خالف عليك طلحة والزبير إن لا تكرهما على البيعة وتخلى بينهما وبين وجههما وتدع الناس يتشاورون عاما كاملا فوالله لو تشاوروا عاما ما زويت عنك ولا وجدوا منك بداً وأنا آمرك اليوم أن تقيلهما بيعتهما وترد الناس أمرهم فان رفضوك رفضتهم وان قبلوك قبلتهم فانى والله قد رأيت الغدر فى رؤوسهم وفى وجوههم النكث والكراهية . فقال له على أنا اذا مثلك لا والله يابنى ولكن أقاتل بمن أطاعنى من عصانى وأيم الله ما زلت مبغياً على منذ هلك جدك فقال له الحسن وأيم الله

يا أبتى ليظهرن عليك معاوية لأنه من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فقال على يابنى وما علينا من ظلمة والله ما ظلمناه ولا أمرنا ولا نصرنا عليه ولا كتبت فيه إلى أحد سواداً فى بياض وانك لتعلم أن أباك أبرأ الناس من دمه ومن أمره فقال له الحسن . دع عنك هذا والله انى لا أظن بل لا أشك أن ما فى المدينة عاتق ولا عذراء ولا صبى إلا وعليه كفل من دمه فقال يابنى انك لتعلم أن أباك قد رد الناس عنه مراراً أهل الكوفة وغيرهم وقد أرسلتكما جميعاً بسيفيكما لتنصرانه وتموتان دونه فنهاكما عن القتال ونهى أهل الدار أجمعين وأيم الله لو أمرنى بالقتال لقاتلت دونه أو أموت بين يديه قال الحسن دع عنك هذا حتى يحكم الله بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ، قال ثم دخل المغيرة بن شعبة فقال له على أهل لك يامغيرة فى الله قال فأين هو يا أمير المؤمنين قال تاخذ سيفك فتدخل معنا فى هذا الأمر فتدرك من سبقك وتسبق من معك فانى أرى أمورا لابد للسيوف أن تشحذ لها وتقطف الرؤس بها فقال المغيرة انى والله يا أمير المؤمنين ما رأيت عثمان مصيباً ولا قتله صواباً وانها لمظلمة تتلوها ظلمات فاريد يا أمير المؤمنين ان أذنت لى أن أضع سيفى وأنا فى بيتى حتى تنجلى الظلمة ويطلع قمرها فنسرى مبصرين نقفوا آثار المهتدين ونتقى سبيل الجائرين قال على قد أذنت لك فكن من أمرك على ما بدالك . فقام عمار فقال معاذ الله يامغيرة تقعد أعمى بعد أن كنت بصيرا يغلبك من غلبته ويسبقك من سبقته أنظر ما ترى وما تفعل فاما فلا أكون إلا فى الرعيل الأول . فقال له المغيرة يا أبا اليقظان إياك أن تكون كقاطع السلسلة فر من الضحل فوقع فى الرمضا فقال على لعمار دعه فانه لن يأخذ من الآخرة إلا ما خالطته الدنيا أما والله يامغيرة انها المثوبة المؤيدة تؤدى قام فيها الى الجنة ولمـا احتار بعدها فاذا غشيناك فنم فى بيتك فقال المغيرة أنت والله يا أمير المؤمنين اعلم منى ولئن لم أقاتل معك لا أعين عليك فان يكن ما فعلت صوابا فاياه أردت وان حطا فمنه نجوت ولى ذنوب كثيرة لاقبل لى بها إلا الاستغفار منها .

(خطبة على بن أبى طالب كرم الله وجهه)

قال وذكروا أن البيعة لما تمت بالمدينة خرج على الى المسجد الشريف فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعد الناس من نفسه خيراً وتألفهم جهد : ثم قال : لا يستغنى الرجل وإن كان ذا مال وولد عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم . هم أعظم الناس حيطة من ورائه واليهم سعيه وأعطفهم عليه إن أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأمور ومن يقبض يده عن عشيرته فانه يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة ومن بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله له ما أنفق فى دنياه ويضاعف له فى آخرته . واعلموا أن لسان صدق يجعله الله للمرء فى الناس خير له من المال فلا يزدادن أحدكم كبرياء ولا عظمة فى نفسه ولا يغفل أحدكم عن القرابة أن يصلها بالذى لا يزيده ان أمسكه ولا ينقصه إن أهلكه واعلموا أن الدنيا قد أدبرت والاخرة قد أقبلت إلا وأن المضمار اليوم والسبق غداً إلا وأن السبقة الجنة والغاية النار إلا أن الأمل يشهى القلب ويكذب الوعد ويأتى بغفلة ويورث حسرة فهو غرور وصاحبه فى عناء فافزعوا الى قوام دينكم وإتمام صلاتكم واداء زكاتكم والنصيحة لامامكم وتعلموا كتاب الله واصدقوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوفوا بالعهد اذا عاهدتم وأدوا الأمانات اذا ائتمنتم وارغبوا ثواب الله وارهبوا عذابه واعلموا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدم الخير

(اختلاف الزبير وطلحة على على كرم الله وجهه)

قال وذكروا أن الزبير وطلحة أتيا علياً بعد فراغ البيعة فقالا هل تدرى على ما بايعناك يا أمير المؤمنين قال على نعم على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان فقالا لا : ولكنا بايعناك على أنا شريكاك فى الأمر قال

على لا ولكنكما شريكان فى القول والاستقامة والعون على العجز والأولاد قال وكان الزبير لا يشك فى ولاية العراق وطلحة فى اليمن فلما استبيان لهما أن علياً غير موليهما شيئاً أظهر الشكاة فتكلم الزبير فى ملا من قريش، فقال هذا جزاؤنا من على قمنا له فى أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس فى بيته وكفى الأمر فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا فقال طلحة ما اللوم إلا انا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه مافى أيدينا ومنعنا مافى يده فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا . قال فانتهى قولهما الى على .

(خلاف عائشة رضى الله عنها على على)

قال وذكروا أن عائشة لما أتاها أنه بويع لعلى وكانت خارجة عن المدينة فقيل لها قتل عثمان وبايع الناس عليا فقالت ما كنت أبالى أن تقع السماء على الأرض قتل والله مظلوما وأنا طالبة بدمه فقال عبيد ان أول من طعن عليه وأطمع الناس فيه لأنت ولقد قلت اقتلوا نعثلا فقد فجر فقالت عائشة قد والله قلت وقال الناس وآخر قولى خير من أوله فقال عبيد عذر والله ضعيف يا أم المؤمنين . ثم قال

منك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الاما * م وقلت لنا انه قد فجر
فهبنا أطعناك فى قتله * وقاتله عندنا من أمر

قال فلما أتى عائشة خبر أهل الشام أنهم ردوا بيعة على وأبوا أن يبايعوه أمرت فعمل لها هودج من جديد وجعل فيه موضع عينيها ثم خرجت ومعها الزبير وطلحة وعبد الله ابن الزبير ومحمد بن طلحة .

(اعتزال عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة)
﴿ عن مشاهدة علي وحروبه ﴾

قال وذكروا أن عمار بن ياسر قام الى علي فقال يا أمير المؤمنين ائذن لي آتي عبد الله بن عمر فأكلمه لعله يخف معنا في هذا الأمر فقال علي نعم فأتاه فقال له يا أبا عبد الرحمن انه قد بايع عليا المهاجرون والأنصار ومن أن فضلناه عليك لم يسخطك وان فضلناك عليه لم يرضك وقد أنكرت السيف في أهل الصلاة وقد علمت أن على القاتل القتل وعلى المحصن الرجم وهذا يقتل بالسيف وهذا يقتل بالحجارة وان عليا لم يقتل أحداً من أهل الصلاة فيلزمه حكم القاتل فقال ابن عمر يا ابا اليقظان ان ابي جمع أهل الشورى الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عنهم راض فكان احقهم بها علي غير انه جاء أمر فيه السيف ولا اعرفه لكن والله ما احب ان لي الدنيا وما عليها واني اظهرت واضمرت عداوة علي قال فانصرف عنه فاخبر عليا بقوله فقال علي لو اتيت محمد بن مسلمة الانصاري فاتاه عمار فقال له محمد مرحباً بك يا ابا اليقظان على فرقة ما بيني وبينك والله لولا ما في يدي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبايعت علياً ولو ان الناس كلهم عليه لكنت معه ولكنه يا عمار كان من النبي أمر ذهب فيه الرأي فقال عمار كيف قال قال رسول الله اذا رأيت المسلمين يقتتلون أو اذا رأيت أهل الصلاة فقال عمار فان كان قال لك اذا رأيت المسلمين فوالله لاترى مسلمين يقتتلان بسيفهما ابداً وان كان قال لك أهل الصلاة فمن سمع هذا معك انما انت أحد الشاهدين فتريد من رسول الله قولا بعد قوله يوم حجة الوداع : دماؤكم وأموالكم عليكم حرام الا بحدث فتقول يا محمد لاتقاتل المحدثين قال حسبك يا أبا اليقظان قال ثم اتى سعد بن ابي وقاص فكلمه فاظهر الكلام القبيح فانصرف عمار الى علي فقال له علي : دع هؤلاء الرهط اما ابن عمر فضعيف واما سعد فحسود وذنبي الى محمد بن مسلمة اني قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهود

(هروب مروان بن الحكم من المدينة المنورة)

قال وذكروا ان مروان بن الحكم لما بويع على هرب من المدينة فلحق بعائشة بمكة فقالت له عائشة ما وراءك فقال مروان غلبنا على أنفسنا

(خروج على من المدينة)

قال وذكروا ان عليا تردد بالمدينة أربعة أشهر ينتظر جواب معاوية وقد كان كتب اليه كتابا بعد كتاب يمنيه ويعده أولا ثم كتابا يخوفه فيه ويتوعده فحبس معاويه جواب كتابه ثلاثة أشهر ثم أتاه جوابه على غير مايحب فلما أتاه ذلك شخص من المدينة فى تسعمائة راكب من وجوه المهاجرين والانصار من أهل السوابق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم بشر كثير من أخلاط الناس واستخلف على المدينة قثم بن عباس وكان له فضل وعقل وامره ان يشخص اليه من أحب الشخوص ولا يحمل أحداً على مايكره فخف الناس الى على بعده ومضى معه من ولده الحسن والحسين ومحمد فلما كان فى بعض الطريق اتاه كتاب اخيه عقيل بن ابى طالب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد يا اخى كلاك الله والله جائرك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه على كل حال وانى خرجت معتمرا فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما متوجهون الى البصرة قد اظهروا الخلاف ونكثوا البيعة وركبوا عليك قتل عثمان وتبعهم على ذلك كثير من الناس من طغاتهم واوباشهم ثم مر عبد الله بن ابى سرح فى نحو من أربعين راكبا من أبناء الطلقاء من بنى امية فقلت لهم وعرفت المنكر فى وجوههم ابمعاوية تلحقون عداوة . والله انها منكم ظاهرة غير مستنكرة تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير أمر الله فاسمعنى القوم واسمعتهم ثم قدمت مكة فسمعت أهلها يتحدثون ان الضحاك بن قيس اغار على الحيرة واليمامة فاصاب

ماشاء من أموالها ثم انكفار راجعا الى الشام فاف لحياة فى زهو جرا عليك الضحاك وما الضحاك الا فقع بقرقرة فظننت حين بلغنى ذلك ان أنصارك خذلوك فا كتب الى يابن امى برأيك وامرك فان كنت الموت تريد تحملت اليك بنى أخيك وولد أبيك فعشنا ماعشت ومتنا معك اذا مت فوالله ما احب ان ابقى بعدك فوالله الاعز الاجل ان عيشا اعيشه بعدك فى الدنيا لغير هنىء ولا مرىء ولا نجيع والسلام . فكتب اليه على كرم الله وجهه . أما بعد يا أخى فكلاك الله كلاءته من يخشاه انه حميد مجيد قدم على عبد الرحمن الازدى بكتابك تذكر فيه انك لقيت بن أبى سرح فى أربعين من أبناء الطلقات من بنى أموية متوجهين الى المغرب وابن أبى سرح يا اخى طال ما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصد عن كتابه وسنته وبغاها عوجا فدع ابن أبى سرح وقريشا وتركاضهم فى الضلال فان قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم وجهلوا حقى وجحدوا فضلى ونصبوا لى الحرب وجدوا فى اطفاء نور الله اللهم فاجز قريشا عنى بفعالها فقد قطعت رحمى وظاهرت على وسلبتنى سلطان ابن عمى وسلمت ذلك لمن ليس فى قرابتى وحقى فى الاسلام وسابقتى التى لايدعى مثلها مدع الا ان يدعى مالا أعرف ولا اظن الله يعرفه والحمد لله على ذلك كثيرا . واما ما ذكرت من غارة الضحاك على الحيرة واليمامة فهو اذل والام من ان يكون مر بها فضلا عن الغارة ولكن جاء فى خيل جريده فسرحت اليه جندا من المسلمين فلما بلغه ذلك ولى هاربا فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق حين همت الشمس للاياب فاقتتلوا وقتلوا من اصحابه بضعة عشر رجلا ونجا هاربا بعد ان أخذ منه بالمخنق فلولا الليل مانجا واما ماسالت ان اكتب اليك منه برأيى فان رأيى جهاد المحلين حتى القى الله لايزيدنى كثرة الناس حولى عزة ولا تفرقهم عنى وحشة لانى محق والله مع المحق وما اكره الموت على الحق لان الخير كله بعد الموت لمن عقل ودعا الى الحق : واما ما عرضت

به مسيرك الى بنيك وبنى أبيك فلا حاجة لى فى ذلك فذرهم راشدا مهديا فوالله ما احب ان تهلكوا معى ان هلكت . وانا كما قال أخو بنى سليم

فان تسأليني كيف صبرى فانني * صبور على ريب الزمان صليب
عزيز على إن أرى بكآبة * فيشمت واش أو يساء حبيب

(كتاب أم مسلمة إلى عائشة)

قال وذكروا إنه لما تحدث الناس بالمدينة بمسير عائشة مع طلحة والزبير ونصبهم الحرب لعلى وتالفهم الناس كتبت أم مسلمة إلى عائشة : أما بعد فانك مسدة بين رسول الله وبين أمته وحجابك مضروب على حرمته قد جمع القرآن الكريم ذيلك فلا تبذليه وسكن عقيرتك فلا تضيعيه والله من وراء هذه الأمة قد علم رسول الله مكانك لو أراد إن يعهد إليك وقد علمت إن عمود الدين لا ينيب بالنساء إن مال ولا يراب بهن أن انصدع خمرات النساء غض الأبصار وضم الذيول ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك باطراف الجبان والفلوات على قعود من الابل من منهل إلى منهل أن يعين الله مهواك وعلى رسول ان صلى الله عليه وسلم تردين وقد هتكت حجابه الذى ضرب الله عليك عهيداه ولو أتيت الذى تريدين ثم قيل لى أدخلى الجنة لاستحييت إن القى الله هاتكة حجابا قد ضربه على فاجعلى حجابك الذى ضرب عليك حصنك فابغيه منزلا لك حتى تلقيه فان أطوع ماتكونين إذا ما لزمته وأنصح ماتكونين إذا ماقعدت فيه ولو ذكرتك كلاما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشتنى نهش الحية والسلام . فكتبت عائشة : ماأقبلنى لوعظك وأعلمنى بنصحك وليس مسيرى على ما تظنين ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متناجزتين فان أقدر ففى غير حرج وإن أحرج فلا غنى بى عن الازدياد منه والسلام

(استنفار عدى بن حاتم قومه لنصرة على رضى الله عنه)

قال وذكروا إن ابن حاتم قام إلى على فقال ياأمير المؤمنين لو تقدمت إلى قومى

أخبرهم بمسيرك وأستنفرهم فان لك من طيء مثل الذى معك فقال على نعم فافعل فتقدم عدى إلى قومه فاجتمعت اليه رؤساء طيء : فقال لهم : يامعشر طيء إنكم أمسكتم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشرك ونصرتم الله ورسوله فى الاسلام على الردة وعلى قادم عليكم وقد ضمنت له مثل عدة من معه منكم فخففوا معه وقد كنتم تقاتلون فى الجاهلية على الدنيا فقاتلوا فى الاسلام على الآخرة فان أردتم الدنيا فعند الله مغانم كثيرة وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة وقد ضمنت عنكم الوفاء وباهيت بكم الناس فأجيبوا قولى فانكم أعز العرب دارا لكم فضل معاشكم وخيلكم فاجعلوا فضل المعاش للعيال وفضول الخيل للجهاد وقد أظلكم على والناس معه من المهاجرين والبدريين والأنصار فكونوا أكثرهم عدداً فان هذا سبيل للحى فيه الغنى والسرور وللقتيل فيه الحياة والرزق فصاحت طيء نعم نعم حتى كاد أن يصم من صياحهم . فلما قدم على طيء أقبل شيخ من طيء قد هرم من الكبر فرفع له من حاجبيه فنظر إلى على فقال له أنت ابن أبى طالب ؟ قال نعم . قال مرحبا بك وأهلا قد جعلناك بيننا وبين الله وعديا بيننا وبينك ونحن بينه وبين الناس والله لو أتينا غير مبايعين لك لنصرناك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامك الصالحة ولئن كان مايقال فيك من الخير حقاً إن فى أمرك وأمر قريش لعجباً إذا خرجوك وقدموا غيرك . سر فوالله لايتخلف عنك من طيء إلا عبد أو دعى إلا باذنك فشخص معك من طيء ثلاثة عشر ألف راكب

(إستنفار زفر بن زيد قومه لنصرة على)

قال وذكروا إن زفر بن زيد بن حذيفة الأسدى وكان من سادة بنى أسد قام إلى على فقال ياأمير المؤمنين إن طيأ إخواننا وجيراننا قدأجابوا عديا ولى فى قومى طاعة فاذن لى فآتيهم قال نعم فأتاهم فجمعهم وقال . يابنى أسد إن عدى بن حاتم

ضمن لعلي قومه فأجابوه وقضوا عنه ذمامه فلم يغتل الغنى بالغنى ولا الفقير بالفقر
وواسى بعضهم بعضا حتى كأنهم المهاجرون فى الهجرة والأنصار فى الأثرة وهم
جيرانكم فى الديار وخلطاؤكم فى الأموال فأنشدكم الله لا يقول الناس غداً نصرت
طيء وخذلت بنوا سدوان الجار يقاس بالجار كالنعل بالنعل فان خفتم فتوسعوا
فى بلادهم وانضموا إلى جبلهم وهذه دعوة لها ثواب من الله فى الدنيا والآخرة
فقام اليه رجل منهم فقال يازفر إنك لست كعدى ولا أسد كطيء إرتدت العرب
فثبتت طيء على الاسلام وجاء عدى بالصدقة وقاتل بقومه قومك فوالله لو نفرت
طيء بأجمعها لمنعت رعاؤها دارها ولو أن منعنا أضعافنا لخفنا على دارنا فان
كان لا يرضيك منا إلا ما أرضى عديا من طيء فليس ذلك عندنا وإن كان
لا يرضيك قدر مايرد عنا عذر الخذلان وإثم المعصية فلك ذلك منا فسار معه
من أسد جماعة ليست كجماعة طيء حتى قدم بها على علي

(توجه عائشة وطلحه والزبير الى البصرة)

قال وذكروا إنه لما اجتمع طلحة والزبير وذووهما مع عائشة وأجمعوا على المسير
من مكة اتاهم عبد الله بن عامر فدعاهم الى النصرة ووعدهم الرجال والاموال
فقال سعيد بن العاصى لطلحة والزبير ان عبد الله بن عامر يدعوكما الى النصرة
وقد فر من أهلها فرار العبد الآبق وهم فى طاعة عثمان ويريد ان يقاتل بهم عليا
وهم فى طاعة على وخرج من عندهم اميرا ويعود اليهم طريدا وقد وعدكم الرجال
والاموال فاما الاموال فعنده واما الرجال فلا رجل فقال مروان بن الحكم
أيها الشيخان مايمنعكما ان تدعوا الناس الى بيعة مثل بيعة على فان أجابوكما
عارضتماه ببيعة كبيعته وان لم يجيبوكما عرفتما مالكما فى انفس الناس فقال طلحة
يمنعنا ان الناس بايعوا عليا بيعة عامة فيما ننقضها ؟ وقال الزبير ويمنعنا أيضا من
ذلك تثاقلنا عن نصرة عثمان وخفتنا الى بيعة على . فقال الوليد بن عتبة ان كنتما
اسأتما فقد أحسنتما وان كنتما اخطأتما فقد أصبتما وأنتما اليوم خير منكما امس

فقال مروان اما انا فهواى الشام وهواكما البصرة وأنا معكم وان كانت الهلكة فقال سعيد بن العاصي أما أنا فراجع الى منزلي فلما استقام أمرهم واجتمعت كلمتهم على المسير قال طلحة للزبير انه ليس شيء انفع ولا ابلغ فى استمالة اهواء الناس من ان تشخص لعبد الله بن عمر فاتياه فقولا يا ابا عبد الرحمن ان امنا عائشة خفت لهذا الامر رجاء الاصلاح بين الناس فاشخص معنا فان لك بها اسوة فان بايعنا الناس فانت أحق بها فقال ابن عمر أيها الشيخان اتريدان ان تخرجاني من بيتي ثم تلقياني بين مخالب بن أبي طالب ان الناس إنما يخدعون بالدينار والدرهم وانى قد تركت هذا الامر عيانا فى عافية أنالها فانصرفا عنه . وقدم يعلى بن منيه عليهم من اليمن وكان عاملا لعثمان فاخرج اربعمائة بعير ودعا الى الحملان فقال الزبير دعنا من إبلك واقرضنا من هذا المال فاقرض الزبير ستين الفا وأقرض طلحة أربعين الفا ثم سار القوم فقال الزبير الشام بها الرجال والاموال وعليها معاوية وهو ابن عم الرجل ومتى نجتمع يولنا عليه وقال عبد الله بن عامر البصرة فان غلبتم عليا فلكم الشام وان غلبكم على كان معاوية لكم جنة وهذه كتب أهل البصرة الى فقال يعلى بن منيه وكان ذاهبا اليها الشيخان قدرا قبل ان ترحلا ان معاوية قد سبقكم الى الشام وفيها الجماعة وانتم تقدمون عليه غدا فى فرقه وهو ابن عم عثمان دونكم أرأيتم ان دفعكم عن الشام أو قال اجعلها شورى ما أنتم صانعون اتقاتلونه أم تجعلونها شورى فتخرجا منها وأقبح من ذلك ان تأتيا رجلا فى يديه أمر قد سبقكما اليه وتريدان ان تخرجاه منه فقال القوم فالى أين قال الى البصرة فقال الزبير لعبد الله ابن عامر من رجال البصرة ؟ قال ثلاثة كلهم سيد مطاع كعب بن سور فى اليمن والمنذر بن ربيعة فى ربيعة والاحنف بن قيس فى البصرة فكتب طلحة والزبير إلى كعب ابن سور أما بعد فانك قاضى عمر ابن الخطاب وشيخ أهل البصرة وسيد أهل اليمن وقد كنت غضبت لعثمان من الاذى فاغضب له من القتل والسلام . وكتبا الى الاحنف بن قيس : أما بعد فانك

وافد عمر وسيد مضر وحليم أهل العراق وقد بلغك مصاب عثمان ونحن قادمون عليك والعيان أشفى لك من الخبر والسلام . وكتبنا الى المنذر . أما بعد فان أباك كان رئيسا فى الجاهلية وسيدا فى الاسلام وانك من أبيك بمنزلة المصلى من السابق يقال كاد أو لحق وقد قتل عثمان من أنت خير منه وغضب له من هو خير منك والسلام . فلما وصلت كتبهما الى القوم قام زياد بن مضر والنعمان بن شوال وعزوان فقالوا مالنا ولهذا الحى من قريش ليريدون ان يخرجونا من الاسلام بعد ان دخلنا فيه ويدخلونا فى الشرك بعد ان خرجنا منه قتلوا عثمان وبايعوا عليا لهم مالهم وعليهم ماعليهم وكتب كعب بن سور الى طلحة والزبير . أما بعد فانا غضبنا لعثمان من الاذى والغير باللسان فجاء أمر الغير فيه بالسيف فان يك عثمان قتل ظالما فما لكما وله وان كان قتل مظلوما فغيركما أولى به وان كان أمره اشكل على من يشهده فهو على من غاب عنه اشكل . وكتب الاحنف اليهما . أما بعد فانه لم يأتنا من قبلكم أمر لانشك فيه الا قتل عثمان وان كنتم قادمون علينا فان يكن فى العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم والا يكن فيه فضل فليس فى أيدينا ولا فى أيديكم ثقة والسلام . وكتب المنذر . أما بعد فانه لم يلحقنى أهل الخير الان أن أكون خيرا من أهل الشر وانما أوجب حق عثمان اليوم حقه أمس وقد كان بين اظهركم فخذلتموه فمتى استنبطتم هذا العلم وبدا لكم هذا الرأى فلما قرأ كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا . ثم غدا مروان الى طلحة والزبير فقال لهما عاودا ابن عمر فلعله ينيب . فعاوداه فتكلم طلحة . فقال يا أبا عبد الرحمن انه والله لرب حق ضيعناه وتركناه فلما حضر العذر قضينا بالحق وأخذنا بالحظ ان عليا يرى انفاذ بيعه وان معاوية لايرى ان يبايع له وانا نرى ان نردها شورى فان سرت معنا ومع أم المؤمنين صلحت الامور وإلا فهى الهالكة . فقال ابن عمر . إن يكن قولكما حقا ففضلا ضيعت وإن يكن باطلا فشر منه نجوت واعلما أن بيت عائشه خير لها من هودجها وأنتما

المدينة خير لكما من البصرة والذل خير لكما من السيف ولن يقاتلا عليا إلا من كان خيرا منه وأما الشورى فقد والله كانت فقدم وأخرتما ولن يردها إلا أولئك الذين حكموا فيها فاكفيانى أنفسكما فانصرفا . فقال مروان استعينا عليه بحفصة فأتيا حفصة فقالت لو أطاعنى أطاع عائشة دعاه فاتركاه وتوجها الى البصرة واتبهما عبد الله بن خلف فقال لهما . إنه ليس أحد من أهل الحجاز كان منه فى عثمان شيء إلا وقد بلغ أهل العراق وقد كان منكما فى عثمان من التخليب والتاليب لا يدفعه جحود ولا ينفعكما فيه عذر وأحسن الناس فيكما قولا من أزال عنكما القتل وألزمكما الخذل وقد بايع الناس عليا بيعة عامة والناس لاقوكما غدا فما تقولان فقال طلحة ننكر القتل ونقر بالخذلان ولا ينفع الاقرار بالذنب إلا مع الندم عليه ولقد ندمنا على ما كان منا . وقال الزبير بايعنا عليا والسيف على أعناقنا حيث تواثب الناس بالبيعة اليه دون مشورتنا ولم نصب لعثمان خطأ فتجب علينا الدية ولا عمداً فيجب علينا القصاص . فقال عبد الله بن خلف عذركما أشد من ذنبكما قال فتهيأ القوم للمسير فقال طلحة والزبير أسرعوا السير لعلنا نسبق عليا من خلاف طريقه الى البصرة قال وكتب قثم بن عباس الى على يخبره أن طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة وقد استنفروا الناس فلم يخف معهم إلا من لا يعتد بمسيره ومن خلفت بعدك فعلى ما تحب . فلما قدم على على كتابه غمه ذلك وأعظمه للناس وسقط فى أيديهم فقام قيس بن سعد بن عبادة فقال : يا أمير المؤمنين إنه والله ما غمنا بهذين الرجلين كغمنا بعائشة لأن هذين الرجلين حلال الدم عندنا لبيعتهما ونكثهما ولأن عائشة من علمت مقامها فى الاسلام ومكانها من رسول الله مع فضلها ودينها وأمومتها منا ومنك ولكنهما يقدمان البصرة وليس كل أهلها لهما وتقدم الكوفة وكل أهلها لك ونسير بحقك إلى باطلهم ولقد كنا نخاف أن يسير الى الشام فيقال صاحبا رسول الله وأم المؤمنين فيشتد البلاء وتعظم الفتنة فأما اذا أتيا البصرة وقد سبقت اليه طاعتك وسبقوا الى

بيعتك وحكم عليهم عاملك ولا والله ما معهما مثل ما معك ولا يقدمان على مثل ما تقدم عليه فسر فان الله معك وتتابعت الانصار فقالوا وأحسنوا . قال ولما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر أقبل عليهم سعيد بن العاصى على نجيب له فأشرف على الناس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها أين تريدين يا أم المؤمنين قالت أريد البصرة قال وما تصنعين بالبصرة قالت أطلب بدم عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ثم أقبل على مروان فقال له وأين تريد أيضا قال البصرة قال وما تصنع بها قال أطلب قتلة عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك إن هذين الرجلين قتلا عثمان « طلحة والزبير » وهما يريدان الأمر لأنفسهما فلما غلبا عليه قالا نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة . ثم قال المغيرة بن شعبة . أيها الناس إن كنتم إنما خرجتم مع أمكم فارجعوا بها خيراً لكم وإن كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان وإن كنتم نقمتم على على شيئا فبينوا ما نقمتم عليه أنشدكم الله فتنتين فى عام واحد فأبوا إلا أن يمضوا بالناس فلحق سعيد بن العاصى باليمن ولحق المغيرة بالطائف فلم يشهدا شيئا من حروب الجمل ولا صفين فلما انتهوا إلى ماء الحوأب فى بعض الطريق ومعهم عائشة نبحها كلاب الحوأب فقالت لمحمد بن طلحة أى ماء هذا قال هذا ماء الحوأب فقالت ما أرانى إلا راجعة قال ولم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه : كأنى بإحداكن قد نبحها كلاب الحوأب وإياك أن تكونى أنت ياحميراء . فقال لها محمد بن طلحة تقدمى رحمك الله ودعى هذا القول . وأتى عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلفتيه أول الليل وأتاها ببينة زور من الاعراب فشهدوا بذلك فزعموا أنها أول شهادة زور شهد بها فى الاسلام فلما انتهى إقبالهم على أهل البصرة ودنوا منها قام عثمان بن حنيف عامل البصرة لعلى بن أبى طالب فقال : يا أيها الناس إنما بايعتم الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما

والله لو علم على ان أحداً أحق بهذا الأمر منه ما قبله ولو بايع الناس غيره لبايع من بايعوا وأطاع من ولوا وما به إلى أحد من صحابة رسول الله حاجة وما بأحد عنه غنى ولقد شاركهم فى محاسنهم وما شاركوه فى محاسنه ولقد بايعه هذان الرجلان وما يريد الله فاستعجلا الفطام قبل الرضاع والرضاع قبل الولادة والولادة قبلَ الحمل وطلبا ثواب الله من العباد وقد زعموا أنهما بايعا مستكرهين فان كان استكرها قبل بيعتهما وكانا رجلين من عرض قريش لها أن يقولا ولا يأمرا إلا وان الهدى ما كانت عليه العامه والعامة على بينة على فما ترون أيها الناس ؟ فقام حكم بن جبل العبدى : فقال ترى أن دخلا علينا قاتلناهما وإن وقفا تلقيناهما والله ما أبالى أن أقاتلهما وحدى وإن كنت أحب الحياة وما أخشى فى طريق الحق وحشة ولا غيرة ولا غشا ولا سوء منقلب الى بعث وانها لدعوة قتيلها شهيد وحيها فائز والتعجيل الى الله قبل الأجر خير من التأخير فى الدنيا وهذه ربيعة معك

(نزول طلحة والزبير وعائشة البصرة)

قال وذكروا أن طلحة والزبير نزلا البصرة قال عثمان بن حنيف تعذر اليهما برجلين فدعا عمران بن الحصين صاحب رسول الله وأبا الاسود الدؤلى فأرسلهما الى طلحة والزبير فذهبا اليهما فناديا يا طلحة فأجابهما فتكلم أبو الاسود الدؤلى فقال يا أبا محمد انكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا فى قتله وبايعتم عليا غير مؤامرين لنا فى بيعته فلم نغضب لعثمان إذ قتل ولم نغضب لعلى إذ بويع ثم بدا لكم فأردتم خلع على ونحن على الأمر الأول فعليكم المخرج مما دخلتم فيه . ثم تكلم عمران فقال يا طلحة إنكم قتلتم عثمان ولم نغضب له إذ لم تغضبوا ثم بايعتم عليا وبايعنا من بايعتم فان كان قتل عثمان صوابا فمسيركم لماذا وإن كان خطأ فحظكم منه الأوفر ونصيبكم منه الأوفى. فقال طلحة يا هذا إن صاحبكما لا يرى أن معه فى

هذا الأمر غيره وليس على هذا بايعناه وأيم الله ليسفكن دمه : فقال أبو الأسود يا عمر أن أما هذا فقد صرح أنه إنما غضب للملك . ثم أتيا الزبير فقالا يا أبا عبد الله إنا أتينا طلحة قال الزبير إن طلحة واياى كروح فى جسدين وإنه والله ياهذان قد كانت منا فى عثمان فلتات احتجنا فيها إلى المعاذير ولو استقبلنا من أمرنا ما إستدبرنا نصره ثم أتيا فدخلا على عائشة فقالا يا أم المؤمنين ماهذا المسير أمعك من رسول الله به عهد قالت : قتل عثمان مظلوما غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل فقال أبو الأسود وما أنت من عصانا وسيفنا وسوطنا فقالت يا أبا الأسود بلغنى أن عثمان بن حنيف يريد قتالى فقال أبو الأسود نعم والله قتالا أهونه تندر منه الرؤس . وأقبل غلام من جهينة إلى محمد بن طلحة فقال حدثنى عن قتله عثمان قال نعم دم عثمان على ثلاثة ثلاث ثلث على صاحبة الهودج وثلث على صاحب الجمل الأحمر وثلث على على بن أبى طالب فضحك الجهينى ولحق بعلى ابن أبى طالب وبلغ طلحة قول ابنه محمد وكان محمد من عباد الناس فقال له يا محمد أنزعم عنا قولك إنى قاتل عثمان كذلك تشهد على أبيك كن كعبد الله ابن الزبير فوالله ماأنت بخير منه ولا أبوك بدون أبيه كف عن قولك وإلا فارجع فان نصرتك نصرة رجل واحد وفسادك فساد عامة فقال محمد ماقلت إلا حقاً ولكن أعود

(نزول على بن أبى طالب الكوفة)

قال وذكروا أن علياً لما نزل قريباً من الكوفة بعث عمار بن ياسر ومحمد ابن أبى بكر إلى أبو موسى الأشعرى وكان أبو موسى عاملا لعثمان على الكوفة فبعثهما على اليه وإلى أهل الكوفة يستفزهم فلما قدما عليه قام عمار بن ياسر ومحمد بن أبى بكر فدعوا الناس إلى النشرة لعلى فلما أمسوا دخل رجال من أهل الكوفة على أبي موسى فقالوا ماترى أنخرج مع هذين الرجلين إلى صاحبهما

أم لا ؟ فقال أبو موسى : أما سبيل الآخرة ففى ان تلزموا بيوتكم وأما سبيل الدنيا فالخروج مع من أتاكم فاطاعوه فتباطأ الناس على علي وبلغ عماراً ومحمد أما أشار أبو موسى على أولئك الرهط فأتياه فأغاظا له فى القول قال أبو موسى إن بيعة عثمان فى عنق وعنق صاحبكم ولئن أردنا القتال مالنا إلى قتال أحد من سبيل حتى نفرغ من قتلة عثمان . ثم خرج أبو موسى فصعد المنبر ثم قال : أيها الناس إن أصحاب رسول الله الذين صحبوه فى المواطن أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه وإن لكم حقاً على أن أؤديه اليكم . إن هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان والقاعد خير من القائم والقائم فيها خير من الساعى والساعى خير من الراكب فاغمدوا سيوفكم حتى تنجلى هذه الفتنة . فقام عمار ابن ياسر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس أن أبا موسى ينهاكم عن الشخوص إلى هاتين الجماعتين وماصدق فيما قال وما رضى الله من عباده . قال الله عز وجل . «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا» وقال «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله» فلم يرض من عبادة بما ذكر أبو موسى من أن يجلسوا فى بيوتهم ويخلوا الناس فيسفك بعضهم دماء بعض فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم وانظروا من أولى بالنصرة فاتبعوه فان أصلح الله أمرهم رجعتم مأجورين وقد قضيتم حق الله وإن بغى بعضهم على بعض نظرتم إلى الفئة الباغية فقاتلتموها حتى تفىء إلى أمر الله كما أمركم الله وافترض عليكم ثم قعد . فلما انصرف إلى على من عند أبى موسى وأخبراه بما قال أبو موسى بعث اليه الحسن بن على وعبد الله بن عباس وعمار ابن ياسر وقيس بن سعد وكتب معهم إلى أهل الكوفة . أما بعد فانى أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سامعه كمن عاينه إن الناس طعنوا على عثمان فكنت رجلا من المهاجرين أقل عيبة وأكثر استعابة وكان هذان الرجلان طلحة

والزبير أهون سيرهما فيه اللهجة والوجيف وكان من عائشة فيه قول على غضب فانتحى له قوم فقتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين وهما أول من بايعني على مابويع عليه من كان قبلي ثم استأذنا إلى العمرة فأذنت لهما فنقضا العهد ونصبا الحرب وأخرجا أم المؤمنين من بيتها ليتخذاها فتنة وقد سارا إلى البصرة اختيارا لأهلها ولعمرى ماإياى يجيبون ماتجيبون إلا الله . وقد بعثت ابنى الحسن وابن عمى عبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد فكونوا عند ظننا بكم والله المستعان فسار الحسن ومن معه حتى قدموا الكوفة على أبي موسى فدعوه إلى نصرة على فبايعهم ثم صعد أبو موسى المنبر وقام الحسن أسفل منه ندعاهم إلى نصرة على وأخبرهم بقرابته من رسول الله وسابقته وبيعة طلحة والزبير اياه ونكثهما عهده واقراهم كتاب على فقام شريح بن هانى فقال لقد أردنا أن نركب إلى المدينة حتى نعلم قتل عثمان فقد أتانا الله به فى بيوتنا فلا تخالفوا عن دعوته والله لو لم يستنصر بنا لنصرناه سمعا وطاعة ثم قام الحسن بن على فقال : أيها الناس إنه قد كان فى مسير أمير المؤمنين على بن أبى طالب ما قد بلغكم وقد أتيناكم مستنفرين لأنكم جبهة الأنصار ورؤس العرب وقد كان من نقض طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة ما بلغكم وتعلمون أن وهن النساء وضعف رأيهن الى التلاشى ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء وايم الله لو لم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار كفاية فانصروا الله ينصركم ثم قام عمار بن ياسر فقال يا أهل الكوفة إن كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت اليكم أمورنا إن قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس ولا ينكرون ذلك وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم . فيه أحيا الله من أحيا وأمات من أمات . وإن طلحة والزبير كانا أول من طعن وآخر من أمر وكانا أول من بايع علياً فلما أخطأهما ما أملاه نكثا بيعتهما من غير حدث وهذا ابن بنت رسول الله الحسن قد عرفتموه وقد جاء يستنفركم وقد

دلكم على فى المهاجرين والبدريين والانصار الذين تبوءوا الدار والايمان فانصروا الله ينصركم . ثم قام قيس بن سعد : فقال : أيها الناس ان الأمر لو استقبل به أهل الشورى كان على أحق بها وكان قتال من أبى ذلك حلالا فكيف والحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه رغبة وخالفاه حسدا وقد جاءكم المهاجرين والانصار.

(دخول طلحة والزبير وعائشة البصرة)

قال وذكروا أنه لما نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة اصطف لها الناس فى الطريق يقولون يا أم المؤمنين ما الذى أخرجك من بيتك فلما أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق وكانت من أبلغ الناس فحمدت الله وأثنت عليه . ثم قالت : أيها الناس والله مابلغ من ذنب عثمان ان يستحل دمه ولقد قتل مظلوما . غضبنا لكم من الصوت والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل وان من الرأى ان تنظروا الى قتلة عثمان فيقتلوا به ثم يرد هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بن الخطاب . فمن قائل يقول صدقت وآخر يقول كذبت فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب بعضهم وجوه بعض فبيناهم كذلك أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة فى التأليب على قتل عثمان فقال لطلحة هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما ردك على ما كنت عليه وكنت أمس تكتب الينا تؤلبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا الى الطلب بدمه وقد زعمتما ان عليا دعاكما الى أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتما أسن منه فأبيتما الا ان تقدماه لقرابته وسابقته فبايعتماه فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذى عرض عليكما قال طلحة دعانا الى البيعة بعد اغتصابها وبايعه الناس فعلمنا حين عرض علينا انه غير فاعل ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار وخفنا أن ترد بيعته فنقتل فبايعناه كارهين قال فما بدالكما فى عثمان قال ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا إياه فلم نجد من ذلك مخرجا للطلب بدمه قال ما تأمرانى به قال بايعناه على قتال على

و نقض بيعته قال أرأيتما أن أتانا بعدكما من يدعونا إلى ماتدعون اليه ما نصنع ؟ قالا لاتبايعه قال ما انصفتما اتأمراني إن أقاتل علياً وانقض بيعته وهي في أعناقكما وتنهياني عن بيعة من لابيعة له عليكما أما إننا فقد بايعنا علياً فان شئتما بايعتكما بيسار أيدينا . ثم تفرق الناس فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير ثم جاء جارية بن قدامة فقال : يا أم المؤمنين لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون إنه كانت لك من الله تعالى حرمة وستر فهتكت سترك وأبحت حرمتك إنه من رأى قتالك فقد رأى قتلك فان كنت يا أم المؤمنين أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك وإن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعتبي .

(قتل أصحاب عثمان بن حنيف عامل على علي البصرة)

قال وذكروا أنه لما اختلف القوم اصطلحوا على أن لعثمان بن حنيف دار الامارة ومسجدها وبيت المال وأن ينزل أصحابه حيث شاؤا من البصرة وان ينزل طلحة والزبير وأصحابهما حيث شاؤا حتى يقدم علي فان اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه الناس وأن يتفرقوا يلحق كل قوم بأهوائهم عليهم بذلك عهد الله وميثاقه وذمة نبيه راشهدوا شهوداً من الفريقين جميعاً فانصرف عثمان فدخل دار الامارة وأمر أصحابه أن يلحقوا بمنازلهم ويضعوا سلاحهم وافترق الناس وكتموا مافي أنفسهم غير بني عبد القيس أظهروا نصرة علي وكان حكيم بن جبل رئيسهم فاجتمعوا اليه فقال لهم : يا معشر عبد القيس ان عثمان بن حنيف دمه مضمون وأمانته مؤداة وأيم الله لو لم يكن علي أميراً لمنعناه لمكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف له الولاية والجواب فاشخصوا بأبصاركم وجاهدوا العدو فاما أن تموتوا كراما وإما أن تعيشوا أحراراً فمكث عثمان بن حنيف في الدار أياماً ثم أن طلحة والزبير ومروان بن الحكم أتوه نصف الليل في جماعة

معهم فى ليلة مظلمة سوداء مطيرة وعثمان نائم فقتلوا أربعين رجلا من الحرس فخرج عثمان بن حنيف فشد عليه مروان فأسره وقتل أصحابه فأخذه مروان فنتف لحيته ورأسه وحاجبيه فنظر عثمان بن حنيف الى مروان فقال له أما أنك ان فتنى بها فى الدنيا لم تفتنى بها فى الآخرة

(تعبئة الفئتين للقتال)

وذكروا أنه لما تعبأ القوم للقتال فكانت الحرب للزبير وعلى الخيل طلحة وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير وعلى القلب محمد بن طلحة وعلى المقدمة مروان وعلى ورجال الميمنة عبد الرحمن بن عبادة على الميسر وهلال بن وكيع فلما فرغ الزبير من التعبئة قال . أيها الناس وطنوا أنفسكم على الصبر فانه يلقاكم غدا رجل لا مثيل له فى الحرب ولا شبيه ومعه شجعان الناس فلما بلغ عليا تعبئة القوم عبأ الناس للقتال فاستعمل على المقدمة عبد الله بن عباس وعلى الساقة هند المرادى وعلى جميع الخيل عمار بن ياسر وعلى جميع الرجالة محمد بن أبى بكر ثم كتب الى طلحة والزبير . أما بعد فقد علمتما انى لم أرد الناس حتى أرادونى ولم ابايعهم حتى بايعونى وانكما لمن أراد وبايع وأن العامة لم تبايعنى لسلطان خاص فان كنتما بايعتمانى كارهين فقد جعلتما الى عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية وإن كنتما بايعتمانى طائعين فارجعا الى الله من قريب . أنت يا زبير لفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وانك يا طلحة لشيخ المهاجرين وان دفاعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به وقد زعمتما انى قتلت عثمان فبينى وبينكما فيه بعض من تخلف عنى وعنكما من أهل المدينة وزعمتما انى آويت قتلة عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا فى طاعتى ثم يخاصموا الى قتلة أبيهم وما أنتما وعثمان إن كان قتل ظالما أو مظلوما ولقد بايعتمانى وأنتما بين خصلتين قبيحتين نكث بيعتكما وإخراجكما أمكما . وكتب الى عائشة . أما بعد

فانك خرجت غاضبة لله ولرسوله تتطلبين أمراً كان عنك موضوعا ما بال النساء والحرب والاصلاح بين الناس تتطلبين بدم عثمان ولعمرى لمن عرضك للبلاء وحملك على المعصية أعظم اليك ذنباً من قتلة عثمان وما غضبت حتى أغضبت وما هجت حتى هيجت فاتق الله وارجعى الى بيتك. فأجابه طلحة والزبير انك سرت مسيراً له ما بعده ولست راجعا وفى نفسك منه حاجة فامض لأمرك أما أنت فلست راضياً دون دخولنا فى طاعتك ولسنا بداخلين فيها أبداً فاقض ما أنت قاض وكتبت عائشة . جل الأمر عن العتاب والسلام . قال ورجعت رسل على من البصرة فنهم من أجاب وأتاه ومنهم من لحق بعائشة وطلحة والزبير وبعث الاحنف بن قيس الى على . ان شئت أتيتك فى مائتى رجل من أهل بيتى وإن شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف فأرسل اليه على بل كف عنى أربعة آلاف سيف وكفى بذلك ناصرا . فجمع الاحنف بنى تميم فقال يامعشر بنى تميم ان ظهر أهل البصرة فهم اخوانكم وان ظهر على فلم يهيجكم وكنتم قد سلمتم . فكف بنو تميم ولم يخرجوا الى أحد الفريقين . قال ولما كتب على الى طلحة والزبير أتى زمعة بن الاسود إلى طلحة والزبير فقال لهما ان عليا قد أرسل اليكما الرسل كأنه طمع فيكما وأطمعتماه فى أنفسكما فاتقيا الله ان كنتما بايعتماه طائعين واتقيا الله علينا وعلى انفسكما فان اللبن فى الضرع ومتى يحلب لا يرجع وان كنتما بايعتماه مكرهين فاخرقا هذا الوطب وادفعا هذا فما أغنانا عن هذه الكتب والرسل . قال فخرج طلحة والزبير وعائشة وهى على جمل عليه هودج قد ضرب عليه صفائح الحديد وبرزوا حتى خرجوا من الدور ومن أفنية البصرة فلما تواقفوا للقتال أمر على منادياً ينادى فى أصحابه لا يرمين احد سهما ولا هجرا ولا يطعن برمح حتى أعذر الى القوم فاتخذ عليهم الحجة البالغة قال فكلم على طلحة والزبير قبل القتال فقال لهما استحلفا عائشة بحق الله وبحق رسوله عليها أربع خصال ان تصدق فيها . هل تعلم رجلا من قريش أولى منى بالله ورسوله

واسلامي قبل كافة الله أجمعين وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي وعلى براءتي من دم عثمان وعلى انى لم استكره احدا على بيعة وعلى انى لم اكن أحسن قولا فى عثمان منكما . فأجابه طلحة جوابا غليظا ورق له الزبير ثم رجع علي الى أصحابه فقال يا أمير المؤمنين . بم كلمت الرجلين فقال علي ان شأنهما لمختلف أما الزبير فقاده اللجاج ولن يقاتلكم واما طلحة فسألته عن الحق فأجابني بالباطل ولقيته باليقين ولقيني بالشك فوالله مانفعه حقي ولا ضرني باطله مقتول غداً فى الرعيل الاول . قال ثم خرج علي على بغلة رسول الله الشهباء بين الصفين وهو حاسر فقال اين الزبير فخرج اليه حتى إذا كان بين الصفين اعتنق كل واحد منهما صاحبه وبكى ثم قال علي يا عبد الله ما جاء بك ههنا قال جئت أطلب دم عثمان . قال علي تطلب دم عثمان قتل الله من قتل عثمان أنشدك الله يازبير هل تعلم انك مررت بي وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكيء على يدك فسلم علي رسول الله وضحك لي ثم التفت اليك فقال لك يازبير انك تقاتل عليا وأنت له ظالم قال اللهم نعم قال علي فعلام تقاتلني قال الزبير نسيتها والله ولو ذكرتها ما خرجت اليك ولا قاتلتك فانصرف علي الى اصحابه فقال ياأمير المؤمنين مررت الى رجل فى سلاحه وأنت حاسر قال علي أتدرون من الرجل ؟ قالوا لا قال ذلك الزبير بن صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد أعطى الله عهداً انه لايقاتلكم انى ذكرت له حديثا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو ذكرته ماأتيتك . فقالوا الحمد لله ياأمير المؤمنين ما كنا نخشى في هذا الحرب غيره ولا نتقي سواه انه لفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ومن عرفت شجاعته وبأسه معرفته بالحرب فاذ قد كفاناه الله فلا نبد من سواه الا صرعى حول الهودج .

(رجوع الزبير عن الحرب)

قال وذكروا أن الزبير دخل على عائشة فقال : يا أماه ماشهدت موطناً قط

فى الشرك ولا فى الاسلام الأولى فيه رأى وبصيرة غير هذا الموطن فانه لا رأى لى فيه ولا بصيرة وانى لعلى باطل . قالت عائشة أبا عبد الله خفت سيوف بنى عبد المطلب فقال أما والله إن سيوف بنى عبد المطلب طوال حداد يحملها فتية أنجاد ثم قال لابنه عبد الله عليك بحربك أما أنا فراجع الى بيتى فقال له ابنه عبد الله . الآن حين التقت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان والله لا نغسل رؤسنا منها فقال الزبير لابنه لا تعد هذا منى جبنا فوالله ما فارقت أحداً فى جاهلية ولا إسلام قال فما يردك قال يردنى ما انعلته كسرك. فقام بأمر الناس عبدالله بن الزبير

(قتل الزبير بن العوام)

قال وذكروا أن الزبير لما انصرف راجعا الى المدينة أتاه ابن جرموز فنزل به فقال يا أبا عبد الله أحييت حربا ظالما أو مظلوما ثم تنصرف أتائب أنت أم عاجز ؟ فسكت ثم عاوده فقال له يا أبا عبد الله حدثنى عن خصال خمس اسألك عنها فقال هات قال خذلك عثمان وبيعتك عليا وإخراجك أم المؤمنين وصلاتك خلف ابنك ورجوعك عن الحرب . فقال الزبير نعم أخبرك . أما خذلى عثمان فأمر قدر الله فيه الخطيئة وأخر التوبة وأما بيعتى عليا فوالله ما وجدت من ذلك بدا حيث بايعه المهاجرون والأنصار وخشيت القتل وأما إخراجنا أمنا عائشة فأردنا أمرا وأراد الله غيره وأما صلاتى خلف ابنى فانما قدمته عائشة أم المؤمنين ولم يكن لى سوى صاحبي أمر وأما رجوعى عن هذا الحرب فظن بى ما شئت غير الجبن فقال ابن جرموز والهفاه على ابن صفية أضرمها نارا ثم أراد أن يلحق بأهله قتلنى الله إن لم أقتله : ثم أتاه فقال له يا أبا عبد كالمستنصح له . إن دون أهلك فيافى فخذ نجيبى هذا وخل فرسك ودرعك فانهما شاهدان عليك بما تكره فقال الزبير أنظر فى ذلك ليلتى ثم ألح عليه فى فرسه ودرعه فلم يزل حتى أخذهما منه وإنما أراد ابن جرموز أن يلقاه خاسرا لما علم بأسه ثم انى ابن جرموز

الأحنف بن قيس فساره بمكان الزبير عنده وبقوله فقال له الأحنف أقتله قتله الله مخادعا . وأتى الزبير رجل من كلب فقال له يا أبا عبد الله أنت لى صهر وابن جرموز لم يعتزل هذا الحرب مخافة الله ولكنه كره أن يخالف الأحنف وقد ندم الأحنف على خذله عليا ولعله أن يتقرب بك اليه وقد أخذ منك درعك وفرسك وهذا تصديق ما قلت لك فبت عندى الليلة ثم أخرج بعد نومه فانك ان فتهم لم يطلبوك فتهاون بقوله ثم بدا له فقال له فما ترى يا أخا كلب قال أرى أن ترجع إلى فرسك ودرعك فتأخذهما فان أحدا من الناس لا يقدم عليك وأنت فارس آبدا فأصبح الزبير عاريا وسار معه ابن جرموز وقد كفر على الدرع فلما انتهى إلى وادى السباع استغفله فطعنه ثم رجع برأسه وسلبه إلى قومه فقال له رجل من قومه يا ابن جرموز فضحت والله اليمن بأسرها قتلت الزبير رأس المهاجرين وفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وابن عمته والله لو قتلته فى حرب لعز ذلك علينا ولما عارك فكيف فى جوارك وذمتك والله لا يزيدك على على أن يبشرك بالنار فغضب ابن جرموز وقال والله ما قتلته إلا له ووالله ما أخاف فيه قصاصا ولا أرهب فيه قريشا وإن قتله على لمين

(مخاطبة على لطلحة بين الصفين)

قال وذكر أن عليا نادى طلحة بعد انصراف الزبير فقال له يا أبا محمد ماجاء بك قال أطلب دم عثمان قال على قتل الله من قتله قال طلحة فخل بيننا وبين من قتل عثمان أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما يحل دم المؤمن فى أربع خصال زان فيرجم أو محارب لله أو مرتد عن الاسلام أو مؤمن يقتل مؤمنا عمدا فهل تعلم أن عثمان أتى شيئا من ذلك فقال على لا قال طلحة فأنت أمرت بقتله قال على اللهم لا قال طلحة فاعتزل هذا الأمر ونجعله شورى بين المسلمين فان رضوا بك دخلت فيما دخل فيه الناس وإن رضوا

غيرك كنت رجلا من المسلمين قال على أو لم تبايعنى يا أبا محمد طائعا غير مكره فما كنت لأترك بيعتى قال طلحة بايعتك والسيف على عنقى قال ألم تعلم انى ما أكرهت أحدا على البيعة ولو كنت مكرها أحدا لأكرهت سعد أو ابن عمر ومحمد بن مسلمه أبو البيعة واعتزلوا فتركتهم قال طلحة كنا فى الشورى ستة فمات اثنان وقد كرهناك ونحن ثلاثة قال علي إنما كان لكما أن لا ترضيا قبل الرضى وقبل البيعة وأما الان فايس لكما غيرما رضيتما به إلا أن تخرجا مما بويعت عليه بحدث فان كنت أحدثت حدثا فسموه لى وأخرجتم أمكم عائشة وتركتم نساءكم فهذا أعظم الحدث منكم أرضى هذا لرسول الله أن تهتكوا سترا ضربه عليها وتخرجوها منه فقال طلحة إنما جاءت للاصلاح قال علي هى لعمر الله إلى من يصلح لها أمرها أحوج أيها الشيخ أقبل النصح وارض بالتوبة مع العار قبل أن يكون العار والنار

(التحام الحرب)

قال وذكروا انه بينما كان الناس وقوفا إذرمى رجل من أصحاب على فجىء به إلى على فقالوا يا أمير المؤمنين هذا أخونا قد قتل فقال على اعذروا الى القوم فقال عبد الرحمن بن أبى بكر الى متى ثد والله أعذرنا واعذرت إن كنت تريد الاعذار والله لتأذنن لنا فى لقاء القوم أو لننصرفن . إلى متى نستهدف نحورنا للقتال والسلاح يقتلوننا رجلا رجلا فقال على قد والله ارنا اعذرنا اين محمد ابنى فقال هأنذا أى بنى خذ الراية فابتدر الحسن والحسين ليأخذاها فاخرهما عنها وكان على يؤخرهما شفقة عليهما فأخذ محمد الراية ثم قام على فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسها ثم قال احزمونى فحزم بعمامة أسفل من سرته ثم خرج وكان عظيم البطن فقال لابنه تقدم وتضعضع الناس حين سمعوا به قد تحرك فبينما هم كذلك إذ سمعوا صوتاً

فقال علي ورفع بصره إلى السماء لعن الله قتلة عثمان فى السهل والجبل . وقد كان على عبأ الناس أثلاثا فجعل مضر قلب العسكر واليمن ميمنته وربيعة ميسرته وعبأ أهل البصرة مثل ذلك فاقتتل القوم قتالا شديداً فهزمت يمن البصرة يمن علي وهزمت ربيعة البصرة ربيعة علي قال حبة بن جبين نظرت على وهو يخفق نعاسا فقلت له تالله ما رأيت كاليوم قط ان بازائنا لمائة الف سيف وقد هزمت ميمنتك وميسرتك وانت تخفق نعاسا فانتبه ورفع يده وقال اللهم إنك تعلم أني ما كتبت فى عثمان سواداً فى بياض وان الزبير وطلحة ألبا واجلبا على الناس اللهم أولانا بدم عثمان فخذه اليوم . ثم تقدم على ونظر إلى أصحابه ينهزمون ويقتلون فلما نظر إلى ذلك صاح بابنه محمد ومعه الراية أن اقتحم فابطأ وثبت فأتى علي من خلفه فضربه بين كتفيه وأخذ الراية من يده ثم حمل فدخل عسكرهم وأن الميمنتين والميسرتين تضربان فى أحداهما عمار وفى الأخرى عبد الله بن عباس ومحمد بن أبى بكر قال فشق علي فى عسكر القوم يطعن ويقتل ثم خرج وهو يقول الماء الماء فأتاه رجل باداوة فيها عسل فقال له يا أمير المؤمنين أما الماء فانه لا يصلح لك فى هذا المقام ولكن اذوقك هذا العسل فقال هات فحسا منه حسوة ثم قال ان عسلك لطائفى قال الرجل لعجبا منك والله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائفى من غيره فى هذا اليوم وقد بلغت القلوب الحناجر فقال له علي انه والله يا ابن أخى ما ملا صدر عمك شيء قط ولا هابه شيء ثم أعطى الراية لابنه وقال هكذا فاصنع فتقدم محمد بالراية ومعه الأنصار حتى انتهى إلى الجمل والهودج وهزم ما يليه فاقتتل الناس ذلك اليوم قتالا شديداً حتى كانت الواقعة والضرب على الركب وحمل الاشتر النخعى وهو يريد عائشة فلقيه عبد الله بن الزبير فضربه الاشتر واعتنقه عبد الله فصرعه وقعد على صدره ثم نادى عبدالله : اقتلونى ومالكا . فلم يدر الناس من مالك فانفلت الاشتر منه فلما رأى كعب بن سور الهزيمة أخذ بخطام البعير ونادى أيها الناس الله الله فقاتل وقاتل الناس معه وعطفت الازد على الهودج .

واقبل علي وعمار والاشتر والانصار معهم يريدون الجمل فاقتتل القوم حوله حتى حال بينهم الليل وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيام وإن علياً خرج إليهم بعد سبعة أيام فهزمهم فلما رأى طلحة ذلك رفع يديه إلى السماء وقال اللهم إن كنا قد داهنا فى أمر عثمان وظلمناه فخذ له اليوم منا حتى ترضى قال فما مضى كلامه حتى ضربه مروان ضربة اتي منها على نفسه فخر وثبتت عائشة وحماها مروان فى عصابة من قيس ومن كنانة وبنى أسد فأحدق بهم علي بن أبي طالب ومال الناس إلى علي وكلما وثب رجل يريد الجمل ضربه مروان بالسيف وقطع يده حتى قطع نحو عشرين يداً من أهل المدينة والحجاز والكوفة حتى أتى مروان من خلفه فضرب ضربة فوقع وعرقب الجمل الذى عليه عائشة وانهزم الناس واسرت عائشة وامر مروان الحكم وعمر بن عثمان وموسى بن طلحة وعمرو بن سعيد بن العاصى فقال عمار لعلي يا أمير المؤمنين اقتل هؤلاء الاسرى فقال علي لا أقتل أسير أهل القبلة إذا رجع ونزع فدعا بموسى بن طلحة فقال الناس هذا أول قتيل يقتل فلما أتى به علي قال تبايع وتدخل فيما دخل فيه الناس قال نعم فبايع وبايع الجميع وخلى سبيلهم وسأل الناس علياً ما كان عرض عليهم قبل ذلك فأعطاه ثم أمر المنادى فنادى لا يقتلن الدبر ولا يجهز على جريح ولكم ما فى عسكركم وعلى نسائهم العدة وما كان لهم من مال فى أهلهم فهو ميراث على فرائض الله فقام رجل فقال يا أمير المؤمنين كيف تحل لنا أموالهم ولا تحل لنا نساؤهم ولا أبناؤهم فقال لا يحل ذلك لكم فلما اكثروا عليه بذلك قال اقترعوا هاتوا بسهامكم ثم قال أيكم يأخذ أمكم عائشة فى سهمه فقالوا نستغفر الله فقال وأنا أستغفر الله قال ثم أن علياً مر بالقتلى فنظر إلى محمد بن طلحة وهو صريع فى القتلى وكان يسمى السجاد لما بين عينيه من أثر السجود فقال رحمك الله يا محمد لقد كنت فى العبادة مجتهداً اناء الليل قواما وفى الحرور صواما ثم والتفت إلى من حوله فقال هذا رجل قتله بر أبيه فاختلفوا فى طلحة وابنه محمد ايهما قتل قبل فشهدت عائشة

لمحمد أنها رأته بعد قتل أبيه فورثوا ولده فى مال طلحة . قال وأتى محمد بن أبي بكر فدخل على أخته عائشة رضى عنها قال لها أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : علي مع الحق والحق مع علي ثم خرجت تقاتلينه بدم عثمان ، ثم دخل عليهما علي فسلم وقال ياصاحبة الهودج أمرك الله أن تقعدى فى بيتك ثم خرجت تقاتلين أترتحلى قالت ارتحل فبعث معها علي رضى الله عنه أربعين امرأة وأمرهن أن يلبسن العمائم وتقلدن السيوف وإن يكن من الذين يلينها ولا تطلع على أنهن نساء فجعلت عائشة تقول فى الطريق فعل الله فى ابن أبى طالب وفعل بعث معى الرجال فلما قدمن المدينة وضعن العمائم والسيوف ودخلن عليها فقالت جزى الله ابن أبى طالب الجنة . قال ودفن طلحة فى ساحة البصرة فأتى عائشة فى المنام فقال حوليني فى مكانكما فان البرد قد آذانى فحولته . وقال عبد الله بن الزبير أمسيت يوم الجمل وفى بضع وثلاثون بين ضربة وطعنة وما رأيت مثل يوم جرح الجمل قط وما ينهزم منا أحد ولا يأخذ أحد منا بخطام الجمل إلا قتل أو قطعت يده حتى ضاع الخطام من يد بنى ضبة فعقر الجمل . قال دخل موسى بن طلحة على علي فقال له علي أنى لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله فيهم « ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين » وأمسى علي بالبصرة ذلك اليوم الذى أتاه فيه موسى بن طلحة فقال ابن الكواء أمسيت بالبصرة ياأمير المؤمنين فقال كان عندى ابن أخى قال ومن هو قال موسى بن طلحة فقال ابن الكواء لقد شقينا إن كان ابن أخيك . فقال علي ويحك إن الله قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . ثم قال ابن الكواء ياأمير المؤمنين من أخبرك بمسيرك هذا الذى سرت فيه تضرب الناس بعضهم ببعض وتستولى بالأمر عليهم ارأى رأيته حين تفرقت الأمة واختلفت الدعوة فرأيت أنك أحق بهذا الأمر منهم لقرابتك فان كان رأيا رأيته أجبناك فيه وإن كان عهدا عهده اليك رسول الله فأنت الموثوق به المؤمنون على

رسول الله فيما حدثت عنه فقال علي أنا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه أما أن يكون عندى عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا والله ولكن لما قتل الناس عثمان نظرت فى أمرى فاذا الخليفتان اللذان أخذاها من رسول الله قد هلكا ولا عهد لها وإذا الخليفة الذى أخذها بمشورة المسلمين قد قتل وخرجت رنقته من عنقى لأنه قتل ولا عهد له . قال ابن الكواء صدقت وبررت ولكن ما بال طلحة والزبير ولم استحللت قتالهما وقد شاركاك فى الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الشورى مع عمر بن الخطاب ؟ قال على : بايعانى بالحجاز ثم خالفانى بالعراق فقاتلتهما على خلافهما ولو فعلا ذلك مع أبى بكر وعمر لقاتلاهما .

(مبايعة أهل الشام بالخلافة معاوية)

قال وذكروا أن النعمان بن بشير لما قدم على معاوية بكتاب زوجة عثمان تذكر فيه دخول القوم عليه وما صنع محمد بن أبى بكر من نتف لحيته فى كتاب رققت وأبلغت حتى اذا سمعه السامع بكى حتى يتصدع قلبه وبقميص عثمان مخضبا بالدم ممزقا وعقدت شعر لحيته فى زر القميص . قال فصعد المنبر معاوية بالشام وجمع الناس ونشر عليهم القميص وذكر ما صنعوا بعثمان فبكى الناس وشهقوا حتى كادت نفوسهم أن تزهق ثم دعاهم إلى الطلب بدمه فقام اليه أهل الشام فقالوا هو ابن عمك وأنت وليه ونحن الطالبون معك بدمه فبايعوه أميرا عليهم وكتب وبعث الرسل إلى كور الشام وكتب الى شرحبيل بن السمط الكندى وهو بحمص يأمره أن يبايع له بحمص كما بايع أهل الشام فلما قرأ شرحبيل كتاب معاوية دعا أناسا من أشراف أهل حمص فقال لهم ليس من قتل عثمان بأعظم جرما ممن يبايع لمعاوية أميرا وهذه سقطة ولكنا نبايع له بالخلافة ولا نطالب بدم عثمان مع غير خليفه . فبايع لمعاوية بالخلافة هو وأهل حمص ثم كتب إلى معاوية . أما بعد

فانك اخطأت خطأ عظيما حين كتبت إلى أن أبايع لك بالأمرة وإنك تريد أن تطلب بدم الخليفة المظلوم وأنت غير خليفة وقد بايعت ومن قبلي لك بالخلافة .
فلما قرأ معاوية كتابه سره ذلك ودعا الناس وصعد المنبر وأخبرهم بما قال شرحبيل ودعاهم الى بيعته بالخلافة فأجابوه ولم يختلف منهم أحد فلما بايع القوم له بالخلافة واستقام له الأمر كتب إلى علي : سلام الله على من اتبع الهدى أما بعد فانا كنا نحن وإياكم يدا جامعة وألفة أليفة حتى طمعت يا ابن أبي طالب فتغيرت وأصبحت تعد نفسك قويا على من عاد إلا بطغام أهل الحجاز وأوباش أهل العراق وحمقى الفسطاط وغوغاء السواد وأيم الله ليجلين عنك حمقاها ولينقشعن عنك غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء . قتلت عثمان بن عفان ورقيت سلما أطلعك الله عليه مطلع سوء عليك لا لك . وقتلت الزبير وطلحة وشردت أملك عائشة ونزلت بين المصرين فمنيت وتمنيت وخيل لك أن الدنيا قد سخرت لك بخيلها ورجلها وإنما تعرف أمنيتك لو قد زرتك في المهاجرين من أهل الشام بقية الاسلام فيحيطون بك من ورائك ثم يقضي الله علمه فيك والسلام على أولياء الله . فأجابه علي : أما بعد فقدر الأمور تقدير من ينظر لنفسه دون جنده ولا يشتغل بالهزل من قوله فلعمري لئن كانت قوتي بأهل العراق أوثق عندي من قوتي بالله ومعونتي به ليس عند الله تعالى بقين من كان على هذا فناج نفسك مناجاة من يستغني بالجد دون الهزل فان في القول سعة ولن يعذر مثلك فيما طمح اليه الرجال . وأما ما ذكرت من أنا كنا وإياكم يدا جامعة فكنا كما ذكرت ففرق بيننا وبينكم ان الله بعث رسوله منا فآمنا به وكفرتم . ثم زعمت اني قتلت طلحة والزبير فذلك أمر غبت عنه ولم تحضره ولو حضرته لعلمته فلا عليك ولا العذر فيه اليك وزعمت أنك زائر في المهاجرين وقد انقطعت الهجرة حين أسر أبوك فان فيك عجل فاستبقه وإن أزرك فجدير أن يكون الله بعثني عليك للنقمة منك والسلام .

(قدوم عقيل بن أبي طالب على معاوية)

قال وذكروا ان عقيل بن ابي طالب قدم على أخيه علي بالكوفة فقال له علي مرحبا بك وأهلا ما اقدمك يا اخي قال تأخر العطاء عنا وغلاء السعر ببلدنا وركبنا دين عظيم فجئت لتصلني فقال علي والله مالي مما ترى شيئا الا عطائي فاذا خرج فهو لك فقال عقيل وانما شخوصي من الحجاز اليك من أجل عطائك وماذا يبلغ مني عطاؤك وما يدفع من حاجتي ؟ فقال علي هل تعلم لي مالا غيره ام تريد ان يحرقني الله في نار جهنم في صلتك بأموال المسلمين ؟ فقال عقيل والله لأخرجن الى رجل هو أوصل لي منك « يريد معاوية » فقال له علي راشداً أمهديا. فخرج عقيل حتى أتى معاوية فلما قدم عليه قال له معاوية مرحبا وأهلا بك يابن أبي طالب ما اقدمك علي فقال قدمت عليك لدين عظيم ركبني فخرجت الى أخي ليصلني فزعم انه ليس له مما يلي الا عطاؤه فلم يقع ذلك مني موقعا ولم يسد مني مسدا فأخبرته اني سأخرج الى رجل هو أوصل منه لي فجئتك . فازداد معاوية فيه رغبة وقال يا أهل الشام هذا سيد قريش وابن سيدها عرف الذي فيه اخوه من الغواية والضلالة فاتاب الى أهل الدعاء الى الحق ولكني أزعم ان جميع ماتحت يدي لي فما أعطيت فقربة الى الله وما أمسكت فلا جناح علي فيه . فاغضب كلامه عقيلا لما سمعه ينتقص اخاه فقال : صدقت خرجت من عند اخي على هذا القول وقد عرفت من في عسكره لم افتقد والله رجلا من المهاجرين والانصار ولا والله ما رأيت في عسكر معاوية رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال معاوية عند ذلك ياأهل الشام اعظم الناس من قريش عليكم حقا ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وسيد قريش ها هو ذا تبرأ من الله مما عمل به أخوه قال وأمر له معاوية بثلثمائة الف دينار قال له هذه مائة الف تقضي بها ديونك ومائة الف تصل بها رحمك ومائة توسع بها على نفسك .

(نعي عثمان بن عفان الى معاوية)

قال عبد الله بن مسلم وذكر ابن عفير عن عون بن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري قال قدم الحجاج بن حزيمة للشام بكتاب معاوية بعد قتل عثمان بأيام فقال أتعرفني قال نعم انت ابن الحجاج حزيمة فما وراءك فقال الحجاج أنا نذير العريان أنعي اليك أمير المؤمنين عثمان ثم قال اني كنت ممن خرج معينا لعثمان مع يزيد بن اسد فتقدمت الى الربذة فلقينا بها رجلا حدثنا عن قتل عثمان وزعم انه ممن قتله فقتلناه واني اخبرك يامعاوية انك تقوى على علي بدون مايقوى به عليك لأن من معك لايقولون اذا قلت ولا يسألون اذا أمرت ولأن من مع علي يقولون اذا قال ويسألون اذا أمر فقليل ممن معك خير من كثير ممن معك. واعلم ان عليا لايرضيه إلا الرضا وان رضاه يسخطك ولست وعلي بالسواء لايرضى علي بالعراق دون الشام ورضاؤك بالشام دون العراق. قال وذكروا انه لما فرغ من وقعة الجمل بايع له القوم جميعا وبايع له أهل العراق واستقام له الامر بها كتب الى معاوية. أما بعد فان القضاء السابق والقدر النافذ ينزل من السماء كقطر المطر فتمضي أحكامه عز وجل وتنفذ مشيئته بغير تحاب المخلوقين إلا رضا الآدميين وقد بلغك ما كان من قتل عثمان رحمه الله وبيعة الناس عامة إياي ومصارع الناكثين لي فادخل فيما دخل الناس فيه والا فأنا الذي عرفت وحولي من تعلمه والسلام. فلما قدم على معاوية كتاب علي مع الحجاج بن عدي الانصاري الله وهو يخطب الناس بدمشق فلما قرأه اغتم بذلك وأعظمه وأسره عن أهل الشام ثم قام الحجاج بن عدي خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل الشام ان أمر عثمان اشكل على من حضره الخبر عنه كالأعمى والسميع كالاصم عابه قوم فقتلوه وخذله قوم فلم ينصروه فكذبوا الغائب واتهموا الشاهد وقد بايع الناس عليا على منبر رسول الله بيعة عامة من رغب عنها ردالها

صاغرا داحراً فانظروا فى ثلاث وثلاث ثم اقضوا على أنفسكم . أين الشام من الحجاز وأين معاوية من علي واين أنتم من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان . قال فغضب معاوية لقوله وقال ياحجاج أنت صاحب زيد بن ثابت يوم الدار قال نعم فان كان بلغك وإلا أحدثك قال هات قال أشرف علينا زيد ابن ثابت وكان مع عثمان فىالدار وقال يامعشر الأنصار أنصروا الله مرتين فقلت يازيد إنا نكره أن نلقى الله فنقول كما قال القوم (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل) فقال معاوية انصرف إلى علي وأعلمه أن رسولى على أثرك ثم إن معاوية انتخب رجلا من عبس وكان له لسان فكتب معاوية إلى علي كتابا عنوانه . من معاوية إلى علي وداخله بسم الله الرحمن الرحيم : لاغير . فلما قدم الرسول دفع الكتاب إلى علي فعرف علي مافيه وإن معاوية محارب له وأنه لايجيبه إلى شيء مما يريد وقام رسول معاوية خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هل ههنا أحد من أبناء قيس عيلان وبنى عبس ذبيان قالوا نعم هم حولك قال فاسمعوا ماأقول لكم : يامعشر قيس إنى أحلف بالله لقد خلفت بالشام خمسين الف شيخ خاضبين لحاهم من دموع أعينهم تحت قميص عثمان رافعيه على الرماح مخضوبا بدمائه قد أعطوا الله عهداً أن لايغمدوا سيوفهم ولايغمضوا جفونهم حتى يقتلوا قتلة عثمان يوصى به الميت الحى ويرثه الحى من الميت حتى والله نشأ عليه الصبى وهاجر عليه الاعرابى وترك القوم تعس الشيطان وقالوا تعسا لقتلة عثمان وأحلف بالله ليأتينكم من خضر الخيل إثنا عشر الفا فانظروا كم الشهب وغيرها فقال له علي مايريدون بذلك قال يريدون بذلك والله خبط رقبتك فقال علي تربت يداك وكذب فوك أما والله لو أن رسولا قتل لقتلتك فقام الصلت بن زفر . فقال : ايس وافد أهل الشام أنت ورائد أهل العراق ونعم العون لعلي وبئس العون لمعاوية ياأخا عبس أتخوف المهاجرين والأنصار بخضر الخيل وغضب الرجال إنا والله مانخاف غضب رجالك ولاخضر خيلك فأما بكاء أهل

الشام على قميص عثمان فوالله ماهو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب ولئن بكوا عليه بالشام لقد خذلوه بالحجاز وأما قتالهم علياً فان الله يصنع فى ذلك ماأحب . قال وإن العبسى أقام بالعراق عند عليّ حتى اتهمه معاوية ولقيه المهاجرون والأنصار فأشربوه حب علي وحدثوه عن فضائله حتى شك فى أمره

(قدوم ابن عم عدى بن حاتم بالشام)

قال وذكروا إن عدى بن حاتم قدم إلى علي بالكوفة قبل أن يسير إلى البصرة فقال ياأمير المؤمنين لسنا نخاف أحداً إلا معاوية وعندى رجل من قومى يريد أن يزور ابن عم له بالشام يقال له حابس بن سعد فلو أمرناه أن يلقى معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام فقال له علي افعل فأغروه بذلك فلما قدم على ابن عمه وكان سيد طيء بالشام سأله فأخبره إنه شهد قتل عثمان بالمدينة المنورة وسار مع علي إلى الكوفة وكان له لسان وهيبة فغدا به حابس إلى معاوية فقال هذا ابن عمى قدم من الكوفة وكان مع علي وشهد قتل عثمان بالمدينة وهو ثقة فقال معاوية حدثنا عن أمر عثمان قال نعم : وليه محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وتجرد فى أمره ثلاث نفر عدى بن حاتم والأشتر النخعى وعمرو بن الحصين ودب فى أمره رجلان طلحة والزبير وابرأ الناس منه علي بن أبي طالب ثم تهافت الناس على علي بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلت النعل وسقط الرداء ووطىء الشيخ . ولم يذكر عثمان ولم يذكروه ثم تهيأ للمسير نخف معه المهاجرون والأنصار وكره القتال معه ثلاث نفر عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة فلم يستنكره أحداً واستغنى بمن خف عمن ثقل ثم سار حتى انتهى إلى جبل طيء فأتاه منهم جماعة عظيمة حتى إذا كان فى بعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة فسرح رسله إلى الكوفة فأجابوا دعوته ثم قدمها فحملوا إليه الصبي ودبت إليه العجوز وخرجت إليه العروس فرحاً به وسروراً وشوقاً إليه

ثم سار إلى البصرة فبرز إليه القوم طلحة والزبير وأصحابهما فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى صرعهم الله وأبرزهم إلى مضاجعهم ثم صارت البصره ومن حولها فى كفه قال وتركته وليس له هم إلا أنت والشام فانكسر معاوية لقوله وقال والله ماأظنه إلا عيناً لعلي أخرجوه لايفسد أهل الشام ثم قال معاوية وكيف لايضيع عثمان ويقتل وقد خذله أهل ثقاته وأجمعوا عليه أما والله لئن بقينا لهم لندرسنهم درس الجمال هشيم اليبس

(إستعمال علي عبد الله بن عباس على البصرة)

قال وذكروا إن علياً لما سار من البصرة بعد فراغه من أصحاب الجمل استعمل عليها عبد الله بن عباس وقال له . أوصيك بتقوى الله عزوجل والعدل على من ولاك الله أمره اتسع الناس بوجهك وعلمك وحكمك وإياك والاحن فانها تميت القلب والحق . إعلم أن ماقربك من الله بعدك من النار وماقربك من النار بعدك من الله . أذكر الله كثيراً ولاتكن من الغافلين . فلم يلبث علي حين قدم الكوفة وأراد المسير إلى الشام أن انضم إليه ابن عباس واستعمل على البصرة زياد بن أبي سفيان

(ما أشار به الأحنف بن قيس على علي)

قال وذكروا إن الأحنف بن قيس قام إلى علي : فقال ياأمير المؤمنين أنه إن يك بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل فان ينصروا عليك غيرك وقد عجبوا ممن نصرك يومئذ وعجبوا اليوم ممن خذلك لأنهم شكوا فى طلحة والزبير ولم يشكوا فى عمرو ومعاوية وإن عشيرتنا بالبصرة فلو بعثنا اليهم فقدموا علينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم من الناس وأدركوا اليوم مافاتهم أمس . وهذا جمع قد حشره الله عليك بالتقوى لم تستكره شاخصا ولم تشخص فيه مقيما ومن كان معك نافعك

ووب مقيم خير من شاخص . وإنما نشوب الرجاء بالمخافة ووالله لوددنا إن أمواتنا رجعوا إلينا فاستعنا بهم على عدونا وليس لك إلا من كان معك ولنا من قومنا عدد ولا نلقى بهم عدواً أعدى من معاوية ولا نسد بهم ثغراً أشد من الشام

(كتاب الاحنف الى قومه يدعوهم به الى نصرة على)

قال وذكروا ان علياً قال للاحنف بن قيس اكتب الى قومك قال نعم فكتب الأحنف الى بنى سعد . أما بعد فانه لم يبق أحد من بنى تميم إلا وقد شقوا برأى سيدهم غيركم وعصمكم الله برأيي حتى نلتم مارجوتم وامنتم مما خفتم فأصبحتم منقطعين من أهل البلاء لاحقين بأهل العافية واني اخبركم إنا قدمنا على تميم بالكوفة فأخذوا علينا بنقضهم مرتين مسيرهم الينا مع علي وتهيؤهم للمسير الى الشام ثم انحشرنا معهم فصرنا كأنا لانعرف الا بهم فأقبلوا الينا ولا تتكلوا علينا فان لهم أعدادنا من رؤسائهم فلا تبطأوا عنا فان من تأخير العطاء حرمانا ومن تأخير النصر خذلاناً . فحرمان العطاء القلة وخذلان النصر الابطاء . ولا تنقضى الحقوق إلا بالرضى وقد يرضى المضطر بدون الامل . فلما أتى كتاب الاحنف الى بنى سعد ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة

(كتاب أهل العراق الى مصقلة)

قال وذكروا أنه قام الى على بعد انصرافه من البصرة الى الكوفة رجوه بكر بن وائل فقالوا يا أمير المؤمنين ان نعيما أخا مصقلة يستحى منك لما صنع مصقلة وقد أتانا اليقين انه لايمنع مصقلة من الرجوع اليك إلا الحياء ولم يبسط منذ فارقنا لسانه ولا يده ذاو كتبنا اليه كتاباً وبعثنا من قبلنا رسولا فانا نستحى أن يكون فارقنا مثل مصقلة من أهل العراق الى معاوية فقال على اكتبوا فكتبوا أما بعد فقد علمنا انك لم تلحق بمعاوية رضى بدينه ولا رغبة فى دنياه

ولم يعطفك عن علي طعن فيه ولا رغبة عنه ولكن توسطت أمراً فقويت فيه الظن وأضعفت فيه الرجاء فكان اولاهما عندك إن قلت أفوز بالمال والحق بمعاوية ولعمرنا ما استبدلت الشام بالعراق ولا السكاسك بربيعة ولا معاوية بعلي ولا أصبت دنيا تهنأ بها ولا حظا تحسد عليه وان أقرب ما تكون مع الله أبعد ما تكون مع معاوية فارجع الى مصرك فقد اغتفر أمير المؤمنين الذنب واحتمل الثقل واعلم ان رجعتك اليوم خيراً منها اليوم وان كان عليك حياء من أبي الحسن فما انت فيه أعظم فقبح الله أمراً ليس فيه دنيا ولا آخرة . فلما انتهى كتابهم الى مصقلة وكان لرسولهم عقل ولسان فقال الرسول : يامصقلة انظر فيما خرجت منه وفيما صرت اليه وانظر من أخذت ومن تركت وانظر من جاورت ومن زايلت ثم اقض بعقلك دون هواك . قال وان مصقلة مضى إلى معاوية بالكتاب فاقرأه إياه فقال معاوية يامصقلة انك عندي غير ظنين فاذا أتاك شيء فاستره عني فانصرف مصقلة الله منزله فدعا الرسول فقال يا أخا بكر إنما هربت بنفسي من علي ولا والله مايطول لساني بغيبته ولا قلت فيه قط حرفا بسوء اذهب بكتابي هذا الى قومي

(جواب مصقلة الى قومه)

قال وذكرا ان مصقلة كتب الى قومه . اما بعد فقد جاءني كتابكم واني اخبركم أنه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير وقد علمتم الأمر الذي قطعني من علي وأضافني الى معاوية وقد علمت اني لو رجعت الى علي وإليكم لكان ذنبي مغفوراً ولكني أذنبت الى علي وصحبت معاوية فلو رجعت الى علي أحدثت عيباً وأحييت عاراً وكنت بين لائمين أولها خيانة وآخرهما غدر ولكني أقيم بالشام فان غلب معاوية فداري العراق وإن غلب علي فداري أرض الروم فاما الهوى فاليكم طائر

وكانت فرقتي علياً على بعض العذر أحب إلي من فرقتي معاوية ولا عذر لي . ثم قال للرسول يابن أخي استعرض الناس عن قولي في علي فقال قد سألت فقالوا خيراً قال فاني والله عليه حتى أموت فرجع الرسول بالكتاب فاقرأه علياً فقال كفوا عن صاحبكم فليس براجع حتى يموت فقال حصين اما والله مابه إلا الحياء

(لحوق عبد الله بن عامر)

قال وذكروا أن عبد الله بن عامر لحق بالشام ولم يأت معاوية وخاف يوما كيوم الجمل فبعث اليه معاوية أن يأتيه وألح عليه فكتب ابن عامر . أما بعد فاني أخبرك اني أقحمت طلحة والزبير الى البصرة وانا أقول اذا رأى الناس أم المؤمنين مالوا اليها وإن فر الناس لم يفر الزبير وإن غدر الناس لم يغدر مروان فغضبت عائشة ورجع الزبير وقتل مروان طلحة وذهب مالي بما فيه والناس أشباه واليوم كأمس فان اتبعتني هواي وإلا ارتحل عنك والسلام . فكتب معاوية اليه . أما بعد فانك قلدت أمر دينك قتلة عثمان وأنفقت مالك لعبد الله ابن الزبير وآثرت العراق على الشام فأخرجك الله من الحرب صفر اليدين ليس لك حظ الحق ولا ثار القتيل فلما انتهى كتابه الى ابن عامر أتاه فغمس يده معه وبايعه فلاطفه معاوية وعرف له قرابته من عثمان

(ماأشاره به عمار بن ياسر على علي)

قال وذكروا أن عمار بن ياسر قام الى علي . فقال يا أمير المؤمنين إنما بايعناك ولا نرى أحداً يقاتلك فقاتلك من بايعك وأعطاك الله فيهم ما وعد في قوله عز وجل « ومن بغي عليه لينصرنه الله » وقوله « يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم » وقوله « ومن نكث فانما ينكث على نفسه » وقد كانت الكوفة لنا والبصرة علينا

فأصبحنا على ما نحب بين ماض مأجور وراجع معذور وإن بالشام الداء العضال رجلا لا يسلمها أبداً إلا مقتولا أو مغلوبا فعاجله قبل أن يعاجلك وانبذ اليه قبل الحرب

(ما أشار به الاشتر على على)

قال وذكروا أن الأشتر النخعى قام إلى على فقال يا أمير المؤمنين إنما لنا أن نقول قبل أن تقول فاذا عزمت لم نقل فلو سرت بنا إلى الشام بهذا الحد والجد لم يلقوك بمثله فان القلوب اليوم سليمة والأبصار صحيحة فبادر بالقلوب القسوة وبالأبصار العمى

(كتاب على إلى جرير بن عبد الله)

قال وذكروا أن علياً كتب إلى جرير بن عبد الله وكان على ثغر همذان كان استعمله عليه عثمان فكتب علي اليه مع زفر بن قيس . أما بعد فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه وال . ثم اني أخبرك عنا وعمن سرنا اليهم من جمع طلحة والزبير عند نكثهما بيعتهما وما صنعا بعاملى عثمان بن حنيف انى هبطت من المدينة بالمهاجرين والأنصار حتى إذا كنت ببعض الطريق بعثت الى الكوفة الحسن ابنى وعبد الله ابن العباس ابن عمى وعبد الله بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة فاستنفرتهم بحق الله وحق رسوله فأجابوا وسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة فأعذرت فى الدعاء وأقلت فى العثرة وناشدتهم عقد بيعتهم فأجابوا الا قتالى فاستعنت الله عليهم فقتل من قتل وولوا مدبرين الى مصرهم فسألونى ما كنت دعوتهم اليه قبل اللقاء فقبلت العافية ورفعت عنهم السيف واستعملت عليهم عبد الله بن عباس وبعثت اليك زفر بن قيس فاسأله عنا وعنهم

(خطبة زفر بن قيس)

قال وذكروا أنه لما قدم زفر على جرير بكتاب علي وقرأه جرير قام زفر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . أيها الناس إن عليا كتب اليكم بكتاب لا يقول بعده إلا رجيعا من القول إن الناس بايعوا عليا بالمدينة غير محاباة ببيعتهم لعلمه بكتاب الله ويرى الحق فيه وإن طلحة والزبير نقضا بيعة علي على غير حدث ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب والبا عليه الناس وأخرجا أم المؤمنين عائشة من ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها فالتقيهما فاعذر فى الدعاء وخشى البغى وحمل الناس على ما يعرفون فهذا عيان ما غاب عنكم وإن سألتم الزيادة زدناكم

(خطبة جرير بن عبد الله البجلى)

قال وذكروا أن جرير بن عبد الله قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه فقال : أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو المأمون على الدين والدنيا وكان من أمره وأمر عدوه ماقد سمعتم والحمد لله على أقضيته وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان ولو جعل الله هذا الأمر شورى بين المسلمين لكان على أحق بها إلا وان البقاء فى الجماعة والفناء فى الفرقة وعلى حاملكم ما استقمتم له فان ملتم أقام ميلكم قال الناس سمعا وطاعة ورضانا رضى من بعدنا .

(كتاب على إلى الاشعث بن قيس)

قال وذكروا أن عليا كتب الى الأشعث بن قيس مع زياد بن كعب والأشعث يومئذ بأذربيجان عاملا لعثمان كان استعمله عليها . أما بعد فلولا هنات كن فيك كنت المقدم فى هذا الأمر قبل الناس فلعل أمراً يجعل بعضه بعضا ان

أتقيت الله وقد كان من بيعة الناس إياى ما قد بلغك وكان طلحة والزبير أول من بايعنى ثم نقضا بيعتى على غير حدث وأخرجا أم المؤمنين الى البصرة فصرت اليهما فى المهاجرين والأنصار فالتقينا فدعوتهما الى أن يرجعا الى ما خرجنا منه فأبيا فأبلغت فى الدعاء وأحسنت فى البقاء وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه أمانة فى عنقك والمال مال الله وأنت من خزانى عليه حتى تسلمه الى أن شاء الله وعلى أن لا أكون شر ولاتك .

(خطبة زياد بن كعب)

قال وذكروا أن الأشعث بن قيس لما قرأ كتاب علي قام زياد بن كعب خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . أيها الناس إنه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير وان أمر عثمان لم ينفع فيه العيان ولم يشف منه الخبر غير أن من سمعه ليس كمن عاينه وإن المهاجرين والأنصار بايعوا عليا راضين به وإن طلحة والزبير نقضا بيعة علي على غير حدث وأخرجا أم المؤمنين على غير رضى فسار اليهم ولم ينلهم فتركهم وما فى نفسه منهم حاجة فأورثه الله الأرض وجعل له عاقبة المتقين .

(خطبة الأشعث بن قيس)

قال فقام الاشعث بن قيس خطيبا . فقال أيها الناس إن عثمان رحمه الله ولانى أذربيجان وهلك وهى فى يدى وقد بايع الناس عليا وطاعتنا له لازمة وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك

(مشورة الاشعث ثقاته فى اللحوق بمعاوية الى الشام)

قال وذكروا أن الأشعث رجع الى منزله فدعا أهل ثقته من أصحابه فقال

لهم إن كتاب علي جاءني وقد أوحشني وهو آخذي بمال أذربيجان وأنا لأحق بمعاوية . فقال القوم الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنبا لأهل الشام

(كتاب جرير الى الاشعث)

قال وذكروا أن جريراً كتب إلى الأشعث . أما بعد فانه أتتنى بيعة علي فقبلتها ولم أجد إلى دفعها سبيلا وانى نظرت فيما غاب عني من أمر عثمان فلم أجده يلزمني وقد شهده المهاجرون والأنصار فكان أوثق أمرهم فيه الوقوف فأقبل بيعته فانك لا تلتفت إلى خير منه . واعلم أن بيعة علي خير من مصارع أهل البصرة وقد تحاب الناقة الضجور ويجلس العود على البعير الدبر فانظر لنفسك والسلام

(ارسال علي جريرا الى معاوية)

قال وذكروا أن جريرا لما قدم على علي قال له ياجرير انطلق إلى معاوية بكتابي هذا وكن عند ظني فيك واعلم ياجرير أنك ترى من حولي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن المهاجرين والبدريين والعقبيين وانى اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ذي يمن جرير فاذهب إلى معاوية بكتابي هذا ورسالتي فان دخل فيه المسلمون وإلا فانبذ اليه بالحرب واعلمه اني لا أرضى به أميراً ولا العامة ترضى به واليا : فقال جرير اني لأكره أن أمنعك معونتي وما أطمع لك في معاوية ويصنع الله ما يشاء

(كتاب علي الى معاوية مرة ثانية)

قال وذكروا أن عليا كتب الى معاوية مع جرير أما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوا

فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فاذا اجتمعوا على كل رجل فسموه إماما كان ذلك لله رضا فان خرج منهم خارج ردوه إلى ما خرج منه فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وأولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا وإن طلحة والزبير بايعانى بالمدينة ثم نقضا بيعتهما فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما بعد ما أعذرت اليهما حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان أحب أمورك إلى العافية إلا أن تتعرض للبلاء فان تتعرض للبلاء قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد أكثرت الكلام فى قتلة عثمان فادخل فى الطاعة ثم حاكم القوم انى أحملك وإياهم على كتاب الله فأما التى تريدها فهى خدعة الصبى عن اللبن ولعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى ابرأ الناس من دم عثمان واعلم يامعاوية انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعقد معهم الامامة ولا تعرض فيهم الشورى وقد بعثت اليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الايمان والهجرة السابقة فبايع ولا قوة إلا بالله

(قدوم جرير الى معاوية)

قال وذكروا أن جرير لما قدم علي معاوية بكتاب على قام جرير بالشام خطيبا فقال أيها الناس ان أمر عثمان قد أعيا عليا ومن شهده فما ظنكم بمن غاب عنه أن الناس بايعوا عليا وإن طلحة والزبير كانا ممن بايع ثم نقضا بيعته إلا وأن هذا الدين لا يحتمل الغبن إلا وأن هذا الدين لا يحتمل السيف وقد كانت البصرة ملحمة أن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس وقد بايعت العامة عليا ولو ملكنا أمرنا لم نختر لها غيره فمن خالف هذا استعب فادخل يا معاوية فيما دخل الناس فيه فان قلت أن عثمان ولانى ولم يعزلنى فان هذا لو كان لم يقم لله دين وكان لكل امرىء ماهو فيه .

(اشارة الناس على على بالمقام بالكوفة)

قال وذكروا أن عليا استشار الناس فأشاروا عليه بالمقام بالكوفة عامة ذلك غير الأشتر النخعي وعدي بن حاتم وشريح بن هانى فانهم قاموا الى على فتكلموا بلسان واحد فقالوا إن الذين أشاروا عليك بالمقام إنما خوفوك بحرب الشام وليس فى حربهم شيء أخوف من الموت ونحن نريده فقال لهم ان استعدادى لحرب الشام وجرير صارف لهم عن خير إن أرادوه ولكني قد وقت له وقتا لا يقيم بعده إلا أن يكون مخدوعا أو عاصيا ولا أكره لكم الأعداد وأبطا جرير على علي بالشام حتى يئس منه وإن جريرا لما ابطأ عليه معاوية برأيه استحثه بالبيعة فقال معاوية لجرير : ياجرير ان البيعة ليست بخلسة وانه أمر له ما بعد فابلعني ريقى .

(مشورة معاوية أهل ثقته)

قال وذكروا أن معاوية دعا أهل ثقته فاستشارهم فقال عتبه ابن أبى سفيان استعن على هذا الأمر بعمرو بن العاص فانه من قد عرفت وقد اعتزل عثمان فى حياته وهو لأمرك أشد اعتزالا إلا أن ترضيه

(كتاب معاوية الى عمرو بن العاص)

قال وذكروا أن معاوية كتب الى عمرو بن العاص وهو بفلسطين : أما بعد فقد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط علينا مروان بن الحكم فى رافضة من أهل البصرة وقدم على جرير بن عبد الله فى بيعة علي وقد حسبت نفسى عليك فاقدم على بركة الله والسلام .

(ما سأل معاوية من علي من الاقرار بالشام ومصر)

قال وذكروا إن معاوية قال لجرير إنى قد رأيت رأيا قال جرير هات قال

اكتب إلى علي أن يجعل لى الشام ومصر فان حضرته الوفاة لم يجعل لأحد من بعده فى عنق بيعة وأسلم اليه هذا الأمر واكتب اليه بالخلافة قال جرير اكتب ماشئت وإنما أراد معاوية فى طلبه الشام ومصر أن لايكون لعلي فى عنقه بيعة وأن يخرج نفسه مما دخل فيه الناس فكتب إلى علي يسأله ذلك فلما أتى علياً كتاب معاوية عرف إنها خدعة منه

(كتاب على إلى جرير بن عبد الله)

قال وذكروا إن عليا كتب إلى جرير . أما بعد فان معاوية إنما أراد بما طلب ان لا يكون لى فى عنقه بيعة وأن يختار من أمره ماأحب وقد كان المغيرة ابن شعبة أشار على وآنا بالمدينة ان أستعمله على الشام فأبيت ذلك عليه ولم يكن الله ليرانى أن أتخذ المضلين عضدا فان بايعك الرجل وإلا فاقبل

(إستشارة عمرو بن العاص إبنيه ومواليه)

قال وذكروا أنه لما انتهى إلى عمرو بن العاص كتاب معاوية وهو بفلسطين استشار إبنيه عبد الله ومحمداً وقال : يابنى إنه قد كان منى فى أمر عثمان فلتات فلم أستقبلها بعد وقد كان من هروبى بنفسى حين ظننت أنه مقتول ماقد احتمله معاوية عنى وقد قدم على معاوية جرير بيعة علي وقد كتب إلى معاوية بالقدوم عليه فما تريان ؟ فقال عبد الله وهو الأكبر : أرى والله إن نبي الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده كذلك وقتل عثمان وأنت غائب عنه فأقم فى منزلك قلت مجهولا خليفة ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة وستهلكا فتستويا فيها جميعا . وقال محمد : أرى إنك شيخ قريش وصاحب أمرها فان ينصرم هذا الأمر وأنت فيه خامل يصغر أمرك فالحق بجماعة أهل الشام واطلب بدم عثمان فانك به تستميل إلى بنى أمية فقال عمر : أما أنت ياعبد الله فأمرتنى

بما هو خير لى فى دينى وأما أنت يامحمد فقد أمرتنى بما هو خير لى فى دنياى .
ثم دعا غلاما له يقال له وردان وكان داهيا فقال له عمرو ياوردان احطط
ياوردان إرحل ياوردان احطط ياوردان ارحل فقال وردان : أما إنك إن
شئت نبأتك بما فى نفسك فقال عمرو هات ياوردان فقال اعترضت الدنيا
والآخرة على قلبك فقلت مع علي الآخرة بلا دنيا ومع معاوية الدنيا بغير آخرة
فأنت واقف بينهما فقال عمرو ما أخطأت مافي نفسي فما ترى ياوردان فقال
أرى إن تقيم فى منزلك فان ظهر أهل الدين عشت فى دينهم وإن ظهر أهل الدنيا
لم يستغنوا عنك . فقال عمرو الآن حين شهرتنى العرب بمسيرى إلى معاوية

(قدوم عمرو إلى معاوية)

قال وذكروا إن عمرو بن العاص لما قدم إلى معاوية وعرف حاجته اليه
باعده وكايد كل واحد منهما صاحبه فقال عمرو لمعاوية اعطنى مصر فتلكأ
معاوية وقال ألم تعلم أن مصر كالشام قال بلى ولكنها إنما تكون لى إذا كانت
لك وإنما تكون لك إذا طابت علياً على العراق وقد بعث أهلها بطاعتهم إلى علي
فدخل عتبة بن أبى سفيان على معاوية فقال أما أترضى إن تشترى عمراً بمصر إن
هى صفت لك ليتك لاتغلب على الشام فلما سمع معاوية قول عتبة بعث إلى عمرو
فأعطاه مصر ولما كتب معاوية لعمرو بمصر كتب فى أسفل الكتاب :
ولاينقض شرط طاعة وكتب عمرو : ولا تنقض طاعة شرطاً وكايد كل واحد
منهما صاحبه وكان مع عمرو بن العاص ابن أخ له جاءه من مصر فلما جاء عمرو
بالكتاب مسروراً به عجب ابن أخيه من سروره فقال ياعمرو ألا تخبرنى بأى
رأى تعيش فى قريش وقد أعطيت دينك غيرك أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان
يدفعونها إلى معاوية وعلي حى أوتراها إن صارت إلى معاوية لايأخذك بالجدل
الذى تدمه فقال عمرو يابن أخى إنه لأمر الله دون معاوية وعلي يابن أخى

لو كنت مع علي وسعني بيتي ولكني مع معاوية فقال الفتى لم ترد مع معاوية ولكنك تريد دنياه ويريد دينك فبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلى وحدث علياً بأمر معاوية وعمرو وما قاله فسر على بذلك وقربه

«مشورة معاوية عمراً رضى الله عنهما»

قال وذكروا أن معاوية قال لعمرو ياأبا عبد الله طرقتنى فى ليلتى هذه ثلاثة أخبار ليس فيها إيراد ولا صدر : منها ان ابن أبى حذيفة كسر سجن مصر ومنها إن قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ومنها إن عليا قد تهيأ للمجيء الينا فما عندك ؟ قال عمرو كل هذا عظيم أما ابن أبي حذيفة فخرج فى أشياعه من الناس فان تبعث اليه يقتل وان يقتل فلا يضرب وأما قيصر فأهدله من وصائف الروم ومن الذهب والفضة واطلب اليه الموادعة تجده اليها سريعا وأما على فوالله إن له فى الحرب لحظا ماهو لأحد من الناس وإنه لصاحب الأمر قال معاوية صدقت ولكنى اقاتله على ما بأيدينا ونلزمه دم عثمان فقال عمرو : واسوأتاه ان أحق الناس أن لايذكر عثمان لأنا وأنت قال معاوية ولم فقال عمرو : أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام واستغاثك فأبطأت عليه وأما أنا فتركته عياناً وهربت الى فلسطين قال معاوية دعنى من هذا هلم فبايعنى فقال عمرو لا والله لا أعطيك من دينى حتى آخذ من دنياك قال معاوية صدقت سل تعط قال عمرو مصر طعمة . فغضب مروان بن الحكم وقال ما بالى لا أشترى فقال معاوية اسكت: يابن العم فانما نشترى لك الرجال . فكتب معاوية لعمرو مصر طعمة

(كتاب معاوية الى أهل مكة والمدينة وجوابها)

قال وذكروا أن معاوية قال لعمرو : انى أريد أن أكتب إلى أهل مكة والمدينة

كتابا أذكر فيه قتل عثمان فاما ان ندرك حاجتنا أو نكفهم عن المسير . فقال له عمرو الى من تكتب قال : الى ثلاثة نفر رجل لعلي لايريد غيره ولا يزيده كتابنا فيه إلا بصيرة أو رجل يهوى عليا فلا نرده عما هو عليه أو رجل معتزل لايريد القتال قال عمرو على ذلك قال ثم قال اكتب فكتب الى أهل مكة والمدينة . أما بعد فانه مهما غاب عنا فانه لم يفت علينا ان عليا قتل عثمان والدليل على ذلك ان قتلته عنه وإنما نطلب بدمه حتى تدفع الينا قتلته فنقتلهم بكتاب الله تعالى فان دفعهم الينا كففنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين على ماجعلها عمر بن الخطاب فأما الخلافة فلسنا نطلبها فأعينونا يرحمكم الله وانهضوا من ناحيتكم

(جوابهما)

قال وذكروا انه لما قرىء عليهم كتابه اجتمع رأيهم على ان يسندوا أمرهم إلى المسور ابن مخرمة يجاوب عنهم فكتب اليه . أما بعد فانك اخطأت خطأ عظيما وأخطأت مواضع النصرة وتناولتها من مكان بعيد وما أنت والخلافة يا معاوية وأنت طليق وأبوك من الأحزاب . فكف عنا فليس لك قبلنا ولي ولا نصير

(كتاب معاوية الى ابن عمر)

قال وذكروا أن معاوية كتب الى بن عمر كتابا خاصا دون كتابه الى أهل المدينة : أما بعد فانه لم يكن أحد من قريش أحب الى أن يجتمع الناس عليه منك بعد عثمان فذكرت خذلك إياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك وقد هون ذلك على خلافك عليا وطعنك عليه وردني اليك بعض ما كان منك فأعنا يرحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم فانى لست اريد الامارة عليك ولكنى أريدها لك فان أبين أبيت كانت شورى بين المسلمين

(جوابه)

فكتب اليه عبد الله بن عمار : أما بعد فان الرأى الذى أطمعك فى هذا هو الذى صيرك الى مصيرك . تركت علياً فى المهاجرين والأنصار وتركت طلحة والزبير وعائشة واتبعك من اتبعك وأما قولك إنى طعنت على علي فلعمرى ماأنا كعلى فى الاسلام والهجرة ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أحدث أمراً لم يكن الينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ففزعت الى الوقوف وقلت إن كان هذا فضلا تركته وإن كان ضلاله فشر منه نجوت فاغن عن نفسك

(كتاب معاوية الى سعد بن أبى وقاص)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى سعد بن أبى وقاص . أما بعد فان أحق الناس بنصرة عثمان أهل الشام والذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك فى الأمر والشورى ونظيراك فى الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تكرهن ما ركبوا ولا تردن ما قبلوا فانما نريدها شورى بين المسلمين

(جواب سعد بن أبى وقاص لمعاوية)

قال وذكروا أن سعدا كتب اليه . أما بعد فان أهل الشورى ليس منهم أحق بها من صاحبه غير أن عليا كان من السابقة ولم يكن فينا ما فيه فشاركنا فى محاسننا ولم نشاركه فى محاسنه وكان أحقنا كلنا بالخلافة ولكن مقادير الله تعالى التى صرفتها عنه حيث شاء لعلمه وقدره . وقد علمنا انه أحق بها منا ولكن لم يكن بد من الكلام فى ذلك والتشاجر فدع ذا . وأما أمرك يامعاوية فانه أمر كرهنا أوله

وآخره . وأما طلحة والزبير فلو لزما بيعتهما لكان خيراً لهما والله تعالى يغفر لعائشة أم المؤمنين

(كتاب معاوية الى محمد بن مسلمة الانصارى)

وكان فارس الأنصار رضى الله عنهم وذاالنجدةفيهم : أما بعد : فانى لم أكتب اليك وأنا أرجو مبايعتك ولكنى اذكرك النعمة التى خرجت منها انك كنت فارس الأنصار وعدة المهاجرين فادعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا لم تستطع منه الامضاء فهذا أعنى وعن قتال أهل الصلاة فهلا نهيت أهل الصلاة عن قتل بعضهم بعضا أو ترى ان عثمان وأهل الدار ليسوا بمسلمين وأما قولك الانصار فقد عصوا الله تعالى وخذلوا عثمان وسائلهم وسائلك الله تعالى عن الذى كان يوم القيامة .

(جوابه)

قال وذكروا ان محمد بن مسلمة كتب اليه . أما بعد فقد اعتزل هذا الأمر من ليس فى يده من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى فى يدى وقد أخبرت بالذى هو كائن قبل ان يكون فلما كان كسرت سيفى ولزمت بيتى واتهمت الراى على الدين اذا لم يصح لى امر بمعروف آمر به ولا منكر أنهى عنه ولعمرى يامعاوية ما طلبت إلا الدنيا ولا اتبعت إلا الهوى ولئن كنت نصرت عثمان ميتا لقد خذلته حيا ونحن ومن قبلنا من المهاجرين وأنصار أولى بالصواب . قال : فلما أجاب القوم معاوية بما أجابوه من الخلاف الى مادعاهم اليه قال له عمرو وكيف رأيت يامعاوية رأيى ورأيك أخبرتك بالأمر قبل أن يقع قال معاوية رجوت ما خفت

(كتاب معاوية إلى على رضى الله عنه)

قال وذكروا إن معاوية كتب إلى على . أما بعد فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان كنت كأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فاذا دفعتهم كانت شورى بين المسلمين وقد كان أهل الحجاز أعلا الناس وفى أيديهم الحق فلما تركوه صار الحق فى أيدى أهل الشام ولعمرى ماحجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ولا حجتك على كحجتك على طلحة والزبير لأن أهل البصرة بايعوك ولم يبايعك أحد من أهل الشام وأن طلحة والزبير بايعاك ولم أبايعك وأما فضلك فى الاسلام وقرابتك من النبى عليه السلام فلعمرى ما أدفعه ولا انكره

(جواب على الى معاوية)

قالوا فكتب اليه على . أما بعد فقد جاءنى منك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده فاستقاده.زعمت أنه أفسد عليك بيعتى خطيئتى فى عثمان ولعمرى ما كنت إلا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وما أمرت فيلزمنى قصاص القاتل . وأما قولك ان أهل الشام هم الحكام على الناس فهات رجلا من قريش الشام يقول فى الشورى أو تحل له الخلافة فان سميت كذبك المهاجرون والأنصار وإلا أتيتك من قريش الحجاز وأما قولك ندفع اليك قتلة عثمان فما أنت وعثمان إنما أنت رجل من بنى أمية وبنو عثمان أولى بعثمان منك فان زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل فى الطاعة ثم حاكم القوم

الى وأما تمييزك بين الشام والبصرة وذكرك طلحة والزبير فلعمرى ما الأمر إلا واحد إنها بيعة عامة لا يثنى عنها البصير ولا يستأنف فيها الخيار وأما ولوعك فى أمر عثمان فوالله ما قلت ذلك عن حق العيان ولا عن تيقن الخبر وأما فضلى فى الاسلام وقرابتى من رسول الله عليه السلام وشرفى فى قريش فلعمرى لو استطعت دفعه لدفعته

(قدوم عبيد الله بن عمر على معاوية)

قال وذكروا أن عبيد الله بن عمر قدم على معاوية الشام فسر به سروراً شديداً وسر به أهل الشام وكان أشد قريش سرورا به عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو ما منع عبد الله أن يكون كعبيد الله فضحك عمرو وقال شبهت غير شبيه إنما أتاك عبيد الله مخافة أن يقتله على بقتلة الهرمزان ورأى عبد الله أن لا يكون عليك ولا لك ولو كان معك لنفعك أو عليك لضرك

(تعبئة معاوية أهل الشام لقتال على)

قال وذكروا أن معاوية بعث الى رؤساء أهل الشام فجمعهم ثم قال أنتم أهل أهل الفضل فليقم كل رجل منكم يتكلم فقام رجل فقال: أما والله لو شهدنا أمر عثمان فعرفنا قتلته باعيانهم ما استغنينا عن أخبار الناس ولكن نصدقك على ما غاب عنا وإنا أبغض الناس الينا من يقاتل على بن أبى طالب لقدمه فى الاسلام وعلمه بالحرب ثم قام حوشب فقال: والله ما إياك ننصر ولا نغضب ولا عنك نحامى ما ننصر إلا الله ولا نغضب إلا للخليفة ولا نحامى إلا عن الشام فلف الخيل بالخيل والرجال بالرجال وقد دعونا قومنا الى ما دعوتنا اليه أمس وأمرناهم بما أمرتنا به فجعلوك بيننا وبين الله ونحن بينك وبينهم فمرنا بما تحب وانهنا عما تكره: قال فلما عزم معاوية على المسير الى صفين عبا أهل الشام فجعل على

مقدمته أبا الأعور السلمى وعلى ساقته بشير بن ارطاة وعلى الخيل عبيدالله بن عمرو دفع اللواء الى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وعلى الميمنة يزيد العبسى وعلى المسيرة عبدالله ابن عمرو بن العاص ثم قال يا أهل الشام أنكم قد سرتم لتمنعوا الشام وتأخذوا العراق ولعمرى ما للشام رجال العراق وأموالها ولا لأهل العراق بصر أهل الشام ولا بصائرهم مع أن القوم بعدهم غيرهم مثلهم وليس بعدكم غيركم فان غلبتوهم فلم تغلبوا إلا من قد أتاكم وإن غلبوكم عاقبوا من بعدكم والقوم لاقوكم ببصائر أهل الحجاز ورقة أهل اليمن وقسوة أهل مصر وكيد أهل العراق وإنما يبصر غدا من اليوم فاستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ثم سار معاوية فى ثلاثة آلاف وثمانين ألفا حتى نزل بصفين وذلك فى نصف محرم وسبق الى سهولة الأرض وسعة المناخ وقرب الفرات وكتب الى على يخبره بمسيره

(تعبئة على أهل العراق للقتال)

قال وذكروا أن عليا لما بلغه تأهب معاوية قال : أيها الناس إنما بايع معاوية أهل الشام وليس له غيرهم ولى ولا نصير وإنكم أهل الحجاز وأهل العراق وأهل اليمن وأهل مصر وقد جعل القوم معاوية بينهم وبين الله وليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وقد وادع القوم الروم فان غلبتموهم استعانوا بهم ولحقوا بأرضهم وإن غلبوكم فالغاية الموت والمفر الى الله العزيز الحكيم . وقد زعم معاوية أن أهل الشام أهل صبر ونصر ولعمرى لأنتم أولى بذلك منهم لأنكم المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان وإنما الصبر اليوم والنصر غدا . قال فجد الناس ونشطوا وتأهبوا فسار على بالناس من الكوفة فى مائة الف وتسعين الفا فجعل علي المقدمة الأشتر النخعى وعلى ساقته شريح بن هانى وعلى المهاجرين والأنصار محمد بن أبى بكر وعلى أهل البصرة عبد الله بن عباس وعلى الكوفة عبد الله بن جعفر وعلى جماعة الخيل عمار بن ياسر وعلى القلب الحسن بن على .

وسار حتى نزل صفين وقد سبقه معاوية الى سهولة الأرض وسعة المناخ وقرب الفرات .

(منع معاوية الماء من أصحاب على)

قال وذكروا أنه لما نزل معاوية بصفين بعث أبا الأعور بمن معه ليحولوا بينهم وبين الفرات وإن أهل العراق لما نزلوا بعثوا غلمانهم ليستقوا لهم من الفرات فحالت خيل معاوية بينهم وبين الماء فانصرفوا فساروا إلى على فأخبروه فقال على للاشعث اذهب إلى معاوية فقل له إن الذى جئنا له غير الماء ولو سبقناك اليه لم نحل بينك وبينه فان شئت خليت عن الماء وإن شئت تناجزنا عليه وتركنا ماجئنا فانطلق الاشعث الى معاوية فقال إنك تمنعنا الماء وأيم الله لنشربنه فمرهم يكفوا عنه قبل أن تغلب عليه والله لا نموت عطشا وسيوفنا على رقابنا فقال معاوية لأصحابه ما ترون فقال رجل منهم نرى أن نقتلهم عطشا كما قتلوا عثمان ظلما . فقال عمرو بن العاص لا تظن يامعاوية أن عليا يظمأ وأعنة الخيل بيده وهو ينظر الى الفرات حتى يشرب أو يموت دونه خل عن القوم يشربوا . فقال معاوية هذا والله أول الظفر لاسقانى الله من حوض الرسول ان شربوا منه حتى يغلبونى عليه . فقال عمرو وهذا أول الجور أما تعلم أن فيهم العبد والأجير والضعيف ومن لا ذنب له لقد شجعت الجبان وحملت من لا يريد قتالك على قتالك

(غلبة أصحاب على على الماء)

قال وذكروا أن معاوية لما غلب على الماء اغتنم علي لما فيه الناس من العطش فخرج ليلا والناس يشكون بعضهم الى بعض مخافة أن يغلب أهل الشام على الماء فقال الأشعث يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا السيوف خل عنا وعن القوم فوالله لا أرجع اليك حتى أرده أو أموت دونه وأمر الأشتر أن

يعلو الفرات فى الخيل حتى آمره بأمرى فقال على ذلك لك فانصرف الأشعث
فنادى فى الناس من كان يريد الماء فميعادها الصبح فانى ناهض الى الماء فأجابه بشر
كثير فتقدم الأشعث فى الرجالة والأشتر فى الخيل حتى وقفا على الفرات فلم
يزل الأشعث فى الرجالة يمضى حتى خالط القوم ثم حسر عن رأسه فنادى : أنا
الأشعث بن قيس خلوا عن الماء . فقال أبو الأعور أما والله قبل أن تأخذنا
وإياكم السيوف فلا . فقال الأشعث أظنها والله قد دنت منا ومنكم قال وبعث
إلى الأشتر اناقحم الخيل فاقحمها الأشتر حتى وضع سنابكها فى الفرات وحمل
الأشتر فى الرجال فأخذ القوم السيوف فانكشف أبو الأعور وأصحابه وبعث الأشتر
إلى على هلم يا أمير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء فلما غلب أهل العراق على
الماء شمت عمرو بن العاص بمعاوية وقال يا معاوية ما ظنك أن منعك على الماء
كما منعته أمس أتراك ضاربهم كما ضربوك . فقال دع ما مضى عنك فان علياً
لا يستحل منك ما استحللت منه وإن الذى جاء له غير الماء

(دعاء على معاوية الى البراز)

قال وذكروا أن الناس مكثوا بصفين أربعين ليلة يغدون إلى القتال
ويروحون فأما القتال الذى كان فيه الفناء فثلاثة أيام . فلما رأى على كثرة القتال
والقتل فى الناس برز يوماً من الأيام ومعاوية فوق التل فنادى بأعلى صوته
يا معاوية فأجابه فقال ما تشاء يا أبا الحسن قال علي علام يقتتل الناس ويذهبون
على ملك إن نلته كان لك دونهم وإن نلته أنا كان لى دونهم أبرز إلى ودع الناس
فيكون الأمر لمن غلب قال عمرو بن العاص : أنصفك الرجل يا معاوية فضحك
معاوية وقال طمعت فيها يا عمرو فقال عمرو : والله ما أراه يجمل بك إلا أن
تبارزه فقال معاوية ما أراك إلا مازحا نلقاه بجمعنا

(براز عمرو بن العاص لعلى)

قال وذكروا أن عمراً قال لمعاوية أتجبن عن على وتتهمنى فى نصيحتى اليك والله لأبارزن علياً ولو مت ألف موته فى أول لقائه . فبارزه عمرو فطعنه على فصرعه فاتقاه بعورته فانصرف عنه علي وولى بوجهه دونه . وكان علي رضى الله عنه لم ينظر قط إلى عورة أحد حياء وتكرماً وتنزهاً عما لا يحل ولا يحل بمثله كرم الله وجهه

(قطع الميرة من أهل العراق)

قال وذكروا أن علياً دعا زحر بن قيس فقال له سر فى بعض هذه الخيل إلى القطقطانة فاقطع الميرة عن معاوية ولا تقتل إلا من يحل لك قتله وضع السيف موضعه . فبلغ ذلك معاوية فدعا الضحاك بن قيس فأمره أن يلقى زحر بن قيس فيقاتله فسار الضحاك فلقيه زحر فهزمه وقتل من أصحابه وقطع الميرة عن أهل الشام ورجع الضحاك إلى معاوية منهزما فجمع معاوية الناس فقال : أتانى خبر من ناحية من نواحى أمر شديد فقالوا يا أمير المؤمنين لسنا فى شىء مما أتاك إنما علينا السمع والطاعة وبلغ عليا قول معاوية وقول أهل الشام فأراد أن يعلم ما رأى أهل العراق فجمعهم فقال أيها الناس إنه أتانى خبر من ناحية من نواحى فقال ابن الكواء وأصحابه إن لنا فى كل أمر رأى فما أتاك فاطلعنا عليه حتى نشير عليك فبكى ثم قال : ظفر والله ابن هند باجتماع أهل الشام له واختلافكم على والله ليغلبن باطله حقكم إذا أتانى أن زحر بن قيس ظفر بالضحاك وقطع الميرة وأتى معاوية هزيمة صاحبه فقال يا أهل الشام إنه أتانى أمر شديد فقلدوه أمرهم واختلفتم على فقام قيس بن سعد فقال أما والله لنحن كنا أولى بالتسليم من أهل الشام

(قدوم أبي هريرة وأبي الدرداء على معاوية وعلي)

قال وذكروا أن أبا هريرة وأبا الدرداء قدما على معاوية من حمص وهو بصفين فوعظاه وقال يا معاوية علام تقاتل عليا وهو أحق بهذا الأمر منك في الفضل والسابقة لأنه رجل من المهاجرين الأولين السابقين باحسان وأنت طليق وأبوك من الأحزاب أما والله ما نقول لك أن تكون العراق أحب الينا من الشام ولكن البقاء أحب الينا من الفناء والصلاح أحب الينا من الفساد . فقال معاوية لست أزعم اني أولى بهذا الأمر من علي ولكني أقاتله حتى يدفع إلى قتلة عثمان فقالا إذا دفعهم اليك ماذا يكون . قال أكون رجلا من المسلمين فأتيا عليا فان دفع اليكما قتلة عثمان جعلتهما شورى فقدما على عسكر علي فأتاهما الأشتر فقال يا هذان إنه لم ينزلكما الشام حب معاوية وقد زعمتما أنه يطلب قتلة عثمان فعمن أخذتما ذلك فلقبلتماها أعمن قبله نصدقتموهم على الذنب كما صدقتموهم على القتل أم عمن نصره فلا شهادة لمن جر إلى نفسه أم عمن اعتزل إذ علموا ذنب عثمان وقد علموا ما الحكم في قتله أو عن معاوية وقد زعم أن عليا قتله . اتقيا الله فانا شهدنا وغبتما ونحن الحكام على من غاب فانصرفا ذلك اليوم فلما أصبحا أتيا عليا فقالا له إن لك فضلا لا يدفع وقد سرت مسير فتى إلى سفيه من السفهاء ومعاوية يسألك أن تدفع اليه قتلة عثمان فان فعلت ثم قاتلك كنا معك قال علي أتعرفانهم قالا نعم قال فخذاهم فأتيا محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والأشتر : فقالا . أنتم من قتلة عثمان وقد أمرنا بأخذكم فخرج اليهما أكثر من عشرة آلاف رجل فقالوا نحن قتلنا عثمان فقالا نرى أمراً شديداً ألبس علينا الرجل . وان أبا هريرة وأبا الدرداء انصرفا إلى منزلها بحمص فلما قدما حمص لقيهما عبد الرحمن بن عثمان فسألهما عن مسيرهما فقصا عليه القصة فقال : العجب منكما أنكما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لئن كففتما أيديكما ما كففتما

ألستكما أتأتيان عليا وتطلبان اليه قتلة عثمان وقد علمتما أن المهاجرين والأنصار لو حرموا دم عثمان نصروه وبايعوا عليا على قتلته فهل فعلوا وأعجب من ذلك رغبتكما عما صنعوا وقولكما لعلى اجعلها شورى واخلعها من عنقك وانكما لتعلمان أن من رضى بعلى خير ممن كرهه وإن من بايعه خير ممن لم يبايعه ثم صرتما رسولى رجل من الطلقاء لا تحل له الخلافة . ففشى قوله وقولهما فهم معاوية بقتله ثم راقب عشيرته

(وقوع عمرو بن العاص فى على)

قال وذكروا أن رجلا من همدان يقال له برد قدم على معاوية فسمع عمراً يقع فى على فقال له ياعمرو ان أشياخنا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كنت مولاه فعلى مولاه . فحق ذلك أم باطل فقال عمرو حق وأنا أزيدك أنه ليس أحد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب على ففزع الفتى فقال عمرو إنه أفسدها بأمره فى عثمان فقال برد هل أمر أو قتل قال لا ولكنه آوى ومنع قال فهل بايعه الناس عليها قال نعم فما أخرجك من بيعته قال اتهامى إياه فى عثمان قال له وأنت أيضا قد اتهمت قال صدقت فيها خرجت إلى فلسطين فرجع الفتى إلى قومه فقال إنا أتينا قوما أخذنا الحجة عليهم من أفواههم .على على الحق فاتبعوه

(كتاب معاوية إلى أبى ايوب الأنصارى)

قال وذكروا أن معاوية كتب إلى أبى أيوب الأنصارى وكان أشد الأنصار على معاوية : أما بعد فانى نسيتك مالا تنسى الشيباء . فلما قرأ كتابه أتى به عليا فاقرأه إياه قال علي يعنى بالشيباء المرأة الشمطاء لاتنسى ثكل ابنها فانا لاأنسى قتل عثمان . فكتب اليه أبو أيوب . انه لا تنسى الشيباء ثكل ولدها وضربتها مثلا لقتل عثمان فما نحن وقتله عثمان ان الذى تربص بعثمان وثبط أهل

الشام عن نصرته لأنت وان الذين قتلوه غير الأنصار والسلام

(ما خاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد)

قال وذكروا أن النعمان بن بشير الأنصارى وقف بين الصفين . فقال : ياقيس بن سعد أما أنصفكم من دعاكم إلى مارضى لنفسه إنكم يامعشر الانصار أخطأتم فى خذل عثمان يوم الدار وقتلكم أنصاره يوم الجمل واقحامكم على أهل الشام بصفين فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم علياً كان هذا بهذا ولكنكم خذلتم حقا ونصرتم باطلا ثم لم ترضوا ان تكونوا كالناس حتى شعلتم الحرب ودعوتم إلى البراز فقد والله وجدتم رجال الحرب من أهل الشام سراعا إلى برازكم غير أنكاث عن حربكم ثم لم ينزل بعلي أمر قط إلا هونتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر وقد والله اخلفتموه وهان علينا بأسكم وما كنتم لتخلوا به أنفسكم من شدتكم فى الحرب وقدرتكم على عدوكم وقد أصبحتم أذلاء على أهل الشام لايرون حربكم شيئا وأنتم أكثر منهم عدداً ومدداً وقد والله كاثروكم بالقلة فكيف لو كانوا مثلكم فى الكثرة والله لاتزالون أذلاء فى الحرب بعدها أبداً إلا أن يكون معكم أهل الشام وقد أخذت الحرب منا ومنكم ماقد رأيتم ونحن أحسن بقية وأقرب إلى الظفر فاتقوا الله فى البقية . فضحك قيس وقال والله ما كنت أراك يانعمان تجترىء على هذا المقام أما المنصف المحق فلا ينصح أخاه من غش نفسه وأنت والله الغاش لنفسه المبطل فيما انتصح غيره . أما ذكر عثمان فان كان الانجاز يكفيك فخذه . قتل عثمان من لست خيرا منه وخذله من هو خير منك وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث وأما معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الأنصار وأما قولك انا لسنا كالناس فنحن فى هذه الحرب كما كنا مع رسول الله نلتق السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . ولكن انظر يانعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقا إعرابيا أو يمانيا مستدرجا وانظر

أين المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك ولستما والله بدريين ولا عقبيين ولا لكما سابقة فى الاسلام ولا آية فى القرآن

(كتاب عمرو إلى ابن عباس)

قال وذكروا أن معاوية قال لعمرو بن العاص ان رأس أهل العراق مع على عبد الله بن عباس فلو القيت اليه كتابا ترفق فيه فان قال شيئا لم يخرج منه على وقد أكلتنا هذه الحرب ولا أرانا نطيق العراق إلا بهلاك الشام . فقال له عمرو ان ابن عباس لايخدع ولو طمعت فى علي قال معاوية على ذلك فكتب عمرو إلى ابن عباس . أما بعد فان الذى نحن وأنت فيه ليس أول أمر قاده البلاء وساقته العافية وانك رأس هذا الجمع بعد على فانظر فيما بقى بغير مامضى فوالله ماأبقت هذه الحرب لنا ولكم حياة ولا صبرا واعلم أن الشام لاتهلك إلا بهلاك العراق وأن العراق لاتهلك إلا بهلاك الشام فما خيرنا بعد اعدادنا منكم وما خيركم بعد اعدادكم منا ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكنا نقول ليتها لم تكن وان فينا لمن يكره البقاء كما فيكم وانما هى ثلاثة أمير مطاع أومأمور مطيع أومشاور مأمون . فأما العاصى السفيه فليس بأهل ان يدعى فى ثقات أهل الشورى ولا خواص أهل النجوى

(جواب عبد الله بن عباس إلى عمرو بن العاص)

قال وذكروا أنه لما انتهى كتاب عمرو إلى ابن عباس أتى به إلى علي فأقرأه إياه فقال علي قاتل الله ابن العاص أجبه . فكتب اليه . أما بعد فانى لاأعلم رجلا أقل حياء منك فى العرب إنك مال بك الهوى إلى معاوية وبعته دينك بالثمن الأوكس ثم خبطت الناس فى عشواء طمعا فى هذا الملك فلما تراءينا أعظمت الحرب

والرماء إعظام أهل الدين وأظهرت فيها كراهية أهل الورع لاتريد بذلك إلا تمهيد الحرب وكسر أهل الدين فان كنت تريد الله فدع مصر وارجع إلى بيتك فان هذه الحرب ليس فيها معاوية كعلي بدأها علي بالحق وانتهى فيها إلى العذر وبدأها معاوية بالبغى وانتهى فيها إلى السرف وليس أهل الشام فيها كأهل العراق بايع أهل العراق عليا وهو خير منهم وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ولست أنا وأنت فيها سواء أردت الله وأنت أردت مصر . وقد عرفت الشيء الذى باعدك منى ولا أعرف الشيء الذى قربك من معاوية فان ترد شرا لاتفتنا به وان ترد خيرا لاتسبقنا اليه

(امر معاوية مروان بحرب الأشتر)

قال وذكروا أن معاوية دعا مروان بن الحكم فقال يامروان ان الأشتر قد عمنى فاخرج بهذه الخيل فقاتله غدا فقال مروان ادع لها عمراً فانه شعارك دون دثارك . قال معاوية وأنت نفسى دون وزيرى . قال مروان لو كنت كذلك الحقتنى به العطاء والحقته بى الحرمان ولكنك أعطيته مافى يدك ومنيتنى مافى يدى غيرك فان غلبت طاب المقام وان غلبت خف عليك المهرب . قال معاوية يغنى الله عنك قال أما اليوم فلا . فدعا معاوية عمراً فأمره بأمره فقال : أما والله لئن فعلت لقد قدمتنى كافيا وأدخلتنى ناصحا وقد غمك القوم فى مصر فان كان لايرضيهم إلا أخذها فخذها عليها لعنة الله أما والله ياأمير المؤمنين ان مروان يباعدك منا ويباعدنا منك ويأبى الله إلا ان يقربنا اليك

(كتاب معاوية الى ابن عباس)

قال وذكروا أن معاوية كتب الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . أما بعد فانكم معشر بنى هاشم لستم الى أحد أسرع منكم بالمساءة الى أنصار عثمان فان يك

ذلك لسلطان بنى أمية فقد ورثها عدى وتيم وقد وقع الأمر ما قد ترى وأدالت هذه الحرب بعضنا من بعض حتى استوينا فيها فما أطمعكم فينا أطمعنا فيكم وما أيأسكم منا أيأسنا منكم وقد رجونا غير الذى كان وخشينا دون ما وقع ولستم ملاقينا اليوم بأحد من جدكم أمس وقد منعنا بما كان منا الشام وقد منعتم بما كان منكم العراق اتقوا الله فى قريش فما بقى من رجالها إلا ستة : رجلان بالشام ورجلان بالعراق ورجلان بالحجاز . فأما اللذان بالحجاز فسعد وعبد الله بن عمر : وأما اللذان بالشام فانا وعمرو وأما اللذان بالعراق فعلي وأنت ، ومن الستة رجلان ناصبان لك وآخران واقفان عليك وأنت رأس هذا الجمع اليوم وغداً ولو بايع الناس لك بعد عثمان كنا أسرع اليك منا الى علي

(جوابه)

قال وذكروا انه لما أتى كتاب معاوية الى ابن عباس ضحك ثم قال حتى متى يخطب الى معاوية عقلى وحتى متى أجمجم له عما فى نفسى فكتب اليه : أما بعد فقد جاءنى كتابك فأما ما ذكرت من سرعتنا بالمساءة الى أنصار عثمان لسلطان بنى أمية فلعمرى لقد أدركت فى عثمان حاجتك لقد استنصرك فلم تنصره حتى صرت الى ما صرت اليه وبينى وبينك فى ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عقبة ، وأما قولك انه لم يبق من رجال قريش غير ستة فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا إلا من خذلك ، واما إغراؤك إيانا بعدى وتيم فأبو بكر وعمر كانا خيراً منك ومن عثمان كما ان علياً خير منك ، وأما قولك إنا لن نلقاك إلا بمالقيناك به فقد بقى لك منا يوم ينسيك ما قبله وتخاف له ما بعده ، وأما قولك انه لو بايعنى الناس استقمت فقد بايعوا علياً وهو خير منى فلم تستقم له وان الخلافة لاتصلح إلا لمن كان فى الشورى فما أنت والخلافة وأنت طليق الاسلام وابن رأس الأحزاب وابن أكالة الأكباد من قتلى بدر

(خطبة على كرم الله وجهه)

قال وذكروا أن علياً قام خطيباً فقال : أيها الناس ألا ان هذا القدر ينزل من السماء كقطر المطر على كل نفس بما كسبت من زيادة أو نقصان فى أهل أو مال فمن أصابه نقصان فى أهل أو مال فلا يغش نفسه ، الا وإنما المال حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام وقد دخل فى هذا العسكر طمع من معاوية فضعوا عنكم هم الدنيا بفراقها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها فان نازعتكم أنفسكما الى غير ذلك فردوها الى الصبر ووطنوها على العزاء فوالله أن أرجى ما أرجوه الرزق من الله من حيث لاتحتسب وقد فارقكم مصقلة بن هبيرة فآثر الدنيا على الآخرة وفارقكم بشر بن ارطاة فأصبح ثقيل الظهر من الدماء مفتضح البطن من المال وفارقكم زيد بن عدى بن حاتم فأصبح يسأل الرجعة . وأيم الله لودت رجال مع معاوية انهم معى فبايعوا الدنيا بالآخرة . ولودت رجال معى انهم مع معاوية فباعوا الآخرة بالدنيا

(قدوم ابن أبى محجن على معاوية)

قال وذكروا أن عبد الله بن أبى محجن الثقفى قدم الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين إنى أتيتك من عند الغبى الجبان البخيل ابن أبي طالب فقال معاوية : لله أنت تدرى ما قلت ، أما قولك الغبى فوالله لو أن ألسن الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان علي وأما انه جبان فثكلتك أمك هل رأيت أحدا قط بارزه إلا قتله ، وأما قولك انه بخيل فوالله لو كان له بيتان أحدهما من تبر والآخر من تبن لا نفد تبره قبل تبنه . فقال الثقفى فعلى ما تقاتله إذاً ؟ قال على دم عثمان وعلى هـذا الخاتم الذى من جعله فى يده جازت طينته واطعم عياله وادخر لأهلها . فضحك الثقفى ثم لحق بعلي فقال يا أمير المؤمنين هب لى يدى

بجرمى لا دنيا أصبت ولا آخرة غنمك . فضحك علي ثم قال : أنت منها على رأس أمرك وإنما يأخذ الله العباد بأحد الأمرين

(رفع اهل الشام المصاحف)

قال وذكروا أن أهل العسكرين باتوا بشدة من الألم ونادى علي أصحابه فأصبحوا على راياتهم ومصافهم فلما رآهم معاوية وقد برزوا للقتال قال لعمرو ابن العاص يا عمرو ألم تزعم أنك ما رقعت فى أمر قط إلا وخرجت منه قال بلى قال أفلا تخرج مما ترى . قال والله لادعونهم إن شئت الى أمر آ فرق به جمعهم ويزداد جمعك اليك اجتماعا إن أعطوكه اختلفوا وإن منعوكه اختلفوا ، قال معاوية وما ذلك قال عمرو تأمر بالمصاحف فترتفع ثم تدعوهم الى ما فيها فوالله لئن قبله لتفترقن عنه جماعته ولئن رده ليكفرنه أصحابه . فدعا معاوية بالمصحف ثم دعا رجلا من أصحابه يقال له ابن هند فنشره بين الصفين ثم نادى الله الله فى دمائنا ودمائكم البقية بيننا وبينكم كتاب الله . فلما سمع الناس ذلك ناروا الى على فقالوا قد أعطاك معاوية الحق ودعاك الى كتاب الله فأقبل منه . ورفع صاحب معاوية المصحف وهو يقول بيننا وبينكم هذا المصحف ثم تلى : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » ثم نادى من الفارس من الروم فقال الأشعث والله لا نأتى هذه أبداً ونرضى معك أو نقاتل معك وتابعه أشراف أهل اليمن وركنوا الى الصلح وكرهوا القتال

(ما تكلم به عبد الله بن عمرو واهل العراق)

قال وذكروا أن معاوية دعا عبد الله بن عمرو بن العاص فأمره أن يكلم أهل العراق فأقبل عبد الله بن عمرو حتى إذا كان بين الصفين نادى : يا أهل العراق أنا

عبد الله بن عمرو بن العاص انه قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين والدنيا فان تك للدين فقد والله أسرفنا وأسرفتم وإن تك للدنيا فقد والله أعذرنا وأعذرتم وقد دعوناكم لأمر لو دعوتمونا اليه أجبناكم فان يجمعنا وإياكم الرضا فذلك من الله وإلا فاغتنموا هذه الفرجة لعل الله أن ينعش بها الحى وينسى بها القتيل فان بقاء المقلد بعد الهالك قليل . فقال علي لسعيد بن قيس أجب الرجل وقد كان عبد الله بن عمرو قاتل يوم صفين بسيفين وكان من حجته أن قال أمرني رسول الله أن أطيع أبي . فتقدم سعيد بن قيس حتى إذا كان بين الصفين نادى . يا أهل الشام أنه كانت بيننا وبينكم أمور حامينا فيها على الدين والدنيا وقد دعوتمونا الى ماقتلنا كم عليه أمس ولم يكن له ليرجع أهل العراق الى عراقهم ولا أهل الشام إلى شامهم بامر أجمل منه فان يحكم فيه بما أنزل الله فالأمر فى أيدينا وإلا فنحن نحن وأنتم أنتم وان الناس ثارو إلى علي عند كلام عبد الله بن عمرو فقالوا أجب القوم الى مادعوك اليه فانا دعونا عثمان الى ما دعاك القوم اليه فقاتلناه . فبعث علي الأشعث الى أهل الرايات يأمرهم أن ينقضوها ويرجعوا الى رحالهم حتى يبرموا رأيهم

(ما خاطب به عتبة بن ابى سفيان الأشعث بن قيس)

قالوا وذكروا أن معاوية دعا عتبة فقال له ألن الى الأشعث كلاما فانه إن رضى بالصلح رضيت به العامة فخرج عتبة حتى اذا وقف بين الصفين نادى الأشعث فأتاه فقال عتبة أيها الرجل ان معاوية لو كان لاقياً أحداً غيرك وغير علي لقيك أنك رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن ومن قد سلف اليه من عثمان ما قد سلف اليه من الصهر والعمل ولست كأصحابك أما الأشتر فقتل عثمان ، وأما عدى فحضه ، وأما سعيد بن قيس فقلد عليا دينه : وأما شريح بن هانى وزحر بن قيس فلا يعرفان غير الهوى وأما أنت فحاميت عن أهل العراق تكرما وحاربت أهل الشام حمية وقد والله بلغنا منك ماأردنا وبلغت منا ما أردت وإنا لا ندعوك إلا ما يكون منك

من تركك عليا ولا نصرة معاوية ولكنا ندعوك الى البقية التى فيها صلاحك وصلاحنا

(فتكلم الاشعث)

فقال . ياعتبة أما قولك أن معاوية لايلقى إلا عليا فلو لقينى ما زاد ولا عظم فى عينى ولا صغرت عنه وان أحب ان أجمع بينه وبين علي لأفعل ، وأما قولك إنى رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن فالرأس الأمير والسيد المطاع وهاتان لعلي ، وأما ما سلف إلى من عثمان فوالله ما زادنى صهره شرفا ولا عمله غنى ،وأما عيبك أصحابى فان هذا الأمر لايقربك منى وأما محاماتى عن العراق فمن نزل بنا حميناه وأما البقية فلسنا بأحوج منها اليكم

(كتاب معاوية الى على رضى الله عنهما)

قال وذكروا أن عليا أظهر انه مصبح معاوية للقتال فبلغ ذلك معاوية ففزع أهل الشام فانكسروا لذلك فقال معاوية لعمرو إنى قد رأيت رأياً أن أعيد الى علي كتابا أسأله فيه الشام . فضحك عمرو ثم قال أين أنت يامعاوية من جرعة على . فقال معاوية ألسنا بنى عبد مناف فقال بلى ولكن لهم النبوة دونكم فان شئت أن تكتب فاكتب . فكتب معاوية الى علي : أما بعد فانى أظنك أن لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وإنا كنا قد غلبنا على عقولنا فلنا منها ما ندم به مامضى ونصلح ما بقى وقد كنت سألتك أن لايلزمنى لك طاعة ولا بيعة فأبيت ذلك على فأعطانى الله ما منعت وإنى أدعوك الى ما دعوتك اليه أمس فانك لاترجو من البقاء إلا ما أرجو ولا تخاف من الفناء إلا ما أخاف وقد والله رقت الأجناد وذهبت الرجال ونحن بنى عبد مناف ليس لبعضنا علي بعض فضل الافضل لايستذل به عزيز ولا يسترق به حر

(جوابه)

فلما انتهى كتابه الى علي دعا كاتبه عبيدالله بن رافع فقال اكتب : أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر انك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ مابلغت لم يجنها بعضنا على بعض وإنا وإياك فى غاية لم نبلغها بعد ، وأما طلبك الى الشام فانى لم أكن أعطيك اليوم مامنعتك أمس ، وأما استواؤنا فى الخوف والرجاء فانك لست أمضى على الشك منى على اليقين وليس أهل الشام بأحرص من أهل العراق على الآخرة وأما قولك انا بنى عبد مناف فكذلك ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب لعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبى طالب والمهاجر كالطليق ولا المحق كالمبطل وفى أيدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام . فلما أتى معاوية الكتاب أقراه عمراً فشمت به عمرو ولم يكن أحد أشد تعظيما لعلي من عمرو بن العاص بعد يوم مبارزته فقال معاوية لعمرو وقد علمت أن أعظامك لعلي لما فضحك قال عمرو لم يفتضح امرؤ بارز عليا وإنما افتضح من دعاه الى البراز فلم يجبه

(اختلاف اهل العراق فى الموادعة)

قال وذكروا أنه لما عظم الأمر واستمر القتال قال له رأس من أهل العراق ان هذه الحرب قد أكلتنا وأذهبت الرجال والرأى الموادعة . وقال بعضهم لا بل نقاتلهم اليوم على ما قتلناهم عليه أمس ، وكانت الجماعة قد رضيت الموادعة وجنحت الى الصلح والمسالمة فقام على خطيبا فقال : أيها الناس إنه لم أزل من أمرى على ما أحب حتى قد احتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وهى لعدوكم انهك . وقد كنت بالأمس أميراً فأصبحت اليوم مأمورا وكنت ناهيا فأصبحت اليوم منهيا فليس لى أن أحملكم على ما تكرهون

(مارد كردوس بن هانىء على على)

قال وذكروا أن كردوس بن هانىء قام فقال . أيها الناس إنه والله ماتولينا

معاوية منذ تبرأنا منه ولا تبرأنا من على منذ توليناه وإن قتيلنا لشهيد وإن حينا لفائز وإن عليا على بينة من ربه وما أجاب القوم إلا أنصافا وكل محق منصف فمن سلم له نجا ومن خالفه هوى

(ما قاله سفيان بن ثور)

قال وذكروا أن سفيان بن ثور قال . أيها الناس إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله فردوه علينا فقاتلناهم وإنهم دعونا إلى كتاب الله فان رددناه عليهم حل لهم منا ما حل لنا منهم ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله وإن عليا ليس بالراجع الناكص وهو اليوم على ما كان عليه أمس وقد أكلتنا هذه الحرب. ولا نرى البقاء إلى الموادعة

(ما قال حريث بن جابر)

ثم قام حريث بن جابر فقال : أيها الناس أن عليا لو كان خلواً من هذا الأمر لكان المرجع اليه فكيف وهو قائده وسابقته وإنه والله ما قبل من القوم اليوم إلا الأمر الذى دعاهم اليه أمس ولورده عليهم كنتم له أعيب ولا يلحد فى هذا الأمر إلا راجع على عقبيه أو مستدرج مغرور وما بيننا وبين من طعن علينا إلا السيف

(ما قال خالد بن معمر)

ثم قام خالد بن معمر فقال يا أمير المؤمنين إنا والله ما أخرجنا هذا المقام أن يكون أحد أولى به منا ولكن قلنا أحب الأمور الينا ما كفينا مؤنته فأما إذا استغنينا فانا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك القوم اليه اليوم إن رأيت ذلك وإن لم تره فرأيك أفضل

(ما قاله الحصين بن المنذر)

ثم قام الحصين بن المنذر وكان أحدث القوم سنا فقال : أيها الناس إنما بنى هذا الدين على التسليم فلا تدفعوه بالقياس ولا تهدموه بالشبهة وانا والله لو انا لا نقبل من الأمور إلا ما نعرف لأصبح الحق فى الدنيا قليلا ولو تركنا وما نهوى لأصبح الباطل فى أيدينا كثيراً وإن لنا راعياً قد حمدنا ورده وصدره وهو المأمون على ما قال وفعل فان قال لا قلنا لا : وإن قال نعم قلنا نعم

(ما قال عثمان بن حنيف)

ثم قام عثمان بن حنيف وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامل لعلى على البصرة وكان له فضل فقال : أيها الناس اتهموا رأيكم فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية يوم أبي جندل وانا لنريد القتال إنكاراً للصلح حتى ردنا عنه رسول الله وإن أهل الشام دعوا إلى كتاب الله اضطراراً فأجبناهم اليه إعذاراً فلسنا والقوم سواء أنا والله ماعدلنا الحى بالحى ولا القتيل بالقتيل ولا الشامى بالعراقى ولا معاوية بعلى وإنه لأمر منعه غير نافع واعطاؤه غير ضائر وقد كاف البصائر التى كنا نقاتل بها وقد حمل الشك اليقين الذى كنا نؤل اليه وذهب الحياء الذى كنا نمارى به فاستظلوا فى هذا الفيء واسكنوا فى هذه العافية فان قلتم نقاتل على ما كنا نقاتل عليه أمس هيهات هيهات ذهب والله قياس أمس وجاء غد . فأعجب علياً قوله وانتصرت به الأنصار ولم يقل أحد بأحسن من مقالته

(ما قال عدى بن حاتم)

ثم قام عدى بن حاتم فقال : أيها الناس إنه والله لو غير علي دعانا الى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان وفى يده من

الله سبب وإنه وقف عن عثمان بشبهة وقاتل أهل الجمل على النكث وأهل الشام على البغى فانظروا فى أموركم وأمره فان كان له عليكم فضل فليس لكم مثله فسلموا له وإلا فنازعوا عليه ، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنة إنه لأعلم الناس بهما . ولئن كان إلى الاسلام إنه لأخو نبى الله والراس فى الاسلام . ولئن كان إلى الزهد والعبادة لأنه أظهر الناس زهداً وأنهكهم عبادة ولئن كان الى العقول والنحائز إنه لأشد الناس عقلا وأكرمهم نحيزة ، ولئن كان الى الشرف والنجدة إنه لأعظم الناس شرفا ونجدة ، ولئن كان الى الرضى لقد رضى المهاجرون والأنصار فى شورى عمر رضى الله عنهم وبايعوه بعد عثمان ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام فما الفضل الذى قربكم إلى الهدى وما النقش الذى قربه إلى الضلال ؟ والله لو اجتمعتم جميعا على أمر واحد لأتاح الله له من يقاتل لأمر ماض وكتاب سابق فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ورجع كل من تشعب على علي رضى الله عنه

(ما قال عبد الله بن حجل)

ثم قام عبد الله بن حجل فقال يا أمير المؤمنين إنك أمرتنا يوم الجمل بامور مختلفة كانت عندنا أمراً واحداً فقبلناها بالتسليم وهذه مثل تلك الأمور ونحن أولئك أصحابك وقد أكثر الناس فى هذه القضية وأيم الله ما المكثر المنكر بأعلم بها من المقل المعترف وقد أخذت الحرب بأنفاسنا فلم يبق إلا رجاء ضعيف فان تجب القوم إلى مادعوك اليه فأنت أولنا إيمانا وآخرنا لنبى الله عهداً وهذه سيوفنا على أعناقنا وقلوبنا بين جوانحنا وقد أعطيناك بقيتنا وشرحت بالطاعة صدورنا ونفذت فى جهاد عدوك بصيرتنا فأنت الوالى المطاع ونحن الرعية الاتباع أنت أعلمنا بربنا وأقربنا بنبينا وخيرنا فى ديننا وأعظمنا حقا فينا ، فسدد رأيك نتبعك واستخر الله تعالى فى أمرك واعزم عليه برأيك فأنت الوالى المطاع . قال

فسر علي كرم الله وجهه بقوله وأثنى خيراً

(ثم قام صعصعة بن صوحان)

فقال : ياأمير المؤمنين إنا سبقنا الناس اليك يوم قدوم طلحة والزبير عليك فدعانا حكيم إلى نصرة عاملك عثمان بن حنيف فأجبناه فقاتل عدوك حتى أصيب فى قوم من بنى عبد قيس عبدوا الله حتى كانت اكفهم مثل اكف الابل وجباههم مثل ركب المعز فاسر الحي وسلب القتيل فكنا أول قتيل وأسير ثم رأيت بلاءنا وقد كلت البصائر وذهب الصبر وبقى الحق موفوراً وأنت بالغ بهذا حاجتك والأمر اليك ما أراك الله فمرنا به

(ماقال المنذر بن الجارود)

ثم قام المنذر بن الجارود فقال : ياأمير المؤمنين انى أرى أمراً لايدين له الشام إلا بهلاك العراق ولا يدين له العراق إلا بهلاك الشام ولقد كنا نرى ان مازدنا نقصهم وما نقصنا ضرهم فاذاً فى ذلك أمران فان رأيت غيرك ففينا والله مايفعل به الحد ويرد به الكلب وليس لنا معك ابراد ولاصبر

(ما قال الأحنف بن قيس)

ثم قام الأحنف بن قيس فقال ياأمير المؤمنين ان الناس بين ماض وواقف وقائل وساكت وكل فى موضعه لحسن وإنه لو يكل الآخر عن الأول لم يقل شيئا إلا ان يقول اليوم ما قد قيل أمس ولكنه حق يقضى ولم نقاتل القوم لنا ولا لك إنما قاتلناهم لله فان حال أمر الله دوننا ودونك فاقبله فانك أولى بالحق وأحقنا بالتوفيق ولا أرى إلا القتال

(ما قال عمير بن عطارد)

ثم قام عمير بن عطارد فقال : ياأمير المؤمنين ان طلحة والزبير وعائشة كانوا

أحب الناس إلى معاوية وكانت البصرة أقرب الينا من الشام وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم فوالله مامنعنا ذلك من قتل المحارب وعيب الواقف فقاتل القوم أنا معك

(ما قال علي كرم الله وجهه)

ثم قام علي خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انه قد بلغ بكم وبعدوكم ماقد رأيتم ولم يبق منهم إلا آخر نفس وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم مابلغوا وانا غاد عليهم بنفسي بالغداة فاحاكمهم بسيفي هذا إلى الله

(نداء أهل الشام واستغاثتهم عليا)

قال فلما بلغ معاوية قول عمرو بن العاص فقال له ياعمرو إنما هي الليلة حتى يغدوا علينا علي بنفسه فما ترى قال عمرو ان رجالك لايقومون لرجاله ولا أنت ولا أنا لانقوم له . أنت تقاتله علي أمر ويقاتلك علي غيره وأنت تريد البقاء وعلي يريد الفناء وليس يخاف أهل الشام من علي مايخاف منك أهل العراق وان هلكتم . ولكن ادعهم إلى كتاب الله فانك تقضى منه حاجتك قبل ان ينشب مخلبه فيك . فأمر معاوية أهل الشام أن ينادوهم فنادوا فى سواد الليل نداء معه صراخ واستغاثة يقولون ياأبا الحسن من لذرارينا من الروم ان قتلتنا الله الله البقيا كتاب الله بيننا وبينكم . فاصبحوا وقد رفعوا المصاحف على الرماح وقلدوها أعناق الخيل والناس على راياتهم قد أصبحوا للقتال

(ما اشار به عدى بن حاتم)

فقام عدى بن حاتم فقال : ياأمير المؤمنين أن أهل الباطل لاتعوق لأهل الحق

وقد جزع القوم حين تأهبت للقتال بنفسك وليس بعد الجزع إلا ماتحب ناجز القوم .

(ما قال الاشتر وأشار به)

ثم قام الأشتر فقال : ياأمير المؤمنين ماأجبناك لدنيا إن معاوية لاخلف له من رجاله ولكن بحمد الله الخلف لك ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولانصرتك فافرج الحديد بالحديد واستعن بالله

(ما قال عمرو بن الحمق)

ثم قام عمرو بن الحمق فقال ياأمير المؤمنين ماأجبناك لدنيا ولا نصرناك على باطل ماأجبناك إلا لله تعالى ولا نصرناك إلا للحق ولو دعانا غيرك إلى مادعوتنا اليه لكثر فيه اللجاج وطالت له النجوى وقد بلغ الحق مقطعه وليس لنا معك رأى

(ما قال الأشعث بن قيس)

ثم قام الأشعث بن قيس فقال : ياأمير المؤمنين انا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ولست أدرى كيف يكون غداً وما القوم الذين كلموك باحمد لأهل العراق منى ولا باوتر لأهل الشام منى فأجب القوم إلى كتاب الله فانك أحق به منهم وقد أحب الله البقيا

(ما قال عبد الرحمن بن حارث)

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال ياأمير المؤمنين امض لأمر الله ولا يستحلفنك الذين لايوقنون . احكم بعد حكم وأمر بعد أمر مضت دماؤنا ودماؤهم ومضى حكم الله علينا وعليهم

(ما رآه على كرم الله وجهه)

قال فمال على إلى قول الأشعث بن قيس وأهل اليمن فأمر رجلا ينادى إنا

أجبنا معاوية إلى مادعانا اليه . فأرسل معاوية إلى علي إن كتاب الله لاينطق ولكن تبعث رجلا منا ورجلا منكم فيحكمان بما فيه . فقال علي قد قبلت ذلك

(ما قال عمار بن ياسر)

فلما أظهر علي انه قد قبل ذلك قام عمار بن ياسر فقال : ياأمير المؤمنين أما والله لقد أخرجها اليك معاوية بيضاء من أقر بها هلك ومن أنكرها هلك مالك ياأبا الحسن أشككتنا فى ديننا ورددتنا على أعقابنا بعد مائة الف قتلوامنا ومنهم أفلا كان هذا قبل السيف وقبل طلحة والزبير وعائشة قد دعوك إلى ذلك فأبيت وزعمت أنك أولى بالحق وان من خالفنا منهم ضال حلال الدم وقد حكم الله تعالى فى هذا المال ما قد سمعت فان كان القوم كفاراً مشركين فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يفيؤا إلى أمر الله وان كانوا أهل فتنة فليس لنا ان نرفع السيف عنهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله والله ماأسلموا ولا أدوا الجزية ولا فاؤا إلى أمر الله ولا طفئت الفتنة فقال علي والله إنى لهذا الأمر كاره

(قتل عمار بن ياسر)

قال فلما رد علي على عمار أنه كاره للقضية وأنه ليس من رأيه نادى عمار : أيها الناس هل من رائح إلى الجنة فخرج اليه خمسمائة رجل منهم أبو الهيثم وخزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين فاستسقى عمار الماء فأتاه غلام له بأداوة فيها لبن فلما رآه كبر وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : «آخر زادك لبن» ثم قال عمار اليوم التقى الأحبة محمداً وحزبه . ثم حمل عمار وأصحابه فالتقى عليه رجلان فقتلاه وأقبلا برأسه إلى معاوية يتنازعان فيه كل يقول أنا قتلته فقال لهما عمار بن العاص : والله ان تتنازعان إلا فى النار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول . تقتل عماراً الفئة الباغية فقال معاوية قبحك الله من شيخ فما نزال تتزلق فى قولك

أو نحن قتلناه إنما قتله الذين جاؤوا به ثم التفت إلى أهل الشام فقال . إنما نحن الفئة الباغية التى تبغى دم عثمان فلما قتل عمار اختلط الناس حتى ترك أهل الرايات مراكزهم وأقحم أهل الشام وذلك من آخر النهار وتفرق الناس عن علي فقال عدى بن حاتم : والله ياأمير المؤمنين ماأبقت هذه الواقعة لنا ولا لهم عميداً فقاتل حتى يفتح الله تعالى لك فان فينا بقية فقال علي ياعدى قتل عمار بن ياسر ؟ قال نعم فبكى علي . وقال . رحمك الله ياعمار استوجب الحياة والرزق الكريم كم تريدون ان يميش عمار وقد نيف على التسعين

(هزيمة أهل الشام)

ثم أقبل الأشتر جريحاً فقال ياأمير المؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل إلى ساعتنا هذه فعد إلى مكانك الذى كنت فيه فان الناس إنما يطلبون حيث تركوك . وان علياً دعا بفرسه التى كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا ببغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء ثم تعصب بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء ثم نادى : من بيع نفسه اليوم يربح غداً يوم له مابعده وان عدوكم قد قدح كما قدحتم فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثنى عشر الفا واضعى سيوفهم على عواتقهم وتقدموا فحمل علي والناس حملة واحدة فلم يبق لأهل الشام صف إلا اغمد حتى أفضى الأمر إلى معاوية وعلي يضرب بسيفه ولا يستقبل أحداً إلا ولى عنه فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فلما وضع رجله فى الركاب نظر إلى عمرو بن العاص فقال له يابن العاص . اليوم صبر وغداً فخر قال صدقت فترك الركوب وصبر وصبر القوم معه إلى الليل فبات الناس يتحارسون وكرهوا القتال وهو اليوم الذى فيه البلاء العظيم يوم قتل عمار وكل يظن أن الدائرة عليه وأسرف الفريقان فى القتل ولم يكن فى الاسلام بلاء ولا قتل أعظم منه فى تلك الثلاثة الأيام وإن علياً نادى بالرحيل فى جوف الليل فلما سمع معاوية رضى الله عنه رغاء الابل دعا عمرو

بن العاص فقال ما ترى هاهنا قال عمرو أظن الرجل هاربا فلما أصبحوا اذا على وأصحابه إلى جانبهم قد خالطوهم فقال معاوية كلا زعمت يا عمرو إنه هارب فضحك وقال من فعلاته والله فعندها أيقن معاوية بالهلكة ونادى أهل الشام كتاب الله بيننا وبينكم ويومئذ استبان ذل أهل الشام ورفعوا المصاحف ثم ارتحلوا فاعتصموا بحبل منيف وصاحوا لا ترد كتاب الله يا أبا الحسن فانك أولى به منا وأحق من أخذ به

(ما قال الاشعث بن قيس)

قال فأقبل الأشعث بن قيس فى أناس كثير من أهل اليمن فقالوا لعلى لا ترد ما دعاك القوم قد أنصفك القوم والله لئن لم تقبل هذا منهم لا وفاء معك ولا نرمى معك بسهم ولا حجر ولا نقف معك موقفا

(ما قال القراء)

قال فلما سمع علي قول الأشعث ورأى حال الناس قبل القضية وأجاب إلى الصلح وقام الى علي أناس وهم القراء منهم عبد الله بن وهب الراسبى فى أناس كثير قد اخترطوا سيوفهم ووضعوها على عواتقهم فقالوا لعلي اتق الله فانك قد أعطيت العهد وأخذته منا لنفنين أنفسنا ولنفنين عدونا أو يفىء إلى أمر الله وإنا نراك قد ركنت إلى أمر فيه الفرقة والمعصية لله والذل فى الدنيا فانهض بنا إلى عدونا فلنحاكمه الى الله بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين لا حكومة الناس

(ما قال عثمان بن حنيف)

ثم قام عثمان بن حنيف فقال يا أيها الناس اتهموا رأيكم فانا والله قد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو رأينا قتالا قاتلنا وذلك فى الصلح

الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة . فامض على القضية واتهم فى هذا الصلح

(ما قال الاشتر وقيس بن سعد)

قال فأنكرها الأشتر وقيس بن سعد وكانا أشد الناس على علي فيها قولا فكان الذين عملوا فى الصلح الأشعث بن قيس وعدى بن حاتم وشريح بن هاني وعمرو بن الحمق وزحر بن قيس ومن أهل الشام زيد بن أسد ومخارق بن الحارث وحمزه بن مالك فلما رأى ذلك أبو الأعور قام إلى معاوية فقال يا أمير المؤمنين إن القوم لا يجيبوا إلى ما دعوناهم اليه حتى لم يجدوا من ذلك بدا وانهم إن ينصرفوا العام يعودوا فى قبائل فى سنة يبرأ الجريح وينسى القتيل وقد أخذت بالحرب منا ومنهم غير أنهم اختلفوا على علي ولم يختلف عليك أحد والخلاف أشد من القتل ناجز القوم . فقال بشر بن ارطاه والله إن الشام خير من العراق لعلي وما فى يدك لك وما فى يد علي لأصحابه دونه فان كنت إنما سألت المدة لاعداد العدة وانتظار المدد فنعم وإن كنت سألتها بغضا للحرب وبقيا على أهل الشام فلا

(ذكر الاتفاق على الصلح وإرسال الحكمين)

قال وذكروا أن معاوية قال لأصحابه حين استقامت المدة ولم يسم الحكمين من ترون علياً نختار فأما نحن فصاحبنا عمرو بن العاص . قال عتبة بن أبي سفيان أنت أعلم بعلي منا فقال معاوية : إن لعلي خمسة رجال من ثقاته منهم عدى بن حاتم وعبد الله بن عباس وسعد بن قيس وشريح بن هانىء والأحنف بن قيس وأنا أصفهم لك : أما عباس فانه لا يقوى ، وأما عدى بن حاتم فيرد عمراً سائلا ويسأله مجيباً ، وأما شريح بن هانىء فلا يدع لعمرو حياضاً ، وأما الأحنف بن قيس فيلبسه كرويته ، وأما سعد بن قيس فلو كان من قريش بايعته العرب ومع هذا إن الناس

قد ملوا هذه الحرب ولم يرضوا إلا رجلا له تقية وكل هؤلاء لا تقية لهم ولكن انظروا أين أنتم من رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمنه أهل الشام وترضى به أهل العراق فقال عتبة ذلك أبو موسى الأشعرى

(اختلاف أهل العراق فى الحكمين)

قال وذكروا أن علياً لما استقام رأيه على أن يرسل عبد الله بن عباس مع عمرو ابن العاص قام اليه الأشعث بن قيس وشريح بن هانىء وعدى بن حاتم وسعد ابن قيس ومعهم أبو موسى الأشعرى فقالوا يا أمير المؤمنين هذا أبو موسى الأشعرى وافد أهل اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب مغانم أبى بكر وعامل عمر بن الخطاب وقد عرضنا على القوم ان عباس فزعموا أنه قريب القرابة منك ضنين فى أمرك وأيم الله لو لقيت به عمراً لأخذ بصره وغم صدره . ولكن الناس قد رضوا برجل يثق أهل العراق وأهل الشام بتقيته . فتكلم شبيب بن ربعى فقال أنا والله إن خفنا على أبى موسى من عمرو مالا يخافه أهل الشام على عمرو من أبى موسى فلعل ما خفناه لايضرنا ولعل ما يرجوا لاينفعهم فان قلت فى أبي موسى ضعف فضعفه وتقاه خير من قوة عمرو وفجوره فاغلق به البلاء وافتح به العافية ثم تكلم ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين انك جبت الله فأجبناك ولكنا نقول الله بيننا وبينك إن كنت تخشى من أبى موسى عجزاً فشر من ارسلت الخائن العاجز ، ولست نحتاج من عقله إلا الى حرف واحد أن لايجعل حقك لغيرك فيدرك حاجته منك . واعلم أن معاوية طليق الاسلام وأن أباه رأس الأحزاب وانه ادعى الخلافة من غير مشورة فان صدقك فقد حل خلعه وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه وإن ادعى أن عمر وعثمان استعملاه فقد صدق استعمله عمر وهو الوالى بمنزلة الطبيب من المريض يحميه ما يشتهى ويوجره ما يكرهه ثم استعمله عثمان وما كان من استعماله ثم لم يدع الخلافة ومهما نسيته فلا تنس أن

علياً بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وانها بيعة هدى ولم يقاتل إلا عاصياً أو ناكثاً . فقال أبو موسى : رحمك الله أما والله انى لواقف عند ما أرى ولرضاء الله تعالى أحب إلى من رضاء الناس وما أنا وأنت إلا بالله تعالى

(ماقال أهل الشام لأهل العراق)

قال وذكروا أن أهل الشام قالوا لأهل العراق اعطونا رجالا نسميهم لكم يكونون شهوداً على ما يقوله صاحبنا وصاحبكم بيننا وبينكم صحيفة فقال علي سموا من أحببتم فسموا ابن عباس والأشعث بن قيس وزياد بن كعب وشريح بن هانىء وعدى بن حاتم وحجر بن عدى وعبد الله بن الطفيل وسفيان بن ثور وعروة بن عامر وعبد الله بن حجر وخالد بن معمر وطلب أهل العراق من أهل الشام عتبة ابن أبي سفيان وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ويزيد ابن أسيد وأبا الأعور وحصين بن نمير وحمزه بن مالك ويسر بن أرطاه والنعمان بن بشير ومخارق بن الحارث فلما سمى أهل العراق رجال أهل الشام وسمى أهل الشام رجال أهل العراق قال معاوية أين يكون هذين الرجلين فرضى الناس أن يكونا بدومة الجندل

(ماقال الاحنف بن قيس لعلى)

قال فلم يبق إلا الكتاب قال الأحنف بن قيس لعلي يا أمير المؤمنين ان أبا موسى رجل يمانى وقومه مع معاوية فابعثنى معه فوالله لا يحل لك عقدة إلا عقدت لك أشد منها فان قلت انى لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابعث بن عباس وابعثنى معه

(ما قال على كرم الله وجهه)

فقال على أن الأنصار والقراء أتونى بأبى موسى فقالوا ابعث هذا فقد رضيناه ولا نريد سواه والله بالغ أمره

(الاختلاف فى كتاب صحيفة الصلح)

قال فوضع الناس السلاح والتقوا بين العسكرين فلما جيء بالكتاب قال علي اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم : هـذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان فقال معاوية على م قاتلناك إذ كنت أمير المؤمنين اكتب : على بن أبي طالب . فقال الأشعث اطرح هـذا الاسم فانه لايضرك فضحك علي ثم قال . دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين صده المشركون عن مكة فقال يا على اكتب هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله ومشركو قريش فقال سهيل بن عمر ولقد ظلمناك إذاً يا محمد ان قاتلناك وأنت رسول الله ولكن اكتب اسمك وإسم أبيك فقال صلى الله عليه وسلم اكتب محمد بن عبدالله رإنى رسول الله . وكنت إذ أمرني بشيء رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعت وإذا قال مشركو قريش أبطأت به واذا كتبت شيئاً قال نبي الله امح فتعاظمني ذلك . فدعا بمقراض فقرضته وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فقال أبو الأعور أو معاوية وعلى فقال الأشعث لا لعمر الله ولكن نبدأ بأولها إيماناً وهجرة وأدناهما من الغلبة فقال معاوية : قدموا وأخروا تقاضو على أن عليا ومن معه من شيعته من أهل العراق ومعاوية ومن معه من أهل الشام إنا ننزل عند حكم الله وكتابه من فاتحته الى خاتمته ما أحيا القرآن أحييناه وما أمات القرآن أمتناه فلما لم يجد عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص فى القرآن حكما بما يجدان فى السنة العادلة غير المفرقة وعلى على ومعاوية وتبيعتهما وضع السلاح الى انقضاء هذه وهى من رمضان الى رمضان وعلى أن عبدالله بن قيس وعمراً آمنان على دمائهما وأموالهما وحريمهما والأمة على ذلك أنصار وعليهما مثل الذى أخذا أن يقضيا بما فى كتاب الله تعالى ومالم يجدا فى كتاب الله تقضيا بما يجدان فى السنة وعليهما أن لا يؤخرا أمرهما عن هذه المدة فان أحبا أن لا يقولا أقبل

انقضائهـــا فلهما أن يقولا عن تراض منهما على أن يرجع أهل العراق الى العراق وأهل الشام الى الشام فيكون الاجتماع الى دومة الجندل فان رضيا أن يجتمعا بغيرهما فلهما ذلك ولهما أن لايحضرها إلامن أحبا ولا يشهدإلامن أرادا وهؤلاء النفر من اهل العراق وأهل الشام ضامنون بالوفاء الى هذه المدةفكتب أهل العراق بهذا كتابا لأهل الشام وكتب أهل الشام كتابا بهذا لأهل العراق عمرو بن عبادة كاتب معاوية وشهد شهود أهل الشام علىأهل العراق وشهد شهود أهل العراق على أهل الشام فلما كتب الكتابان أقبل برجل من بنى يشكر على فرس له أبلق حتى وقف بين الصفين على علي فقال أيا علي أكفر بعد إسلام ونقض بعد توكيد وردة بعد معرفة انا من صحيفتكما برىء ومن أقرها برىء ثم حمل على اصحاب معاوية فطعن فيهم حتى اذا عطش اتى عسكر على فاستسق فسقى ثم حمل على عسكر علي فطعن فيهم حتى إذا عطش أتى عسكر معاوية فاستسقى فسقى

(ماوصى به شريح بن هانىء أباموسى)

قال وذكروا ان شريح بن هانىء أخذ بيد أبى موسى فقال : يا أبا موسى أنك نصبت لأمر لايجبر صدعه ولا تستقال فلتته ومهما ثقل من شيء لك أو عليك يبت حقه ويزيل باطله انه لا بقاء لأهل العراق إن ملكها معاويةولا بأس لأهل الشام إن ملكها علي فانظر فى ذلك نظر من يعرف هذا الأمر حقا

(ماوصى به الاحنف بن قيس أباموسى)

قال ثم جاء الأحنف بن قيس فأخذ بيده ثم قال . يا أبا موسى أعرف خطب هذا المسير واعلم أن لك ما بعده وانك إن ضيعت العراق فلا عراق لك فاتق الله فانك تجمع بذلك دنيا وأخرى . اذا لقيت عمراً غدا فلا تبادره بالسلام فليس

من أهله ولا تعطيه يدك فانها أمانة وإياك أن تقعد على صدر الفراش فانها خدعة ولا تلقه وحدك وإياك أن يكلمك فى بيت فيه مخدع يخبأ لك فيه رجالا وإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلى فخيره أن يختار أهل العراق رجلا من قريش أهل الشام من شاؤا فانهم إن يولوا الخيار يختاروا من يريدون فان أبى فلتختار أهل الشام من قريش أهل العراق من شاؤا فان فعلوا كان الأمر بيننا

(ماقال معاوية لعمرو)

قال وذكروا أن معاوية قال لعمرو ان أهل العراق أكرهوا عليا على أبى موسى وأنا وأهل الشام راضون بك وأرجو فى دفع هذه الحرب قوة لأهل الشام وفرقة لأهل العراق وإمداداً لأهل اليمن وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى وله على ذلك دين وفضل فدعه يقول فاذا هو قال فاصمت واعلم أن حسن الرأى زيادة فى العقل ان خوفك العراق فخوفه بالشام وإن خوفك نصر فخوفه باليمن وإن خوفك عليا فخوفه بمعاوية وإن أتاك الجميل فاته بالجميل قال عمرو يا أمير المؤمنين أقلل الاهتمام بما قبلى وارج الله تعالى فيما وجهتنى له انك من أمرك على مثل حد السيف لم تنل فى حربك ما رجوت ولم تأمن ما خفت ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً وقد ذكرت لأبى موسى دينا وان الدين منصوراً رأيت أن ذكر عليا وجاءنا بالاسلام كالهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول فقال معاوية قل ما تريد وترى قال فانصرف عمرو الى منزله فقال لأصحابه هل ترون ما أراد معاوية من تصغير أبى موسى قالوا قال عرف انه خادعه غداً

(ماقال شرحبيل لعمرو)

قال وأتى شرحبيل بن السمط الى عمرو فقال يا عمرو انك رجل قريش وأن ومعاوية لم يبعثك إلا لثقته بك واعلم أنك لم تؤت من عجز وقد علمت أن

وطأة هذا الأمر لصاحبك ولك فكن عند ظننا بك

(اجتماع ابى موسى وعمرو)

قال وذكروا أن أبا موسى وعمرو لما اجتمعا بدومة الجندل وحضرهما من يليهما من العرب ليستمعوا قول الرجلين فلما التقيا استقبل عمرو أبا موسى فأعطاه يده وضم عمرو أبا موسى الى صدره فقال يا أخى قبح الله أمراً فرق بيننا ثم اقعد أبا موسى على صدر الفراش وأقبل عليه وجهه والناس مجتمعون فلم يزالا حتى تفرقا ومكثا أياما يلتقان فى أمرها سراً وجهراً وأقبل الاشعث بن قيس وكان من أحرص الناس على إتمام الصلح والراحة من الحرب فقال يا هذان إنا قد كرهنا هذه الحرب فلا ترداها الينا فانها مرة للرضاع وللفطام فكفاها بما شئتما

(ماقال سعيد بن قيس للحكمين)

قال فأقبل سعيد بن قيس وكان من النصحاء لعلي كرم الله وجهه فقال : أيها الرجلان أنى أراكما قد أبطأتما بهذا الأمر حتى آيس القوم منكما فان كنتما اجتمعتما على خير فأظهراه نسمعه ونشهد عليه وإن كنتما لم تجتمعا رجعنا الى الحرب

(ما قال عدى بن حاتم لعمرو)

قال وذكروا أن عديا قال لعمرو اما والله يا عمرو انك لغير مأمون الغناء وانك يا أبا موسى لغير مأمون الضعف وما ننتظر بالقول منكما إلا أن تقولا والله مالكما مع كتاب الله إيراد ولا صدر فقال أبو موسى كفوا عنا فانا إنما نقول فيما بقى ولسنا نقول فيما مضى

(ما قال عمرو لأبى موسى)

قال وذكروا أن عمرو غدا على أبى موسى فقال يا أبا موسى قد عرفت حال

معاوية فى قريش وشرفه فى بنى عبد مناف وانه ابن هند وابن أبى سفيان فما ترى فقال أبو موسى أما معاوية فليس بأشرف فى قريش من على ولو كان هذا الأمر على شرف الجاهلية كان أخوال ذى أصبح ولكننى أرى وترى وباعده ابو موسى ثم غدا عليه عمرو فقال يا أبا موسى ان قال قائل ان معاوية من الطلقاء وأبوه رأس الأحزاب لم يبايعه المهاجرون والأنصار فقد صدق وإذا قال ان علياً آوى قتلة عثمان وقتل أنصاره يوم الجمل وبرز على أهل الشام بصفين فقد صدق وفينا وفيكم بقية وان عادت الحرب ذهب مابقى فهل لك ان تخلعها جميعا وتجعل الأمر لعبد الله بن عمر فقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبسط فى هذه الحرب يداً ولا لسانا وقد علمت من هو مع فضله وزهده وورعه وعلمه فقال أبو موسى جزاك الله بنصيحتك خيراً وكان أبو موسى لايعدل بعبد الله بن عمر أحداً لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من أبيه لفضل عبد الله فى نفسه وافترقا على هذا الأمر واجتمع رأيهما على ذلك . ثم ان عمرو غدا على أبى موسى ناشدتك الله تعالى من أحق بهذا الأمر من أوفى أومن غدر قال أبو موسى من أوفى قال عمرو يا أبا موسى نشدتك الله تعالى ماتقول فى عثمان قال أبو موسى قتل مظلوماً قال عمرو فما الحكم فيمن قتل قال أبو موسى يقتل بكتاب الله تعالى قال فمن يقتله قال أولياء عثمان قال فان الله يقول فى كتابه العزيز « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا » قال فهل تعلم ان معاوية من أولياء عثمان قال نعم قال عمرو للقوم اشهدوا قال أبو موسى للقوم اشهدوا على مايقول عمرو ثم قال أبو موسى لعمرو قم ياعمرو فقل وصرح بما اجتمع عليه رأيى ورأيك وما اتفقنا عليه فقال عمرو سبحان الله أقوم قبلك وقد قدمك الله قبلى فى الايمان والهجرة وأنت وافد أهل اليمن إلى رسول الله ووافد رسول الله اليهم وبك هداهم الله وعرفهم شرائع دينه وسنة نبيه وصاحب مغانم أبى بكر وعمر ولكن قم أنت فقل ثم أقوم فأقول فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان خير الناس

للناس خيرهم لنفسه وانى لا اهلك دينى بصلاح غيرى ، ان هذه الفتنة قد أكلت العرب وانى رأيت وعمرو ان نخلع علياً ومعاوية ونجعلها لعبد الله بن عمر فانه لم يبسط فى هذه الحرب يداً ولا لسانا ثم قام عمرو فقال : أيها الناس هذا أبو موسى شيخ المسلمين وحكم أهل العراق ومن لا يبيع الدين بالدنيا قد خلع عليا وأثبت معاوية فقال أبو موسى مالك عليك لعنة الله ما أنت إلا كمثل الكلب تلهث فقال عمرو لكنك مثل الحمار يحمل أسفاراً . واختلط الناس فقالوا والله لو اجتمعنا على هذا ماحولتمانا عما نحن عليه وما صلحكما بلازمنا وانااليوم على ما كنا عليه أمس ولقد كنا ننظر إلى هذا قبل ان يقع وما أمات قولكما حقا ولا أحيا باطلا ثم تشاتم أبو موسى وعمرو ثم التفت عمرو إلى معاوية ولحق أبو موسى بمكة وانصرف القوم إلى علي فقال عدى أما والله ياأمير المؤمنين لقد قدمت القرآن وأخرت الرجال وجعلت الحكم لله فقال على اما انى قد أخبرتكم ان هذا يكون بالأمس وجهدت ان تبعثوا غير أبى موسى فأبيتم على ولا سبيل لحرب القوم . حتى تنقضى المدة . فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال . قم ياحسن فتكلم فى أمر هذين الرجلين أبى موسى وعمرو ، فقام الحسن فتكلم فقال : أيها الناس قد أكثرتم فى أمر أبى موسى وعمرو وإنما بعثنا ليحكما بالقرآن دون الهوى فحكما بالهوى دون القرآن فمن كان هكذا لم يكن حكما ولكنه محكوم عليه وقد كان من خطأ أبى موسى ان جعلها لعبد الله بن عمر فاخطأ فى ثلاث خصال خالف يعنى أبا موسى أباه عمر إذ لم يرضه لها ولم يره أهلا لها وكان أبوه علم به من غيره ولا أدخله فى الشورى إلا على لاشىء له فيها شرطا مشروطا من عمر على أهل الشورى فهذه واحدة ، وثانية لم تجمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الامامة ويحكمون على الناس ، وثالثة لم يستأمر الرجل فى نفسه ولا علم ماعنده من رد أو قبول . ثم جلس ثم قال علي لعبد الله بن عباس قم فتكلم فقام عبد الله بن عباس وقال أيها الناس ان للحق أناسا أصابوه بالتوفيق والرضا

والناس بين راض به وراغب عنه وإنما سار أبو موسى يهدى إلى ضلال وسار عمرو بضلال إلى هدى فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه ومضى عمرو على ضلاله فوالله لو كانا حكما عليه بالقرآن لقد حكما عليه ولئن كانا حكما بهواهما على القرآن ولئن مسكا بما سارا به لقد سار أبو موسى وعلي أمامه وسار عمرو ومعاوية أمامه ثم جلس فقال علي لعبد الله بن جعفر قم فتكلم فقام . وقال أيها الناس هذا أمر كان النظر فيه لعلي والرضا فيه إلى غيره وجئتم بأبي موسى فقلتم قد رضينا هذا فارض به وأيم الله ما أصلحا بما فعلا الشام ولا أفسدا العراق ولا أماتا حق علي ولا أحيا باطل معاوية ولا يذهب الحق قلة رأى ولا نفخة شيطان وانا لعلى اليوم كما كنا أمس عليه ثم جلس

(كتاب ابن عمر الى ابي موسى)

قال وذكروا أن عبد الله بن عمرو لما بلغه ما كان من رأى أبي موسى كتب اليه . أما بعد ياأبا موسى فانك تقربت إلى بأمر لم تعلم هواى فيه أكنت تظن أني أبسط يداً إلى أمر نهانى عنه عمر أو كنت ترانى أتقدم على علي وهو خير منى لقد خبت اذاً وخسرت وما أنا من المهتدين فأغضبت بقولك وفعلك عليا ومعاوية : ثم أعظم من ذلك خديعة عمرو إياك وأنت حامل القرآن ووافد أهل اليمن إلى نبي الله وصاحب مقاسم أبي بكر وعمر فقدمك عمرو للقول مخادعا حتى خلعت عليا قبل أن تخلع معاوية ولعمرى ما يجوز لك على علي ما جاز لعمرو على معاوية ولا ما جاز لنا عليه ولا كرهنا ما رضيت وأردت أن الحاكم بما يحكم الله بين الناس ولم تبلغ من خطيئتك عنده ما أمرك في خلاف هواه فلما أتى أبا موسى كتاب ابن عمر كتب اليه : أما بعد فاني والله ما أردت بذلك إلا الله عز وجل وأما تقلدى أمر هذه الأمة غير مستكره فانهم كانوا على مثل حد السيف فقات الى سنة محيا وممات إن

يصطلحوا فهو الذى أردت وإلا لم يرجعوا إلى أعظم مما كانوا عليه وأما إغضابى عليك علياً ومعاوية فقد غضبا عليك قبل ذلك ، وأما خديعة عمرو إياى فوالله ما ضر بخديعته عليا ولا نفع معاوية وقد كان الشرط ما اجتمعنا عليه لا ما اختلفنا فيه وأما نهي اليك فوالله لو تم الأمر لأكرهت عليه

(كتاب معاوية الى أبى موسى)

قال وذكروا أن معاوية كتب إلى أبى موسى بعد الحكومة وهو بمكة أما بعد فأكره من أهل العراق ما كرهوا منك وأقبل إلى الشام فانى خير لك من على والسلام

(جوابه)

فكتب اليه أبو موسى : أما بعد فانه لم يكن منى فى علي لا ما كان من عمرو فيك غير انى أردت بما صنعت وجه الله وأراد عمر بما صنع وقد كان بيني وبينه شروط عن تراض فلما رجع عمر رجعت وأما قولك أن الحكمين إذا حكما على أمر فليس للمحكوم عليه أن يكون بالخيار إنما ذاك فى الشاة والبعير ، وأما فى أمر هذه فليست تساق ولن تكره عجز عاجز ولا كيد كائد ولا خديعة فاجر . وأما دعاؤك إياى إلى الشام فليس لى بدل ولا إيثار عن قبر ابن إبراهيم أبي الأنبياء

(كتاب على الى ابى موسى)

قال وذكروا أنه لما بلغ علياً كتاب أبى موسى رق له وأحب أن يضمه اليه أما بعد فانك امرؤ ضلك الهوى واستدرجك الغرور فاستقل الله يقلك عثرتك فانه من استقال الله أقاله إن الله يغفر ولا يغير وأحب عباده اليه المتقون والسلام ، فلما انتهى كتاب علي إلى أبى موسى هم أن يرجع ثم قال لأصحابه انى امرؤ غلب

على الحياء ولا يستطيع هذا الأمر رجل فيه حياء

(جوابه)

فكتب أبو موسى إلى علي : أما بعد فلولا انى خشيت أن يؤل منع الجواب إلى أعظم مما فى نفسك لم أجبك لأنه ليس عذر ينفعنى ولا عذر يمنعنى منك وأما التزامى مكة فانى استفسرت إلى أهل الشام وانقطعت من أهل العراق وأصبت أقواماً صغروا من ذنبى ما عظمتم وعظموا من حقى ما صغرتم فأقمت بين أظهرهم إذ لم يكن لى منكم ولى ولا نصير

(ذكر قيام الخوارج على على بن ابى طالب كرم الله وجهه)

قال وذكروا أنه لما كان من الحكمين ما كان لقيت الخوارج بعضها بعضا فاجتمعوا فى منزل عبد الله بن وهب الراسبى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ما ينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون الى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق وإن ضر ومر فانه ان يضر ويمر فى هذه الدنيا فان ثوابه يوم القيامة رضوان الله وخلود الجنة فأخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدعة المضلة والأحكام الجائرة فقال . حرقوص بن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل وإن الفراق لها وشيك فلا تدعوكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها ولا تلوينكم عن طلب الحق وإنكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون يا قوم إن الرأى ما قد رأيتم والحق ما قد ذكرتم فكلوا أمركم رجلا منكم فانه لابد لكم من عماد وسناد ومن راية تحفون حولها وترجعون اليها ثم اجتمعوا فى منزل زفر بن حصين الطائى فقالوا إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق والجهاد فى تقويم السبيل وقد

قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد » وقال « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » فاشهدوا على أهل دعوتنا ان قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم القرآن وجاروا فى الحكم والعمل وإن جهادهم على المؤمنين فرض وأقسم بالذى تعلنو له الوجود وتخشع دونه الأبصار لو لم يكن أحد على تغيير المنكر وقتال القاسطين مساعداً لقاتلتهم وحدى فرداً حتى ألقى الله ربى فيرى انى قد غيرت ارادة رضوانه بلساني ياإخواننا اضربوا جباههم ووجوههم بالسيف حتى يطاع الرحمن عز وجل فان يطع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له الآمرين بأمره وإن قلتم فأى شىء أعظم من المسير إلى رضوان الله وجنته واعلموا أن هؤلاء القوم خرجوا لاقضاء حكم الضلالة فأخرجوا بنا إلى بلد تتعد فيه الاجتماع من مكاننا هذا فانكم قد أصبحتم بنعمة ربكم وأنتم أهل الحق بين الخلق إذ قلتم بالحق وصدعتم بقول الصدق فاخرجوا بنا إلى المدائن نسكنها فنأخذ بأبوابها ونخرج منها سكانها ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا فقال زيد بن حصين الطائى إن المدائن بها قوم يمنعونكم منها ويمنعونها منكم ولكن اكتبوا إلى إخوانكم من أهل البصرة فاعلموهم بخروجكم وسيروا أنتم على المدائن فتنزلوا بجسر النهر وإن قالوا هذا هو الرأى فاجتمعوا على ذلك وكتبوا إلى إخوانهم من أهل البصرة : أما بعد فانا أهل دعوتنا حكموا الرجال فى أمر الله ورضوا بحكم القاسطين على عباده فخالفناهم ونابذناهم نريد بذلك الوسيلة الى الله وقد قعدنا بجسر النهر وإن واجبنا إعلامكم لتأخذوا بنصيبكم من الأجر والسلام

(الجواب)

فكتبوا اليهم : أما بعد بلغنا كتابكم وفهمنا ما ذكرتم وقد وهبنا لكم الرأى

الذى جمعكم الله عليه من الطاعة وإخلاص الحكم لله وأعمالكم أنفسكم فيما يجمع الله به كلمتكم وقد أجمعنا على المسير اليكم عاجلا . وكان بدء خروجهم انهم اجتمعوا فى منزل حرقوص بن زهير ليلة الخميس فقالوا متى أنتم خارجون الليلة القابلة من يوم الجمعة فقال لهم حرقوص بل أقيموا ليلة الجمعة تتعبدوا لربكم وأوصوا فيها بوصايا كم ثم أخرجوا ليلة السبت مثنى ووحدانا لا يشعر بكم

(خطبة على كرم الله وجهه)

قالوا فلما خرج جميع الخوارج وتوافوا إلى النهر وان قام على بالكوفة على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان معصية العالم الناصح تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة بأمرى فأبيتم إلا ما أردتم فاحييا ما أمات القرآن وأماتا ما أحيا القرآن واتبع كل واحد منهما هواه يحكم بغير حجة ولا سنة ظاهرة واختلفا فى أمرهما وحكمهما فكلاهما لم يرشد الله فبرىء الله منهما ورسوله وصالحوا المؤمنين فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير ثم أصبحوا فى معسكركم يوم الاثنين بالنخيلة وإنما حكمنا من حكمنا ليحكما بالكتاب فقد علمتم أنهما حكما بغير الكتاب وبغير السنة ووالله لأغزونهم ولو لم يبق أحد غيرى لجاهدتهم . وأعطى الناس العطاء وهم بالجهاد

(كتاب على كرم الله وجهه للخوارج)

قالوا فأجمع رأى علي والناس على المسير إلى معاوية بصفين فتجهز معاوية وخرج حتى نزل بصفين وأصبح علي قد تجهز وعسكر فقيل له يا أمير المؤمنين انه قد افترقت منا فرقة فذهبت قال فكتب اليهم علي . أما بعد فان هذين الرجلين الخاطئين الحاكمين اللذين أرضيتهم حكمين قد خالفا كتاب الله واتبع هواهما بغير هدى من الله فلا يعملا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكما فبرىء الله منهما ورسوله

وصالح المؤمنين ؟ إذ بلغكم كتابنا هذا فاقبلوا الينا فانا سائرون إلى عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الذى كنا عليه والسلام . قال فكتبوا اليه : أما بعد فانك لم تغضب لله إنما غضبت لنفسك والله لا يهدى كيد الخائنين قال فلما رأى على كتابهم أيس منهم ورأى أن يدعهم ويمضى بالناس إلى معاوية وأهل الشام فيناجزهم فقام على خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان من ترك الجهاد وداهن فى أمر الله كان على شفا هلكة إلا أن يتداركه الله برحمته فاتقوا الله عباد الله قاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفىء نور الله قاتلوا الخاطئين القاتلين لأولياء الله المحرفين لدين الله الذين ليسوا بقراء للكتاب ولا فقهاء فى الدين ولا علماء بالتأويل ولا لهذا الأمر بأهل فى دين ولا سابقة فى الاسلام والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بعمل كسرى وقيصر . فسيروا وتأهبوا للقتال وقد بعثت لاخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم فاذا قدموا واجتمعتم شخصنا إن شاء الله

(كتاب على الى ابن عباس)

قالوا وقد كان علي قد كتب الى ابن عباس والى اهل البصرة أما بعد فانا أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل الشام فاشخص إلى من قبلك من الناس وأقم حتى اتيك والسلام

(ما قال ابن عباس الى أهل البصرة)

فلما قدم كتاب علي على ابن عباس فقرأه على الناس ثم أمرهم بالشخوص مع الأحنف بن قيس فشخص معه منهم ألف وخمسمائة رجل فاستقبلهم ابن عباس فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرنى بأشخاصكم فأمرتكم بالمسير مع الأحنف بن قيس فلم يشخص اليه منكم إلا ألف وخمسمائة وأنتم فى الديوان ستون ألفا سوى أبنائكم وعبد

أبناءكم وعبدانكم ومواليكم إلا فانفروا ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلا فانى موقع بكل من وجدته تخلف عن دعوته عاصيا لامامه حزناً يعقب ندما وقد أمرت أبا الأسود بحشدكم فلا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه إلا نفسه

(ما قال على كرم الله وجهه لأهل الكوفه)

قال فحشد أبو الأسود الناس بالبصرة فاجتمع اليه ألف وسبعمائة فأقبل هو والأحنف بن قيس حتى وافيا عليا بالنخيلة فلما رأى على أنه إنما قدم عليه من أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل جمع اليه رؤساء الناس، أمراء الأجناد ووجوه القبائل فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة أنتم إخوانى وأنصارى وأعوانى على الحق ومجيبى إلى جهاد المحلين ، بكم أضرب المدبر وأرجو إتمام طاعة المقبل ، وقد بعثت الى أهل البصرة فاستنفرتهم فلم يأتنى منهم غير ثلاثة آلاف ومائتين فأعينونى بمناصحة سمحة خلية من الغش وإنى آمركم أن يكتب الى رئيس كل قوم منكم ما فى عشيرته من المقاتلة وأبنائهم الذين أدركوا القتال والعبدان والموالى وارفعوا ذلك الى ننظر فيه إن شاء الله فقام سعد بن قيس الهمدانى فقال يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة وودا ونصيحة أنا أول وأول من أجابك بما سألت وطلبت ثم قام عدى بن حاتم وحجر بن عدى وأشراف القبائل فقالوا نحن كذلك ثم كتبوا ورفعوا الى على فكان جميع ما رفعوا اليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفا من الأبناء وثمانية آلاف من عبيدهم ومواليهم وكانت العرب يومئذ سبعة وخمسين ألفا من أهل الكوفة ومن مماليكهم ومواليهم ثمانية آلاف ومن أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل فقام على فيهم خطيبا فقال : أما بعد فقد بلغنى قولكم لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التى خرجت علينا فبدأنا بهم إلى أن غير هذه الخارجة أهم على أمير المؤمنين سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا فى الأرض جبارين ملوكا ويتخذهم المؤمنون أربابا ويتخذون عباد الله خولا ودعوا ذكر الخوارج قال :

فنادى الناس من كل جانب سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت فنحن حزبك وأنصارك نعادى من عاداك ونشايع من أناب اليك والى طاعتك فسر بنا الى عدوك كائناً من كان فانك لن تؤتى من قلة ولا ضعف فان قلوب شيعتك كقلب رجل واحد فى الاجتماع على نصرتك والجد فى جهاد عدوك فابشر المؤمنين بالنصر واشخص الى أى الفريقين أحببت فأنا شيعتك التى ترجو فى طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله فى خذلانك ، والمختلف عنك شديد الوبال

(ما قال على رضى الله عنه فى الخثعمى)

فبايعوه على التسليم والرضاء وشرط عليهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من خثعم فقال له علي . بايع على كتاب الله وسنة نبيه قال لا ولكن أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وسنة أبى بكر وعمر فقال علي وما يدخل سنة أبى بكر وعمر مع كتاب الله وسنة نبيه إنما كانا عاملين بالحق حيث عملا فأبى الخثعمى إلا سنة أبى بكر وعمر وأبى على أن يبايعه إلا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال له حيث ألح عليه تبايع قال لا إلا على ما ذكرت لك فقال له علي اما والله لكأنى بك قد نفرت فى هذه الفتنة وكأنى بحوافر خيلي قد شدخت وجهك فلحق بالخوارج فقتل يوم النهروان قال قبيصة فرايته يوم النهروان قتيلا وقد وطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه ومثلت به فذكرت قول علي وقلت لله در أبى الحسن ما حرك شفتيه قط بشىء إلا كان كذلك

(اجتماع علي للذهاب الى صفين)

فأجمع علي والناس على المسير الى صفين وتجهز معاوية حتى نزل صفين فلما

خرج علي بالناس عبر الجسر ثم مضى حتى نزل دير أبي موسى على شاطىء الفرات ثم أخذ على الانبار. وأن الخارجة التى خرجت على علي بينماهم يسيرون فاذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له فعبروا اليه الفرات فقالوا له من أنت قال أنا رجل مؤمن قالوا فما تقول فى على بن أبى طالب قال أقول انه أمير المؤمنين وأول المسلمين إيمانا بالله ورسوله قالوا فما إسمك قال أنا عبد الله بن خباب بن الارث صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له أفزعناك قال نعم قالوا لاروع عليك حدثنا عن أبيك بحديث سمعه من رسول الله لعل أن ينفعنا به قال نعم حدثنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: ستكون فتنة بعدى يموت فيهــا قلب الرجل كما يموت بدنه يمسى مؤمنا ويصبح كافراً فقالوا لهذا الحديث سألناك والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها لأحد فأخذوه وكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهى حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل فسقطت رطبه منها فأخذها بعضهم فقذفها فى فيه فقال لهم أحدهم بغير حل أو بغير ثمن أكلتها فألقاها من فيه اخترط بعضهم سيفه فضرب به خنزيراً لأهل الذمة فقتله قال له بعض أصحابه هذا من أن الفساد فى الأرض فلقى الرجل صاحب الخنزيرة فأرضاه من خنزيره فلما رأى منهم عبد الله بن خباب لئن كنتم صادقين فيما أرى ما علي منكم بأس والله ما أحدثت حدثا فى الاسلام وإنى لمؤمن وقد أمنتمونى وقلتم لاروع عليك فجاؤا به وبامرأته فاضجعوه على شفير النهر على ذلك الخنزير فذبحوه فسال دمه فى الماء ثم أقبلوا إلى امرأته فقالت: إنما أنا امرأة ألا تتقون الله قال فبقروا بطنها وقتلوا ثلاثة نسوة فيهم أم سنان قد صحبت النبى عليه السلام فبلغ عليا خبرهم فبعث اليهم الحارث بن مرة لينظر فيما بلغه من قتل عبد الله بن خباب والنسوة ويكتب اليه بالأمر فلما انتهى اليهم ليسائلهم خرجوا اليه فقتلوه فقال الناس يا أمير المؤمنين تدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفونا فى عيالنا وأموالنا سر بنا اليهم فاذا فرغنا منهم نهضنا الى عدونا إلى أهل الشام

(مسير علي الى الخوارج وما قال لهم)

قال فسار علي ومن معه حتى نزلوا المدائن ثم خرج حتى أتى النهروان فبعث اليهم : ان ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم انا أفارقكم واكف عنكم حتى القى أهل الشام فبعثوا اليه انا كلنا قتلنا كم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم ثم اتاهم علي فوقف عليهم فقال أيتها العصابة انى نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الأمة غداً وأنتم صرعى بازاء هذا النهر بغير برهان ولا سنة ألم تعلموا أنى نهيتكم عن الحكومة وأخبرتكم ان طلب القوم لها مكيدة وأنبأتكم ان القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قران واني أعرف بهم منكم قد عرفتم أطفالا وعرفتم رجالا فهم شر رجال وشر أطفال وهم أهل المكر والغدر وانكم ان فارقتمونى ورأبي جانبتم الخير والحزم فعصيتمونى وأكرهتمونى حتى حكمت فلما ان فعلت شرطت واستوثقت وأخذت على الحكمين ان يحيا ماأحيا القران وان يميتا ماأمات القرآن فاختلفنا وخالفا حكم الكتاب والسنة وعملا بالهوى فنبذا أمرهم ونحن على أمرنا الأول فما نبأكم ومن أين أتيتم . قالوا له انا حيث حكمنا الرجلين اخطأنا بذلك وكنا كافرين وقد تبنا من ذلك فان شهدت على نفسك بالكفر وتبت كما تبنا وأشهدنا فنحن معك ومنك وإلا فاعتزلنا وان أبيت فنحن منابذوك على سواء . فقال : علي أبعد أيماني بالله وهجرتي وجهادى مع رسول الله أبوء وأشهد على نفسى بالكفر لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين . ويحكم بما استحللتم قتالنا والخروج من جماعتنا ان اختار الناس رجلين فقال لهما انظر بالحق فيما يصلح العامة ليعزل رجل ويوضع آخر مكان آخر احل لكم ان تضعوا سيوفكم على عواتقكم تضربون بها هامات الناس وتسفكون دماءهم ان هذا لهو الخسران المبين: قال فتنادوا لاتخاطبوهم ولاتكلموهم تهيأوا للقاء الحرب الرواح الرواح إلى الجنة

(قتل الخوارج)

قال فرجع علي فعبأ أصحابه فجعل على الميمنة حجر بن عدى وعلى الميسرة شبث ابن ربعى وعلى الخيل أبا أيوب الأنصارى وعلى الرجالة أبا قتادة وعلى أهل المدينة وهم ثمانمائة رجل من الصحابة قيس بن سعد بن عبادة ووقف علي في القلب في مضر. قال ثم رفع لها راية أمان مع أبي أيوب الأنصارى فناداهم أبو أيوب من جاء منكم إلى هذه الراية فهو آمن ومن دخل المصر فهو آمن ومن انصرف الى العراق ومن خرج من هذه الجماعة فهو آمن فانه لاحاجة لنا فى سفك دمائكم . قال وقدم الخيل دون الرجالة وصف الناس صفين وراء الخيل وصف الرماة صفا أمام صف وقال لأصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم . قال وأقبلت الخوارج حتى إذا دنوا من الناس نادوا لا حكم إلا الله ثم نادوا الرواح الرواح إلى الجنة قال وشدوا على أصحاب علي شدة رجل واحد والخيل أمام الرجال فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل فخمدوا قال الثعلبي لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كأنهم معز اتقت المطر بقرونها ثم عطفت الخيل عليهم من الميمنة والميسرة ونهض علي فى القلب بالسيوف والرماح فلا والله مالبثوا فواقا حتى صرعهم الله كأنما قيل لهم موتوا فماتوا . قال وأخذ علي ما كان فى عسكرهم من كل شيء فاما السلاح والدواب فقسمه علي بيننا وأما المتاع والعبيد والاماء فانه حين قدم الكوفة رد على أهله . قال ولما أراد علي الانصراف من النهروان قام خطيباً فحمدالله ثم قال . أما بعد فان الله قد أحسن بلاءكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا إلى معاوية وأشياعه القاسطين الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون . فقالوا ياأمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت أذرعنا وتقطعت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا فارجع بنا بأحسن عدتنا ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عدتنا عدة فان ذلك أقوى لنا على عدونا

فأقبل علي بالناس حتى نزل بالنخيلة فعسكر بها وأمر الناس ان يلزموا معه عسكرهم ويوطنوا أنفسهم على الجهاد وإن يقلوا من زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوهم من أهل الشام فقاموا معه أياما ثم رجعوا يتسللون ويدخلون الكوفة ويتلذون بنسائهم وأبنائهم ولذاتهم حتى تركوا عليا وما معه إلا نفر من وجوه الناس يسير وترك العسكر خاليا

(خطبة علي كرم الله وجهه)

قال فقام علي على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده فاعدوا له ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى به وكيلا ثم تركهم أياما ودعا رؤسائهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذى ثبطهم فمنهم المعتل ومنهم المتكره . وأقلهم من نشط فقال لهم علي : عباد الله ما لكم اذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله اثا قلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ورضيتم بالذل والهوان من العز خلفا كلما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة وكانت قلوبكم قاسية فأنتم لا تعقلون وكأن أبصاركم كمة فأنتم لا تبصرون و لله أنتم ما أنتم إلا أسود رواعة وثعالب رواغة عند الناس تكادون ولا تكيدون وتنتقص أطرافكم فلا تحاشون وأنتم في غفلة ساهون ، أن أخا الحرب اليقظان و أما بعد فانا لي عليكم حقا ولكم علي حقا أما حقكم علي فالنصيحة في ذات الله وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كما تعلموا . وأما حق عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في الاجابة حين أدعوكم والطاعة حين امركم ، فان يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما اكره وترجعوا إلى ما أحب تنالوا بذلك ما تحبون وتدركوا ما تأملون ، أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم ماعزت دعوة

من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم كلامكم يوهى الصم وفعلكم يطمع فيكم عدوكم إذا أمرتكم بالمسير قلتم كيت وكيت أغاليل بأضاليل هيهات لا يدرك الحق إلا بالجد والصبر أى دار بعد داركم تمنعون ، ومع أى امام بعدى تقاتلون ، المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب أصبحت لا أطمع فى نصرتكم ولا أصدق قولكم ، فرق الله بينى وبينكم وأعقبنى بكم من خير لى وأعقبكم بعدى من شر لكم منى أما انكم ستلقون بعدى ذلا شاملا وسيفاً قاتلا واثرة يتخذها الظالمون بعدى عليكم سنة تفرق جماعتكم وتبكى عيونكم وتدخل الفقر بيوتكم ، تمنعون والله عندها ان لو رأيتمونى ونصرتمونى وستعرفون ما أقول لكم عما قليل . استنفرتكم فلم تنفروا ونصحت لكم فلم تنبلوا وأسمعتكم فلم تعو فأنتم شهود كاغياب وصم ذووا اسماع ، أتلو عليكم الحكمة وأعظكم بالموعظة النافعة وأحثكم على جهاد المحلين الظلمة الباغين فما آتى على أخر قولى حتى أراكم متفرقين إذ تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقا عمن تضربون الأمثال وتناشدون الأشعار تربت أيديكم وقد نسيتم الحرب واستعدادها وأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها وشغلتموها بالأباطيل والأضاليل ؟ ويحكم اغزوا عدوكم قبل ان يغزوكم فوالله ماغزى قوم قط فى عقر دارهم إلا ذلوا وأيم الله ما أظنكم تفعلون حتى يفعل بكم وأيم الله لوددت انى قد رأيتهم فلقيت على نيتى وبصيرتى فاسترحت من مقاساتكم ومداراتكم ، ويحكم ما أنتم إلا كابل جامحة ضل عنها رعاؤها فكلما ضمت من جانب انتشرت من جانب والله لكأنى أنظر اليكم وقد حمى الوطيس لقد انفرجتم على انفراج الرأس وانفراج المرأة عن قبلها ، فقام اليه الأشعث بن قيس الكندى فقال . ياأمير المؤمنين أفهلا فعلت كما فعل عثمان قال علي ويلك وكما فعل عثمان رأيتنى فعلت عائذا بالله من شر ماتقول والله ان الذى فعل عثمان لمخزأة على من لادين له ولاحجة معه فكيف وأنا على بينة من ربي والحق معى والله ان امرأ أمكن عدوه من نفسه فنهش عظمه وسفك دمه لعظيم عجزه وضعيف

قلبه أنت يابن قيس فكن ذلك فأما أنا فوالله دون اعطى ذلك ضربا بالمشرفى يطير له فراش الرأس وتطيح منه الأكف والمعاصم وتجد به الغلاصم ويفعل الله بعد ذلك مايشاء والله ياأهل العراق ماأظن هؤلاء القوم من أهل الشام إلا ظاهرين عليكم ، فقالوا أبعلم تقول ذلك ياأمير المؤمنين ؟ فقال نعم والذى فاق الحبة وبرأ النسمة إنى أرى أمورهم قد علت وأرى أموركم قد خبت وأراهم جادين فى باطلهم وأراكم وانين فى حقكم وأراهم مجتمعين وأراكم متفرقين وأراهم لصاحبهم معاوية مطيعين وأراكم لى عاصيين ، أما والله لئن ظهروا عليكم بعدى لتجدنهم أرباب سوء كأنهم والله عن قريب قد شاركوكم فى بلادكم وحملوا إلى بلادهم منكم ، وكأنى أنظر اليكم تكشون كشيش الضباب لاتأخذون الله حقاً ولا تمنعون له حرمة وكأنى أنظر اليهم يقتلون صلحاءكم ويخيفون علماءكم وكأنى أنظر اليكم يحرمونكم ويحجبونكم ويدنون الناس دونكم فلو قد رأيتم الحرمان ولقيتم الذل والهوان ووقع السيف ونزل الخوف لندمتم وتحسرتم على تفريطكم فى جهاد عدوكم وتذكرتم ماأنتم فيه من الخفض والعافية حين لاينفعكم التذكار فقال الناس قد علمنا ياأمير المؤمنين ان قولك كله وجميع لفظك يكون حقاً أترى معاوية يكون علينا أميراً ؟ فقال لاتكرهون أمرة معاوية فان أمرته سلم وعافية فلو مات رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل وعدا كان مفعولا ، فأما أمرة معاوية فلست أخاف عليكم شرها مابعدها أدهى وأمر ثم قام أبو أيوب الأنصارى فقال : إن أمير المؤمنين أكرمه الله قد أسمع من كانت له أذن واعية وقلب حفيظ ان الله قد أكرمكم به كرامة ماقبلتموها حق قبولها حيث نزل بين أظهركم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده يفقهكم فى الدين ويدعوكم إلى جهاد المحلين ؟ فوالله لكأنكم صم لاتسمعون وقلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون عباد الله أليس انما عهدكم بالجور والعدوان أمس وقد شمل العباد وشاع فى الاسلام فذو حق محروم ومشتوم

عرضه ومضروب ظهره وملطوم وجهه وموطوء بطنه وملق بالعراء فلما جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحق ونشر العدل وعمل بالكتاب فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تتولوا مجرمين ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ، أشحذوا السيوف وجددوا آلة الحرب واستعدوا للجهاد فاذا دعيتم فأجيبوا وإذا أمرتم فأطيعوا تكونوا بذلك من الصادقين قال ثم قام رجال من أصحاب علي فقالوا : يا أمير المؤمنين أعط هؤلاء هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي ممن يتخوف خلافه على الناس وفراقه وإنما قالوا له هذا الذى كان معاوية يصنعه بمن أتاه وإنما عامة الناس همهم الدنيا ولها يسعون وفيها يكدحون فاعط هؤلاء الأشراف فاذا استقام لك ما تريد عدت إلى أحسن ما كنت عليه من القسم : فقال علي أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من الاسلام فوالله لا أفعل ذلك ما لاح في السماء نجم ، والله لو كان لهم مال لسويت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم . فقال رجل يا أمير المؤمنين إن الموت نازل لابد منه فان حل فمن صاحبنا فقال علي أحدثك عن خاصة نفسي أما الحسن فصاحب خوان وفتى من الفتيان ولو قد التقت حلقتا البطان لم يغني عنكم فى الحرب حثالة عصفور ، وأما ابن أخي عبد الله بن جعفر فصاحب لهو ، وأما الحسين ومحمد ابناى فأنا منهم وهما مني ؟ والله لقد أجرت أن يدال هؤلاء القوم عليكم باصلاحهم في أرضهم وفسادكم فى أرضكم وادائهم الأمانة لمعاوية وخيانتكم وبطاعتهم له ومعصيتكم لي واجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم . وأيم الله لا يدعوا بعدى محرما إلا استحلوه ولا يبقى بيت وبر ولا مدر إلا أدخلوه ظلمهم حتى يقوم الباكيان منكم باك لدينه وباك لدنياه ، وحتى تكون نصرة أحدكم كنصرة العبد لسيده إذا شهد أطاعه وإذا غاب سبه ؛ فقال رجل يا أمير المؤمنين أتظن ذلك كائنا قال ما هو بالظن ولكنه باليقين

(ما كتب علي لاهل العراق)

قال فقام حجر بن عدى وعمرو بن الحمق وعبد الله بن وهب الراسبي فدخلوا على علي فسألوه عن أبي بكر وعمر ما تقول فيهما وقالوا بين لنا قولك فيهما وفى عثمان قال علي كرم الله وجهه أو قد تفرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتى فيها قد قتلت انى مخرج اليكم كتابا أنبئكم فيه ما سألتمونى عنه فاقرأوه على شيعتى فأخرج اليهم كتابا فيه : أما بعد فان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نذيراً للعالمين وأمينا على التنزيل وشهيداً على هذه الأمة وأنتم يا معشر العرب على غير دين وفى شر دار تسفكون دماءكم وتقتلون أولادكم وتقطعون أرحامكم وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل فمن الله عليكم فبعث محمداً اليكم بلسانكم فكنتم أنتم المؤمنون وكان الرسول فيكم أو منكم تعرفون وجهه ونسبه فعلمكم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض وأمركم بصلة الرحم وحقن الدماء واصلاح ذات بينكم وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وأن توفوا بالعهد وان تعاطفوا وتبادروا وتراحموا ونهاكم عن التظالم والتحاسد والتقاذف والتباغى وعن شرب الحرام وعن بخس المكيال والميزان ، وتقدم اليكم فيما أنزل عليكم أن لا تزنوا ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلما فكل خير يبعدكم عن النار قد حضكم عليه وكل شر يبعدكم عن الجنة قد نهاكم عنه فلما استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدته من الدنيا توفاه الله وهو مشكور سعيه مرضى عمله مغفور له ذنبه شريف عند الله نزله : فيا لموته مصيبة خصت الأقربين وعمت المؤمنين ! فلما مضى تنازع المسلمون الأمر بعده فوالله ما كان يلقى فى روعى ولا يخطر على بالى أن العرب تعدل هذا الأمر عنى فما راعنى إلا إقبال الناس على أبى بكر وأجفالهم عليه فأمسكت يدى ورأيت انى أحق بمقام محمد فى الناس ممن تولى الأمور على فلبثت بذلك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون الى

محو دين محمد وملة إبراهيم عليهما السلام فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى في الاسلام ثلما وهدما تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولاية أمركم التى إنما هي متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، فمشيت عند ذلك الى أبي بكر فبايعته ونهضت معه فى تلك الأحداث حتى زهق الباطل وكانت كلمة الله هى العليا وإن يرغم الكافرون . فتولى أبو بكر رضى الله عنه تلك الأمور فيسر وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا وبايعنا وناصحنا فتولى تلك الأمور فكان مرضى السيرة ميمون النقيبة أيام حياته ، فلما احتضر قلت فى نفسى ليس يصرف هذا الأمر عنى فجعلنا عمر شورى وجعلنى سادس ستة فما كانوا لولاية أحد منهم بأكره منهم لولايتى لأنهم كانوا يسمعوننى وأنا أحاجج أبا بكر فأقول يامعشر قريش أنا أحق بهذا الأمر منكم ما كان منا من يقرأ القران ويعرف السنة فخشوا إن وليت عليهم أن لا يكون لهم فى هذا الأمر نصيب فبايعوا اجتماع رجل واحد حتى صرفوا الأمر عنى لعثمان فاخرجونى منها رجاء أن يتداولوها حين يئسوا أن ينالوها ثم قالوا لى هلم فبايع عثمان والا جاهدناك فبايعت مستكرها وصبرت محتسبا وقال قائلهم إنك يابن أبى طالب على الأمر لحريص قلت لهم أنتم أحرص أما أنا إذا طلبت ميراث ابن أبي وحقه وأنتم دخلتم بيني وبينه وتصرفون وجهى دونه اللهم إنى أستعين بك على قريش فانهم قطعوا رحمى وصغروا عظيم منزلتى وفضلي واجتمعوا على منازعتى حقاً كنت أولى به منهم ثم قال اصبر كمداً وعش متأسفا فنظرت فاذا ليس معى رفاقة ولا مساعد إلا أهل بيتى فضننت بهم عن الهلاك فأغضيت عينى عن القذى وتجرعت ريقى على الشجا وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم طعما وآلم للقلب من حر الحديد ، حتى اذا أنقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ثم جئتمونى تبايعونى فأبيت عليكم وأبيتم علي فنازعتمونى ونافستمونى ولم أمد يدى تمنعاً عنكم

ثم ازدحمتم علي حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعض أو أنكم قاتلي وقلتم لانجد غيرك ولا نرضى إلا بك فبايعنا الا نفترق ولا نختلف فبايعتكم ودعوتم الناس إلى بيعتي فمن بايع طائعاً قبلت منه ومن أبى تركته فأول من بايعني طلحة والزبير ولو أبيا ما كرهتهما كما لم أكره غيرهما فما لبثا إلا يسيراً حتى قيل لى قد خرجا متوجهين الى البصرة فى جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطانى الطاعة وسمح لى بالبيعة فقاموا على عمالى بالبصرة وخزائن بيوت أموالى وعلى أهل مصر وكلهم فى طاعتى وعلى شيعتى فشتتوا كلمتهم وأفسدوا على جماعتهم ثم وثبوا على شيعتى فقتلوا طائفة منهم غدراً وطائفة صبراً وطائفة عصراً بأسيافهم فضاربوهم حتى لقوا الله صابرين محتسبين فوالله لو لم يصيبوا منهم إلا رجلا واحداً متعمدين لقتله لحل لى بذلك قتل الجيش كله مع انهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التى دخلوا عليهم بها فقد أدال الله منهم فبعداً للقوم الظالمين ثم نظرت بعد ذلك فى أهل الشام فاذاهم أعراب وأحزاب وأهل طمع جفاة تجمعوا من كل أوب ممن ينبغى أن يؤدب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان ينضحونهم بالنبل ويشجونهم بالرماح فهنالك نهضت اليهم فقاتلتهم فلما عضهم السلا ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم الى ما فيها فنبأتكم انهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وإنما رفعوها اليكم خديعة ومكيدة فامضوا على قتالهم ، فاتهمتمونى وقلتم أقبل منهم فانهم ان أجابوا الى مافى الكتاب جامعونا على مانحن عليه من الحق وإن أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم ، فقبلت منهم وخففت عنهم وكان صلحى بينهم على رجلين حكمين يحييان ما أحيا القرآن ويميتان ما أمات القرآن فاختلف رأيهما وتفرق حكمهما ونبذا حكم القرآن وخالفا مافى الكتاب واتبعا هواها بغير هدى من الله فجنبهما الله السداد وأهوى بهما فى غمرة الضلال وكانا أهل ذلك فانخذلت عنا فرقة منهم فتركناهم ما تركونا حتى اذا عاثوا فى الأرض مفسدين وقتلوا المؤمنين أتيناهم فقلنا لهم ادفعوا لنا قتلة إخواننا فقالوا كلنا قتلهم

وكانا استحللنا دماءهم ودماؤكم وشدت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله مصارع القوم الظالمين ثم أمرتكم أن تمضوا من فوركم الى عدوكم فانه أفزع لقلوبهم وأنهك لمكرهم وأهتك لكيدهم فقلتم كلت أذرعنا وسيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فأذن لنا فلنرجع حتى نستعد بأحسن عدتنا وإذا رجعت زدت فى مقاتلتنا عدة من هلك منا ومن قد فارقنا فان ذلك قوة منا على عدونا فأقبلتم حتى اذا أطللتم على الكوفة أمرتكم أن تلزموا معسكركم وتضموا قواصيكم وتتوطنوا على الجهاد ولا تكثروا زيارة أولادكم ونسائكم فان ذلك يرق قلوبكم ويلويكم وأن أصحاب الحرب لايتوحدون ولا يتوجعون ولا يسأمون من سهر ليلهم ولا من ظمأ نهارهم ولا من خمص بطونهم حتى يدركوا بأرهم وينالوا بغيتهم ومطلبهم فنزلت طائفة منكم معذرة ودخلت طائفة منكم المصر عاصية فلا من نزل معى صبر فثبت ولا من دخل المصر عاد إلى ، ولقد نظرت الى عسكرى وما فيه معى منكم الاخمسون رجلا فلما رأيت ما أتيتم دخلت اليكم فما قدرتم أن تخرجوا معى إلى يومكم هذا ، لله اباؤكم فما تنتظرون اما ترون الى أطرافكم قد انتقصت والى مصركم قد افتتح فما بالكم تؤفكون ، الا ان القوم قد اجتمعوا وجدوا وتناصحوا وانكم تفرقتم واختلفتم وتغاششتم فأنتم إن اجتمعتم تسعدون فايقظوا رحمكم الله نائمكم وتحرزوا الحرب عدوكم إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء من أسلم كرهاً وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حربا ، أعداء السنة والقرآن وأهل الأحزاب والبدع والاحداث ومن كانت بوائقه تتقى وكان عن الدين منحرفا وأكلة الرشا وعبيد الدنيا لقد نمى الى أن ابن الباغية لم يبايع معاوية حتى شرط عليه أن يؤتيه أتاوة هى أعظم مما فى يديه من سلطانه ، فصفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا وتربت هذا المشترى نصرة غادر فاسق بأموال الناس وان منهم لمن شرب فيكم الخمر أو جلد حداً فى الاسلام ، فهؤلاء قادة القوم ومن تركت ذكر مساويه منهم شر وأضر وهؤلاء الذين لو ولوا عليكم لأظهروا فيكم الغضب

والفخر والتسلط بالجبروت والتطاول بالغضب والفساد فى الأرض ولا تبعوا الهوى وما حكموا بالرشاد وأنتم على ما فيكم من تخاذل وتواكل خير منهم وأهدى سبيلا ، فيكم الحكماء والعلماء والفقهاء وحملة القرآن والمجتهدون بالأسحار والعباد والزهاد فى الدنيا وعمار المساجد وأهل تلاوة القرآن أفلا تسخطون وتنقمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والأراذل والأشرار منكم. اسمعوا اذا قلت أطيعوا أمرى إذا أمرت واعرفوا نصيحتى اذا نصحت واعتقدوا حزمى اذا حزمت والزموا عزمى اذا عزمت وانهضوا نهوضى وقارعوا من قارعت ولئن عصيتمونى لا ترشدوا ولا تجتمعوا ، خذوا للحرب أهبتها وأعدوا لها التهيأ فانها قد وقدت نارها وعلا سناها وتجرد لكم الظالمون كيما يطفئوا نور الله ويقهركم ، عباد الله الا انه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاء باولى فى الجد فى غيهم وضلالهم وباطلهم من أهل النزاهة والحق والاخبات بالجد فى حقهم وطاعة ربهم ومناصحة امامهم إنى والله لو لقيتهم وحيداً منفرداً وهم فى أهل الأرض أن باليت بهم أو استوحشت منهم إنى فى ضلالهم الذى هم فيه والهدى الذى أنا عليه لعلى بصيرة ويقين وبينة من ربى وإنى للقاء ربى لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راجٍ ولكن أسفاً يعترينى وجزعا يريبنى من أن يلي هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذون مال الله دولا وعباد الله خولا والصالحين حرباً والفاسطين حزبا ، وأيم الله لولا ذلك ما أكثرت تأليبكم وتحريضكم ولتركتكم فوالله أنى لعلى الحق وأنى للشهادة لمحب إنا نافر بكم إن شاء الله فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم فى سبيل الله إن الله مع الصابرين

(مقتل على عليه السلام)

قال المدائنى حج ناس من الخوارج سنة تسع وثلاثين وقد اختلف عامل على وعامل معاوية فاصطلح الناس على شيبب بن عثمان فلما انقضى الموسم أقام النفر

من الخوارج مجاورين بمكة فقالوا كان هذا البيت معظما فى الجاهلية جليل الشأن فى الاسلام وقد أنهك هؤلاء حرمته فلو ان قوما شروا أنفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد أفسدوا فى الأرض واستحلا حرمة هذا البيت استراحت الأمة واختار الناس لهم اماماً . فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله أنا أكفيكم علي ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك أنا أقتل معاوية فقال زادويه مولى بنى العنبر واسمه عمرو بن بكر والله ماعمرو بن العاص بدونهما فأنا به . فتعاقدوا على ذلك ثم اعتمروا عمرة رجب واتفقوا يوم واحد يكون فيه وقوع القتل منهم فى علي ومعاوية وعمرو ثم ساروا كل منهم فى طريقه فقدم ابن ملجم الكوفة وكتم أمره وتزوج امرأة يقال لها فطام بنت علقمة وكانت خارجية وكان علي قد قتل أخاها فى حرب الخوارج وتزوجها على ان يقتل علياً فأقام عندها مدة فقالت له فى بعض الأيام وهو مختف : لطالما أحببت المكث عند أهلك وأضربت عن الأمر الذى جئت بسببه فقال إن لى وقتا واعدت فيه أصحابى وان أجاوزه فلما كان اليوم الذى تواعدوا فيه خرج عدوا الله فقعد لعلي حين خرج لصلاة الصبح صبيحة نهار الجمعة ليلة عشر بقيت من رمضان سنة أربعين فلما خرج علي للصلاة وثب عليه وقال الحكم لله لا لك ياعلي وضربه على قرنه بالسيف فقال علي فزت ورب الكعبة ثم قال لايفوتكم الرجل فشد الناس عليه فأخذوه وكان علي رضى الله عنه شديد الأدمة ثقيل العينين ضخم البطن أصلع ذا عضلات فى أذنيه شعر يخرج منها وكان إلى القصر أقرب . وكان ابن ملجم يعرض سيفه فاذا أخبر ان فيها عيباً أصلحه فلما قتل عليا قال لقد أحددت سيفى بكذا وكذا وسممته بكذا وكذا وضربت به عليا ضربة لو كانت بأهل المصر لأتت عليهم . وروى عن الحسن انه قال أتيت أبى فقال لى أرقت الليلة ثم ملكتنى عينى فسنح لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأولاد واللدد فقال ادع عليهم فقلت اللهم أبدلنى بهم خيراً لى منهم وأبدلهم بى شراً لهم منى

وخرج إلى الصلاة فاعترضه ابن ملجم ، وادخل ابن ملجم على على بعد ضربه إياه فقال أطيبوا طعامه وألينوا فراشه فان أعش فأنا ولى دمى إما عفوت وإما قصصت وان مت فالحقوه بى ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين قالوا وبكت أم كلثوم وقالت لابن ملجم ياعدو الله قتلت أمير المؤمنين قال ماقتلت أمير المؤمنين ولكنى قتلت أباك قالت والله إنى لأرجو ان لا يكون عليه بأس قال ولم تبكين إذاً ؟ والله لقد أرهفت السيف ونفيت الخوف وجبت الأجل وقطعت الأمل وضربت ضربة لو كانت بأهل الشرق لأتت عليهم ومكث على يوم الجمعة ويوم السبت وتوفى يوم الأحد وغسله الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وصلى عليه الحسن ابنه ودفن فى قصر الامارة بالكوفة وعمى قبره مخافة ان تنبشه الخوارج وقيل انه نقل بعد صلح معاوية والحسن إلى المدينة وأخذ ابن ملجم فقطعت يديه ورجليه وأذنيه وأنفه وأتوا يقطعون لسانه فصرخ فقيل له قد قطعت منك أعضاء ولم تنطق فلما أتوا يقطعون لسانك صرخت قال إنى أذكر الله به فلم يسهل على قطعه ثم قتلوه بعد هذه المثلة . وكانت خلافته على أربع سنين وتسعة أشهر ؛ وكان عمره ثلاثا وستين سنة . وأما البرك فانه انطلق ليلة ميعادهم فقعد لمعاوية فلما خرج لصلاة الصبح شد عليه بسيفه فأدبر معاوية فضرب رانفة اليته ففلقها ووقع السيف فى لحم كثير وأخذ فقال لمعاوية ان لك عندى لخبرا ساراً قد قتل الليلة على وحدثه الحديث وعولج معاوية فبرىء وأمر بقتل البرك وقيل ضرب البرك معاوية وهو ساجد فمذ ذاك جعل الحرس على رؤس الخلفاء واتخذ معاوية المقصورة . وأما الثالث فقصد عمرو بن العاص ليلة الميعاد فلم يخرج تلك الليلة لعلة وجدها فى بطنه وصلى بالناس خارجة بن جزافة العدوى فشد عليه الخارجى وهو يظن انه ابن العاص فقتله وأخذ فأتى به عمرو بن العاص فلما رآه قال ومن المقتول قالوا خارجة فقال أردت عمراً وأراد الله خارجة ثم قال لعمرو بن العاص الحديث

وما كان من اتفاقه مع صاحبه فأمر بقتله . فلما قتل على تداعى أهل الشام إلى بيعة معاوية وقال له عبد الرحمن بن خالد بن الوليد نحن المؤمنون وأنت أميرنا فبايعوه وهو بايليا لخمس ليال خلون من شوال سنة أربعين

(فصل)

روى عن النبي عليه السلام أنه قال : يا علي أتدرى من أشق الأولين والآخرين قال الله ورسوله أعلم قال أشق الأولين عاقر الناقة وأشقى الآخرين الذى يطعنك يا علي وأشار إلى حيث طعن قال وخرج على فى ليلة قتل وهو يقول :

أشدد حيازيمك للمو * ت فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت * إذا حل بواديكا

وقال الشاعر فى قتل ابن ملجم عليا :

تضمن للآثام لادر دره * ولاقى عقابا غير ما منصرم
فلا مهر أغلى من على وإن غلا * ولا فتك دون فتك ابن ملجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المصمم

قال هبيرة بن شريم : سمعت الحسن رضى الله عنه يخطب فذكر أباه وفضله وسابقته ثم قال والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشترى بها خادما . وجاء رجل من مراد إلى على فقال له يا أمير المؤمنين احترس فان هنا قوما يريدون قتلك فقال إن لكل إنسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خلياه قيل ولما ضرب على دعى أولاده وقال لهم : عليكم بتقوى الله وطاعته وإلا تأسوا على ما صرف عنكم منها وانهضوا إلى عبادة ربكم وشمروا عن ساق الجد ولا تثاقلوا الى الأرض وتقربوا بالخسف وتبوءوا بالذل اللهم أجمعنا وإياهم على الهدى وزدنا وإياهم فى الدنيا واجعل الآخرة خيراً لنا ولهم من الأولى والسلام

(بيعة الحسن بن على رضى الله عنه لمعاوية)

قال وذكروا أنه لما قتل على بن أبى طالب ثار الناس إلى الحسن بن على بالبيعة فلما بايعوه قال لهم تبايعون لى على السمع والطاعة وتحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت فلما سمعوا ذلك ارتابوا وأمسكوا أيديهم وقبض هو يده فأتوا الحسين فقالوا له أبسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك وعلى حرب المحالين الضالين أهل الشام فقال الحسين معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حيا قال فانصرفوا الى الحسن فلم يجدوا أبداً من بيعته على ما شرط عليهم فلما تمت البيعة له وأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك كاتب معاوية فأتاه فخلا به فاصلح معه على أن لمعاوية الامامة ما كان حيا فاذا مات فالأمر للحسن فلما تم صلحهما صعد الحسن إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان الله هدى أولكم بأولنا وحقن دمائكم باخرنا وكانت لى فى رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت وقد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين وأشار إلى معاوية

(إنكار سليمان بن صرد)

قال وذكروا أنه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق وانصرف راجعا إلى الشام أتاه سليمان بن صرد وكان غائبا عن الكوفة وكان سيد أهل العراق ورأسهم فدخل على الحسن فقال السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال الحسن وعليك السلام اجلس لله أبوك قال فجلس سليمان . أما بعد فان تعجبنا لا ينقضى من بيعتك معاوية ومعك مائة ألف مقاتل من أهل العراق وكلهم يأخذ العطاء مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز ثم لم تأخذ لنفسك بقية فى العهد ولا حظا من القضية فلو كنت إذاً فعلت ما فعلت وأعطاك ما أعطاك بينك

وبينه من العهد والميثاق كنت كتبت عليك بذلك كتابا وأشهدت عليه شهودا من أهل المشرق والمغرب إن هذا الأمر لك من بعده كان الأمر علينا أيسر ولكنه أعطاك هذا فرضيت به من قوله ثم قال وزعم على رؤوس الناس ما قد سمعت اني كنت شرطت لقوم شروطا ووعدتهم عدات ومنيتهم أماني ارادة أطفاء نار الحرب ومداراة لهذه الفتنة إذ جمع الله لنا كلمتنا وألفتنا فان كل ما هنالك تحت قدمي هاتين ووالله ما أعنى بذلك إلا نقض ما بينك وبينه فاعد للحرب خدعة وأذن لى أشخص إلى الكوفة فاخرج عامله منها وأظهر فيها خلعه وانبذ اليه على سواء إن الله لا يهدى كيد الخائنين ثم سكت فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته وكلهم يقول ابعث سليمان بن صرد وابعثنا معه ثم ألحقنا اذا علمت أنا قد أشخصنا عامله وأظهرنا خلعه فتكلم الحسن فحمد الله ثم قال : أما بعد فانكم شيعتنا وأهل مودتنا ومن نعرفه بالنصيحة والاستقامة لنا وقد فهمت ما ذكرتم ولو كنت بالحزم فى أمر الدنيا وللدنيا اعمل وانصب ما كان معاوية بأبأس منى وأشد شكيمة ولكان رأيي غير ما رأيتم سلكني اشهد الله وإياكم انى لم أرد بما رأيتم إلا حقن دمائكم وإصلاح ذات بينكم فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله والزموا بيوتكم وكفوا أيديكم حتى يستريح من برأو يستراح فاجر مع أن أبي كان يحدثنى أن معاوية سيلي الأمر فوالله لو سرنا اليه بالجبال والشجر ماشككت إنه سيظهر إن الله لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ؛ وأما قولك يا مذل المؤمنين فوالله لئن تذلوا وتعافوا أحب الى من أن تعزوا وتقتلوا فان رد الله علينا حقنا فى عافية قبلنا وسألنا الله العون على أمره وإن صرفه عنا رضينا وسألنا الله أن يبارك فى صرفه عنا فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حيا فان يهلك ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمة على رشدنا والمعونة على أمرنا وأن لا يكلنا الى أنفسنا فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

(كراهية الحسين رضى الله عنه للبيعة)

قال ثم خرج سليمان بن صرد من عنده فدخل على الحسين فعرض عليه ماعرض على الحسن وأخبره بما رد عليه الحسن فقال الحسين ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حيافانها بيعة كنت والله لها كارها فان هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم

(ما أشار به المغيرة بن شعبة على معاوية من البيعة ليزيد)

قال وذكروا انه لما استقامت الأمور لمعاوية استعمل على الكوفة المغيرة بن شعبة ثم هم ان يعزله ويولى سعيد بن العاص فلما بلغ ذلك المغيرة قدم الشام على معاوية فقال يا أمير المؤمنين قد علمت ما لقيت هذه الأمة من الفتنة والاختلاف وفى عنقك الموت وأنا أخاف إن حدث بك حدث أن يقع الناس فى مثل ما وقعوا فيه بعد قتل عثمان فاجعل للناس بعدك علما يفزعون اليه واجعل ذلك يزيد ابنك فدخل معاوية على امرأته فاختة بنت قرظة بن حبيب بن عبد شمس وكان ابنها منه عبد الله بن معاوية وقد كان بلغها ما قال المغيرة وما أشار به عليه من البيعة ليزيد وكان يزيد بن الكلبية مسرورة بنت عبد الرحمن الكلبى . قالت فاختة وكانت معاوية للكلبية ما أشار به عليك المغيرة أراد أن يجعل لك عدواً من نفسك يتمنى هلاكك كل يوم فثق ذلك على معاوية ثم بدا له أن يأخذ بما أشار عليه المغيرة

(ما حاول معاوية فى بيعة يزيد)

قال فلما اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار وفيهم الأحنف بن قيس دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهرى فقال له اذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتى وكلامى فاستأذنى للقيام فاذا أذنت لك فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل

فيه الذى يحق له من حسن الثناء عليه ثم ادعنى الى توليته من بعدى فانى قد رأيت وأجمعت على توليته فأسأل الله فى ذلك وفى غيرة الخيرة وحسن القضاء . ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفى وعبد الله بن مسعده الفزارى وثور بن معن السلمى وعبد الله بن عصام الأشعرى فأمرهم أن يقوموا اذا فرغ الضحاك وأن يصدقوا قوله ويدعوه الى يزيد

(ما تكلم به الضحاك بن قيس)

قال فلما جلس معاوية على المنبر وفرغ من بعض موعظته وهؤلاء النفر فى المجلس قد قعدوا للكلام قام الضحاك بن قيس فاستأذن فى الكلام فأذن له فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين وامتع به انا قد بلونا الجماعة والألفة والاختلاف والفرقة فوجدناها ألم لشعثنا وآمنة لسبلنا وحاقنة لدمائنا وعائدة علينا فى عاجل ما نرجو به الجماعة من الألفة ولا خير لنا أن نترك سدى والأيام عوج رواجع والله يقول كل يوم هو فى شأن ولسنا ندرى ما يختلف به العصران ، وأنت يا أمير المؤمنين ميت كما مات من كان قبلك من أنبياء الله وخلفائه نسأل الله تعالى بك المتاع وقد رأينا من دعة يزيد ابن أمير المؤمنين وحسن مذهبه وقصد سيرته ويمن نقيبته ما قسم الله له من المحبة فى المسلمين والشبه بأمير المؤمنين فى عقله وسياسته وشيمته المرضية ما دعانا الى الرضا به فى أمورنا والقنوع به فى الولاية علينا فليوله أمير المؤمنين أكرمه الله عهده وليجعله لنا ملجأ ومفزعا بعده نأوى اليه ان كان كون ، فانه ليس أحد أحق بها منه فاعزم على ذلك عزم الله فى رشدك ووفقك فى أمورنا ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين إنا قد أصبحنا فى زمان مختلفة أهواؤه ، قد احدودبت علينا سيساؤه واقعاوطبت علينا ادواؤه ، واناخت علينا أنباؤه ونحن نشير عليك بالرشاد وندعوك الى السداد ، وأنت يا أمير المؤمنين أحسننا

نظراً وأثبتنا بصراً ويزيد ابن أمير المؤمنين قد عرفنا سيرته وبلونا علانيته ورضينا ولايته وزادنا بذلك انبساطا وبه إغتباطا مع مامنحه الله بالشبه بأمير المؤمنين والمحبة فى المسلمين فاعزم على ذلك ولا تضيق به ذرعا فالله تعالى يقيم به الأود ويردع به الألد وتأمن به السبل ويجمع به الشمل ويعظم به الأجر ويحسن به الذخر ثم جلس فقام ثور بن معن السلمى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أصلح الله امير المؤمنين انا قد أصبحنا فى زمان صاحبه مشاغب وظله ذاهب مكتوب علينا فيه الشقاء والسعادة وأنت ياأمير المؤمنين ميت نسأل الله بك المتاع ويزيد ابن أمير المؤمنين أقدمنا شرفا وأبذلنا عرفا، قد دعانا إلى الرضاية والقنوع بولايته والحرص عليه والاختيار له ما قد عرفنا من صدق لسانه ووفائه وحسن بلائه فاجعله لنا بعدك خلفا فانه أوسعنا كنفا وأقدمنا سلفاً، وهو رتق لما فتق وزمام لما شعث ونكال لمن فارق ونافق وسلم لمن واظب وحافظ للحق اسأل الله لأمير المؤمنين أفضل البقاء والسعادة والخيرة فيما أراد والتوطن فى البلاد وصلاح أمر جميع العباد. ثم جلس فقام عبد الله بن عصام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين وامتع به انا قد اصبحنا فى دنيا منقضية وأهواء منجذمة، نخاف حدها ونتنظر جدها، شديد منحدرها كثير وعرها، شامخة مرافها ثابتة مراتبها، صعبة مراكبها. فالموت يا امير المؤمنين وراءك، ووراء العباد لايخلد فى الدنيا احد ولاتبقى لنا أمد وأنت ياأمير المؤمنين مسؤل عن رعيتك ومأخوذ بولايتك وانت انظر للجماعة واعلا عينا بحسن الرأى لأهل الطاعة وقد هديت ليزيد فى اكمل الأمور وأفضلها رأيا وأجمعها رضا فاقطع بيزيد قالة الكلام ونخوة المبطل وشعث المنافق وأكبت به الباذخ المعادى فان ذاك ألم للشعث وأسهل للوعث فاعزم على ذلك ولا تترامى بك الظنون. ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزارى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين وامتع به ان الله آثرك بخلافته واختصك بكرامته وجعلك عصمة لأوليائه وذا نكاية لأعدائه

فأصبحت بأنعمه جذلا ولما حملك محتملا ، يكشف الله تعالى بك العمى ويهدى بك العدى ويزيد ابن أمير المؤمنين أحسن الناس برعيتك رأفة وأحقهم بالخلافة بعدك قدساس الأمور واحكمته الدهور ، ليس بالصغير الفهيه ولا بالكبير السفيه قد احتجن المكارم وارتجى لحمل العظائم وأشد الناس فى العدو نكاية وأحسنهم صنعا فى الولاية وأنت أغنى بأمرك واحفظ لوصيتك واحرز لنفسك . اسأل الله لأمير المؤمنين العافية فى غير جهد والنعمة فى غير تغيير . قال فقال معاوية أوكلكم قد أجمع على هذا رأيه فقالوا كلنا قد أجمع رأيه على ما ذكرنا قال فأين الأحنف فأجابه قال ألا تتكلم فقام الأحنف فحمد الله وأثنى ثم قال : اصلح الله أمير المؤمنين ان الناس قد أمسوا فى منكر زمان قد سلف ومعروف زمان مؤتنف، ويزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف وقد حلبت الدهر أشطره يا أمير المؤمنين فاعرف من تسند اليه الأمر من بعدك ثم اعص أمر من يأمرك لا يغررك من يشير عليك ولا ينظر لك . وأنت أنظر للجماعة واعلم باستقامة الطاعة مع أن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيا

(ما رد الضحاك بن قيس عليه)

قال فغضب الضحاك بن قيس فقام الثانية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أصلح الله أمير المؤمنين أن أهل النفاق من أهل العراق مروءتهم فى انفسهم الشقاق وألفتهم فى دينهم الفراق ، يرون الحق على أهوائهم كأنما ينظرون بأقفائهم اختالوا جهلا وبطراً لا يرقبون من الله راقبة ولا يخافون وبال عاقبة اتخذوا ابليس لهم ربا واتخذهم ابليس حزبا فمن يقاربوه لا يسروه ومن يفارقوه لا يضروه فادفع رأيهم يا أمير المؤمنين فى نحورهم وكلامهم فى صدورهم ما للحسن وذوى الحسن فى سلطان الله الذى استخلف به معاوية فى أرضه هيهات لا تورث الخلافة عن كلالة ولا يحجب غير الذكر العصبة فوطنوا أنفسكم يا أهل العراق على المناصحة

لامامكم وكاتب نبيكم وصهره يسلم لكم العاجل وتربحوا من الآجل ثم قام الأحنف ابن قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أمير المؤمنين إنا قد فررنا عنك قريشاً فوجدناك أكرمها زنداً وأشدها عقداً وأوفاها عهداً ، وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة ولم تظهر عليها قعصاً ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت ليكون له الأمر من بعدك فان تف فأنت أهل الوفاء وان تغدر تعلم والله ان وراء الحسن خيولا جياداً وأذرعا شداداً وسيوفا حداداً . إن تدن له شبراً من غدر تجد وراءه باعا من نصر ، وأنك تعلم من أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك ولا أبغضوا عليا وحسنا منذ أحبوهما وما نزل عليهم فى ذلك غير من السماء وإن السيوف التى شهروها عليك مع على يوم صفين لعلى عواتقهم والقلوب التى أبغضوك بها لبين جوانحهم وأيم الله إن الحسن لأحب الى أهل العراق من علي . ثم قام عبد الله بن عثمان الثقفى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين ان رأى الناس مختلف وكثير منهم منحرف لا يدعون أحداً الى رشاد وإنما يجيبون داعيا إلى سداد ، مجانبون لرأى الخلفاء مخالفون لهم فى السنة والقضاء وقد وقفت ليزيد أحسن القضية وأرضاها لحمل الرعية فاذا خار الله لك فاعزم ثم اقطع قالة الكلام فان يزيد أعظمنا حلما وعلما وأوسعنا كنفا وخيرنا سلفا . قد أحكمته التجارب وقصدت به سبل المذاهب ، فلا يصرفنك عن بيعته صارف ولا يقفن بك دونها واقف ممن هو شاسع عاص ينوص للفتنة كل مناص لسانه ملتو وفى صدره داء دوى ، إن قال فشر قائل وإن سكت فداء غائل قد عرفت من هم أولئك وما هم عليه لك من المجانبة للتوفيق والكلف للتفريق فاجل ببيعته عنا الغمة وأجمع به شمل الأمة فلا تحدعنه إذا هديت له ولا تنبش عنه إذا وفقت له فان ذلك الرأى لنا ولك والحق علينا وعليك أسأل الله العون وحسن العاقبة لنا ولك بمنه : فقام معاوية فقال أيها الناس ان لابليس من الناس إخوانا وخلانا بهم يستعد وإياهم يستعين وعلى ألسنتهم ينطق ان رجوا طمعا أوجفوا وان استغنى عنهم ارجفوا

ثم يلحقون الفتن بالفجور ويشفقون لها حطب النفاق عيابون مرتابون ان لووا عروة أمر حنقوا وان دعوا إلى غي اسرفوا وليسوا أولئك بمنتهين ولا بمقلعين ولا متعظين حتى تصيبهم صواعق خزى وبيل وتحل بهم قوارع أمر جليل ، تجتث أصولهم كاجتثاث أصول الفقع فأولى لأولئك ثم أولى فانا قد قدمنا وأنذرنا إن أغنى التقدم شيأ أو نفع النذر . فدعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة ودعا عبدالرحمن فولاه الجزيرة ثم قام أبو حنيف فقال ياأمير المؤمنين انك نطيق السنة مضر وخطبها أنت أمير المؤمنين فان هالكت فيزيد بعدك فمن أبى فهذا وسل سيفه فقال معاوية أنت أخطب القوم وأكرمهم . ثم قام الأحنف بن قيس فقال : ياأمير المؤمنين أنت أعلمنا بليله ونهاره ويسره وعلانيته فان كنت تعلم انه خير لك قوله فاستخلفه وإن كنت تعلم انه شر فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة فانه ليس لك من الآخرة إلا ماطاب واعلم انه لاحجة لك عند الله ان قدمت يزيد على الحسين والحسن وأنت تعلم من هما وإلى ماهما ، وإنما علينا ان نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير

(قدوم معاوية المدينة ومافوض فيه العبادلة)

قالوا فاستخار الله معاوية وأعرض عن ذكر البيعة حتى قدم المدينة سنة خمسين فتلقاه الناس فلما استقر فى منزله أرسل إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر ابن أبي طالب وإلى عبد الله بن عمر وإلى عبد الله بن الزبير وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر فلما جلسوا تكلم معاوية فقال : الحمد لله الذى أمرنا بحمده ووعدنا عليه ثوابه نحمده كثيراً كما أنعم علينا كثيراً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد : فإني قد كبر سنى ووهن عظمى وقرب أجلي وأوشكت أن أدعى فأجيب ، وقد رأيت ان استخلف عليكم بعدى يزيد ورأيته لكم رضا وأنتم عبادلة قريش وخيارها

وأبناء خيارها ولم يمنى ان أحضر حسنا وحسيناً إلا انهما أولاد أبيهما على حسن رأيى فيهما وشديد محبتى لهما فردوا على أمير المؤمنين خيراً يرحمكم الله فتكلم عبدالله بن عباس فقال : الحمدلله الذى ألهمنا ان نحمده واستوجب علينا الشكر على آلائه وحسن بلائه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وصلى الله على محمد وآل محمد ؛ أما بعد فانك قد تكلمت فانصتنا وقلت فسمعنا وان الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه اختار محمد صلى الله عليه وسلم لرسالته واختاره لوحيه وشرفه على خلقه فأشرف الناس من تشرف به وأولاهم بالأمر أخصهم به وإنما على الأمة التسليم لنبيها إذ اختاره الله لها فانه إنما اختار محمداً بعلمه وهو العليم الخبير وأستغفر الله لى ولكم . فقام عبد الله بن جعفر فقال : الحمد لله أهل الحمد ومنتهاه نحمده على إلهامنا حمده ونرغب اليه فى تأدية حقه وأشهد أن لا إله إلا الله واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم : أما بعد فان هذه الخلافة ان أخذ فيها بالقرآن فأولى الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وان أخذ فيها بسنة رسول الله فأولو رسول الله وان أخذ بسنة الشيخين أبى بكر وعمر فأى الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول . وأيم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه لحقه وصدقه ولأطيع وعصى الشيطان وما اختلف فى الأمة سيفان فاتق الله يامعاوية فانك قد صرت راعيا ونحن رعية فانظر لرعيتك فانك مسئول عنها غداً . وأما ماذكرت من بنى عمى وتركك ان تحضرهما فوالله ماأصبت الحق ولا يجوز لك ذلك إلا بهما وإنك لتعلم أنهما معدن العلم والكرم فقل أودع واستغفر الله لى ولكم . فتكلم عبد الله بن الزبير فقال : الحمد لله الذى عرفنا دينه وأكرمنا برسوله أحمده على ماأجلى وأولى وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد فان هذه الخلافة لقريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية وأفعالها المرضية مع شرف الآباء وكرم الأبناء ، فاتق الله يامعاوية وانصف من نفسك فان هذا

عبد الله بن عباس بن عم رسول الله وهذا عبد الله بن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله وأنا عبد الله بن الزبير بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي خلف حسناً وحسينا وأنت تعلم من هما وما هما فاتق الله يامعاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك. فتكلم عبد الله بن عمر فقال : الحمد لله الذى أكرمنا بدينه وشرفنا بنبيه صلى الله عليه وسلم : أما بعد فان هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية ولا كسروية يتوارثها الأبناء على الآباء ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبي فوالله ما أدخلنى مع الستة من أصحاب الشورى إلا على ان الخلافة ليست شرطاً مشروطا وانما هى فى قريش خاصة لمن كان لها أهلا ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم من كان اتقى وأرضى فان كنت تريد الفتيان من قريش فلعمرى أن يزيد من فتيانها واعلم انه لايغنى عنك من الله شيئاً ، فتكلم معاوية فقال : قد قلت وقلتم وانه قد ذهبت الآباء وبقيت الأبناء فابنى أحب إلى من أبنائهم مع ان ابنى قاولتموه وجد مقالا وإنما كان هذا الأمر لبنى عبدمناف لأنهم أهل رسول الله فلما مضى رسول الله ولى الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة غير انهما سارا بسيرة جميلة ثم رجع الملك الى بنى عبد مناف فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة وقد أخرجك الله ياابن الزبير وأنت ياابن عمر منها فاما ابنا عمى هذان فليس بخارجين من الرأى إن شاء الله. ثم أمر بالرحلة وأعرض عن ذكر البيعة ليزيد ولم يقطع عنهم شيئاً من صلاتهم وأعطياتهم ثم انصرف راجعاً الى الشام وسكت عن البيعة فلم يعرض الى سنة إحدى وخمسين

(موت الحسن بن على رضى الله عنهما)

قال فلما كانت سنة إحدى وخمسين مرض الحسن بن على مرضه الذى مات فيه فكتب عامل المدينة الى معاوية يخبره بشكاية الحسن فكتب اليه . معاوية إن استطعت أن لايمضى يوم يمر إلا يأتينى فيه خبره فافعل فلم يزل يكتب اليه بحاله

حتى توفى . فكتب اليه بذلك فلما أتاه الخبر أظهر فرحا وسروراً حتى سجد وسجد
من كان معه فبلغ ذلك عبد الله بن عباس وكان بالشام يومئذ . فدخل على معاوية
فلما جلس قال معاوية . ياابن عباس هلك الحسن بن علي فقال ابن عباس نعم هلك
إنا لله وإنا اليه راجعون ترجيعاً مكرراً وقد بلغنى الذى أظهرت من الفرح
والسرور لوفاته أما والله ما سد جسده حفرتك ولا زاد نقصان أجله فى عمرك
ولقد مات وهو خير منك ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن كان خيراً منه جده
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجبر الله مصيبته وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة
ثم شهق بن عباس وبكى من حضر فى المجلس وبكى معاوية فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك
اليوم . فقال معاوية انه ترك بنين صغاراً فقال ابن عباس كلنا كان صغيراً فكبرا
قال معاوية كم أتى له من العمر فقال ابن عباس أمر الحسن أعظم من أن يجهل
أحد مولده قال فسكت معاوية يسيراً ثم قال يا بن العباس أصبحت سيد قومك
من بعده فقال ابن عباس أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين فلا . قال معاوية
لله أبوك يا ابن عباس ما استنبأتك إلا وجدتك معداً

(بيعة معاوية ليزيد بالشام وأخذه أهل المدينة)

قالوا ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله إلا يسيراً حتى بايع ليزيد
بالشام وكتب بيعته الى الآفاق وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فكتب
اليه يذكر الذى قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد ويأمره بجمع من قبله من
قريش وغيرهم من أهل المدينة ثم بايعوا ليزيد

(عزل مروان عن المدينة)

قال فلما قرأ مروان كتاب معاوية أبى من ذلك وأبته قريش فكتب لمعاوية
ان قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك فارنى رأيك فلما بلغ معاوية كتاب مروان

عرف ذلك من قبله . فكتب اليه يأمره أن يعتزل عمله ويخبره أنه قد ولى المدينة سعيد بن العاص فلما بلغ مروان كتاب معاوية أقبل مغاضبا فى أهل بيته وناس كثير من قومه حتى نزل بأخواله بنى كنانة فشكا اليهم وأخبرهم بالذى كان من رأيه فى أمر معاوية وفى عزله واستخلافه يزيد ابنه عن غير مشورة مبادرة له فقالوا . نحن نبلك فى يدك وسيفك فى قرابك فمن رميته بنا أصبناه ومن ضربته قطعناه الرأى رأيك ونحن طوع يمينك . ثم أقبل مروان فى وفد منهم كثير ممن كان معه من قومه وأهل بيته حتى نزل دمشق فخرج فيهم حتى أتى سدة معاوية وقد أذن للناس فلما نظر الحاجب الى كثرة من معه من قومه وأهل بيته منعه من الدخول فوثبوا اليه فضربوا وجهه حتى خلى عن الباب ثم دخل مروان ودخلوا معه حتى اذا كان من معاوية بحيث تناله يده قال بعد التسليم عليه بالخلافة : ان الله عظيم خطره لايقدر قادر قدرة خلق من خلقه عبادا جعلهم لدعائم دينه أوتادا : هم رقباؤه على البلاد وخلفاؤه على العباد أسفر بهم الظلم والف بهم الدين وشدد بهم اليقين ، ومنح بهم الظفر ووضع بهم من استكبر . فكان من قبلك من خلفائنا يعرفون ذلك فى سالف زماننا وكنا نكون لهم على الطاعة إخوانا وعلى من خالف عنها أعوانا يشد بنا العضد ويقام منا الاود ونستشار فى القضية ونستأمر فى أمر الرعية وقد أصبحنا اليوم فى أمور مستخيرة ذات وجوه مستديرة تفتح بأزمة الضلال وتجلس بأسوأ الرجال ، يؤكل جزورها وتمق أحلابها فما لنا لانستأمر فى رضاعها ونحن فطامهـــا وأولاد فطامهـــا وأيم الله لولا عهود مؤكدة ومواثيق معقدة لأقمت أود ويها فأقم الأمر يا ابن أبى سفيان واهدأ من تاميرك الصبيان واعلم أن لك فى قومك نظراً وان لهم على مناوأتك وزراً . فغضب معاوية من كلامه غضبا شديدا ثم كظم غيظه بحلمه وأخذ بيد مروان ثم قال : إن الله قد جعل لكل شيء أصلا وجعل لكل خير أهلا ثم جعلك فى الكرم منى محتدا والعزيز منى والداً ؟ اخترت من قروم قادة ثم استلات سيد سادة فأنت ابن

ينابيع الكرم فمرحبا بك وأهلا من ابن عم ذكرت خلفاء مفقودين شهداء صديقين كما كانوا نعت وكنت لهم كما ذكرت وقد أصبحنا فى أمور مستخيرة ذات وجوه مستديرة وبك الله يا ابن العم نرجوا استقامة أودها وذلولة صعوبتها وسفور ظلمتها حتى يتطأطأ جسيمها ويركب بك عظيمها فأنت نظير أمير المؤمنين بعده وفى كل شدة عضده واليك بعد عهده فقد وليتك قومك وأعظمنا فى الخراج سهمك وأنا مجيز وفدك ومحسن رفدك وعلى أمير المؤمنين غناك والنزول عند رضاك : فكان أول ما رزق ألف دينار فى كل هلال وفرض له فى أهل بيته مائة مائة

(كراهة أهل المدينة البيعة وردهم لها)

قال وذكروا أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة يأمره أن يدعو أهل المدينة إلى البيعة ويكتب اليه بمن سارع ممن لم يسارع . فلما أتى سعيد بن العاص الكتاب دعا الناس إلى البيعة ليزيد وأظهر الغلظة وأخذهم بالعزم والشدة وسطا بكل من أبطأ عن ذلك فأبطأ الناس عنها إلا اليسير لا سيما بنى هاشم فانه لم يجبه منهم أحد وكان ابن الزبير من أشد الناس إنكاراً لذلك وردا له . فكتب سعيد بن العاص إلى معاوية . أما بعد فانك أمرتنى أن أدعو الناس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين وأن أكتب اليك بمن سارع ممن ابطأ وانى أخبرك أن الناس عن ذلك بطاء لا سيما أهل البيت من بنى هاشم فانه لم يجبنى منهم أحد وبلغنى عنهم ما أكره ، وأما الذى جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله ابن الزبير ولست أقوى عليهم إلا بالخيل والرجال أو تقدم بنفسك فترى رأيك فى هذا والسلام . فكتب معاوية إلى عبد الله بن عباس وإلى عبد الله بن الزبير وإلى عبد الله بن جعفر وإلى الحسين بن على رضى الله عنهم كتابا وأمر سعيد ابن العاص أن يوصلها اليهم ويبعث بجواباتها . وكتب إلى سعيد بن العاص : أما

بعد فقد أتانى كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من ابطاء الناس عن البيعة ولا سيما بنى هاشم وما ذكر ابن الزبير وقد كتبت إلى رؤسائهم كتبا فسلمها اليهم وتنجز جواباتها وابعث بها إلى حتى أرى فى ذلك رأيى ولتشد عزيمتك ولتصلب شكيمتك وتحسن نيتك وعليك بالرفق وإياك والخرق فان الرفق رشد والخرق نكد . وانظر حسينا خاصة فلا يناله منك مكروه فان له قرابة وحقا عظيما لا ينكره مسلم ولا مسلمة وهو ليث عرين ولست آمنك إن شاورته أن لا تقوى عليه ، فأما من يرد مع السباع اذا وردت ويكنس اذا كنست فذلك عبد الله ابن الزبير فاحذره أشـــد الحذر ولا قوة إلا بالله وأنا قادم عليك إن شاء الله والسلام . وكتب إلى ابن عباس : أما بعد فقد بلغنى ابطاؤك عن البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين وانى لو قتلتك بعثمان لكان ذلك إلى لأنك ممن ألب عليه واجلب وما منعك من أمان فتطمئن به ولا عهد فتسكن اليه فاذا أتاك كتابى هذا فاخرج إلى المسجد والعن قتلة عثمان وبايع عاملى فقد أعذر من أنذرت وأنت بنفسك أبصر والسلام . وكتب الى عبد الله بن جعفر : أما بعد فقد عرفت آثرتى إياك على من سواك وحسن رأيى فيك وفى أهل بيتك وقد أتانى عنك ما أكره فان بايعت تشكر وإن تأب تخير والسلام . وكتب إلى الحسين : أما بعد فقد انتهت إلى منك أمور لم أكن أظنك بها رغبة عنها وإن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك فى خطرك وشرفك ومنزلتك التى أنزلك الله لها فلا تنازع الى قطيعتك واتق الله ولا تردن هـذه الأمة فى فتنة وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد ولا يستخفنك الذين لا يوقنون . وكتب إلى عبد الله بن الزبير :

رأيت كرام الناس إن كف عنهم ❊ بحلم رأوا فضـلا لمن قد تحلما
ولا سيما إن كان عفواً بقـدرة ❊ فذلك أحرى أن يجل ويعظما
ولست بذى لؤم فتعـذر بالذى ❊ أتيته من أخلاق من كان ألوما
ولكن غشا لست تعرف غيره ❊ وقد غش قبل اليوم ابليس آدما

فما غش إلا نفسه فى فعاله * فأصبح ملعونا وقد كان مكرما
وانى لأخشى أن أنالك بالذى * أردت فيجزى الله من كان أظلما

(ما أجابه القوم به رضى الله عنهم)

فكان أول من أجابه عبدالله بن عباس فكتب اليه . أما بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ما ذكرت وان ليس معي منك أمان وإنه والله مامنك يطلب الأمان يامعاوية وإنما يطلب الأمان من الله رب العالمين . وأما قولك فى قتلى فوالله لو فعلت للقيت الله ومحمد صلى الله عليه وسلم خصمك فما أخاله أفلح ولا أنجح من كان رسول الله خصمه . وأما ما ذكرت من انى ممن ألب فى عثمان واجب فلذلك أمر غبت عنه ولو حضرته ما نسبت إلى شيئاً من التأليب عليك وأيم الله ما أرى أحداً غضب لعثمان غضبى ولا أعظم أحداً قتله عظمى ولو شهدته لنصرته أو أموت دونه ولقد قلت وتمنيت يوم قتل عثمان ليت الذى قتل عثمان لقينى فقتلنى معه ولا أبقى بعده. وأما قولك لى العن قتلة عثمان فلعثمان ولد خاصة وقرابة هم أحق بلعنهم منى فان شاءوا أن يلعنوا فليلعنوا وإن شاءوا أن يمسكوا فليمسكوا والسلام . وكتب اليه عبد الله بن جعفر : أما بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ماذكرت فيه من أثرك إياى على من سواى فان تفعل فبحظك أصبت وإن تأب فبنفسك قصرت وأما ما ذكرت من جبرك إياى على البيعة ليزيد فلعمرى لئن أجبرتنى عليها لقد أجبرناك وأباك على الاسلام حتى أدخلنا كما كارهن غير طائعين والسلام. وكتب اليه عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما :

الا سمع الله الذى أنا عبده * فاخزى اله الناس من كان أظلما
واجرى على الله العظيم بحلمه * وأسرعهم فى الموبقات تقحما
أغرك ان قالوا حليم بعزة * وليس بذى حلم ولكن تحلما
ولو رمت ما قدعزمت وجدتنى * هزبر عرين يترك القرن اكتما

واقسم لولا بيعة لك لم أكن * لانقضها لم تنج منى مسلما

وكتب اليه الحسين رضى الله عنه أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه انه انتهت عنى اليك أمور لم تكن تظنى بها رغبة بى عنها وان الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد اليها إلا الله تعالى وأما ما ذكرت انه رقى اليك عنى فانما رقاه الملاقون المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الجمع وكذب الغارون المارقون ما أردت حرباً ولا خلافا وإنى لأخشى الله فى ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين حزب الظالم وأعوان الشيطان الرجيم . ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقتلتهم ظلماً وعدوانا من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جراءة على الله واستخفافا بعهده أو لست بقاتل عمرو بن الحمق الذى اخلقت وأرباب وجهه العبادة فقتلته ومن بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من سقف الجبال أولست المدعى زياداً فى الاسلام فزعمت انه ابن أبى سفيان وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل سبحان الله يا معاوية لكأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك . أو لست قاتل الحضرمى الذى كتب اليك فيه زياد انه على دين علي كرم الله وجهه ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وسلم الذى أجلسك مجلسك الذى أنت فيه ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم وقلت فيما قلت لاترد هذه الامة فى فتنة وانى لا أعلم لها فتنة أعظم من امارتك عليها وقلت فيما قلت أنظر لنفسك ولدينك ولامة محمد وإني والله ما أعرف أفضل من جهادك فان افعل فانه قربة الى ربى وإن لم أفعله فأستغفر الله لدينى وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى وقلت فيما قلت متى تكدنى اكدك فكدنى يا معاوية فيما بدا لك فلعمرى لقديما يكاد الصالحون وإنى لأرجو أن

لاتضر إلا نفسك ولا تمحق إلا عملك فكدنى ما بدا لك واتق الله يامعاوية واعلم أن لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها واعلم أن الله ليس بناس لك قبلك بالظنة وأخذك بالتهمة وامارتك صبياً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ماأراك إلا وقد أوبقت نفسك وأهلكت دينك وأوضعت الرعية والسلام

(قدوم معاوية المدينة على هؤلاء القوم وما كان بينهم من المنازعة)

قال وذكروا أنه لما جاوب القوم معاوية بما جاوبوه من الخلاف لأمره والكراهية لبيعته ليزيد كتب الى سعيد بن العاص يأمره أن يأخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد أخذا بغلظة وشدة ولا يدع أحداً من المهاجرين والأنصار وأبنائهم حتى يبايعوا وأمره أن لا يحرك هؤلاء النفر ولا يهيجهم فلما قدم كتاب معاوية أخذهم بالبيعة أعنف ما يكون من الأخذ وأغلظه فلم يبايعه أحد منهم فكتب الى معاوية انه لم يبايعنى أحد وإنما الناس تبع لهؤلاء النفر فلو بايعوك بايعك الناس جميعا ولم يتخلف عنك أحد فكتب اليه معاوية يأمره أن لا يحركهم الى ان يقدم فقدم معاوية المدينة حاجا فلما أن دنى من المدينة خرج اليه الناس يتلقونه ما بين راكب وماش وخرج النساء والصبيان فلقيه الناس على حال طاقتهم وما تسارعوا به فى القوت والقرب فلان لمن كافحه وفاوض العامة بمحادثته وتألفهم جهده مقاربة ومصانعة ليستميلهم الى مادخل فيه الناس حتى قال فى بعض ما يجتلبهم به أهل المدينة ما زالت أطوى الحزن من وعثاء السفر بالحب لمطالعتكم حتى انطوى البعيد ولان الخشن وحق لجار رسول الله ان يتاق اليه . فرد عليه القوم بنفسك ودارك ومهاجرك اما ان لك منهم كاشفاق الحميم البر والحفى قال حتى إذا كان بالجرف لقيه الحسين بن علي وعبد الله بن عباس فقال معاوية مرحباً يا ابن بنت رسول الله وابن صنو أبيه ثم انحرف إلى الناس فقال هذان شيخا بنى عبد مناف وأقبل عليهما بوجهه وحديثه فرحب وقرب وجعل يواجه هذا مرة ويضاحك هذا أخرى حتى ورد المدينة فلما خالطها لقيته المشاة

والنساء والصبيان يسلمون عليه ويسايرونه إلى أن نزل فانصرف عنه . فمال الحسين إلى منزله ومضى عبد الله بن عباس إلى المسجد فدخله وأقبل معاوية ومعه خلق كثير من أهل الشام حتى أتى عائشة أم المؤمنين فاستأذن عليها فأذنت له وحده لم يدخل عليها معه أحد وعندها مولاها ذكوان فقالت عائشة يامعاوية كنت تأمن أن أقعد لك رجلا فأقتلك كما قتلت أخي محمد بن أبي بكر فقال معاوية ما كنت لتفعلين ذلك قالت لم قال لأني في بيت آمن بيت رسول الله . ثم إن عائشة حمدت الله وأثنت عليه وذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت أبا بكر وعمر وحضته على الاقتداء بهما والاتباع لأثرهما ثم صمتت قال فلم يخطب معاوية وخاف ان لايبلغ مابلغت فارتجل الحديث ارتجالا . ثم قال أنت والله ياأم المؤمنين العالمة بالله وبرسوله دللتنا على الحق وحضضتنا على حظ أنفسنا وأنت أهل لأن يطاع أمرك ويسمع قولك وان أمر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم وقد أكد الناس بيعتهم في أعناقهم واعطوا عهودهم على ذلك ومواثيقهم أفترى ان ينقضوا عهودهم ومواثيقهم فلما سمعت ذلك عائشة علمت أنه سيمضي على أمره فقالت . أما ماذكرت من عهود ومواثيق فاتق الله في هؤلاء الرهط ولا تعجل فيهم فلعلهم لايصنعون إلا ما أحببت : ثم قام معاوية فلما قام قالت عائشة يامعاوية قتلت حجراً وأصحابه العابدين المجتهدين فقال معاوية دعي هذا كيف أنا في الذي بيني وبينك وفي حوائجك ؟ قالت صالح قال فدعينا واياهم حتى نلقى ربنا ثم خرج ومعه ذكوان فاتكأ على يد ذكوان وهو يمشي ويقول تالله اني ما رأيت كاليوم قط خطيباً أبلغ من عائشة بعد رسول الله . ثم مضى حتى أتى منزله فأرسل إلى الحسين بن علي فخلا به فقال له يا ابن أخي قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم يا ابن أخي فما رأيك إلى الخلاف قال الحسين أرسل اليهم فان بايعوك كنت رجلا منهم ولا تكن عجلت على بأمر قال نعم قال فأخذ عليه أن لايخبر بحديثهما أحداً فخرج وقد أقعد له ابن الزبير

رجلا بالطريق فقال يقول لك أخوك ابن الزبير ما كان فلم يزل به حتى استخرج منه شيئا قال ثم أرسل معاوية بعده إلى ابن الزبير فخلا به فقال له قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم ياابن أخي فما أربك إلى الخلاف قال فأرسل اليهم فان بايعوك كنت رجلا منهم وإلا تكن عجلت علي بأمر قال وتفعل قال نعم فأخذ عليه إن لايخبر بحديثهما أحداً ، قال فأرسل بعده إلى ابن عمر فأتاه وخلا به فكلمه بكلام هو الين من صاحبيه وقال إنى كرهت أن أدع أمة محمد بعدى كالضأن لاراعى لها وقد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر أنت تقودهم فما أربك إلى الخلاف قال ابن عمر : هل لك فى أمر تحقن به الدماء وتدرك به حاجتك فقال معاوية وددت ذلك فقال ابن عمر تبرز سريرك ثم أجيء فابايعك على أني أدخل فيما اجتمعت عليه الأمة على عبد حبشى لدخلت فيما تدخل فيه الأمة ، قال وتفعل قال نعم ثم خرج وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبى بكر فخلا به قال بأى يد أو رجل تقدم على معصيتى فقال عبد الرحمن أرجو أن يكون ذلك خيراً لى فقال معاوية والله لقد هممت أن أقتلك فقال لو فعلت لاتعبك الله فى الدنيا ولأدخلك فى الآخرة النار ، قال ثم خرج عبد الرحمن بن أبى بكر وبقى معاوية يومه ذلك يعطى الخواص ويدنى بذمة الناس فلما كان صبيحة اليوم الثانى أمر بفراش فوضع له وسويت مقاعده الخاصة حوله وتلقاءه من أهله ثم خرج وعليه حلة يمانية وعمامة دكناء وقد أسبل طرفها بين كتفيه وقد تغلف وتعطر فقعد على سريره وأجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما يأمر به وأمر حاجبه ان لايأذن لأحد من الناس وان قرب . ثم أرسل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن عباس فسبق ابن عباس فلما دخل وسلم عليه أقعده فى الفراش على يساره فحادثه ملياً ثم قال : ياابن عباس لقد وفر الله حظكم من مجاورة هذا القبر الشريف ودار الرسول عليه السلام فقال ابن عباس نعم أصلح الله أمير المؤمنين وحظنا من القناعة بالبعض والتجافى عن الكل أوفر فجعل

معاوية يحدثه ويحيد به عن طريق المجادلة ويعدل إلى ذكر الأعمار على اختلاف الغرائز والطبائع حتى أقبل الحسين بن علي فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه فدخل الحسين وسلم فأشار اليه فأجلسه عن يمينه مكان الوسادة فسأله معاوية عن حال بنى أخيه الحسن وأسنانهم فاخبره ثم سكت قال ثم ابتدأ معاوية فقال : أما بعد فالحمد لله ولى النعم ومنزل النقم وأشهد أن لا اله إلا الله المتعالى عما يقول الملحدون علواً كبيراً وإن محمداً عبده المختص المبعوث إلى الجن والانس كافة لينذرهم بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فأدى عن الله وصدع بأمره وصبر عن الأذى فى جنبه حتى أوضح دين الله وأعز أولياءه وقمع المشركين وظهر أمر الله وهم كارهون فمضى صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا ما بذل له واختار منها الترك لما سخر له زهادة واختيار الله وأنفة واقتداراً على الصبر بغياً لما يدوم ويبقى وهذه صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك بين ذلك خوض طال ما عالجناه مشاهدة ومكافحة ومعاينة وسماعا وما أعلم منه فوق ما تعلمان وقد كان من أمر يزيد ما سبقتم اليه والى تجويزه وقد علم الله ما أحاول به من أمر الرعية من سد الخلل ولم الصدع بولاية يزيد بما أيقظ العين وأحمد الفعل هذا معناى فى يزيد وفيكما فضل القرابة وحظوة العلم وكمال المروءة وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما أعيانى مثله عندكما وعند غيركما مع علمه بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذى يرجح بالصم الصلات وقد علمتما أن الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدم على الصديق والفاروق ومن دونهما من أكابر الصحابة وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل من لم يقارب القوم ولم يعاندهم برتبة فى قرابة موصولة ولا سنة مذكورة فقادهم الرجل بأمره وجمع بهم صلاتهم وحفظ عليهم فيئهم وقال لم يقل معه وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فمهلا بنى عبد المطلب فأنا وأنتم شعبا نفع وجد وما زلت أرجو

الانصاف فى اجتماعكما فما يقول القائل إلا بفضل قولكما فرداً على ذى رحم مستعتب ما يحمد به البصيرة فى عتابكما واستغفر الله لى ولكما . قال فتيسر ابن عباس للكلام ونصب يده للمخاطبة فأشار اليه الحسين وقال على رسلك فانا المراد ونصيبى فى التهمة أوفر فامسك ابن عباس فقام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول ثم قال أما بعد يامعاوية فلن يؤدى القائل وان أطنب فى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميع جزء وقد فهمت مالبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة وهيهات هيهات يامعاوية فضح الصبح فحمة الدجى وبهرت الشمس أنوار السرج ولقد فضلت حتى أفرطت واستأثرت حتى اجحفت ومنعت حتى بخلت وجرت حتى جاوزت مابذلت لذى حق من اتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ونصيبه الأكمل وفهمت ماذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد تريد ان توهم الناس فى يزيد كأنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا أو تخبر عما كان احتويته بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش والحمام السبق لاترابهن والقينات ذوات المعارف وضروب الملاهى تجده ناصراً ودع عنك ماتحاول ، فما أغناك ان تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه فوالله ما برحت تقدم باطلا فى جور وحنقا فى ظلم حتى ملأت الأسقية وما بينك وبين الموت إلا غمضة فتقدم على عمل محفوظ فى يوم مشهود ولات حين مناص ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر ومنعتنا عن آبائنا تراثا ولقد لعمر الله أورثنا الرسول عليه السلام ولاده وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول فاذعن للحجة بذلك وردة الايمان إلى النصف فركبتم الأعاليل وفعلتم الأفاعيل وقلتم كان ويكون حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان تصدها لغيرك فهناك فاعتبروا يا أولى الأبصار . وذكرت

قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأميره له وقد كان ذلك
ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعته له وما صار لعمرو يومئذ
حتى أنف القوم إمرته وكرهوا تقديمه وعدوا عليه أفعاله فقال صلى الله عليه وسلم :
لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيرى . فكيف يحتج بالمنسوخ
من فعل الرسول فى أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب أم كيف
صاحبت بصاحب تابعا وحولك من لا يؤمن فى صحبته ولا يعتمد فى دينه وقرابته
وتتخطاهم الى مسرف مفتون تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقى فى دنيا
وتشقى بها فى آخرتك إن هذا لهو الخسران المبين واستغفر الله لى ولكم ، قال
فنظر معاوية إلى ابن عباس فقال ماهذا يا ابن عباس ولما عندك أدهى وأمر فقال
ابن عباس لعمر الله إنها لذرية الرسول وأحد أصحاب الكساء ومن البيت المطهر
قاله عما تريد فان فان لك فى الناس مقنعاً حتى يحكم الله بأمره وهو خير الحاكمين
فقال معاوية : أعود الحلم التحلم وخيره التحلم عن الأهل انصرفا فى حفظ الله ،
ثم أرسل معاوية الى عبد الرحمن بن أبى بكر وإلى عبد الله بن عمر وإلى عبد الله
ابن الزبير فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه معاوية ثم قال يا عبد الله ابن عمر قد كنت
تحدثنا أنك لا تحب أن تبيت ليلة وليس فى عنقك بيعة جماعة وإن لك الدنيا وما
فيها وإنى أحذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى فى تفريق ملائهم وان تسفك
دمائهم وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من أمرهم وقد
وكد الناس بيعتهم فى أعناقهم واعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم ثم سكت. فتكلم
عبد الله بن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا معاوية لقد كانت قبلك خلفاء
وكان لهم بنون ليس ابنك بخير من أبنائهم فلم يروا فى أبنائهم ما رأيت فى ابنك فلم
يحابوا فى هذا الأمر أحداً ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم وأن تحذرنى
أن أشق عصا المسلمين وافرق ملاهم وأسفك دماءهم ولم أكن لأفعل ذلك إن
شاء الله ولكن إن استقام الناس فسأدخل فى صالح ما تدخل فيه أمة محمد فقال

معاوية يرحمك الله ليس عنك خلاف ثم قال معاوية لعبد الرحمن بن أبي بكر نحو ما قاله لعبد الله بن عمر فقال له عبد الرحمن انك والله لوددنا ان نكلك الى الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد والذى نفسى بيده لتجعلنها شورى أو لاعيدها جذعة . ثم قام ليخرج فتعلق معاوية بطرف ردائه ثم قال على رسلك اللهم اكفنيه بما شئت لا تظهرن لأهل الشام فانى أخشى عليك منهم ثم قال لابن الزبير نحو ما قاله لابن عمر ثم قال له أنت ثعلب رواغ كلما خرجت من جحر انجحرت فى آخر أنت ألبت هذين الرجلين وأخرجتهما الى ما خرجا اليه فقال ابن الزبير أتريد أن تبايع ليزيد أرأيت ان بايعناه أيكما نطيع أنطيعك أم نطيعه إن كنت مللت الخلافة فاخرج منها وبايع ليزيد فنحن نبايعه فكثر كلامه وكلام ابن الزبير حتى قال له معاوية فى بعض كلامه والله ما أراك إلا قاتلا نفسك ولكأنى بك قد تخبطت فى الحبالة ثم أمرهم بالانصراف واحتجب عن الناس ثلاثة أيام لايخرج ثم خرج فأمر المنادى أن ينادى فى الناس أن يجتمعوا لأمر جامع فاجتمع الناس فى المسجد وقعد هؤلاء حول المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر يزيد وفضله وقراءته القرآن ثم قال . يا أهل المدينة لقد هممت ببيعة يزيد وما تركت قرية ولا مدرة إلا بعثت اليها ببيعته فبايع الناس جميعا وسلموا وأخرت المدينة بيعته وقلت بيضته وأصله ومن لا أخافهم عليه وكان الذين أبو البيعة منهم من كان أجدر أن يصله ووالله لو علمت مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له ، فقام الحسين فقال : والله لو تركت من هو خيراً منه أبا وأما ونفسا فقال معاوية كأنك تريد نفسك فقال الحسين نعم أصلحك الله فقال معاوية اذاً أخبرك أما قولك خير منه أما فلعمرى أمك خير من أمه ولو لم يكن إلا أنها امرأة من قريش لكان لنساء قريش أفضلهن فكيف وهى ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فاطمة فى دينها وسابقتها فأمك لعمر الله خير من أمه وأما أبوك حاكم أباه إلى الله فقضى لأبيه على أبيك فقال الحسين حسبك جهلك آثرت العاجل على الآجل فقال معاوية وأما ما ذكرت من أنك

خير من يزيد نفسا فيزيد والله خير لأمة محمد منك فقال الحسين هذا هو الافك والزور يزيد شارب الخمر ومشتر اللهو خير مني فقال معاوية مهلا عن شتم ابن عمك فانك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك ثم التفت معاوية إلى الناس وقال أيها الناس قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف أحداً فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر وكانت بيعته بيعة هدى فعمل بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف ونظرا لهم بعين الانصاف

(ما قال عبد الله بن الزبير لمعاوية)

قال وذكروا أن عبد الله بن الزبير قام إلى معاوية فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فترك الناس إلى كتاب الله فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر ثم رأى أن يستخلف عمر وهو أقصى قريش منه نسبا ورأى عمر أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين وفى المسلمين ابنه عبد الله وهو خير من ابنك فان شئت أن تدع الناس على ما تركهم رسول الله فيختارون لأنفسهم وإن شئت أن تستخلف من قريش كما استخلف أبو بكر خير من أن يعلم وإن شئت أن تصنع مثل ما صنع عمر تختار رهطا من المسلمين وتزويها عن ابنك فافعل ، فنزل معاوية عن المنبر وانصرف ذاهبا إلى منزله وأمر من حرسه وشرطته قوما أن يحضروا هؤلاء النفر الذين أبو البيعة وهم الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر وأوصاهم معاوية قال انى خارج العشية إلى أهل الشام فاخبرهم أن هؤلاء النفر قد بايعوا وسلموا فان

تكلم أحد منهم بكلام يصدقنى أو يكذبنى فيه فلا ينقضى كلامه حتى يطير رأسه فحذر القوم ذلك فلما كان العشى خرج معاوية وخرج معه هؤلاء النفر وهو يضاحكهم ويحدثهم وقد ألبسهم الحلل فالبس ابن عمر حلة حمراء وألبس عبد الله ابن عباس حلة خضراء وألبس الزبير حلة يمانية ، ثم خرج بينهم وأظهر لأهل الشام الرضا عنهم أى القوم وانهم بايعوا فقال يا أهل الشام إن هؤلاء النفر دعاهم أمير المؤمنين فوجدهم واصلين مطيعين وقد بايعوا وسلموا قال ذلك والقوم سكوت لم يتكلموا شيئا حذر القتل فوثب أناس من أهل الشام فقالوا يا أمير المؤمنين إن كان رأيك منهم ريب فخل بيننا وبينهم حتى نضرب أعناقهم فقال معاوية سبحان الله ما أحل دماء قريش عندكم يا أهل الشام لا أسمع لهم ذكراً بسوء فانهم قد بايعوا وسلموا وارتضونى فرضيت عنهم رضى الله عنهم ، ثم ارتحل معاوية راجعا إلى مكة وقد أعطى الناس أعطياتهم وأجزل العطاء وأخرج إلى كل قبيلة جوائزها وأعطياتها ولم يخرج لبنى هاشم جائزة ولا عطاء فخرج عبد الله بن عباس فى أثره حتى لحقه بالروحاء فجلس ببابه فجعل معاوية يقول من بالباب فيقال عبد الله بن عباس فلم يأذن لأحد فلما استيقظ قال من بالباب فقيل عبد الله بن عباس فدعا بدابته فادخلت اليه ثم خرج راكبا فوثب اليه عبد الله بن عباس فأخذ بلجام البغلة ثم قال أين تذهب قال إلى مكة قال فأين جوائزنا كما أجزت غيرنا فأومأ اليه معاوية فقال والله مالكم عندى جائزة ولا عطاء حتى يبايع صاحبكم قال ابن عباس فقد أبى ابن الزبير فاخرجت جائزة بنى أسد وأبى عبد الله بن عمر فاخرجت جائزة بنى عدى فما لنا ان أبى صاحبنا وقد أبى صاحب غيرنا فقال معاوية لستم كغيركم لا والله لا أعطيكم درهما حتى يبايع صاحبكم فقال ابن عباس أما والله لئن لم تفعل لألحقن بساحل من سواحل الشام ثم لأقولن ما تعلم والله لا تركتهم عليك خوارج فقال معاوية لا بل اعطيكم جوائزكم فبعث بها من الروحاء ومضى راجعا إلى الشام . فلم يلبث إلا قليلا حتى

حتى توفى عبد الرحمن بن أبي بكر فى نومة نامها رحمه الله

(ما قال سعيد بن عثمان بن عفان لمعاوية)

فلما قدم معاوية الشام أتاه سعيد بن عثمان بن عفان وكان شيطان قريش ولسانها قال يا أمير المؤمنين علي م تبايع ليزيد وتتركنى فوالله لتعلم أن أبى خير من أبيه وأمى خير من أمه وانك إنما نلت ما أنت فيه بأبى فضحك معاوية وقال يا ابن أخى أما قولك إن أباك خير من أبيه فيوم من عثمان خير من معاوية وأما قولك ان أمك خير من أمه ففضل قرشية على كلبية فضل بين واما أن أكون نلت ما أنا فيه بأبيك فانما هو الملك يؤتيه الله من يشاء قتل أبوك رحمه الله فتواكلته بنى العاصى وقامت فيه بنو حرب فنحن أعظم بذلك منة عليك، وأما أن تكون خير من يزيد فوالله ما أحب أن دارى مملوءة رجالا مثلك بيزيد ولكن دعنى من هذا القول وسلنى أعطك ، فقال سعيد بن عثمان بن عفان : يا أمير المؤمنين لا يعدم يزيد مزكيا ما دمت له وما كنت لارضى ببعض حقى دون بعض فاذا أبيت فاعطنى مما أعطاك الله فقال معاوية لك خراسان قال سعيد وما خراسان قال إنها لك طعمة وصلة رحم ، فخرج راضيا وهو يقول

ذكرت أمير المؤمنين وفضله فقلت جزاه الله خيرا بما وصل
وقد سبقت منى اليه بوادر من القول فيه آفة العقل والزلل
فعاد أمير المؤمنين بفضله وقد كان فيه قبل عودته ميل
وقال خراسان لك اليوم طعمة فجوزى أمير المؤمنين بما فعل
فلو كان عثمان الغداة مكانه لما نالنى من ملكه فوق ما بذل

فلما انتهى قوله إلى معايه أمر يزيد أن يزوده وأمر اليه بخلعة وشيعه فرسخا

(قدوم ابى الطفيل على معاوية)

قال وذكروا أنه لم يكن أحد أحب إلى معاوية أن يلقياه من أبي الطفيل الكنانى

وهو عامر بن واثلة وكان فارس أهل صفين وشاعرهم وكان من أخص الناس بعلى كرم الله وجهه فقدم أبو الطفيل الشام يزور بن أخ له من رجال معاوية فاخبر معاوية بقدومه فارسل اليه فاتاه وهو شيخ كبير فلما دخل عليه قال له معاوية أنت أبو الطفيل عامر بن واثلة قال نعم قال معاوية أكنت ممن قتل عثمان أمير المؤمنين قال لا ولكن ممن شهده فلم ينصره قال ولم قال لم ينصره المهاجرون والانصار فقال معاويه : أما والله ان نصرته كانت عليهم وعليك حقا واجبا وفرضا لازما فاذا ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله وأصاركم إلى ما رأيتم، فقال أبو الطفيل فما منعك يا أمير المؤمنين إذ تربصت به ريب المنون أن لا تنصره ومعك أهل الشام، فقال معاوية أوترى طلبي لدمه فضحك أبو الطفيل وقال: بلى ولكني وإياك كما قال عبيد بن الأبرص :

لأعرفنك بعد الموت تندبني وفى حياتي ما زودتني زادى

فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحكم فلما جلسوا نظر اليهم معاوية ثم قال أتعرفون هذا الشيخ قالوا لا فقال معاوية: هذا خليل علي بن أبي طالب وفارس صفين وشاعر أهل العراق هذا أبو الطفيل : قال سعيد ابن العاص قد عرفناه يا أمير المؤمنين فما يمنك منه وشتمه القوم فزجرهم معاوية قال مهلا فرب يوم ارتفع عن الأسباب قد ضقتم به ذرعا ثم قال اتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل قال : ما انكرهم من سوء ولا أعرفهم بخير وأنشد شعراً :

فان تكن العداوة قد أكنت فشر عداوة المرء السباب

فقال معاوية يا أبا الطفيل ما بقى لك الدهر من حب علي قال حب أم موسى واشكوا الى الله التقصير فضحك معاوية قال ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عنى ما قالوا هذا فقال مروان أجل والله لاتقول الباطل ثم قال جهزه معاوية وألحقه بالكوفة

(ما حاول معاوية من تزويج يزيد)

قال وذكروا أن يزيد بن معاوية سهر ليلة من الليالى وعنده وصيف لمعاوية يقال له رقيق فقال يزيد يستديم الله بقاء أمير المؤمنين وعافيته إياه وأرغب إليه فى تولية أمره فقد كنت أعرف من جميل رأى أمير المؤمنين فى حسن نظره فى جميع الأشياء ما الثقة فى ذلك والتوكل عليه منعنى من البوح بما جمجمت فى صدرى له وطلابه اليه فاضاع وترك من النظر فى شأنى وقد كان فى حلمه وعلمه ورضائه ومعرفته بما يحق لمثله النظر فيه غير غافل عنه ولا تارك له مع ما يعلم من هيبتى له وخشيتى منه فالله يجزيه عنى باحسانه ويغفر له ما اجترح من عهده ونسيانه ، فقال الوصيف وما ذلك جعلت فداك لا تلم على تضييعه إياك فانك تعرف تفضيله وحرصه عليك وما يخامر من حبك وإن ليس شىء أحب اليه ولا آثر عنده منك لديه . فاذكر بلاءه وأشكر حياءه فانك لا تبلغ من شكره إلا بعون من الله . قال فاطرق يزيد اطراقا عرف الوصيف منه ندامته على مابدا منه وباح به ، فلما آب من عنده توجه نحو سدة معاوية ليلا وكان غير محجوب عنه ولا محبوس دونه نبأ معاوية أنه ما جاء به ليلا إلا خبر أراد إعلامه به . فقال له معاوية ما وراءك وما جاء بك فقال أصلح الله أمير المؤمنين كنت عند يزيد ابنك فقال فيما استجر من الكلام كذا وكذا فوثب معاوية وقال ويحك ما أضعنا منه رحمة له وكراهية لما شجاه وخالف هواه وكان معاوية لايعدل بما يرضيه شيئا فقال على به وكان معاوية إذا أتته الأمور المشكلة المعضلة بعث إلى يزيد يستعين به على استيضاح شبهاتها واستسهال معضلاتها فلما جاءه الرسول قال أجب أمير المؤمنين فحسب يزيد أنه إنما دعاه إلى تلك الأمور التى يفزع إليه منها ويستعين برأيه عليها فاقبل حتى دخل ثم جلس فقال معاوية : يايزيد ما الذى أضعنا من أمرك وتركنا من الحيطة عليك وحسن النظر لك حيث قلت ما قلت

وقد تعرف رحمى بك ونظرى فى الأشياء التى تصلحك قبل أن تخطر على وهمك
فكنت أظنك على تلك النعماء شاكرا فأصبحت بها كافرا إذ فرطت من قولك ما
الزمنى فيه إضاعتى إياك وأوجبت على منه بالتقصير ، لم يزجرك عن ذلك تخوف
سخطى ولم يحجزك دون ذكره سالف نعمتى ولم يردعك عنه حق أبوتى فأى ولد
أعق منك أو أكيد وقد علمت أنى تخطأت الناس كلهم فى تقديمك ونزلتهم لتوليتى
إياك ونصبتك إماما على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم من
عرفت وحاولت منهم ما علمت . قال فتكلم يزيد وقد خنقه من شدة الحياء الشرق
واخضله من اليم الوجد العرق . قال : لا تلزمنى كفر نعمتك ولا تنزل بى عقابك
وقد عرفت نعمة مواصلتك ببرك وحظوتى إلى كل ما يسرك فى سرى وجهرى
فليكن سخطك فان الذى أرثى له من أعباء حمله وثقله أكثر مما أرثى لنفسى من
اليم ما بها وشدته وسوف أنبئك وأعلمك أمرى . كنت قد عرفت من أمير
المؤمنين استكمل الله بقاءه نظراً فى خيار الأمور لى وحرصا على سياقها إلى .
وأفضل ما عسيت استعده بعد إسلامى المرأة الصالحة وقد كان ما تحدث به من
فضل جمال ارينب بنت إسحاق وكمال أدبها ما قد سطع وشاع فى الناس فوقع
منى بموقع الهوى فيها والرغبة فى نكاحها فرجوت ألا تدع حسن النظر لى فى أمرها
فتركت ذلك حتى استنكحها بعلها فلم يزل ما وقع فى خلدى ينمو ويعظم فى
صدرى حتى عيل صبرى فبحت بسرى فكان مما ذكرت تقصيرك فى أمرى
فالله يجزيك أفضل من سؤالى وذكرى . فقال له معاوية : مهلا يا يزيد فقال
على تأمرنى بالمهل وقد انقطع منها الأمل فقال له معاوية فاين حجاك ومروءتك
وتقاك فقال يزيد : قد يغلب الهوى على الصبر والحجا ولو كان أحد ينتفع فيما
يبتلى به من الهوى بتقاه أو يدفع ما أقصده بحجاه لكان أولى الناس بالصبر داود عليه
السلام وقد خبرك به القرآن بأمره فقال معاوية فما منعك قبل الفوت من ذكره
قال ما كنت أعرفه واثق به من جميل نظرك قال صدقت ولكن اكتم يابنى أمرك

بحلمك واستعن بالله على غلبة هواك بصبرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ أمره ولابد مما هو كائن وكانت ارينب بنت اسحاق مثلا فى أهل زمانها فى جمالها وتمام كمالها وشرفها وكثرة مالها فتزوجها رجل من بنى عمها يقال له عبد الله بن سلام من قريش وكان من معاوية بالمنزلة الرفيعة فى الفضل ووقع أمر يزيد من معاوية موقعاً ملاه هما وأوسعه غماً فاخذ فى الحيلة والنظر أن يصل اليها وكيف يجمع بينه وبينها حتى يبلغ رضا يزيد فيها . فكتب معاوية إلى عبد الله بن سلام وكان قد استعمله على العراق ان أقبل حين تنظر فى كتابى هذا لأمر حظك فيه كامل ولا تتأخر عنه فاغذ المسير والاقبال . وكان عند معاوية بالشام ابو هريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عبد الله بن سلام الشام أمر معاوية أن ينزل منزلا قد هيء له وأعد له فيه نزلة ثم قال لابى هريرة وصاحبه : إن الله قسم بين عباده قسما ووهبهم نعما أوجب عليهم شكرها وحتم عليهم حفظها وأمره برعاية حقها وسلطان طريقها بجميل النظر وحسن التفقد لمن طوقهم الله أمره كما فوضه اليهم حتى يؤدوا إلى الله الحق فيهم كما أوجبه عليهم فحبانى عز وجل بأعز الشرف وسمو السلف وأفضل الذكر وأغدق اليسر وأوسع على فى رزقه وجعلنى راعى خلقه وأمينه فى بلاده والحاكم فى أمر عباده ليبلونى أأشكر آلاءه أم أكفرها فلياه اسأله اداء شكره وبلوغ ما أرجو بلوغه من عظيم أجره وأول ما ينبغى للمرء أن يتفقده وينظر فيه فيمن استرعاه الله أمره من أهله ومن لا غنى به عنه . وقد بلغت لى إبنة أردت إنكاحها والنظر فى تبعل من يريد أن يباعلها لعل من يكون بعدى يهتدى منه بهدى وتتبع فيه أثرى فانى قد تخوفت أن يدعو من يلى هذا الأمر من بعدى زهوة السلطان وسرفه إلى عضل نسائهم وألا يرون لهن فيمن ملكهن أمره كفؤاً ولا نظيراً وقد رضيت لها عبد الله ابن سلام لدينه وفضله ومروءته وأدبه . فقال أبو هريرة وأبو الدرداء أن أولى الناس برعاية أنعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيها فيما خصه به منها

أنت يا صاحب رسول الله وكاتبه . فقال معاوية أذكرا له ذلك عنى وقد كنت جعلت لها فى نفسها شورى غير أنى أرجو أنها لا تخرج من رأيي إن شاء الله . فلما خرجا من عنده متوجهين إلى منزل عبد الله بن سلام بالذى قال لهما قال ودخل معاوية الى ابنته فقال لها إذا دخل عليك أبو هريرة وأبو الدرداء فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام وانكاحى إياك منه ودعوك إلى مباعلته وحضاك على ملائمة رأيي والمسارعة إلى هواى فقولى لهما عبد الله بن سلام كفؤ كريم وقريب حميم غير أنه تحته اريب بنت إسحاق وأنا خائفة أن يعرض لى من الغيرة ما يعرض للنساء فأتولى منه ما أسخط الله فيه فيعذبنى عليه فأفارق الرجاء وأستشعر الأذى ولست بفاعلة حتى يفارقها . فذكر ذلك أبو هريرة وأبو الدرداء لعبد الله بن سلام وأعلماه بالذى أمرهما معاوية فلما أخبراه سر به وفرح وحمد الله عليه ثم قال : نستمتع الله يا أمير المؤمنين لقد والى على من نعمه وأسدى إلى من منته فأطول ما أقول فيه قصير وأعظم الوصف لهـا يسير ثم أراد إخلاطى بنفسه وإلحاقى بأهله إتماما لنعمته وإكمالا لاحسانه فالله استعين على شكره وبه أعوذ من كيده ومكره ، ثم بعثهما اليه خاطبين عليه فلما قدما قال لهما معاوية قد تعلمان رضائى به وتنخلى إياه وحرصى عليه وقد كنت أعلمتكما بالذى جعلت لها فى نفسها من الشورى فادخلا اليها واعرضا عليها الذى رأيت لها فدخلا عليها واعلماها بالذى ارتضاه لها أبوها لما رجاهن ثواب الله عليه فقالت لهما كالذى قال لهما أبوها فأعلماه بذلك فلما ظن أنه لا يمنعها منها إلا أمرها فارق زوجته واشهدهما على طلاقها وبعثهما خاطبين اليه أيضاً فخطبا واعلما معاوية بالذى كان من فراق عبد الله ابن سلام امرأته طلابا لما يرضيها وخروجا عما يشجيها فأظهر معاوية كراهة لفعله وقال : ما استحسن له طلاق امرأته ولا أحببته ولو صبر ولم يعجل لكان أمره إلى مصيره فان كون ما هو كائن لابد منه ولا محيص عنه ولا خبرة فيه للعباد والأقدار غالبة وما سبق فى علم الله لابد جار فيه فانصرفا فى عافية ثم

تعودان الينا فيه وتأخذان إن شاء الله رضانا . ثم كتب الى يزيد ابنه يعلمه بما
كان من طلاق اريتب بنت اسحاق عبد الله بن سلام فلما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء
إلى معاويه أمرهما بالدخول عليها وسألاها عن رضاها تبريا من الأمر ونظرا
فى القول والعذر فيقول لم يكن لى أن أكرهها وقد جعلت لها الشورى فى نفسها
فدخلا عليها وأعلماها بالذى رضيه إن رضيت هى بطلاق عبدالله بن سلام امرأته
اريتب طلابا لمسرتها وذكرا من فضله وكمال مروءته وكريم محتده ما القول
يقصر عن ذكره . فقالت لهما جف القلم بما هو كائن وإنه فى قريش لرفيع غير
أن الله عز وجل يتولى تدبير الأمور فى خلقه وتقسيمها بين عباده حتى ينزلها
منازلها فيهم ويضعها على ما سبق فى أقدارها وليست تجرى لأحد على ما يهوى
ولو كان لبلغ منها غاية ما شاء . وقد تعرفان أن التزويج هزله جد وجد ندم النادم
عليه ندم والعثور فيه لا يكاد يقوم والاناة فى الأمور أوفق لما يخاف فيها من
المحذور ، فان الأمور اذا جاءت خلاف الهوى بعد التأنى فيها كان المرء بحسن
العزاء خليقا وبالصبر عليها حقيقا ، وعلمت أن الله ولى التدبير فلم تلم النفس على
التقصير وانى بالله استعين بسائله عنه حتى أعرف دخيلة خبره ويصح لى الذى
أريد علمه من أمره ومستخيرة وإن كنت أعلم أنه لا خيرة لأحد فيما هو كائن
ومعلمتكما بالذى يرينية الله فى أمره ولا قوة إلا بالله . فقالا وفقك الله وخار
لك ثم انصرفا عنها فلما أعلماه بقولها تمثل وقال :

فان يك صدر هذا اليوم ولى ٭ فان غداً لناظره قريب

وتحدث الناس بالذى كان من طلاق عبد الله امرأته قبل أن يفرغ من طلبته
وقبل أن يوجد له الذى كان من يعينه ولم يشكو فى غدر معاوية إياه فاستحث عبدالله
ابن سلام أبا هريرة وأبا الدرداء وسألهما الفراغ من أمره فأتياها فقالا لها قد
أتيناك لما أنت صانعة فى أمرك وأن تستخيرى الله يخر لك فيما تختارين فانه يهدى
من استهداه ويعطى من اجتداه وهو أقدر القادرين قالت الحمد لله أرجو أن

يكون الله قد خار لى فانه لايكل إلى غيره من توكل عليه . وقد استبرأت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهى عنه ومنهم الآمر به واختلافهم أول ما كرهت من الله فعلم عبد الله أنه خدع فهلع ساعة واشتد عليه الهم . ثم انتبه فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال متعزيا ليس لأمر الله راد ولا لما لابد أن يكون منه صاد ، أمور فى فى علم اللهسبقت فجرت بها أسبابها حتى امتلأت منها أقرابها وان امرؤ انثال له حلمه واجتمع له عقله واستدله رأيه ليس بدافع عن نفسه قدراً ولا كيداً ولا انحرافا عنه ولا حيداً ولا آل ما سروا به واستجذلوا له لايدوم لهم سروره ، ولا يصرف عنهم محذوره قال وذاع أمره فى الناس وشاع ، ونقلوه الى الأمصار وتحدثوا به فى الأسمار وفى الليل والنهار وشاع فى ذلك قولهم وعظم لمعاوية عليه لومهم وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته وإنما أرادها لابنه فبئس ما استرعاه الله أمر عباده ومكنه فى بلاده وإشركه فى سلطانه يطلب أمراً بخدعة من جعل الله اليه أمره ويحيره ويصرحه جرأة على الله فلما بلغ معاوية ذلك من قول الناس قال لعمرى ما خدعته . قال فلما انقضت اقراؤها وجه معاوية أبا الدرداء إذ قدم الى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي وهو سيد أهل العراق فقها وحالا وجودا وبذلا فقال أبو الدرداء إذ قدم العراق ما ينبغى لذوى الحجا والمعرفة والتقى أن يبدأ به ويؤثره على مهم أمره مما يلزمه حقه ويجب عليه حفظه وهذا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة فلست بناظر فى شيء قبل الالمام به والدخول عليه والنظر الى وجهه الكريم وأداء حقه والتسليم عليه ثم استقبل بعد إن شاء الله ما جئت له وبعثت اليه فقصد حتى أتى الحسين فلما رآه الحسين قام إليه فصافحه إجلالا له ومعرفته لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعه من الاسلام ثم قال الحسين مرحباً بصاحب رسول الله وجليسه ياأبا الدرداء حدثت لى رؤيتك شوقا

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوقدت مطلقا أحزانى عليه فانى لم أر منذ فارقته أحدا كان له جليساً واليه حبيبا إلا همات عيناى وأحرقت كبدى أسى عليه وصبابة اليه ففاضت عينا أبى الدرداء لذكر رسول الله وقال : جزى الله لبانة أقدمتنا عليك وجمعتنا بك خيراً . فقال والله إنى لذو حرص عليك ولقد كنت بالاشتياق اليك فقال أبو الدرداء . وجهنى معاوية خاطبا على ابنه يزيد اريتب بنت إسحاق فرأيت أن لا أبدأ بشىء قبل احداث العهد بك والتسليم عليك . فشكر له الحسين ذلك وأثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها بعد انقضاء اقرائها فلم يمنعنى من ذلك إلا تخير مثلك فقد أتى الله بك فاخطب رحمك الله علي وعليه فلتختر من اختاره الله لها وانها أمانة فى عنقك حتى تؤديها اليها واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أبو الدرداء أفعل إن شاء الله . فلما دخل عليها قال لها : أيتها المرأة إن الله خلق الأمور بقدرته وكونها بعزته فجعل لكل أمر قدراً ولكل قدر سببا فليس لأحد عن قدر الله مستحاص ولا عن الخروج عن علمه مستناص ، فكان مما سبق لك وقدر عليك الذى كان من فراق عبد الله بن سلام إياك ولعل ذلك لا يضرك وأن يجعل الله لك فيه خيراً كثيراً وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن الملك وولى عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من آمن به من أمته وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما وفضلهما وجئتك خاطبا عليهما فاختار أيهما شئت . فسكتت طويلا ثم قالت ياأبا الدرداء : لو أن هذا الأمر جاءنى وانت غائب عنى أشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك ولم أقطعه دونك على بعد مكانك ونأى دارك فأما اذا كنت المرسل فيه فقد فوضت أمرى بعد الله اليك وبرئت منه اليك وجعلته فى يديك فاختر لى ارضاهما لديك والله شهيد عليك واقض فيه قضاء ذى التحرى المتق ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوى فليس أمرهما عليك خفيا وما أنت عما طوقتك عمياً . فقال

أبو الدرداء : أيتها المرأة إنما على أعلامك وعليك الاختيار لنفسك قالت . عفا الله عنك إنما أنا بنت أخيك ومن لاغنى بها عنك فلا يمنعك رهبة . أحد من قول الحق فيما طوقتك فقد وجب عليك أداء الأمانة فيما حملتك والله خير من روعى وخيف إنه بنا خبير لطيف . فلما لم يكن بداً من القول والاشارة عليها قال أى بنية أين بنت رسول الله أحب إلى وارضاهما عندى والله أعلم بخيرهما لك وقد كنت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتى الحسين فضعى شفتك حيث وضعها رسول الله ، قالت قد اخترته ورضيته فاستنكحها الحسين بن علي وساق اليها مهراً عظيما وقال الناس . وبلغ معاوية الذى كان من فعل ابى الدرداء فى ذكره حاجة أحد مع حاجته وما بعثه هو له ونكاح الحسين إياها فتعاظمه ذلك جداً ولامه لوماً شديداً وقال : من يرسل ذا بلاهة وغماً يركب فى أمره خلاف مايهوى ورأبى كان من رأيه أسوأ ولقد كنا بالملامة منه أولى حين بعثناه ولحاجتنا انتحلناه . وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه إياها بدرات مملوءة دراً كان ذلك الدر أعظم ماله واحب اليه وكان معاوية قد اطرحه وقطع جميع رواقده عنه لسوء قوله فيه وتهمته إياه على الخديعة فلم يزل يجفوه ويغضبه ويكدى به عنه ما كان يجديه حتى عيل صبره وطال أمره وقل مافى يديه ولام نفسه على المقام لديه فخرج من عنده راجعا الى العراق وهو يذكر ماله الذى كان استودعها ولا يدرى كيف يصنع وأنى يصل اليه ويتوقع جحودها عليه لسوء فعله بها وطلاقه إياها على غير شيء انكره منها ولا نقمة عليها فلما قدم العراق لقى الحسين فسلم عليه . ثم قال قد علمت جعلت فداك الذى كان من قضاء الله فى طلاق اريتب بنت إسحاق وكنت قبل فراقى اياها قد استودعتها مالا عظيما دراً وكان الذى كان ولم أقبضه ووالله ما انكرت منها فى طول ما صحبتها فتيلا ولا أظن بها الا جميلا فذاكرها أمرى واحضضها على الرد علي فان الله يحسن عليك ذكرك ويجزل به أجرك . فسكت عنه فلما انصرف الحسين إلى أهله قال لها قدم

عبد الله بن سلام وهو يحسن الثناء عليك ويجعل النشر عنك فى حسن صحبتك وما آنسه قديما من اماتتك فسرنى ذلك وأعجبنى ، وذكر أنه كان استودعك مالا قبل فراقه إياك فأدى اليه أمانته وردى عليه ماله فانه لم يقل الا صدقا ولم يطلب إلا حقا . قالت صدق قد والله استودعنى مالا لا أدرى ماهو وإنه لمطبوع عليه بطابعه ما أخذ منه شيئا إلى يومه هذا فأثنى عليها الحسين خيراً وقال بل أدخله عليك حتى تبرئى اليه منه كما دفعه اليك . ثم لقى عبد الله بن سلام فقال له ما انكرت مالك وزعمت أنه لكما دفعته اليها بطابعك فادخل ياهذا عليها وتوف مالك منها فقال عبد الله بن سلام أو تأمر بدفعه إلى جعلت فداك قال لا حتى تقبضه منها كما دفعته اليها وتبرئها منه إذا أدته . فلما دخلا عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطالب وديعته فادها اليه كما قبضتيها منه فأخرجت البدرات فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكر لها واثنى عليها وخرج الحسين ففض عبد الله خاتم بدرة فحثا لها من ذلك الدر حثوات وقال خذى فهذا قليل منى لك واستعبرا جميعا حتى تعالت أصواتهما بالبكاء أسفا على ماابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما للذى سمع منهما فقال أشهد الله إنها طالق ثلاث اللهم إنك تعلم أنى لم أستنكحها رغبة فى مالها ولا جمالها ولكنى أردت احلالها لبعلها وثوابها على ما عالجته فى أمرها فأوجب لى بذلك الاجر واجزل لى عليه الذخر إنك على كل شىء قدير ولم يأخذ مما ساق اليها فى مهرها قليلا ولا كثيرا وكان عبد الله بن سلام سأل ذلك أرينب أى التعويض على الحسين فاجابته إلى رد ماله عليه شكرا لما صنعه بهما فلم يقبله وقال الذى أرجوا عليه من الثواب خير لى منه . فتزوجها عبد الله بن سلام وعاشا متحابين متصادقين حتى قبضهما الله وحرمها الله على يزيد . والحمد لله رب العالمين

(وفاة معاوية رحمه الله)

قال وذكروا أن عتبة بن مسعود قال مر بنا نعي معاوية بن أبي سفيان ونحن بالمسجد الحرام قال فقمنا فأتينا ابن عباس فوجدناه جالساً قد وضع له الخوان وعنده نفر فقلنا أما علمت بهذا الخبر يا ابن عباس قال وما هو قلنا هلك معاوية فقال ارفع الخوان يا غلام وسكت ساعة ثم قال جبل تزعزع ثم مال بكلكله أما والله ما كان كمن كان قبله ولما يكن بعده مثله . اللهم أنت أوسع لمعاوية فينا وفي بني عمنا هؤلاء الذى لب معتبر اشتجرنا بيننا فقتل صاحبهم غيرنا وقتل صاحبنا غيرهم وما أغراهم بنا إلا أنهم لا يجدون مثلنا وما أغرانا بهم إلا أنا لا نجد مثلهم . كما قال القائل مالك تظلمني قال لا أجد من أظلم غيرك . ووالله ان ابنه لخير أهله أعد طعامك يا غلام قال فما رفع الخوان حتى جاء رسول خالد ابن الحكم إلى ابن عباس ان انطلق فبايع فقال للرسول اقرأ الأمير السلام وقل له والله ما بقي فى ما تخافون فاقض من أمرك ما أنت قاض فاذا سهل الممشى وذهبت حطمة الناس جئتك ففعلت ما أحببت قال ثم أقبل علينا فقال : مهلا معشر قريش أن تقولوا عند موت معاوية ذهب جد بنى معاوية وانقطع ملكهم ذهب لعمرالله جدهم وبقي ملكهم وشرها بقية هى أطول مما مضى الزموا مجالسكم واعطوا بيعتكم قال فما برحنا حتى جاء رسول خالد فقال يقول لك الأمير لابد لك أن تأتينا قال فان كان لا بد فلا بد مما لابد منه : يانوار هلمى ثيابى ثم قال وما ينفعكم إتيان رجل إن جلس لم يضركم قال فقلت له أتبايع ليزيد وهو يشرب الخمر ويلهو بالقيان ويستهتر بالفواحش قال مه فأين ما قلت لكم وكم بعده من آت ممن يشرب الخمر أو هو شر من شاربها أنتم إلى بيعته سراع أما والله انى لأنهاكم وأنا أعلم أنكم فاعلون ما أنتم فاعلون حتى يصلب مصلوب

قريش بمكة يعني عبد الله بن الزبير

(كتاب يزيد بالبيعة الى أهل الشام)

قال وذكروا أن نافع بن حبير قال انى بالشام يوم موت معاوية وكان يزيد غائباً واستخلف معاوية الضحاك بن قيس بعده حتى يقدم يزيد فلما مات معاوية خرج الضحاك على الناس فقال لا يحملن نعش أمير المؤمنين إلا قرشى قال فحملته قريش ساعة ثم قال أهل الشام أصلح الله الأمير اجعل لنا من أمير المؤمنين نصيباً فى موته كما كان لنا فى حياته قال فاحملوه فحملوه وازدحموا عليه حتى شقوا البرد الذى كان عليه صدعين قال فلما قدم يزيد دمشق بعد موت أبيه إلى عشرة أيام كتب إلى خالد بن الحكم وهو عامل المدينة : أما بعد فان معاوية بن أبى سفيان كان عبداً استخلفه الله على العباد ومكن له فى البلاد وكان من حادث قضاء الله جل ثناؤه وتقدست أسماءه فيه ما سبق فى الأولين والآخرين لم يدفع عنه ملك مقرب ولا نبي مرسل فعاش حميداً ومات سعيداً وقد قلدنا الله عز وجل ما كان اليه فيالها مصيبة ما أجلها ونعمة ما أعظمها نقل الخلافة وفقد الخليفة فنستوزعه الشكر ونستلهمه الحمد ونسأله الخيرة فى الدارين معاً ومحمود العقبى فى الآخرة والأولى إنه ولى ذلك وكل شيء بيده لا شريك له . وإن أهل المدينة قومنا ورجالنا ومن لم نزل على حسن الرأى فيهم والاستعداد بهم واتباع أثر الخلفية فيهم والاحتذاء على مثاله لديهم من الاقبال عليهم والتقبل من محسنهم والتجاوز عن مسيئهم فبايع لنا قومنا ومن قبلك من رجالنا بيعة منشرحة بها صدوركم طيبة عليها أنفسكم . وليكن أول من يبايعك من قومنا وأهلنا الحسين وعبد الله ابن عمر وعبدالله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر ويحلفون على ذلك بجميع الايمان اللازمة بصدقة أموالهم غير عشرها وجزية رقيقهم وطلاق نسائهم بالثبات على الوفاء بما يعطون من بيعتهم ولا قوة إلا بالله والسلام

(إباية القوم المتمنعين عن البيعة)

قال وذكروا أن خالد بن الحكم لما أتاه الكتاب من يزيد قطع به فدعا مروان بن الحكم وكان على المدينة قبله فلما دخل عليه مروان وذلك فى أول الليل فقال له خالد احتسب صاحبك يامروان فقال لهمروان أكتم ما بلغك إنا لله وإنا اليه راجعون ثم اقرأه الكتاب وقال له ما الرأى فقال أرسل الساعة إلى هؤلاء النفر نخذ بيعتهم فانهم إن بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من أهل الاسلام فعجل عليهم قبل أن يفشى الخبر فيمتنعوا فأرسل إلى الحسين بن على وعبد الله ابن الزبير وعبد الله بن عمر فلما أتاهم الرسول قال عبد الله بن الزبير للحسين : ظن يا أبا عبد الله فيما أرسل الينا فقال الحسين لم يرسل الينا إلا للبيعة فما ترى قال آتيه فان أراد تلك امتنعت عليه . فدعا الحسين مواليه وأهل بيته وأقعدهم على الباب وقال لهم إن ارتفع صوتي فاقتحموا الدار علىوإلا فمكانكم حتى أخرج اليكم . ثم دخل على خالد فأقرأه الكتاب فقال الحسين رحم الله معاوية فقال له بايع فقال الحسين : لا خير فى بيعة سر والظاهرة خير فاذا حضر الناس كان أمراً واحداً ثم وثب الى أهله . فقال مروان لخالد أشدد يدك بالرجل حتى يبايعك فان أبى فاضرب عنقه . فقال له ابن الزبير : قد علمت إنا كنا أبينا البيعة إذ دعانا اليها معاوية وفى نفسه علينا من ذلك مالا نجهله ومتى ما نبايعك ليلا على هذه الحال نرى أنك أغضبتنا على أنفسنا دعنا حتى نصبح وندعو الناس إلى البيعة فنأتيك نبايعك بيعة سليمة صحيحة فلم يزالا به حتى خلا عنهما وخرجا : فقال مروان لخالد : تركتهما والله لا تظفر بمثلها منهما أبداً فقال ويحك أتشير على أن أقتل الحسين فوالله ما يسرنى ان لى فى الدنيا وما أحسب أن قاتله يلقى الله بدمه إلا خفيف الميزان يوم القيامة فقال له مروان مستهزءاً إن كنت إنما تركت ذلك لذلك فقد أصبت

(خلع أهل المدينة يزيد)

قال وذكروا أن يزيد بن معاوية عزل خالد بن الحكم عن المدينة وولاها عثمان بن محمد بن أبي سفيان الثقفي وخرج الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير إلى مكة وأقبل عثمان بن محمد من الشام واليا على المدينة ومكة وعلى الموسم في رمضان فلما استوى على المنبر بمكة رعف فقال رجل مستقبله جئت والله بالدم فتلقاه رجل آخر بعمامته فقال مه والله عم الناس ثم قام يخطب فتناول عصا لها شعبتان فقال مه شعب والله أمر الناس ثم نزل فقال الناس للحسين يا أبا عبد الله لو تقدمت فصليت بالناس فانه ليهم بذلك إذ جاء المؤذن فأقام الصلاة فتقدم عثمان فكبر فقيل للحسين يا أبا عبد الله إذا أبيت أن تتقدم فأخرج فقال الصلاة في الجماعة أفضل قال فصلى ثم خرج فلما انصرف عثمان بن محمد من الصلاة بلغه أن الحسين خرج قال: اركبوا كل بعير بين السماء والأرض فاطلبوه فطلب فلم يدرك . قال ثم قدم المدينة فأقبل ابن ميناء بسراح له من الحرة يريد الأموال التي كانت لمعاوية فمنع منها وأزاحه أهل المدينة عنها وكانت أموالا اكتسبها معاوية ونخيلا يجد منها مائة ألف وستين ألفاً ودخل نفر من قريش والأنصار على عثمان فكلموه فيها فقالوا قد علمت أن هذه الأموال كلها لنا وأن معاوية آثر علينا في عطائنا ولم يعطنا قط درهما فما فوقه حتى مضنا الزمان ونالتنا المجاعة فاشتراها منا بجزء من مئة من ثمنها فأغلظ لهم عثمان في القول وأغلظوا له فقال لهم لأكتبن إلى أمير المؤمنين بسوء رأيكم وما أنتم عليه من كمون الأضغان القديمة والأحقاد التي لم تزل في صدوركم فافترقوا على موجدة ثم اجتمع رأيهم على منع ابن ميناء القيم عليها فكف عثمان بن محمد عنهم وكتب بأمرهم إلى يزيد بن معاوية قال عبد الله بن جعفر جاء كتاب عثمان ابن محمد بعد هدأة من الليل وقد كنت انصرفت من عند يزيد فلم ألبث أن جاءني رسوله فدخلت عليه والشمعة بين يديه وهو مغضب قد حسر عن ذراعيه والكتاب

بين يديه فقال دونك يا أبا جعفر هذا الكتاب فاقرأه فرأيت كتابا قبيحاً فيه تعريض لأهل المدينة وتحريش ثم قال : والله لاطأنهم وطأة آتي منها على أنفسهم قال ابن جعفر فقلت له إن الله لم يزل يعرف أباك في الرفق خيراً فان رأيت أن ترفق بهم وتتطاول عنهم فعلت فانما هم أهلك وعشيرتك وإنما تقتل بهم نفسك إذا قتلتهم . قال أقتل وأشتق نفسي فلم أزل ألح عليه فيهم وأرققه عليهم وكان لي سامعا ومطيعاً . فقال لي : ان ابن الزبير حيث علمت من مكة وهو زعم أنه قد نصب الحرب فأنا أبعث اليه الجيوش وآمر صاحب أول جيش أبعثه أن يتخذ المدينة طريقا وأن لا يقاتل فان أقروا بالطاعة ونزعوا من غيهم وضلالهم فلهم على عهد الله وميثاقه أن لهم عطاءين في كل عام ما لا أفعله بأحد من الناس طول حياتي عطاء في الشتاء وعطاء في الصيف ولهم علي عهدان أجعل الحنطة عندهم كسعر الحنطة عندنا والحنطة عندهم سبع آصع والعطاء الذي يذكرون أنه احتبس عنهم في زمان معاوية فهو على أن أخرجه لهم وافراً كاملا فان أنابوا وقبلوا ذلك وجازوا إلى ابن الزبير وإن أبوا قاتلهم ثم ان ظفر بها انهبها ثلاثا هذا عهدي الى صاحب جيشي لمكانك ولطلبتك فيهم ولما زعمت أنهم قومي وعشيرتي. قال عبد الله ابن جعفر فرأيت لهم هذا فرجا فرجعت إلى منزلي فكتبت اليهم من ليلتي كتابا إلى أهل المدينة أعلمهم فيه قول يزيد وأحضهم على الطاعة والتسليم والرضا والقبول لما بذل لهم وأنهاهم أن يتعرضوا لجيوشه وقلت لرسولي اجهد السير فدخلها في عشر فما أرادوا ذلك ولا قبلوه وقالوا والله لا يدخلها عنوة أبداً

(كتاب يزيد الى أهل المدينة)

قال وكتب يزيد إلى المدينة كتابا وأمر عثمان بن محمد يقرأه عليهم فقدم بالكتاب إلى المدينة وعثمان خائف فقرأه عليهم فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد فاني قد نفستكم حتى أخلفتكم ورفعتكم حتى أخرتكم ورفعتكم على رأسي

ثم وضعتكم وأيم الله لئن أشرت أن اضعكم تحت قدمى لاطأنكم وطأة أقل منها عددكم وأترككم أحاديث تتناسخ كأحاديث عاد وثمود وأيم الله ليأتينكم منى أولى من عقوبتى فلا أفلح من ندم

(ما أجمع عليه أهل المدينة ورأوه من إخراج بنى أمية)

قال وذكروا أنه لما قرأ الكتاب تكلم عبد الله بن مطيع ورجال معه كلاما قبيحاً فلما استبان لهم أن يزيداً باعث الجيوش اليهم أجمعوا على خلافهم واختلفوا فى الرئاسة أيهم يقوم بهذا الأمر . فقال قائل ابن مطيع وقال قائل ابراهيم بن نعيم ثم اجتمع رأيهم أن يقوم بأمرهم حنظلة وهرب عثمان بن محمد منهم ليلا فلحق بالشام ثم أخذ مروان بن الحكم وكبراء بنى أمية فأخرجوهم عن المدينة فقالوا الشقة بعيدة ولا بد لنا مما يصلحنا ولنا عيال وصبية ونحن نريد الشام قال فاستنظروا عشرة أيام فانظروا ثم اجتمع رأى أهل المدينة أن يحلفوا كبراء بنى أمية عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لقوا جيش يزيد ليردونهم عنهم إن استطاعوا فان لم يستطيعوا مضوا إلى الشام ولم يرجعوا معهم فحلفوا لهم على ذلك وشرطوا عليهم أن يقيموا بذى خشب عشرة أيام فخرجوا من المدينة وتبعهم الصبيان وسفهاء الناس يرمونهم بالحجارة حتى انتهوا الى ذى خشب ولم يتحرك أحد من آل عثمان ابن محمد ولم يخرج من المدينة فلما رأت بنو أمية ما صنع بهم أهل المدينة من إخراجهم منها اجتمعوا إلى مروان فقالوا يا أبا عبد الملك ما الرأى قال من قدر منكم أن يغيب حريمه فليفعل فانما الخوف على الحرمة فغيبوا حرمهم فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن بلغنى انك تريد الخروج إلى مكة وتغيب عن هذا الأمر فأحب أن أوجه عيالى معك فقال ابن عمر إنى لا أقدر على مصاحبة النساء قال فتجعلهم فى منزلك مع حرمك قال لا آمن أن أدخل على حريمى من أجل مكانكم . فكلم مروان علي بن الحسين فقال نعم فضمهم علي اليه وبعث بهم

مع عياله ، قال ثم ارتحل القوم من ذى خشب على أقبح إخراج يكونوا اجتثاثه منهم خوفا أن يبدو للقوم فى حبسهم وجعل مروان يقول لابنه عبد الملك يا بنى أن هؤلاء القوم لم يدروا ولم يستشيروا فقال ابنه وكيف ذلك قال إذ لم يقتلونا أو يحبسونا فان بعث اليهم بعثا كنا فى أيديهم وما أخوفنى أن يفطنوا لهذا الأمر فيبعثوا فى طلبنا فالوحا الوحا والنجا والنجا

(ارسال يزيد الجيوش عليهم)

قال فلما أجمع رأى يزيد على ارسال الجيوش صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : أما بعد يا أهل الشام فان أهل المدينة أخرجوا قومنا منها والله لئن تقع الخضراء على الغبراء أحب إلى من ذلك ، وكان معاوية قد أوصى يزيد فقال له إن رابك منهم ريب أو انتقص عليك منهم أحد فعليك بأعور بنى مرة مسلم ابن عقبة فدعا به فقال سر إلى هذه المدينة بهذه الجيوش وإن شئت أعفيتك فانى أراك مدنفاً منهوكا فقال نشدتك الله أن لا تحرمنى أجراً ساقه الله إلى أو تبعث غيرى فانى رأيت فى النوم شجرة غرقد تصيح أغصانها ياثارات عثمان فأقبلت إليها وجعلت الشجرة تقول إلى يا مسلم بن عقبة فأتيت فأخذتها فعبرت ذلك أن أكون أنا القائم بأمر عثمان ووالله ما صنعوا الذى صنعوا إلا أن الله أراد بهم الهلاك . فقال يزيد فسر على بركة الله فأنت صاحبهم فخرج مسلم فعسكر وعرض الأجناد فلم يخرج معه أصغر من ابن عشرين ولا أكبر من ابن خمسين على خيل عراب وسلاح شاك واداة كاملة ووجه معه عشرة آلاف بعير تحمل الزاد حتى خرج فخرج معه يزيد فودعه وقال له إن حدث بك حدث فأمر الجيوش الى حصين بن نمير فانهض باسم الله الى ابن الزبير واتخذ المدينة طريقاً إليه فان صدوك أو قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وانهبها ثلاثا فقال مسلم بن عقبة أصلح الله الأمير لست بآخذ من كل ما عهدت به إلا بحرفين قال يزيد وما هما ويحك قال

أقبل من المقبل الطائع واقتل المدبر العاصى فقال يزيد : حسبك ولكن البيان لا يضرك والتأكيد ينفعك فاذا قدمت المدينة فمن عاقك عن دخولها أو نصب لك الحرب فالسيف السيف أجهز على جريحهم واقبل على مدبرهم وإياك أن تبقى عليهم وإن لم يتعرضوا لك فامض الى ابن الزبير . فمضت الجيوش فلما نزلوا بوادي القرى لقيتهم بنو أمية خارجين من المدينة فرجعوا معهم واستخبرهم مسلمة بن عقبة عما خلفهم وعما لقوا وعن عددهم فقال مروان عددهم كثيراً أكثر مما جئت به من الجيوش ولكن عامتهم ليس لهم نيات ولا بصائر وفيهم قوم قليل لهم نية وبصيرة ولكن لا بقاء لهم مع السيف وليس لهم كراع ولا سلاح وقد خندقوا عليهم وحصنوا . قال مسلم هذه أشدها علينا ولكنا نقطع عنهم مشربهم ونردم عليهم خندقهم فقال مروان عليه رجال لا يسلمونه ولكن عندى فيه وجه سأخبرك به قال هاته فقال اطوه ودعه حتى يحضر ذلك قال فدعه اذاً . ثم قال لهم مسلم تريدون أن تسيروا الى أمير المؤمنين أو تقيموا موضعكم هذا أو تسيروا معنا فقال بعضهم نسير الى أمير المؤمنين ونحدث به عهداً ، فقال مروان أما أنا فراجع فقال بعضهم لبعض قد خلفنا لهم عند المنبر لئن استطعنا أن نرد الجيش عنهم نردهم فكيف بالرجوع إليهم فقال مروان أما أنا فراجع إليهم فقال له قوم ما نرى أن تفعل فانما تقتلون بهؤلاء أنفسكم والله لا أكثرنا عليهم لمسلم جمعا أبداً فقال مروان أنا والله ماض مع مسلم الى المدينة فمدرك ثارى من عدوى وممن أخرجنى من بيتى وفرق بينى وبين أهلى وإن قتلت بهم نفسى فلم يرجع مع مسلم من بنى أمية غير مروان وابنه عبد الملك وكان مجدوراً فجعله بذى خشب . فلما أيقن أهل المدينة بقدوم الجيوش اليهم تشاوروا فى الخندق وقالوا قد خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخندقوا المدينة من كل نواحيها . ثم جمع عبد الله بن حنظلة أهل المدينة غير المنبر فقال تبايعونى على الموت وإلا فلا حاجة فى بيعتكم فبايعوه على الموت ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنما خرجتم غضبا لدينكم

فأبلوا الى الله بلاء حسناً ليوجب لكم به الجنة ومغفرته ويحل بكم رضوانه واستعدوا بأحسن عدتكم وتأهبوا بأكمل أهبتكم فقد أخبرت بأن القوم نزلوا بذى خشب ومعهم مروان بن الحكم والله ان شاء مهلكه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصايح الناس وجعلوا ينالون منه ويسبونه فقال لهم أن الشتم ليس بشيء ولكن نصدقهم اللقاء والله ما صدق قوم قط إلا نصروا ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم إنا بك واثقون وعليك متوكلون واليك ألجأنا ظهورنا ثم نزل وكان عبد الله بن حنظلة لا يبيت إلا فى المسجد الشريف وكان لا يزيد على شربة من سويق يفطر عليها الى مثلها من الغد .

(قدوم الجيوش الى المدينة)

قال وذكروا أن أهل الشام لما انتهوا إلى المدينة عسكروا بالجرف ومشوا رجالا من رجالهم فأحدقوا بالمدينة من كل ناحية لايجدون مدخلا لأنهم قد خندقوها عليهم والناس متلبسون السلاح قدقاموا على أفواه الخنادق وقد حرسوا أن لا يتكلم منهم متكلم وجعل أهل الشام يطوفون بها والناس يرمونهم بالحجارة والنبل من فوق الآكام والبيوت حتى خرجوا فيهم وفى خيلهم فقال مسلم لمروان أين ما قلت لى بوادى القرى . فخرج مروان حتى جاء بنى حارثة فكلم رجلا منهم ورغبة فى الصنيعة وقال افتح لنا طريقا فأنا أكتب بذلك إلى أمير المؤمنين ومتضمن لك عنه شطر ما كان بذل لأهل المدينة من العطاء وتضعيفه ففتح له طريقا ورغب فيما بذل له وتقبل ما تضمن له من يزيد فاقتحمت الخيل فجاء الخبر الى عبد الله بن حنظلة فأقبل وكان من ناحية الطورين وأقبل عبد الله بن مقطع وكان من ناحية ذناب وأقبل ابن أبى ربيعة فاجتمعوا جميعا بمن معهم بحيث اقتحم عليهم أهل الشام فاقتتلوا حتى عاينوا الموت ثم تفرقوا

(غلبة أهل الشام على أهل المدينة)

قال وذكروا أن عبد الله بن أبى سفيان قال وقفت مع قوم عند مسجد بنى عبد الأشهل منهم عبد الله بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل مسلمة الكذاب ومعه عبد الله بن حنظلة ومحمد بن سعد بن أبى وقاص وابراهيم ابن فارط وابراهيم بن نعيم بن النجار فهم يقاتلون ويقولون للناس أين الفرار والله لئن يقتل الرجل مقبلا خير له من أن يقتل مدبراً قال فاقتتلوا ساعة والنساء والصبيان يصيحون على قتالهم حتى جاءهم ما لا طاقة لهم به وجعل مسلم يقول من جاء برأس رجل فله كذا وكذا وجعل يغرى قوماً لا دين لهم فقتلوا وظهروا على أكثر المدينة قال وكان على بشر بن حنظلة يومئذ درعان فلما هزم القوم طرحهما ثم جعل يقاتلهم وهو حاسر حتى قتلوه ضربه رجل من أهل الشام ضربة بالسيف قطع منكبه فوقع ميتا فلما مات بن حنظلة صار أهل المدينة كالنعم بلا راع شرود يقتلونهم أهل الشام من كل وجه فأقبل محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى وكأن جراحه لتنفث دما وهو يقاتل ويحمل على الكردوس منهم فيفض جماعتهم وكان فارسا فحمل عليه أهل الشام حملة واحدة حتى نظموه بالرماح فمال ميتا فلما قتل انهزم من بقى من الناس فى كل وجه ودخل القوم المدينة فجالت خيولهم فيها يقتلون وينهبون قال وخرج يومئذ عبد الله بن زيد بن عاصم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخيل تسرع فى كل وجه قتلا ونهبا فقيل له لو علم القوم باسمك وصحبتك لم يهيجوك فلوأعلمتهم بمكانك . فقال والله لا أقبل لهم أمانا ولا أبرح حتى أقتل لا أفلح من ندم وكان رجلا أبيض طويلا أصلح فأقبل عليه رجل من أهل الشام وهو يقول والله لا أبرح حتى أضرب صلعتك وهو حاسر فقال عبد الله شر لك خير لى فضربه بفأس فى يده فرأيت نوراً ساطعاً فى السماء فسقط ميتاً وكان يومه ذلك صائما رحمه الله : قال فجعل مسلم يطوف

على فرس له ومعه مروان بن الحكم على القتلى فمر على عبد الله بن حنظلة وهو ماد أصبعه السبابة فقال مروان اما والله لئن نصبتها ميتا فطالما نصبتها حيا داعيا إلى الله ومر على ابراهيم بن نعيم ويده على فرجه فقال أما والله لئن حفظتـه فى المات لقد حفظته الحياة ومر على محمد بن عمرو بن حزم وهو على وجهه واضعا جبهته بالأرض فقال أما والله لئن كنت على وجهك فى الممات لطال ما افترشته حيا ساجداً لله فقال مسلم والله ما أرى هؤلاء إلا من أهل الجنة ومر على عبد الله ابن زيد وبين عينيه أثر السجود فلما نظر اليه مروان عرفه وكره أن يعرفه لمسلم فيحز رأسه فقال له مسلم من هذا فقال بعض هذه الموالى وجاوزه فقال له مسلم كلا وبيت الله لقد نكبت عنه لشىء فقال له مروان هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن زيد فقال ذاك اخزى نا كث بيعته حزوا رأسه. وكان قصر بنى حارثه أمانا لمن أراد أهل الشام أن يؤمنوه وكان بنو حارثة آمنين ما قتل منهم أحد وكان كل من نادى باسم الأمان إلى أحد من قبيلة أمنوه رجلا كان أو امرأة ثم ذبوا عنه حتى يبلغوه قصر بنى حارثة فاجير يومئذ رجال كثيرة ونساء كثيرة فلم يزالوا فى قصر بنى حارثة حتى انقضت الثلاث قال وأول دور انتهبت والحرب قائمة دور بنى عبد الأشهل فما تركوا فى المنازل من أثاث ولا حلي ولا فراش إلا نقض صوفة حتى الحمام والدجاج كانوا يذبحونها فدخلوا دار محمد بن مسلمة فصاح النساء فأقبل زيد بن محمد الى الصوت فوجد عشرة ينهبون فقاتلهم ومعه رجلان من أهله حتى قتل الشاميون جميعا وخلصوا ما أخذ منهم فأضعوا متاعهم فى بئر لا ماء فيها وألقى عليها التراب ثم أقبل نفر من أهل الشام فقاتلوهم أيضا حتى قتل زيد بن محمد منهم أربعة عشر رجلا فضربه بالسيف منهم أربعة فى وجهه ، ولزم أبو سعيد الخدرى فى بيته فدخل عليه نفر من أهل الشام فقال أيها الشيخ من أنت فقال أنا أبو سعيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما زلنا نسمع عنك فبحظك أخذت فى تركك قتالنا وكفك عنا ولزوم بيتك ولكن أخرج الينا ما عندك قال والله ما عندى

مال فنتفوا لحيته وضربوه ضربات ثم أخذوا كلما وجدوه فى بيته حتى الثوم وحتى زوج حمام كان له . وكان جابر بن عبد الله يومئذ قد ذهب بصره فجعل يمشى فى بعض أزقة المدينة وهو يقول تعس من أخاف الله ورسوله فقال له رجل ومن أخاف الله ورسوله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبى . فحمل عليه رجل بالسيف ليقتله فترامى عليه مروان فأجاره وأمر أن يدخله منزله ويغلق عليه بابه . وكان سعيد بن المسيب رحمه الله لم يبرح من المسجد ولم يكن يخرج إلا من الليل إلى الليل وكان يسمع اذا جاء وقت الآذان آذانا يخرج من القبر الشريف حتى أمن للناس فكان سعيد يقول ما رأيت خيراً من الجماعة ثم أمر وسلم بالأسارى فغلوا بالحديد ثم دعا إلى بيعة يزيد . فكان أول من بايع مروان بن الحكم ثم أكابر بنى أمية حتى أتى على آخرهم ثم دعا بنى أسد وكان عليهم حنقا فقال أتبايعون لعبد الله يزيد ابن أمير المؤمنين ولمن استخلف عليكم بعده الى أن أموالكم ودمائكم وأنفسكم خول له يقضى فيها ما شاء . فقال يزيد بن عبد لله بن زمعة . إنما نحن نفر من المسلمين لنا ما لهم وعلينا ما عليهم فقال مسلم والله لا أقيلك ولا تشرب البارد بعدها أبداً فأمر به فضربت عنقه . ثم أتى بمعقل بن سنان وكان معقل حاملا لواء قومه التح مع رسول الله فلما دخل عليــــه قال أعطشت يامعقل قال أصلح الله الامير قال له حوصوا له شربة من سويق اللوز الذى زودنا به أمير المؤمنين فلما شربها قال له رويت قال نعم فقال مسلم أما والله لاتبولها من مثانتك أبداً فقدم فضربت عنقه ثم قالت ما كنت لأدعك بعد كلامى سمعته منك تطعن به على أمامك وكان معقل قد طعن بعد الطعن على يزيد قبل ذلك فيما بينه وبين مسلم على الاستراحة بذلك ثم أمر بمحمد بن أبى الجهم وجماعة من وجوه قريش والأنصار وخيار الناس والصحابة والتابعين ثم أتى بعبد الله بن الحارث مغلولا فقال مسلم أنت القائل اقتلوا سبعة عشر رجلا من بنى أمية لا تروا شراً أبداً قال

قد قلتها ولكن لا يسمع من أسير امر ارسل يدى وقد برئت منى الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه وأيم الله لو أطاعونى ما أشرت به عليهم ما تحكمت فيهم أبداً فقال مسلم والله لأقدمنك الى نار تلظى ثم أمر به فضربت عنقه فقال مروان قد والله سقيتنى من دماء هؤلاء القوم إلا ما كان من قريش فانك أثخنتها وأفنيتها فقال مسلم والله لا أعلم عند أحد غشا لأمير المؤمنين إلا سألت الله أن يسقينى دمه فقال ان عند أمير المؤمنين عفواً لهم وحلما عنهم ليس عندك. وجعل مروان يتعذر الى قريش ويقول والله لقد ساءنى قتل من قتل منكم فقالت له قريش أنت والله الذى قتلتنا ما عذرك الله ولا الناس لقد خرجت من عندنا وحلفت لنا عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لتردنهم عنا فان لم تستطع لتمضين ولا ترجع معهم فرجعت ودللت على العورة واعنت على الهلكة فالله لك بالجزاء . قال فبلغ عدة قتلى الحرة يومئذ من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ألف وسبعمائة وسائرهم من الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان . قال أبو معشر دخل رجل من أهل الشام على امرأة نفساء من نساء الأنصار ومعها صبى لها فقال لها : هل من مال قالت لا والله ما تركوا لى شيئاً فقال والله لتخرجن إلى شيئاً أو لاقتلنك وصبيك هذا فقالت له ويحك أنه ولد ابن أبى كبشة الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه يوم بيعة الشجرة على أن لا أزنى ولا أسرق ولا أقتل ولدى ولا آتى ببهتان أفتريه فما أتيت شيئاً فاتق الله . ثم قالت لابنها يابنى والله لو كان عندى شيء لافديتك به قال فاخذ برجل الصبى والثدى فى فمه فجذبه من حجرها فضرب به الحائط فانتثر دماغه فى الأرض قال فلم يخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلا . قال أبو معشر قال لى رجل بينا أنا فى بعض أسواق الشام واذا برجل ضخم فقال لى ممن أنت قلت رجل من أهل المدينة فقال من أهل الخبيثة قال فقلت له سبحان الله رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طيبة وسميتها خبيثة قال فبكى فقلت له ما يبكيك قال

العجب والله . كنت أغزو الصائفة كل عام زمن معاوية فأتيت فى المنام فقيل لى انك تغزو المدينة وتقتل فيها رجالا يقال له محمد بن عمرو بن حزم وتكون فقتله من أهل النار . قال فقلت هذا من شأن المدينة ولا يقع فى نفس مدينة الرسول قال فقلت لعلها بعض مدائن الروم فكنت أغزو ولا أسل فيها سيفا حتى مات معاوية وولى يزيد فضرب بعث المدينة فأصابتنى القرعة قال فقلت هى هذه والله فأردت أن يأخذوا منى بديلا فأبوا فقلت فى نفسى اما اذا أبوا فانى لا أسل فيها سيفا . قال فحضرت الحرة فخرج أصحابى يقاتلون وجلست فى فسطاطى فلما فرغوا من القتال جاءنا أصحابنا فقالوا دخلنا وفرغنا من الناس . فقال بعض أصحابى لبعض تعالوا حتى ننظر الى القتلى فتقلدت سيفى وخرجت فجعلنا ننظر إلى القتلى ونقول هذا فلان وهذا فلان فاذا رجل فى بعض تلك الدارات فى يده سيف وقد أزبد شدقاه وحوله صرعى من أهل الشام فلما أبصرنى قال يا كلب أحقن عنى ذمك قال فنسيت والله كل شيء فحملت عليه فقاتلته فقتلته فسطع نور بين عينيه وسقط فى يدى قلت من هذا فقيل لى هذا محمد بن عمرو بن حزم فجعلت أدور مع أصحابى فيقولون هذا فلان وهذا فلان فمر إنسان لا يعرف فقال من قتل هذا ويحكم يريد محمد بن عمرو بن حزم قتله الله والله لا يرى الجنة بعينه أبداً

(ع.ة من قتل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم)

قال وذكرا أنه قتل يوم الحرة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بدرى بعد ذلك ومن قريش والأنصار سبعمائة ومن سائر الناس من الموالى ومعرب ومتابعين عشرة آلاف وكانت الوقعة فى ذى الحجة لثلاث بقين منها سنة ثلاث وستين . قالوا وكان الناس يعجبون من ذلك أن ابن الزبير لم يصلوا اليه إلا بعد ستة أشهر ولم يكن مع ابن الزبير إلا نفر قليل وكان بالمدينة أكثر من عشرة آلاف رجل والله ما استطاعوا أن يناهضوهم يوما إلى الليل

(كتاب مسلم بن عقبة الى يزيد)

قال وذكروا أن مسلما لما فرغ من قتال أهل المدينة ونهبها كتب إلى يزيد ابن معاوية . بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين من مسلم بن عقبة سلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله فاني أحمدالله اليك الذى لا إله الا هو أما بعد تولى الله حفظ أمير المؤمنين والكفاية له فانى أخبر أمير المؤمنين أبقاه الله إنى خرجت من دمشق ونحن على التعبئة التى رأى أمير المؤمنين يوم فراقنا بوادى القرى فرجع منا مروان بن الحكم وكان لنا عوناعلى عدونا وإنا انتهينا إلى المدينة فاذا أهلها قد خندقوا عليها بالخنادق وأقاموا على انقابها الرجال بالسلاح وادخلوا ماشيتهم وما يحتاجون لحصارهم سنة فيما يقولون وإنا اعذرنا اليهم أو خبرناهم بعهد أمير المؤمنين وما بذل لهم فابوا ففرقت أصحابى على أفواه الخنادق فوليت الحصين بن نمير ناحية ذناب وما والاها عليها الموالى ووجهت حبيش بن دجلة الى ناحية بنى سلمة ووجهت عبد الله بن مسعدة الى ناحية بقيع الغرقد وكنت ومن معى من قواد أمير المؤمنين ورجاله فى وجوه بنى حارثة فادخلنا الخيل عليهم حين ارتفع النهار من ناحية عبد الاشهل بطريق فتحه لنا رجل منهم مما دعاه اليه مروان ابن الحكم إلى صنيع أمير المؤمنين وقد تضمن له عنه من قرب المكان وجزيل العطاء وايجاب الحق وقضاء الذمام وقد بعث به أمير المؤمنين وأرجو من الله عز وجل أن يلهم خليفته وعبده عرفان ما أولى من الصنع وأسدى من الفضل وكان أكرم الله أمير المؤمنين من محمود مقام مروان بن الحكم وجميل مشهده وشديد بأسه وعظيم نكايته لعدو أمير المؤمنين مالا أخال ذلك ضائعا عند امام المسلمين وخليفة رب العالمين إن شاء الله . وسلم الله رجال أمير المؤمنين فلم يصب أحد منهم بمكروه ولم يقم لهم عدوهم ساعة من ساعات نهارهم فما صليت الظهر أصلح

الله أمير المؤمنين إلا فى مسجدهم بعد القتل الزريع والانتهاب العظيم وأوقعنا بهم السيوف وقتلنا من أشرف لنا منهم واتبعنا مدبرهم وأجهزنا على جريحهم وانتهبناها ثلاثا كما قال أمير المؤمنين أعز الله نصره وجعلت دور بنى الشهيد المظلوم عثمان بن عفان فى حرز وأمان فالحمد لله الذى شفا صدرى من قتل أهل الخلاف القديم والنفاق العظيم فطالما عتوا وقديما ما طغوا وكتب الى أمير المؤمنين وأنا فى منزل سعيد بن العاص مدنفا مريضا ما أرانى إلا لما بى فما كنت أبالى متى مت بعد يومى هذا وكتب لهلال المحرم سنة ثلاث وستين . فلما جاء الكتاب أرسل إلى عبد الله بن جعفر والى ابنه معاوية بن يزيد فأقرأهما الكتاب فاسترجع عبد الله بن جعفر وا كثر وبكى معاوية بن يزيد حتى كادت نفسه أن تخرج وطال بكاؤه فقال يزيد لعبد الله بن جعفر ألم أجبك الى ما طلبت واسعفتك فيما سألت فبذلت لهم العطاء وأجزلت لهم الاحسان واعطيت لهم الاحسان واعطيت العهود والمواثيق علي ذلك فقال عبد الله بن جعفر فمن هنالك واسترجعت وتأسفت عليهم إذ اختاروا البلاء على العاقبة والفاقة على النعمة ورضوا بالحرمان دون العطاء ثم قال يزيد لابنه معاوية : فما بكاؤك انت يابنى قال ابكى على قتل من قتل بهم وإنما قتلنا بهم أنفسنا فقال يزيد هو ذاك قتلت بهم نفسى وشفيتها . قال، وسأل مسلم بن عقبة قبل أن يرتحل عن المدينة عن على بن الحسين احاضر هو فقيل له نعم فأتاه على بن الحسين ومعه ابناه فرحب بهما وسهل وقرب وقال أمير إن المؤمنين اوصانى بك فقال على بن الحسين وصل الله أمير المؤمنين وأحسن جزاءه ثم انصرف عنه . ولم يكن أحد نصب للحرب من بنى هاشم ولزموا بيوتهم فسلموا إلا ثلاثة منهم تعرضوا القتال فاصيبوا

(موت مسلم بن عقبة ونبشه)

قال وذكروا أن مسلم بن عقبة ارتحل عن المدينة وهو يجود بنفسه يريد

ابن الزبير بمكة فنزل فى بعض الطرق فدعا الحصين بن نمير فقال له يا برذعة الحمار إنه كان من عهد أمير المؤمنين أن حدث بى حدث الموت أن أعهد اليك فاسمع بك عالم لا تمكن قريشا من أذنك اذا قدمت مكة فانما هو الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف . ثم مات فدفن فى ثنية المشلل فلما تفرق القوم عنه أتته أم ولد ليزيد ابن عبد الله بن زمعة وكانت من وراء العسكر تترقب موته فنبشت عنه فلما انتهت إلى لحده وجدت أسود من الأساود منطويا فى رقبته فاتحا فاه فتهيبته ثم لم تزل به حتى تنحى لها عنه فصلبته على المشلل . قال الضحاك : فحدثنى من رآه يرمى كما يرمى قبر أبى رغال

(فضائل قتلى أهل الحرة رحمهم الله)

قال وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى سفر من أسفاره فلما مر بحرة بنى زهرة وقف فاسترجع فقالوا ما هو يارسول الله قال : يقتل فى هذه الحرة خيار أمتى بعد أصحابى . قال وذكروا أن عبد الله بن سلام وقف بالحرة زمان معاوية بن أبى سفيان فقال أجد فى كتاب يهود الذى لم يبدل ولا يغير أنه يكون ههنا مقتلة قوم يحشرون يوم القيامة واضعى سيوفهم على رقابهم حتى يأتوا الرحمن تبارك وتعالى فيقفون بين يديه فيقولون قتلنا فيك . قال وذكروا عن داود بن الحصين قال عندنا قبور قوم من قتلى الحرة فقل ما حركت إلا فاح منها ريح المسك . وقال بعضهم عن عبد الله بن أبى سفيان عن أبيه قال رأيت عبد الله ابن حنظلة فى منامى بأحسن صورة معه لواؤه فقلت يا أبا عبد الرحمن أقتلت قال بلى فلقيت ربى فأدخلنى الجنة فأنا أسرح فى ثمارها حيث شئت قلت فأصحابك فما صنع بهم قال هم معى وحول لوائى هذا الذى ترى لم يحل عقدة بعد . وقال الأعرج كان الناس لا يلبسون المصبوغ من الثياب قبل الحرة فلما قتل الناس بالحرة استحبوا أن يلبسوها وقد مكث النوح فى الدور على أهل الحرة سنة لا يهدءون .

وقال عبد الله بن أبى بكر كان أهل المدينة أعز الناس وأهيبهم حتى كانت الحرة فاجترأ الناس عليهم فهانوا . قال الزهرى بلغ القتلى يوم الحرة من قريش والأنصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس سبعمائة وسائر الناس عشرة آلاف من أخلاط الناس والموالى والعبيد وأصيب نساء وصبيان وكان قدوم أهل الشام المدينة الثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين فانتهبوها ثلاثا حتى رأوا هلال المحرم ثم أمسكوا بعد ان لم يبقوا أحداً به رمق . وقتل بها من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بعد ذلك بدرى . وقالوا قال عيسى بن طلحة: قلت لعبد الله بن مطيع كيف نجوت يوم الحرة ؟ قال : رأيت ما رأيت من غلبة أهل الشام وصنع بنى حارثة الذى صنعوا من إدخالهم علينا أهل الشام فذكرت قول الحارث بن هشام يوم بدر وعلمت انى لا يضر عدوى مشهدى ولا ينفع ولى فتواريت ثم لحقت بابن الزبير وكنت أعجب كل العجب أن ابن الزبير لم يصلوا اليه ستة أشهر ولم يكن معه إلا نفر يسير قوم من قريش من الخوارج وكان معنا يوم الحرة ألفا رجل كلهم ذوو حفاظ فما استطعنا أن نحبسهم يوماً الى آخر الليل

تم الجزء الأول

الإمامة والسياسة

تأليف

الامام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله

(الجزء الثاني)

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على بمصر

لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

(ذكر اختلاف الرواة فى وقعة الحرة وخبر يزيد)

قال وذكروا أنه لما بويع يزيد بن معاوية خرج الحسين حتى قدم المدينة فاقام هو وابن الزبير. قال وقدم عمرو بن سعيد بن العاص فى رمضان أميراً على المدينة وعلى الموسم وعزل الوليد بن عقبة فلما استوى على المنبر رعف فقال اعرابى مستقبله مه جاءنا والله بالدم فتلقاه بعمامته فقال مه عم والله الناس. ثم قام يخطب فناوله عصا لها شعبتان فقال مه شعب والله الناس ثم خرج إلى مكة فقدمها يوم التروية فصلى الحسين ثم خرج. فلما انصرف عمر بلغه أن الحسين خرج فقال: اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه. قال فكان الناس يعجبون من قوله هذا قال فطلبوه فلم يدركوه فأرسل عبد الله ابن جعفر ابنيه عوناً ومحمدا ليردا الحسين فأبى أن يرجع وخرج الحسين بابنى عبد الله بن جعفر معه ورجع عمر بن سعيد بن العاص الى المدينة فأرسل إلى ابن الزبير فأبى أن يأتيه وامتنع برجال معه من قريش وغيرهم قال فبعث عمرو بن سعيد جيشاً من المدينة يقاتلون ابن الزبير قال فضرب على أهل الديوان البعث إلى مكة وهم كارهون للخروج فقال لهم اما أن تأتوا ببدل وإما أن تخرجوا. قال فجاء الحارث بن مالك بن البرصاء برجل استأجره بخمسمائة درهم الى عمرو بن سعيد فقال قد جئت برجل بدلى فقال الحارث للرجل الذى استأجره هل لك أن أزيدك خمسمائة أخرى وتنكح أمك فقال أما تستحى فقال إنما حرمت عليك أمك فى مكان واحد وحرمت عليك الكعبة فى كذا وكذا مكان من القرآن قال فجاء به

الى عمرو بن سعيد قال قد جئتك برجل لو أمرته أن ينكح أمه لنكحها فقال عمرو لعنك الله من شيخ قال فبعثهم الى مكة يقاتلون ابن الزبير فهزم عمرو بن الزبير وبعث يزيد بن معاوية عبد الله بن مستعدة الفزارى يخطب الناس بالمدينة فقال فى خطبته : أهل الشام جند الله الأعظم وأهل الشام خير الخلق فقال الحارث ابن مالك اذن لى أتكلم فقال اجلس لا أجلسك الله قال فتشهد الحارث وقال : لعمر الله لنحن خير من أهل الشام ما نقمت من أهل المدينة إلا لأنهم قتلوا أباك وهو يسرق لقاح النبي صلى الله عليه وسلم أنسيت طعنة أبي قيادة استأبيك بالرمح فخرج منه جعموص مثل هذا وأشار إلى ساعده ثم جلس.

(ولاية الوليد المدينة وخروج الحسين بن علي)

قال وذكروا أن يزيد بن معاوية عزل عمرو بن سعيد وأمر الوليد بن عقبة وخرج الحسين بن علي إلى مكة فمال الناس اليه وكثروا عنده واختلفوا اليه وكان عبدالله بن الزبير فيمن يأتيه. قال فأتاه كتاب أهل الكوفة فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : للحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب ورفاعة بن شداد وشيعته من المؤمنين المسلمين من أهل الكوفة أما بعد فالحمد لله الذى قصم عدوك الجبار العنيد الذى اعتدى على هذه الأمة فانتزعها حقوقها وأغصبها أمورها وغلبها على فيئها وتأمر عليها على غير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها فبعداً له كما بعدت ثمود إنه ليس علينا امام فاقدم علينا لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى فان النعمان بن بشير فى قصر الامارة ولسنا نجتمع معه فى جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ولو قد بلغنا مخرجك أخرجناه من الكوفة وألحقناه بالشام . قال فبعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل الى الكوفة يبايعهم له وكان على الكوفة النعمان بن بشير فقال : لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من ابن بحدل قال فبلغ ذلك يزيد فأراد أن يعزله فقال لأهل الشام أشيروا على من استعمل على الكوفة فقالوا أترضى برأى معاوية

قال نعم قالوا فان الصك بأمرة عبد الله بن زيادعلى العراقيين قد كتبه فى الديوان قال فاستعمله على الكوفة فقدم الكوفة قبل أن يقدم الحسين وبايع له مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفا من أهل الكوفة فنهضوا معه يريدون عبد الله بن زياد فجعلوا كلما أشرفوا على زقاق انسل منهم ناس حتى بقى مسلم فى شرذمة قليلة قال فجعل أناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت فلما رأى ذلك دخل دار هانىء بن عروة المرادى وكان له فيهم رأى هانىء بن عروة أن لى من ابن زياد مكانا وسوف أتمارض له فاذا جاء يعودنى فاضرب عنقه فقيل لابن زياد أن هانىء شاك يقىء الدم قال وشرب المغرة فجعل يقيؤها قال فجاء ابن زياديعوده وقال هانىء اذا قلت اسقونى فاخرج اليه فاضرب عنقه فابطئوا عليه فقال ويحكم اسقونى ولو كان فيه ذهاب نفسى قال فخرج عبيد الله بن زياد ولم يصنع الآخر شيئا وكان من أشجع الناس ولكنه أخذته كبوة فقيل لابن زياد والله ان فى البيت رجلا متسلحا قال فارسل زياد بن هانىء فقال إنى شاك لا أستطيع النهوض فقال ائتونى به وإن كان شاكيا قال فاخرج له دابة فركب ومعه عصا وكان أعرج فجعل يسير قليلا ويقف ويقول مالى أذهب إلى ابن زياد فما زال كذلك حتى دخل عليه فقال له عبيد الله بن زياد يا هانىء اما كانت يد زياد عندك بيضاء قال بلى قال يدى قال بلى فقال ياهانىء قد كانت لكم عندى يد بيضاء أمنتك على نفسك ومالك فتناول العصا التى كانت فى يد هانىء فضرب بها وجهه حتى كسرها ثم قدمه فضرب عنقه قال وأرسل جماعة الى مسلم بن عقيل فخرج عليهم بسيفه فما زال يقاتلهم حتى أخرج وأسر . فلما أسر بعث الرجال فقال اسقونى ماء قال ومعه رجل من بنى معيط ورجل من بنى سليم يقال له شهر بن حوشب فقال شهر بن حوشب لاأسقيك إلا من البئر فقال المعيطى والله لانسقيه إلا من الفرات قال فامر غلاما فأتاه بابريق من ماء وقدح قوارير ومنديل قال فسقاه فتمضمض فخرج الدم فما زال يمسح الدم ولا يسيغ شيئا حتى قال اخرره عنى . قال فلما أصبح دعا به عبيد الله بن زياد

وهو قصير فقدمه لنضرب عنقه فقال دعني حتى أوصى فنظر في وجوه الناس فقال لعمرو بن سعيد ما أرى هاهنا من قريش غيرك فادن مني حتى أكلمك فدنا منه فقال له هل لك أن تكون سيد قريش ما كانت قريش إن الحسين ومن معه وهم تسمعون بين رجل وامرأة في الطريق فارددهم واكتب اليهم بما أصابني . قال فضرب عنقه والقاه فقال عمرو هو أعظم من ذلك فأى شيء هو قال اخبرني ان الحسين ومن معه قد أقبل وهم تسعون انسانا بين رجل وامرأة فقالوا أما والله إذ دللت عليه لايقاتلهم أحد غيرك .

(قتال عمرو بن سعيد الحسين وقتله)

قال وذكروا أن عبيد الله بن زياد بعث جيشا عليهم عمرو بن سعيد وقد جاء الحسين الخبر فهم أن يرجع ومعه خمسة من بني عقيل فقالوا له أنرجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما نثق به فقال لبعض أصحابه والله مالى عن هؤلاء من صبر قال فلقيه الحسين على خيولهم بوادى السباع فلقوهم وليس معهم ماء فقالوا يا ابن بنت رسول الله اسقنا فاخرج لكل فارس صحيفة من ماء فسقاهم بقدر مايمسك برمقهم قالوا ياابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زالوا يرجونه وأخذوا به على الجرف حتى نزلوا بكربلاء فقال الحسين أى أرض هذه قالوا كربلاء قال : هذا كرب وبلاء قال فانزلوا وبينهم وبين الماء ربوة فأراد الحسين وأصحابه الماء فحالوا بينهم وبينه فقال له شهر بن حوشب لاتشربوا منه حتى تشربوا من الحميم فقال عباس بن علي يا أبا عبد الله نحن على الحق فنقاتل قال نعم فركب فرسه وحمل بعض أصحابه على الخيول ثم حمل عليهم فكشفهم عن الماء حتى شربوا وأسقوا ثم بعث عبيد الله بن زياد عمرو بن سعيد يقاتلهم . قال الحسين يا عمرو إختر مني ثلاث خصال إما أن تتركني أرجع كما جئت فان أبيت هذه فأخرى سيرني الى الترك أقاتلهم حتى أموت أو تسيرني الى يزيد فاضع يدى في يده

فيحكم فى بما يريد . فارسل الى ابن زياد بذلك فهم أن يسيره الى يزيد فقال له شهر بن حوشب قد أمكنك الله من عدوك وتسيره الى يزيد والله لئن سار الى يزيد لارأى مكروها وليكونن من يزيد بالمكان الذى لاتناله أنت منه ولاغيرك من أهل الارض لاتسيره ولا تبلعه ريقه حتى ينزل على حكمك فارسل اليه لا الا أن تنزل على حكمى فقال الحسين انزل علي حكم من رايته لا والله لا أفعل الموت دون ذلك وأحلى . قال وأبطأ عمرو بن سعيد عن قتاله فارسل عبيد الله ابن زياد الى شهر بن حوشب أن تقدم عمرو يقاتل وإلا فاقتله وكن أنت مكانه قال وكان مع عمرو بن سعيد من قريش ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال لا تقبلون واحدة منها فتحولوا مع الحسين فقاتلوا قال فرأى رجل من أهل الكوفة عبد الله ابن الحسين بن على على فرس وكان من أجمل الناس قال لا تقتلن هذا الفتى فقيل له ويحك ما تصنع بقتله دعه قال فحمل عليه فضربه فقطع يده ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ثم اقتتلوا جميعا فقتل يومئذ الحسين بن على وعباس بن على وعثمان ابن على وأبو بكر بن على وجعفر بن على وأمهم أم البنين بنت حرام الكلابية وابراهيم بن على وأمه أم ولد وعبد الله بن على وخمسة من بنى عقيل وابنان لعبد الله الحسين جعفر عون ومحمد وثلاثة من بنى هاشم ونساء من نسائهم وفيهم فاطمة بنت الحسين بن على وفيهم محمد بن الحسين بن على .

(قدوم من أسر من آل على على يزيد)

قال وذكروا أن أبا معشر قال : حدثنى محمد بن الحسين بن على قال دخلنا على يزيد ونحن اثنا عشر غلاما مغللين فى الحديد وعلينا قميص فقال يزيد اخلصتم أنفسكم بعبيد أهل العراق وما علمت بخرجون أبي عبد الله حين خرج ولا بقتله حين قتل . قال فقال على بن الحسين : ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى

أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لايحب كل مختال فخور . قال فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته وقال : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير . يا أهل الشام ما ترون فى هؤلاء فقال رجل من أهل الشام لاتتخذون من كلب سوء جرواً . فقال النعمان بن بشير يا أمير المؤمنين أصنع بهم ما كان يصنع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم بهذه الحال فقالت فاطمة بنت الحسين يايزيد بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى يزيد حتى كادت نفسه لفيض وبكى أهل الشام حتى علت أصواتها ثم قال حلوا عنهم واذهبوا الى الحمام واغسلوهم واضربوا عليهم القباد ففعلوا وأمات عليهم المبطيخ وكساهم وأخرج لهم الجوائز الكثيرة من الأموال والكسوة ثم قال لو كان بينهم وبين عاض بطن أمه نسب ما قتلهم ارجعوا الى المدينه قال فبعث بهم .

(اخراج بنى أمية عن المدينة وذكر قتال أهل الحرة)

قال وذكروا فى قصة اخراج بنى أمية عن المدينة قال بعث عثمان بن محمد أمير المدينه الى يزيد بقميصه مشقوقا وكتب اليه : واغوثاه إن أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة قال أبو معشر فخرج يزيد بعد العتمة ومعه شمعتان شمعة عن يمينه وشمعة عن يساره وعليه مصفرتان وقد نقش جبهته كانما تدهن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أهل الشام فانه كتب الى عثمان بن محمد أن أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة ووالله لان تقع الخضراء على الغبراء أحب الى من هذا الخبر . قال وكان معاوية أوصى يزيد فقال له : ان رأيك من قومك ريب أو تنقص عليك منهم أحد فعليك باعور بنى مرة فاستشره يعنى مسلم بن عقبة فلما كانت تلك الليلة قال يزيد ابن مسلم بن عقبة فقام فقال هأناذا قال عبىء ثلاثين الفا من الخيل قال وكان معقل بن سنان الاشجعى نازلا على مسلم بن عقبة فقال له مسلم بن عقبة إن أمير المؤمنين أمرنى أن أتوجه الى المدينة فى ثلاثين الفا

فقال له استحثه قال لا قال : فاركب فيلا أو فيلة وتكون أبا يكسوم فمرض مسلم قبل خروجه من الشام فادنف فدخل عليه يزيد بن معاوية يعود وقال له قد كنت وجهتك لهذا البعث وكان أمير المؤمنين معاوية قد أوصاني بك وأراك مدنفا ليس فيك سفر . فقال : يا أمير المؤمنين أنشدك الله أن لاتحرمنى أجراً ساقه الله الى انما أنا امرؤ وليس بى بأس قال فلم يطق من الوجع أن يركب بعيراً ولا دابة فوضع على سرير وحمله الرجال على أعناقهم حتى جاءوا مكانا يقال له البتراء فارادوا النزول به فقال لهم ما اسم هذا المكان فقيل له البتراء فقال لاتنزلوا به ثم سار حتى حاجزه فنزل به فارسل إلى أهل المدينة إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم أنتم الأصل والعشيرة والأهل فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا فان لكم عندى فى عهد الله وميثاقه عطاءين فى كل سنة عطاء فى الصيف وعطاء فى الشتاء ولكم عند عهد الله وميثاقه أن أجعل سعر الحنطة عندكم كسعر الحنطة عندنا والحنطة يومئذ سبع أصع بدرهم وأما العطاء الذى ذهب به عنكم عمرو بن سعيد فعلى أن أخرجه لكم وكان عمرو بن سعيد قد أخذ أعطياتهم فاشترى بها عبيدا لنفسه فقالوا لمسلم نخلعه كما نخلع عمائمنا يعنون يزيد وكما نخلع نعالنا قال فقاتلوهم فهزم الناس أهل المدينة . قال أبو معشر حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال قتل بضعة وسبعون رجلا من قريش وبضعة وسبعون رجلا من الأنصار وقتل من الناس نحوا من أربعة آلاف وقتل ابنان لعبد الله بن جعفر وقتل أربعة أو خمسة من ولد زيد بن ثابت لصلبه فقال مسلم بن عقبة لأهل الشام كفوا أيديكم فخرج محمد بن سعد بن أبى وقاص يريد القتال فقاتلهم فقال مسلم بن عقبة انهبها ثلاثا قال فقتل الناس وفضحت النساء ونهبت الأموال فلما فرغ مسلم بن عقبة من القتال انتقل من منزله ذلك الى قصر بنى عامر بدومة فدعا أهل المدينة من بقى منهم للبيعة قال فجاء عمرو بن عثمان بن عفان بيزيد بن عبد الله بن زمعة وجدته أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وكان عمرو قال لأم سلمة أرسلي معى ابن بنتك فجاء به إلى مسلم فلما تقدم يزيد قال تبايع لعبد

الله يزيد أمير المؤمنين على أنكم خول له مما أفاء الله عليه بأسياف المسلمين إن شاء وهب وإن شاء أعتق وإن شاء استرق قال يزيد لأنا أقرب الى أمير المؤمنين منك قال والله لاستقبلها أبدا فقال عمرو بن عثمان انشدك الله فانى أخذته من أم سلمة بعهده وميثاقه أن أرده اليها قال فركده برجله فرماه من فوق السرير فقتل يزيد بن عبد الله . ثم أتى حمد بن أبى جهم مغلولا فقال له مسلم أنت القائل اقتلوا سبعة عشرا رجلا من بنى أمية لا تروا سرا أبدا . قال : قد قتلتها ولكن لا يسمع لقصير أمر فارسل يدى وقد برأت منى الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه قال لا والله حتى اقدمك إلى النار قال فضرب عنقه وجاء معقل بن سنان الاشجعى وكان جالسا فى بيته فاتاه مائة رجل من قومه فقالوا له اذهب بنا الى الأمير حتى نبايعه فقال لهم إنى قد قلت له قولا وأنا أتخوف فقالوا لا والله لا يصل اليك أبدا فلما بلغوا الباب ادخلوا معقل وحبسوا الآخرين وأغلقوا الباب فلما نظر اليه مسلم بن عقبة قال إنى أرى شيخا قد تعب وعطش اسقوه من البلح الذى زودنى به أمير المؤمنين قال فخاضوا له بلحا بعسل فشربه قال له أشربت قال نعم قال والله لا تبولها من مثانتك ابدا أنت القاتل اركب فيلا أو فيلة وتكون أبا يسكوم فقال معقل أما والله لقد تخوفت ذلك منك وانما غلبتنى عشيرتى قال فجعل يفرى جبة كانت عليه وكان اكره أن يلبسوها فضرب عنقه ثم سار إلى مكة حتى إذا بلغ قفا المشلل أدنف فدعا الحصين بن نمير فقال له يا ابن برذعة الحمار والله ما خلق الله أحدا أبغض إلى منك ولولا أن أمير المؤمنين أمرنى أن أستخلفك ما استخلفتك اتسمع قال نعم قال لا تكونن الاعلى الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف ولا تمكن قريشا من أذنك . ثم مات مسلم بن عقبة فدفن بقفا المشلل وكانت أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعه على أثره فخرجت اليه فنبشته من قبره ثم أحرقت عليه النار وأخذت اكفانه وشقتها وعلقتها بالشجرة فكل من مر عليه يرميه بالحجارة وسار الحصين حتى جاء إلى مكة فدعاهم إلى الطاعة وعبد الله بن الزبير يومئذ بمكة فلم يجبه فقاتله فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلا

من إخوته ومصعب بن عبد الرحمن والمسور بن مخزمة

(حرب ابن الزبير رضى الله عنهما)

قال وذكروا أن مسلم بن عقبة لما فرغ من قتال أهل المدينة يوم الحرة مضى الى مكة المشرفة يريد ابن الزبير حتى إذا كان بقديد حضره الوفاة فدعا الحصين بن نمير فقال له: أمير المؤمنين عصانى فيك فابى الا استخلافك بعدى فلا ترسلن بينك وبين قريش رسولا تمكنه من أذنيك انما هو الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف. وهلك مسلم بن عقبة فدفن بالثنية قال وسمع بهم عبد الله بن الزبير فاحكم مراصد مكة فجعل عليه المقاتلة وجاءه جند أهل المدينة وأقبل ابن نمير حتى نزل على مكة وأرسل خيلا فاخذت أسفلها ونصب عليها العرادات والمجانيق وفرض على أصحابه عشرة آلاف صخرة فى كل يوم يرمونها بها فقال الناس انظروه لئلا يصيبه ما أصاب أصحاب الفيل قال عبد الله بن عمرو بن العاص وكان بمكة معتمراً قدم من الطائف لا تظن ذلك لو كان كافرا بها لعوقب دونها فاما إذا كان مؤمنا بها فسيبلى فيها فكان كما قال وحاصروهم لعشر ليال باقين من المحرم سنة أربع وستين فحاصروهم بقية المحرم وصفر وشهرى ربيع يغدون على القتال ويروحون حتى جاءهم موت يزيد بن معاوية فارسل الحصين بن نمير إلى ابن الزبير ان ائذن لنا نطوف بالبيت وننصرف عنكم فقد مات صاحبنا وقال ابن الزبير وهل تركتم من البيت الا مدرة وكانت المجانيق قد أصابت ناحية البيت فهدمته مع الحريق الذى أصابه فمنعهم أن يطوفوا بالبيت. فارتحل الحصين حتى إذا كان بعسفان تفرقوا وتبعهم الناس يأخذونهم ان كانت الراغية فى غنمها لتأتى بالرجل منهم مربوطا فيبعث بهم إلى المدينة وأصاب منهم أهل المدينة حين مروا بهم ناسا كثيرا فحبسوا بالمدينة حتى قدم مصعب بن الزبير عليهم من عند عبد الله ابن الزبير فاخرجهم إلى الحرة فضرب أعناقهم وكانوا أربعمائة وأكثر وانصرف ذلك الجيش إلى الشام مفلولا وبايع اهل المدينة لابن الزبير بالخلافة وكان ابن

عباس بمكة يومئذ فخرج الى الطائف فهلك بها سنة سبعين وهو يومئذ ابن أربع وسبعين سنة رضى الله عنه

(خلافة معاوية يزيد)

قال فلما مات يزيد بن معاوية استخلف ابنه معاوية بن يزيد وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة فلبث واليا شهرين وليالى محجوبا لايرى ثم خرج بعد ذلك فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ايها الناس انى نظرت فيما صار الى أمركم وقلدته من ولايتكم فوجت ذلك لايسعنى فيما بينى وبين ربى أن أتقدم على قوم وفيهم من هو خير منى وأحقهم بذلك وأقوى على ما قلدته فاختاروا منى احدى خصلتين اما أن أخرج منها واستخلف عليكم من أراه لكم رضى ومقنعا ولكم الله على لا آلوكم نصحا فى الدين والدنيا وإما أن تختاروا لأنفسكم وتخرجونى منها . قال فانف الناس لذلك من قوله وأبوا من ذلك وخافت بنو أمية أن تزوى الخلافة منهم فقالوا ننظر فى ذلك يا أمير المؤمنين ونستخير الله فامهلنا قال لكم ذلك وعجلوا على قال فلم يلبثوا بعدها إلا أياما حتى طعن فدخلوا فقالوا له استخلف على الناس من تراه لهم عند الموت تريدون ذلك لا والله لا أتزودها ماسعدت بحلاوتها فكيف أشقى بمرارتها ثم هلك رحمه الله ولم يستخلف أحد فقالوا لعثمان بن عنبسة تقدم فصل بالناس فأبى وقال لا أما أنا فلا حق بخالى عبد الله بن الزبير فقال له ابن زياد ان هذا ليس بزمان خالك ولا عمك فلما دفن معاوية بن يزيد وسوى عليه وبنو أمية حول قبره قال مروان أما والله يابنى أمية انه لابو ليلى ثم قال :

الملك بعد أبي ليلى لمن غلبا ومارج أمر بنى أمية واختلفوا

(غلبة ابن الزبير رضى الله عنهما وظهوره)

قال وذكروا إن أبا معشر قال حدثنا بعض المشيخة الذى حضروا اقتال ابن الزبير

قال : لما نزل الحصين بمكة وغلب عليها كلها الا المسجد الحرام قال فانه لجالس مع ابن الزبير ومعه من القرشيين عبد الله بن مطيع والمختار بن عبيد والمسور بن مخرمة والمنذر ابن الزبير ومعصب بن عبد الرحمن بن عوف فى نفر من قريش قال فقال المختار بن عبيد وهبت رويحة والله أنى لأجد النصر فى هذه الرويحة فاحملوا عليهم قال فحملوا عليهم حتى أخرجوهم من مكة وقتل المختار رجلا وقتل ابن مطيع رجلا فجاءه رجل من أهل الشام فى طرف سنان رمحه نار قال وكان بين موت يزيد بن معاوية وبين حرق الكعبة إحدى عشرة ليلة ثم التحمت الحرب عند باب بنى شيبة فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلان من إخوته ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف والمسور بن مخرمة وكان الحصين قد نصب المجانيق على جبل أبى قبس وعلى قيقعان فلم يقدر أحد أن يطوف بالبيت وأسند ابن الزبير ألواحا من الساج إلى البيت والقى عليها القطائف والفرش فكان إذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت فكانوا يطوفون تحت تلك الألواح فاذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش والقطائف كبروا وكان طول الكعبة فى السماء ثمانية عشر ذراعا . وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطا فى ناحية من المسجد فكلما جرح أحد من الصحابة أدخله ذلك الفسطاط

(حريق الكعبة)

قال فجاء رجل من طرف سنان رمحه نار فاستعملها فى الفسطاط فوقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب وانصدع الركن واحترقت الأستار وتساقطت إلى الأرض قال ثم قتل أهل الشام أياما بعد حريق الكعبة واحترقت فى ربيع الأول سنة أربع وستين . قال فلما احترقت جلس أهل مكة فى ناحية الحجر ومعهم ابن الزبير وأهل الشام يرمونهم بالنبل قال فوقعت بين يديه نبلة قال : فى هذا خبر فأخذوها فوجدوا بها مكتوبا مات يزيد بن معاوية يوم الخميس رابع عشر ليلة خلت من ربيع . فلما

قرأ ذلك ابن الزبير قال يا أهل الشام يا محرقى بيت الله يا مستحلى حرم الله علام تقاتلون وقد مات طاغيتكم يزيد بن معاوية فأتاه الحصين ابن نمير فقال له موعدك بالبطحاء الليلة يا أبا بكر فلما كان الليل خرج بن الزبير بأصحابه وخرج الحصين بأصحابه الى البطحاء ينحى كل واحد عن أصحابه وانفراداً فقال الحصين يا أبا بكر قد علمت انى سيد أهل الشام لا أدفع عن ذلك وان أعنه حيلهم بيدى فاذا أهل الحجاز قد رضوا بك فأبايعك الساعة على أن تهدر كل شيء أصبناه يوم الحرة وتخرج معى الى الشام فانى لا أحب أن يكون الملك فى الحجاز . قال لا والله لا أفعل لا أؤمن من أخاف الناس وأحرق بيته وانتهك حرمة الله فقال الحصين بلى فافعل فعلى ألا يختلف عليك اثنان فأبى ابن الزبير فقال الحصين لعنك الله ويلعن من زعم انك سيد والله لاتفلح أبداً اركبوا يا أهل الشام فركبوا وانصرفوا . قال فحدثنى من شهد انصرافهم قال والله لقد كانت الوليدة لتخرج فتأخذ الفارس ما يمتنع . قال أبو معشر : وذلك أن المنهزم لا فؤاد له . قال فبايع أهل الشام كلهم ابن الزبير إلا أهل الأردن وبايع أهل مصر ابن الزبير وغلب على أهل العراق والحجاز واليمن وغلظ أمره وعظم شأنه واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس على أهل الشام

(اختلاف أهل الشام على ابن الزبير)

قال وذكروا أن ابن الزبير لما استخلف الضحاك على أهل الشام قام أناس من أهل الشام من رؤوس قريش بنى أمية واشرافهم وفيهم روح بن زنباع الجذامى فقال بعضهم ان الملك كان فينا أهل الشام أفينتقل ذلك الى أهل الحجاز لا نرضى بذلك هل لكم أن تأخذوا رجلا منا فينظر فى هذا الأمر نعم فجاءوا إلى خالد بن يزيد ابن معاوية وهو غلام حدث السن فقيل له ارفع رأسك لهذا الأمر فقال استخير الله وانظر فرأى القوم أنه ذو واع عن القيام فى ذلك فخرجوا فاتوا عمرو بن سعيد

فقالوا له يا أبا أمية ارفع رأسك لهذا الأمر فجعل يسب ويقول والله لا أفعل فلما خرجوا من عنده قالوا هـــذا حديد علق فاتوا مروان بن الحكم فاذا عنده مصباح وإذا هم يسمعون صوته بالقرآن فاستأذنوا ودخلوا عليه فقالوا له يا أبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الأمر فقال استخير الله واسأله أن يختار لأمة محمد خيرها واعدلها ما شاء الله

(بيعة أهل الشام مروان بن الحكم)

قال وذكروا أن روح بن زنباع قال لمروان بن الحكم أن معي أربعمائة رجل من جذام وسآمرهم أن يبتدوا فى المسجد غداً فمر ابنك عبد العزيز أن يخطب ويدعوهم اليك وأنا آمرهم أن يقولوا صدقت فيظن الناس أن أمرهم واحد قال فلما أصبح عبد العزيز خرج على الناس وهم مجتمعون فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما أحد أولى بهذا الأمر من مروان بن الحكم انه لكبير قريش وشيخها وأفرطها عقلا وكمالا ودينا وفضلا والذى نفسى بيده لقد شاب شعر ذراعيه من من الكبر فقال خالد بن يزيد : أمر قضى بليل . فبايعوا مروان بن الحكم فقال عمرو بن سعيد الضحاك بن قيس أرضيت أن تكون بريدا لابن الزبير وأنت أكبر قريش وسيدها تعالى نبايعك فخرج به إلى مرج راهط فلما دعا الى البيعة اقتتلوا فقتل الضحاك بن قيس فقال عمرو بن سعيد لأهل الشام ما صارت أيديكم إلا مناديل من جاءكم مسح يده بها أن مروان سيدقريش وأكبرهم سنا فبايعوا مروان بن الحكم وقتل الضحاك بن قيس وهزم أصحابه وكانت قيس مع الضحاك وكان اليمن مع عمرو بن سعيد فمكث مروان ما شاء الله ان يمكث ثم قال له أصحابه والله ما نتخوف إلا خالد بن يزيد بن معاوية وانك أن تزوجت أمه كسرته وأمه ابنة بنى هاشم بن عتبة بن ربيعه فخطبها مروان بن الحكم فتزوجها وأقام بالشام ثم أراد أن يخرج الى مصر قال لخالد اعرنى سلاحا إن كان عندك قال فاعاره سلاحا وخرج الى مصر فقاتل أهل مصر وسبا ناسا كثيراً فافتدوا منه ثم قدم الشام

(موت مروان بن الحكم)

قال وذكروا أن مروان بن الحكم لما قدم الشام من مصر قال له خالد بن يزيد ابن معاوية أردد إلى سلاحى فأبى عليه مروان فألح عليه وكان مروان فاحشا سبابا وقال له يا ابن الربوخ يا أهل الشام ان أم هذا ربوخ يا ابن الرطبة قال فجاء ابنها اليها قال هذا ما صنعت أبى سبنى مروان على رؤس أهل الشام وقال هذا ابن الربوخ قال وكان مروان استخلف حين خرج إلى مصر ابنه عبد الملك وعبد العزيز أنهما يكونا بعده وبايع لهما أهل الشام فلبث مروان بعد ذلك ليالى بعد ما قال لخالد بن يزيد ما قال ثم جاء إلى أم خالد فرقد عندها فأمرت جواريها فطوين عليه الشواذك ثم غطته حتى قتلته ثم خرجن يصحن ويشققن جيوبهن يا أمير المؤمنين قال فقام عبد الملك فبايع لنفسه ووعد عمرو بن سعيد أن يستخلفه فبايعه وأقاموا بالشام

(بيعة الملك بن مروان وولايته)

قال وذكروا أن عبد الملك بن مروان بايع لنفسه ووعد الناس خيراً ودعاهم إلى إحياء الكتاب والسنة وإقامة العدل والحق وكان معروفا بالصدق مشهوراً بالفضل والعلم لايختلف فى دينه ولا ينازل فى روعه فقبلوا ذلك منه ولم يختلف عليه من قريش أحد ولا من أهل الشام فلما تمت بيعته خالفه عمرو بن سعيد الأشدق فوعده عبد الملك أن يستخلفه بعده فبايعه على ذلك وشرط عليه أن لا يقطع شيئاً دونه ولا ينفذ أمراً إلا بمحضره فأعطاه ذلك ثم أن عبد الملك بعث حبيش ابن دجلة الى المدينة فى سبعة آلاف رجل فدخل المدينة وجلس على المنبر الشريف فدعى بخبز ولحم فأكل على المنبر ثم أوتى بماء فتوضأ على المنبر قال أبو معشر فحدثنى رجل من أهل المدينة يقال له أبو سلمة قال شهدت حبيش ابن دجلة يومئذ وقد

أرسل الى جابر بن عبد الله الأنصارى فدعاه فقال تبايع لعبد الملك أمير المؤمنين بالخلافة عليك بذلك عهد الله وميثاقه وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء فان خالفت فاهرق الله دمك على الضلالة فقال له جابر بن عبد الله إنك أطوق على ذلك منى ولكنى أبايعك ما بايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوم الحديبية على السمع والطاعة قال ثم أرسل الى عبد الله بن عمر فقال له تبايع لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على السمع والطاعة فقال ابن عمر اذا اجتمع الناس عليه بايعت له إن شاء الله ثم خرج ابن دجلة من يومه ذلك نحو الربذة وقام فى أثره رجلان أحدهما على أثر الآخر مع كل واحد منهما جيش وكل واحد منهما يصعد المنبر ويخطب ثم خرجوا جميعاً الى الربذة وذلك فى رمضان سنة خمسة وستين فاجتمعوا بها وأميرهم ابن دجلة وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدى بالمدينة أن اسر إلى حبيش بن دجلة وأصحابه فى ناس فصار حتى لقيهم بالربذة فى شهر رمضان وبعث الحارث بن عبد الله بن ربيعة من البصرة مددا الى ابن الزبير حنيف بن السجف فى تسعمائة رجل فساروا حتى انتهوا إلى الربذة فبات أهل البصرة يقرأون القرآن ويصلون ليلتهم حتى أصبحوا وبات الآخرون فى المعازف والخمور فلما أصبحوا قال لهم حبيش بن دجلة اهرقوا ماءكم حتى تشربوا من سويقكم المعتد فاهرقوا الماء وغدوا إلى القتال فقتل حبيش ومن معه من أهل الشام خمسمائة رجل على عمود الربذة وهو الجبل الذى بها . قال وكان يوسف أبو الحجاج مع ابن دجلة قال وأحاط بهم عباس بن سهل فقال انزلوا على حكمى فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم

(غلبة ابن الزبير على العراقيين وبيعتهم)

قال وذكروا أن عباس بن سهل لما فرغ من قتال أهل الشام رجع المدينة فجدد البيعة لابن الزبير فسارعوا اليها ولم يتثبطوا وقدم أهل البصرة على ابن الزبير بمكة فكانوا معه وكان عبد الله بن الزبير استعمل الحارث بن عبد الله أبى ربيعة على

البصرة فلما قدمها قيل له ان الناس يقطعون الدراهم حتى يجعلونها كأنها صغار فقال لهم هلم بسبعة ثقالا فأتوه بسبعة ثقال فقال هذه بعشرة فزنوا كيف شئتم ، قال فأتوا بالمكيال الذى يكيلون به فقال هذا قريب صالح ثم قيل له ان أهل البصرة لايصلحهم إلا القتل . فقال . لان تفسد البصرة أحب إلى من أن يفسد الحرث والنسل قال فبعث ابن الزبير حمزة بن عبد الله بن الزبير إلى البصرة عاملا فاستحقره أهل البصرة فبعث مصعب بن الزبير فقدم عليهم فقال أهل البصرة لايقدم عليكم أحد إلا لقيتموه وأنا ألقب لكم نفسى أنا القصاب ثم صار إلى المختار فقتله

(بيعة أهل الكوفة لابن الزبير وخروج ابن زياد عنها)

قال وذكروا عن بعض المشيخة من أهل العلم بذلك قالوا كان ابن زياد أول من ضم اليه الكوفة والبصرة وكان أبوه زياد كذلك قبله فلم يزل عبيد الله يتبع الخوارج ويقتلهم ويأخذ على ذلك الناس بالظن ويقتلهم بالشبهة واستعمد إلى عامتهم وكان بعضهم له على ما يحب . قال فلما اختلف أمر الناس ومات يزيد واستعمد سلطان ابن الزبير وغلظ شانه وعظم أمره وخلع أهل البصرة طاعة بنى أمية وبايعوا ابن الزبير خرج عبيد الله بن زياد إلى المسجد فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ان الذى كنا نقاتل على طاعته قد مات واختلف أمر الناس وتشتت كلمتهم وانشقت عصاهم فان أمرتمونى عليكم حببت فيكم وقاتلت عدوكم وحكمت بينكم وأنصفت مظلومكم وأخذت على يد ظالمكم حتى يجتمع الناس على خليفة . فقام يزيد بن الحارث بن رويم اليشكرى وقال الحمد لله الذى أراحنا من بنى أمية وأخرى من ابن سيمة لا والله ولا كرامة فأمر به عبيد الله فلبب ثم انطلق به إلى السجن فقام بكر بن وائل فحال بينه وبين ذلك ثم خرج الثانية عبيد الله بن زياد إلى المنبر فخطب الناس فحصبه الناس ورموه بالحجارة وسبوه وقام قوم فدنوا منه فنزل فاجتمع الناس فى المسجد فقال نؤمر رجلا حتى تجتمع

الناس على خليفة فاجتمع رأيهم على رأيهم على أن يؤمروا عمرو بن سعد بن أبي
وقاص وكان الذين قاموا بأمره هذا الحي الذى من كندة فبيناهم على ذلك اذ اقبل
النساء يبكين وينعين الحسين وأقبلت همدان حتى ملؤا المسجد فأطافوا بالمنبر متقلدين
بالسيوف وأجمع رأى أهل البصرة والكوفة على عامر بن مسعود بن أمية بن
خلف فأمروه عليهم حتى يجتمع الناس وكتبوا إلى عبد الله بن الزبير يبايعونه
بالخلافة فأقر عبد الله بن الزبير عاملا عليهم نحواً من سنة واستعمل العمال فى
الأمصار فبلغ أهل البصرة ما صنع أهل الكوفة فاجتمعوا وأخرجوا الرايات فلم
يبق أحد إلا خرج وذلك لسوء اثار عبيد الله بن زياد فيهم يطلبون قتله ثم قام
ابن أبي ذؤيب . فقال يا هؤلاء من ينصر الله ينصر الكعبة من يغار على ابن سمية
سارعوا أيها الناس إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض واجتنبوا
هذه الدعوة وأقيموا أودهذه البيعة فانها بيعة هدى فانه من قد علمتم عبد الله بن الزبير
حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وإن أسماء بنت أبى بكر الصديق
أما والله لو أن أبا بكر علم أنه بقي على الأرض من هو خير منه وأولى بهذه البيعة
ما مد يده ولا نازعته اليها نفسه أما والله لقد علمتم ما أحد على وجه الأرض خير
ولا أحق بها إلا هذا الشيخ عبد الله بن عمرو المتبرىء من الدنيا المعتزل عن الناس
الكاره لهذا الأمر ثم خرجت الخوارج من سجون عبيد الله بن زياد واجتمعوا
على حدة والقبائل كل قبيلة فى المسجد معتزلة على حدة وعبيد الله بن زياد فى القصر
وقد أخذ بأبوابه وقد تمنع أن يدخل القصر أحد وقد أخذ العرب بأفواه السكك
والدروب وكان عبيد الله أول من جفا العرب وأخذ منهم المحاربة اثنى عشر ألفاً
ليعتز بهم فوالله ما زادوه إلا ذلا فلما رأى ذلك عبيد الله بن زياد لم يدر كيف
يصنع وخاف تميما وبكر بن وائل أن يستجير بهم ولم يأمن غدرهم فأرسل الى الحارث
ابن قيس الجهمى من الأزد فدخل عليه الحارث قال ياحارث قد أكرمتم
زياداً وحفظتم منه ما كنتم أهله وقد استجرت بكم فأنشدكم الله فى قال الحارث

أخاف أن لا تقدر على الخروج الينا لما رأى من سوء رأى العامة فيك مع سوء آثارك فى الأزد قال فهيأ عبيد الله فلبس لبس امرأة فى خمرتها وعقيصتها فأردفه الحارث خلفه فخرج به على الناس فقالوا يا حارث ما هذه قال تنحو رحمكم الله هذه امرأة من أهلى كانت زائرة لأهل ابن زياد أتيت اذهب بها فقال عبيدالله للحارث أين نحن قال فى بنى سليم فقال سلمنا الله قال ثم سار قليلا ثم قال أين نحن قال فى بنى ناجية من الأزد قال نجونا إن شاء الله قال فأتى به مسعود بن عمرو وهو يومئذ سيد الأزد فقال يا أبا قيس قد جئتك بعبيد الله مستجيراً قال ولم جئتنى بالعبد قال أنشدتك الله قد اختارك على غيرك فلما رآهم عبيد الله يتراضون ويتناشدون قال قد بلغنى الجهد والجوع فقال مسعود يا غلام ائت البقال فآتنا من خبزه وتمره قال فجاء به الغلام فوضع قال فأكل وإنما أراد ابن زياد أن يتحرم بطعامه ثم قال أدخل فدخل ومنارات الناس يومئذ من القصب وكان منزل مسعود يومئذ قاصية قال فكان عبيد الله خاف فقال يا غلام اصعد إلى السطح بحزمة من قصب فاشعل أعلاه ناراً ففعل ذلك فى جوف الليل فأقبلت الأزد على الخيل وعلى أرجلها حتى شحنوا السكك وملئوها فقالوا ما لسيدنا قال شيء حدث فى الدار قال فعرف عبيد الله عزته وعرفته وما هو عليه قال هذا والله العز والشرف فأقام عنده أياما وعنده امرأتان امرأة من الأزد وامرأة من عبد قيس فكانت العبدية تقول أخرجوا العبد وكانت الأزدية تقول استجار بك على بغضه إياك وجفوته لك وتحدث الناس أنه لجأ إلى مسعود بن عمرو فاجتمعت القبائل فى المسجد والخوارج وهم فى أربعة آلاف فقال ابن مسعود ما أظننى إلا خارجا إلى البصرة معتذراً اليهم من أمر عبيد الله ثم قال وكيف آمن عليه وهو فى منزله ولكنى أبلغه مأمنه ثم اعتذر اليهم قال وكان مسعود قد أجار عنده ابن زياد أربعين ليلة قال فأقبل مسعود يوماً على برذون له وحوله عدة من الأزد عليهم السيوف وقد عصب رأسه بسير أحمر قال الهيثم فقلت لابن عباس لم عصب رأسه بسير أحمر

قال قد سألت عن ذلك قبلك شيخ من الأزد ضخم الهامة وكانت له صفيرتان فعصب لذلك بالسير . قال ابن عباس فذكرت ذلك لعمرو بن هرم وكان معنا بواسط فقال : حدثك من لا يعرف ، هذا شيء كانت العرب تصنعه إذا أراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب السير ليعلموا أنه معتذر قال فأقبل مسعود حتى انتهى إلى باب المسجد ومعه أصحابه رجاله بين يديه وخلفه وكان كبيراً فلم يستطع النزول والقبائل فى المسجد بأجمعها فدخل المسجد بدابته فبصرت به الخوارج فظنوا أنه عبيد الله فأقبلوا نحوه متقلدين السيوف وجال الناس جولة فضربوه بأسيافهم حتى مات . قتله نفر من بنى حنيفة من الخوارج وجال الناس ونهضوا من مجالسهم وبلغ ذلك الأزد فأقبلوا على كل صعب وذلول وأقبل عباد ابن الحصين لينظر إلى عبيد الله فاذا هو بمسعود فقال : مسعود ورب الكعبة إنا لله وإنا اليه راجعون أبا قيس قد وفيت ما كان أغنى أهل مصرك بما صنعت من ذلك فجعلتهم بنفس ثم ألقى عليه كساء ثم أقبلت الأزد فكان بينهما وبين مضر ما وقع ذكره فى غير هذا الكتاب حتى اصطلحوا وتراضوا على بيعة ابن الزبير. قال الهيثم قال ابن عباس حدثنى عوكل اليشكرى قال : أنا مع عبيد الله بن زياد فى ليلة مظلمة فاذا نحن بنار من بعد فقال عبيد الله يا عوكل كيف الطريق قال اجعل النار على حاجبك فقال بل على حاجبك . قال عوكل : فوالله إنا لنسير بالسمارة إذ قال عبيد الله قد كرهت البعير فابغوا لى ذا حافر قال فاذا نحن باعرابى من كلب معه حمار أقمر ضخم فقلت تبيعه بكم فقال باربعمائة درهم لا أنقصكم درهما فأشار الينا عبيد الله أن خذوه قال فجعلنا ننقده الدراهم قال لست أدرى ما هذه ولكن بينى وبينكم هـــذا المولى يعنى عبد الله بن زياد وكان عبيد الله أحمر أقمر شبيها بالموالى قال فأخذناه منه فقال عبيد الله ارحلوا لى عليه فرحلنا له عليه فلما قدم ليركب قال الاعرابى أنا أقسم بالله إن لكم شأناً وما أظن صاحبكم إلا والى العراق فاستقفاه عبيد الله بالعصا فضربه بها فوقع ثم شدوه وثاقا قال وجعلوا يتجنبون المياه قال

عوكل ثم أن عبيد الله بينا هو على راحلته إذ هجعت عينه فقلت له أراك نائماً فقال ما كنت بنائم فقلت له ما أعلمني بما كنت تحدث به نفسك قال وبأى شيء كنت أحدث به نفسى قال قلت ليتنى لم ابن البيضاء ولم أستعمل الدهاقين وليتنى لم اتخذ المحاربة . قال ما خطر لى هذا على بال أما قولك ليتنى لم أبن البيضاء فما كان على منها ثم بناها اليزيد من ماله وأما استعمال الدهاقين فقد استعملهم أبى ومن كان قبله وأما المحاربة فوالله ما اتخذتهم إلا وقاية لأنى كنت أقتل بهم أهل المعصية فلو أمرت عشائرهم بهم لم يقتلوهم ولشق ذلك عليهم فجعلت ذلك بينى وبينهم من إلى بينه وبينهم ولكنى كنت أحدث نفسى انى ندمت على ترك أربعة آلاف فى السجن من الخوارج فوددت انى كنت أضرمت البيضاء عليهم حتى أتى على آخرهم ووددت انى جمعت آل بيتى وموالى ونابذت أهل المصر على سواء حتى يموت الأعجل وودت انى قدمت الشام ولم يبايع أهلها بعد .

(قتل المختار عمرو بن سعيد)

قال وذكروا أن ابن المختار بن أبى عبيد كتب الى عبد الله بن الزبير من الكوفة وقال لرسوله : اذا جئت مكة فدفعت كتابى الى عبد الله بن الزبير فأت المهدى محمد بن على وهو ابن الخليفة فاقرأ عليه منى السلام وقل له يقول لك أخوك أبو إسحاق انى أحبك وأحب أهل بيتك قال فأتاه الرسول فقال له ذلك كذبت وكذب أبو إسحاق معك كيف يحبنى ويحب أهل بيتى وهو يجالس عمرو بن سعد بن أبى وقاص على وسادة وقد قتل الحسين بن على أخى . قال فلما قدم عليه رسوله أخبره بما قال محمد بن على ، فقال المختار لابن عمرة صاحب حرسه استأجر لى نوائح يبكين الحسين على باب عمرو بن سعد بن أبى وقاص قال ففعل فلما جئن يبكين الحسين قال عمرو لابنه حفص يا ابنى قل لهما شأن النوائح يبكين الحسين . قال فأتاه فقال له ذلك فقال له هل لك أن تبكى عليه فقال أصلحك الله أنهن عن ذلك قال نعم . ثم دعا أبا عمرة فقال اذهب إلى

عمرو بن سعد فاتني برأسه قال فأتاه فقال قم إلى أبا حفص فقام اليه وهو ملتحف فجلله بالسيف ثم جاء برأسه إلى المختار وحفص جالس عنده على الكرسى فقال هل تعرف هذا الرأس قال نعم رحمة الله عليه قال أتحب أن ألحقك به قال وما خير الحياة بعده . قال فضرب رأسه فقتله قال ثم أرسل عبد الله بن الزبير يزيد ابن زياد على العراق فكان بالكوفة حتى مات يزيد وأحرقت الكعبة ورجع الحسين هارباً إلى الشام . قال ثم أرسل عبد الله بن مطيع إلى الكوفة ثم بعث المختار بن أبي عبيد على الكوفة وعزل عبد الله بن مطيع وسيره الى المدينة وسار عبيد الله بن زياد بعد ذلك إلى المختار . وجهه عبد الملك بن مروان أميراً على العراق وندب معه جيشا عظيما من أهل الشام فأقبل إلى الكوفة يريد المختار فالتقوا بخازر فاقتتلوه فقتل المختار عبيد الله بن زياد ومن معه وكان معه الحصين ابن نمير وذا الكلاع وغلبه هن كان معه ممن شهد وقعة الحرة من رؤوسهم

(قتل معصب بن الزبير المختار بن أبى عبيد الله)

قال وذكروا أن أبا معشر قال لما قتل عبيد الله بن زياد ومن معه ارتضى أهل البصرة عبد الله بن الحارث بن نوفل فأمروه على أنفسهم ثم أتى عبد الله ابن الزبير وأم عبد الله بن الحارث هند بنت أبى سفيان وكانت أمه تنبذه وهو صغير ببيه فلقب ببيه ثم بعث عبد الله بن الزبير الحارث بن عبيد الله بن أبى ربيعة عاملا على البصرة ثم بعث حمزة بن الزبير بعده ثم بعث مصعب بن الزبير أخاه وضم اليه العراقيين جميعا الكوفة والبصرة فلما ضم اليه الكوفة وعزل المختار عبد الله بن الزبير بالكوفة ودعا إلى آل الرسول وأراد أن يعقد البيعة لمحمد بن الحنفية ويخلع عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله إلى أخيه مصعب أن سر إلى المختار بمن معك ثم لا تباعه ريقه ولا تمهله حتى يموت الأعجل منكما فأتاه مصعب بمن معه فقاتله ثلاثة أيام حتى هزمه وقتله وبعث مصعب برأس المختار الى أخيه

وقتل مصعب أصحاب المختار . قتل منهم ثمانية آلاف صبراً ثم قدم حاجا فى سنة إحدى وسبعين فقدم عبد الله بن الزبير ومعه رؤساء أهل العراق ووجوههم وأشرافهم فقال يا أمير المؤمنين قد جئتك برؤساء أهل العراق وأشرافهم كل مطاع فى قومه وهم الذين سارعوا إلى بيعتك وقاموا باحياء دعوتك ونابذوا أهل معصيتك وسعوا فى قطع عدوك فاعطهم من هذا المال . فقال له عبد الله بن الزبير : جئتنى بعبيد أهل العراق وتأمرنى أن أعطيهم مال الله لا أفعل ، وأيم الله لوددت انى أصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل من أهل الشام . قال رجل منهم علقناك وعلقت أهل الشام ثم انصرفوا عنه وقد يئسوا مما عنده لا يرجون رفده ، ولا يطمعون فيما عنده فاجتمعوا وأجمعوا على خلعه فكتبوا إلى عبد الملك بن مروان ان أقبل الينا .

(خلع ابن الزبير)

قال وذكروا أن أبا معشر قال لما أجمع القوم على خلع ابن الزبير وكتبوا الى عبد الملك بن مروان أن سر الينا فلما أراد عبد الملك أن يسير اليهم وخرج من دمشق فأغلق عمرو بن سعيد باب دمشق فقيل لعبد الملك ما تصنع أتذهب الى أهل العراق وتدع دمشق ، أهل الشام أشد عليك من أهل العراق فأقام مكانه فحاصر أهل دمشق أشهر حتى صالح عمرو بن سعيد على أنه الخليفة بعده ففتح دمشق ثم أرسل عبد الملك إلى عمرو وكان بيت المال فى يد عمرو ان اخرج للحرس أرزاقهم فقال عمرو ان كان لك حرس فان لنا حرسا فقال عبد الملك اخرج لحرسك أرزاقهم أيضا

(قتل عبد الملك عمرو بن سعيد)

قال وذكروا أن أبا معشر قال : لما اصطلح عبد الملك وعمرو بن سعيد على

أنه الخليفة بعده أرسل عبد الملك إلى عمرو بن سعيد نصف الليل ائتنى أبا أمية قال فخرج ليأتيه فقالت له امرأته لا تذهب اليه فاني أتخوفه عليك واني لا أجد ريح دم مسفوح قال فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها فتركته فأخرج معه أربعة آلاف رجل من أهل دولته لا يقدر على مثلهم متسلحين فأحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك بن مروان فقالوا لعمرو إذا دخلت على عبد الملك يا أبا أمية ورأيك منه شيء فاسمعنا صوتك فقال لهم انى أخفي عليكم صوتي ولم تسمعوه فالزوال بينى وبينكم ميعاد . إن زالت الشمس ولم أخرج اليكم فاعلموا انى مقتول أو مغلوب فضعوا أسيافكم ورماحكم حيث شئتم ولا تغمدوا سيفا حتى تأخذوا بثارى من عدوى قال فدخل وجعلوا يصيحون يا أبا أمية أسمعنا صوتك وكان معه غلام أشحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه بأس ليسمع عبد الملك أن وراءه ناس فقال له عبد الملك أتمكر يا أبا أمية عند الموت خذوه فأخذوه فقيل له ان أمير المؤمنين قد أقسم ليجعان فى عنقك جامعة منه ثم نشروه الى الأرض نشرة فكسرت ثنيته قال فجعل عبد الملك ينظر اليه فقال عمرو لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر فقال عبد الملك لأخيه عبد العزيز اقتله حتى أرجع اليك قال فلما أراد عبد العزيز ضرب عنقه قال له عمرو وتمسك بالرحم ياعبد العزيز أنت تقتلنى من بينهم فتركه فجاء عبد الملك فرآه جالساً فقال له لم لا تقتله لعنه الله ولعن أما ولدته قال فانه قال تمسك بالرحم فتركته قال فأمر رجلا عنده يقال له ابن الزويدع فضرب عنقه ثم أدرجه فى بساط وأدخله تحت السرير فدخل عليه قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وكان أحد الفقهاء وكان رضيع عبد الملك بن مروان وصاحب خاتمه ومشورته فقال له عبد الملك كيف رأيك فى عمرو بن سعيد فابصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير فقال أضرب عنقة يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك جزاك الله خيراً فما علمتك إلا ناصحاً أميناً موافقا قال له فما ترى فى هؤلاء الذين أحدقوا

بنا وأحاطوا بقصرنا قال قبيصة : اطرح رأسه اليهم يا أمير المؤمنين ثم اطرح عليهم الدنانير والدراهم يتشاغلون بها فامر عبد الملك برأس عمرو أن تطرح اليهم من أعلى القصر فطرحت اليهم وطرحت الدنانير ونشرت الدراهم ثم هتف عليهم الهاتف ينادى : إن أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والأمر النافذ ولكم على أمير المؤمنين عهد الله وميثاقه أن يحمل راجلكم ويكسو عاريكم ويغنى فقيركم ويبلغكم إلى أكمل ما يكون من العطاء والرزق ويبلغكم الى المائتين فى الديوان فاعترضوا على ديوانكم واقبلوا أمره واسكنوا الى عهده يسلم لكم دينكم ودنياكم . قال فصاحوا نعم نعم سمعا وطاعة لأمير المؤمنين . قال فلما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان بالشام أراد أن يخرج الى مصعب فجعل يستفز أهل الشام فيبطئون عليه فقال له الحجاج بن يوسف وكان يومئذ فى حرص إبان بن مروان : يا أمير المؤمنين سلطنى عليهم فاعطاه ذلك فقال له عبد الملك اذهب قد سلطتك عليهم قال فكان لايمر على بيت رجل من أهل الشام تخلف إلا أحرق عليه بيته فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا قال فاصابهم من ذلك غلاء فى الأسعار وشدة من الحال وصعوبة من الزمان قال وكانوا يصنعون لعبد الملك بن مروان الأرز . فسار باهل الشام الى العراق ومعه الحجاج ابن يوسف

(مسير عبد الملك الى العراق وقتله)

قال وذكروا أن عبد الملك لما سار بأهل الشام ومعه الحجاج بن يوسف الى العراق خرج مصعب بن الزبير بأهل البصرة والكوفة فالتقيا بين الشام والعراق وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافين وصديقين متحابين لايعلم بين اثنين من الناس ما بينهما من الاخاء والصداقة فبعث اليه عبد الملك أن ادن منى اكلمك قال فدنى كل واحد من صاحبه وتنحى الناس عنهما فسلم عبد الملك عليه وقال له

يامصعب قد علمت ما أجرى الله بيني وبينك منذ ثلاثين سنة وما اعتقدته من اخائى وصحبتى والله أناخيرلك منعبد اللهوانفع منهلدينك ودنياك فثق بذلك منى وانصرف الى وجوه هؤلاء القوم وخذ لى بيعة هذين المصريين والأمر أمرك لاتعصى ولا تخالف وإن شئت اتخذتك صاحباً لا تخفي ووزيراً لاتعصى . فقال له مصعب ما ذكرت فى من ثقتى بك ومودتى واخائي فذلك كما ذكرته ولكنه بعد قتلك عمرو بن سعيد لايطمأن اليك وهو أقرب رحما منى اليك وأولى بما عندك فقتلته غدراً ، ووالله لو قتلته فى ضرب ومحاربة لمسك عاره ولما سلمت من اثمه . وأما ما ذكرت من أنك خير لى من أخى فدع عنك أبا بكر وأياك واياه لاتتعرض له واتركه ماتركك واريح عاجل عاقبته ، وارج الله فى السلامة من عافيته فقال له عبد الملك : لاتخوفنى به فوالله انى لأعلم منه مثل ماتعلم إن فيه لثلاث خصال لايسود بها أبداً : عجب قد ملاه واستغناء برأيه وبخل التزمه فلا يسود بها أبداً

(قتل مصعب بن الزبير)

قال وذكروا أن عبد الملك لما آيس من مصعب كتب الى أناس من رؤساء أهل العراق يدعوهم الى نفسه ويجعل لهم أموالا عامة وشروطا وعهوداً ومواثيق وعقوداً وكتب الى ابراهيم بنالاشتر يجعل له وحده مثل جميع ماجعل لاصحابه على أن يخلعوا عبد الله بن الزبير اذا التقوا . فقال ابراهيم بن الاشتر لمصعب أن عبد الملك قد كتب الى هذا الكتاب وكتب الى أصحابه كلهم فلان وفلان بذلك فادع بهم فى هذه الساعة فاضرب أعناقهم واضرب عنق معهم فقال مصعب ما كنت لافعل ذلك حتى يستبين لى ذلك من أمرهم قال ابراهيم فأخرى قال وما هى قال أحبسهم فى السجن حتى يتبين ذلك فأبىفقال له ابراهيم بن الأشتر عليك السلام ورحمة الله وبركاته ولا ترانى والله بعد فى مجلسك هذا أبداً وقد

كان قال له قبل ذلك دعنى ادعو أهل الكوفة بدعوة لايخلعونها أبداً وهى ماشرطه الله فقال له مصعب لا والله لا أفعل لا أكون قتلتهم بالأمس واستنصر بهم اليوم قال فما هو إلا أن التفوا فحولوا برؤسهم ومالوا الى عبد الملك بن مروان قال فبقى مصعب فى شرذمة قليلة قال فجاءه عبيد الله بن ظبيان فقال أين الناس أيها الأمير فقال غدركم يا أهل العراق قال فرفع عبيد الله سيفه ليضربه فبدره مصعب بالسيف على البيضة فنشب فيها فجعل يقلب السيف ولاينتزع من البيضة قال فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعب بالسيف فقتله ثم جاء عبيد الله برأسه الى عبد الملك يدعى أنه قتله . فطرح رأسه وقال :

نطيع ملوك الأرض ماقسطوا لنا ... وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فوقع عبد الملك ساجداً فتحامل عبيد الله على ركابه ليضرب عبد الملك بالسيف فرفع عبد الملك رأسه وقال والله ياعبيد الله لولا منتك لالحقتك سريعاً به قال فبايعه الناس ودخل الكوفة فبايعه أهلها

(ذكرى حرب ابن الزبير وقتله)

قال وذكروا أنه لما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان من أهل العراق وأتاه الحجاج بن يوسف فقال : يا أمير المؤمنين انى رأيت فى المنام كأنى أسلخ عبد الله ابن الزبير . فقال له عبد الملك انت له فاخرج اليه فخرج الحجاج فى الف وخمسمائة رجل من رجال أهل الشام حتى نزل الطائف وجعل عبد الملك يرسل اليه الجيوش رسلا حتى توافى الناس عنده قدر مايظن انه يقدر قتال عبد الله بن الزبير وكان ذلك فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فسار الحجاج من الطائف حتى نزل منها فحج الناس وعبد الله بن الزبير محصور بمكة ثم نصب الحجاج المنجنيق على أبى قبيس ونواحى مكة كلها فرمى أهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها جمع عبد الله بن الزبير القرشيين فقال لهم ماترون فقال رجل منهم من بنى مخزوم والله لقد قاتلنا معك حتى ما نجد مقاتلا والله لئن صبرنا معك ماتريد على أن

نموت معك انما هو إحدى خصلتين إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا ولك وإما أن تأذن لنا فنخرج فقال عبد الله قد كنت عاهدت الله أن لايبايعنى أحد فاقيله بيعته إلا ابن صفوان قال ابن صفوان والله أنا لنقاتل معك وما وفيت لنا بما قلت ولكن تأخرى الحفيظة أن أدعك عند مثل هذه حتى أموت معك فقال رجل آخر اكتب الى عبد الملك فقال له عبد الله وكنت أكتب اليه من عبد الله أبى بكر أمير المؤمنين فوالله لايقبل هذا منى أبداً أو اكتب اليه لعبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير فوالله لان تقع الخضراء على الغبراء أحب الى من ذلك قال عروة أخوه : يا أمير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة فقال له عبد الله من هو أسوتى قال الحسن بن على بن أبى طالب خلع نفسه وبايع معاوية فرفع عبد الله رجله وضرب عروة حتى القاه ثم قال ياعروة قلبى اذا مثل قلبك والله لو قبلت ماتقولون ماعشت إلا قليلا وقد أخذت الدنية وماضربة بسيف إلا مثل ضربة بسوط لا أقبل شيئا مما تقولون قال فلما أصبح دخل علي بعض نسائه فقال اصنعى لى طعاماً فصنعت له كبداً وسناما قال فاخذ منها لقمة فلا كها ساعة فلم يسغها فرماها وقال اسقونى لبنا فاتى بلبن فشرب ثم قال صبوا على غسلا قال فاغتسل ثم تحنط وتطيب ثم تقلد سيفه وخرج وهو يقول :

ولا الين لغير الحق اسأله حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم دخل على أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق وهى عمياء من الكبر قد بلغت من السن مائة سنة فقال لها : يا أماه ماترين قد خذلنى الناس وخذلنى أهل بيتى. فقالت يابنى لايلعبن بك صبيان بنى أمية عش كريما ومت كريما فخرج وأسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم أهل الشام فيهزمهم وهو يقول ويل أمه فتح لو كان له رجال قال فجعل الحجاج يناديه قد كان لك رجال ولكن ضيعتهم قال فجاءه حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشى فاصاب قفاه فسقط فما درى أهل الشام انه هو حتى سمعوا جارية تبكى وتقول وا أمير المؤمنين فاحتزوا

رأسه فجاؤا به الى الحجاج وقتل معه عبد الله بن صفوان بن أمية وعمارة بن عمرو بن حزم ثم بعث برؤسهم الى عبد الملك وقتل لسبع عشرة ليلة مضين من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين . قال أبو معشر : ثم أقام الحجاج بالمدينة عاملا عليها وعلى مكة والطائف ثلاث سنين يسير بسيرته فيما يقولون . قال فلما مات بشر بن مروان وكان على الكوفة والبصرة كتب اليه عبد الملك أن سر الى العراقيين واحتل بقتلهم فانه قد بلغنى عنهم ما أكره . واستعمل عبد الملك على المدينة يحي ابن حكيم بن أبي العاص

(ولاية الحجاج على العراقيين)

قال وذكروا أن عبد الملك لما كتب الى الحجاج يأمره بالمسير الى العراقيين ويحتال لقتلهم توجه ومعه الفا رجل من مقاتلة أهل الشام وحملتهم أربعة آلاف من أخلاط الناس وتقدم بألفي رجل وتحرى دخول البصرة يوم الجمعة فى حين أوان الصلاة فلما دنى من البصرة أمرهم أن يتفرقوا على أبواب المسجد على كل باب مائة رجل بأسيافهم تحت أرديتهم . وعهد اليهم أن اذا سمعتم الجلبة فى داخل المسجد والوقيعة فيهم فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه رأسه الى الأرض وكان المسجد له ثمانية عشر بابا يدخل منها اليه . فافترق القوم عن الحجاج فبدروا الى الابواب فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل وخلفه مائة كل رجل منهم مرتد بردائه وسيفه قد أفضى به إلى داخل ازاره. فقال لهم إنى اذا دخلت فسأكلم القوم فى خطبتى وسيحصبونى فاذا رأيتمونى قد وضعت عمامتى على ركبتى فضعوا أسيافكم واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين . فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . أيها الناس إن أمير المؤمنين عبد الملك أمير استخلفه الله عز وجل فى بلاده وارتضاه إماما على عباده وقد ولاني مصركم وقسمة فيئكم وأمرنى بانصاف مظلومكم

وإمضاء الحكم على ظالمكم وصرف الثواب إلى المحسن البرىء والعقاب الى العاصى المسيء ، وأنا متبع فيكم أمره ومنفذ عليكم عهده ، وأرجو بذلك من الله عز وجل المجاراة ومن خيفته المكافأة وأخبركم أنه قلدنى بسيفين حين توليته إياى عليكم سيف رحمة وسيف عذاب ونقمة فأما سيف الرحمة فسقط منى فى الطريق وأما سيف النقمة فهو هذا ، فحصبه الناس فلما أكثروا عليه خلع عمامته فوضعها على ركبتيه فجعل السيوف تبرى الرقاب فلما سمع الخارجون الكائنون على الأبواب وقيعة الداخلين ورأوا تسارع الناس إلى الخروج تلقوهم بالسيوف فاردعوا الناس إلى جوف المسجد ولم يتركوا خارجا يخرج فقتل منهم بضعا وسبعين الفا حتى سالت الدماء إلى باب المسجد وإلى السكك . قال أبو معشر : لما قدم الحجاج البصرة صعد المنبر وهو معتجر بعمامته متقلد سيفه وقوسه قال فنعس على المنبر وكان قد حيى الليل ثم تكلم بكلام فحصبوه فرفع رأسه . ثم قال : إنى أرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها . فهابوه وكفوا ثم كلمهم فحصبوه وأكثروا فأمر بهم جنداً من أهل الشام وكانوا قد أحاطوا به من حوله ومن حول أبواب المسجد فلما فرغ منهم وأحكم شأنه فيهم بعث عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الى سجستان عاملا ومعه جيش . فكتب اليه الحجاج أن يقاتل حصن كذا وكذا فكتب إلى الحجاج إني لا أرى ذلك صوابا أن الشاهد يرى مالا يرى الغائب . فكتب اليه الحجاج : أنا الشاهد وأنت الغائب فانظر ما كتبت به اليك فامض له والسلام

(خروج ابن الأشعث على الحجاج)

قال وذكروا أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لما خرج على الحجاج جمع أصحابه فيهم عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل وبنوه عون بن عبد الله وعمرو بن موسى بن معمر بن عثمان بن عمرة وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال لهم ما ترون قالوا نحن معك فاخلع عدو الله وعدو رسوله فان خلعه من

أفضل أعمال البر نخلعه وأظهر خلعه فلما أظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير فقالوا له إنا قد حبسنا أنفسنا عليك فما الرأى قال الرأى أن تكفوا عما تريدون فان الخلع فيه الفتنة والفتنة فيها سفك الدماء واستباحة الحرم وذهاب الدين والدنيا فقالوا انه الحجاج وقد فعل ما فعل فذكروا أشياء ولم يزالوا به حتى صار معهم وهو كاره . قال وانتهى الخبر الى الحجاج فقيل له أن عبد الرحمن قد خلعك ومن معه فقال أن معه سعيد بن جبير وأنا أعلم أن سعيداً لا يخرج وإن أرادوا ذلك سيكفهم عنه فقيل له انه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتى فتنوه وصار معهم . فبعث الحجاج الغضبان الشيبانى ليأتيه بخبر عبد الرحمن بن الأشعث بن كرمان وتقدم اليه أن لا يكتمه من أمره شيئا فتوجه الغضبان الى عبد الرحمن قال له عبد الرحمن ما وراءك يا غضبان قال : شر طويل تغدى الحجاج قبل أن يتعشاك . ثم انصرف من عنده فنزل رملة كرمان وهى أرض شديدة الحر فضرب بها قبة وجلس فيها فبيناهو كذلك إذ ورد إعرابى من بكر بن وائل على قعود فوقف عليه وقال : السلام عليك فقال : له الغضبان : السلام كثير وهى كلمة مقولة ، قال الاعرابى من أين أقبلت قال : من الأرض الزلول قال وأين تريد قال . امشى فى مناكبها وآكل من رزق الله الذى أخرج لعباده منها ، قال الاعرابى فن عرض اليوم قال الغضبان المنقول قال فمن سبق قال حزب الله الفائزون قال الاعرابى ومن حزب الله قال هم الغالبون فعجب الاعرابى من منطقه وحضور جوابه . ثم قال أتقرض قال الغضبان إنما تقرض الفارة قال أفتنشد قال إنما تنشد الضالة قال أفتسجع قال إنما تسجع الحمامة قال أفتنطق قال إنما ينطق كتاب الله قال أفتقول قال إنما يقول الأمير ، قال الاعرابى تالله ما رأيت مثلك قط ، قال الغضبان بلى ولكنك نسيت ، قال الاعرابى فكيف أقول قال أخذتك الغول فى العاقول وأنت قائم تبول ، قال الاعرابى أتأذن لى أن أدخل عليك قال الغضبان وراءك أوسع لك ، قال الاعرابى قد أحرقتنى الشمس قال الغضبان الآن يفيء عليك الفيء إذا غربت قال الأعرابى

إن الرمضاء قد أحرقت قدمى قال الغضبان بل عليها يبردان قال الأعرابى إن الوهج شديد قال الغضبان مالى عليه سلطان قال الأعرابى انى والله ما أريد طعامك ولا شرابك قال الغضبان لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما قال الأعرابى وما عليك لو ذقتهما قال الغضبان نأكل ونشبع فان فضل شىء من الأكرياء والغلمان والكلب أحق به منك قال الأعرابى سبحان الله قال الغضبان نعم من قبل أن يطلع رأسك فاو أضراسك الى الدنيا قال الأعرابي ما عندك إلا ما أرى قال الغضبان بلى عندى هراوتان أضرب بهما رأسك حتى تنتثر دماغك قال الأعرابى إنا لله وإنا اليه راجعون قال الغضبان أظلمك أحد قال الأعرابي ما أرى ثم قال الأعرابى يا آل حارث بن كعب فقال الغضبان بأس الشيخ ذكرت قال الأعرابى ولم ذلك قال الغضبان لأن ابليس يسمى حارثا قال الأعرابى انى لا أحسبك مجنونا قال الغضبان اللهم اجعلنى من خيار الجن قال الاعرابى انى لأظنك حروريا قال الغضبان اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير قال الاعرابى انى لأراك منكراً قال الغضبان انى لمعروف فيما أوتى . فولى عنه وهو يقول : إنك لبذخ أحمق وما أنطق الله لسانك إلا بما أنت لاق وعما قليل تلتف ساقك بالساق . فلما قدم الغضبان على الحجاج قال له أنت شاعر ؟ قال لست بشاعر ولكنى حائر قال أفعراف أنت قال بل وصاف قال كيف وجدت أرض كرمان ؟ قال الغضبان : أرض ماؤها وشل وسهلها جبل ، وثمرها دقل ولصها بطل ، وإن كثر الجيش بها جاعوا وإن قل بها ضاعوا . قال صدقت أعلمت من كان الأعرابى . قال لا قال كان ملك خاصمك فلم تفقه عنه لبذخك اذهبوا به إلى السجن فانه صاحب المقالة تغدى الحجاج قبل أن يتعشاك وأنت يا غضبان قد أنذرك خصمك على نطق لسانك فما الذى به دهاك قال الغضبان جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين أما أنها لا تنفع من قبلت له ولا تضر من قبلت فيه فقال الحجاج : أجل ولكن أتراك تنجو منى بهذا والله لأقطعن يديك ورجليك ولأضربن بلسانك عينيك قال

الغضبان . أصلح الله الأمير قد آذاني الحديد وأوهن ساقي القيود فما يخاف من عدلك البريء ولا يقطع من رجائك المسيء . قال الحجاج انك لسمين قال الغضبان القيد والرقعة ومن يك ضيف الأمير يسمن قال إنا حاملوك على الأدهم قال الغضبان مثل الأمير أصلحه الله يحمل على الأدهم والأشقر . قال الحجاج : إنه لحديد قال الغضبان لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً قال الحجاج اذهبوا به الى السجن قال الغضبان « فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون » فاستمر في السجن الى أن بنى الحجاج خضراء واسط فقال لجلسائه كيف ترون هذه القبة قالوا ما رأينا مثلها قط قال الحجاج أما أن لها عيبا فما هو؟ قالوا ما نرى بها عيبا قال سأبعث الى من يخبرني به فبعث فأقبل بالغضبان وهو يرسف في قيوده فلما مثل بين يديه قال له يا غضبان كيف قبتي هذه قال أصلح الله الأمير نعمت القبة حسنة مستوية قال اخبرني بعيبها قال . بنيتها في غير بلدك لا يسكنها ولدك ومع ذلك فانه لا يبقى بناؤها ولا يدوم عمرانها وما لا يبقى ولا يدوم فكأنه لم يكن : قال الحجاج صدق ردوه إلى السجن فقال الغضبان أصلح الله الأمير قد أكلني الحديد وأوهن ساقي القيود وما أطيق المشي قال احملوه فلما حمل على الأيدي قال « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » قال أنزلوه قال « رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » قال الحجاج جروه قال الغضبان وهو يجر « بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم » قال الحجاج اضربوا به الأرض فقال : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه ثم قال ويحكم قد غلبني والله هذا الخبيث اطلقوه إلى صفحي عنه قال الغضبان « فاصفح عنهم وقل سلام » فنجا من شره باذن الله وكانت براءته فيما انطلق على لسانه .

(حرب الحجاج بن الأشعث وقتله)

قال وذكروا أن الحجاج لما قدم العراق أميراً زوج ابنه محمداً ميمونة بنت محمد بن الأشعث بن قيس الكندى رغبة فى شرفها مع ما كانت عليه من جمالها وفضلها فى جميع حالاتها وأراد من ذلك استمالة جميع أهلها وقومها إلى مصافاته ليكونوا له يداً على من ناوأه ، وكان له أخ يقال له عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى له أبهة فى نفسه وكان جميلا بهيا منطقيا مع ما كان له من التقدم والشرف فأزهاه ذلك وملأه كبراً وفخراً وتطاولا فألزمه بنفسه وألحقه بأفاضل أصحابه وخاصته وأهل سره وأجرى عليه العطايا الواسعة صلة بصهره وحبا لاتمام الصنيعة اليه والى جميع أهله فأقام عبد الرحمن كذلك حينا مع الحجاج لا يزيده الحجاج إلا إكراما ولا يظهر له إلا قبولا وفى نفس الحجاج من عجبه ما فيها لتشمخه زاهيا بأنفه حتى أنه كان يقول اذا رآه مقبلا : أما والله يا عبد الرحمن انك لتقبل على بوجه فاجر وتدبر عنى بقفاء غادر وأيم الله لتتباين حقيقة أمرك على ذلك . فمكث بهذا القول منه دهراً حتى اذا عيل صبر الحجاج على ما يتطلع من عبدالرحمن أراد أن يبتلى حقيقة ما يتفرس فيه من الغدر والفجور وأن يبدى منه ما يكتم من غائلته فكتب اليه عهده على سجستان فلما بلغ ذلك أهل بيت عبد الرحمن فزعوا من ذلك فزعا شديداً فأتوا الحجاج فقالوا أصلح الله الأمير إنا أعلم به منك فانك به غير عالم ولقد أدبته بكل أدب فأبى أن ينتهى عجبه بنفسه ونحن نتخوف أن يفتق فتقا أو يحدث حدثا يصيبنا فيه منك ما يسوءنا فقال الحجاج القول كما قلتم والرأى كالذى رأيتم ولقد استعملته على بصيرة فان يستقم فلنفسه نظر وان يفترج سبيله عن بصائر الحق يهدى إن شاء الله فلما توجه عبد الرحمن الى عمله توجه وهو مصر لخلعان طاعة الحجاج وسار بذلك مسيره أجمع حتى نزل مدينة سجستان ثم مر على خلعانه عاما كاملا فلما أجمع عبد الرحمن

على إظهار خلعان الحجاج كتب الى أيوب بن القرية التميمى وهو مع الحجاج فى عسكره خاص المنزلة منه وكان مفوها كاتبا يسأله أن يصدر اليه رسالة إلى الحجاج يخلع فيها طاعة الحجاج فكتب له ابن القرية رسالة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل طاعة الله وأوليائه الذين يحكمون بعدله ، ويوفون بعهده ، ويجاهدون فى سبيله ويتورعون لذكره ولا يسفكون دما حراما ، ولا يعطلون للرب أحكاما ولا يدرسون له أعلاما ولا يتنكبون النهج ولا يبرمون السيء ولا يسارعون فى الغى ، ولا يدللون الفجرة ولا يتراضون الجورة ، بل يتمكنون عند الاشتباه ويتراجعون عند الاساءة ، أما بعد فانى أحمد الله حمداً بالغاً فى رضاه منتهيا الى الحق فى الأمور الحقيقية لله علينا . وبعد فان الله أنهضنى لصاولتك وبعثنى لمناضلتك حين بحرت أمورك وتهتكت ضورتك فأصبحت عريان حيران مهينا لا توافق وفقا ولا ترافق رفقا ، ولا تلازم صدقا أؤمل من الله الذى ألهمنى ذلك أن يصيرك فى حبالك وأن يجيء بك فى القرن ويسحبك للذقن وينصف منك من لم تنصفه من نفسك ويكون هلاكك بيدى من أنهمته وعاديته . فلعمرى لقد طال ما تطاولت وتمكنت وأخطيت وخلت ان لن تبور ، وأنت فى فلك الملك تدوره وأظن مصداق ماأقول ستخبره عن قريب فسر لأمرك ولاق عصابة خلفك من حيالها خلفها نسالها وتدرعت حلالها ندرعها مطالها لايحذرون منك جهداً ولا يرهبون منك وعيداً يتأملون خزايتك ويتجرعون إمارتك عطاشا الى دمك يستطعمون لله لحمك وأيم الله لينافقنك منهم الأبطال الذين يتهمهم فيما يحاولونك به على طاعة الله شروا أنفسهم تقربيا الى الله فاعص عن ذلك يا ابن أم الحجاج فسنحمل عليك إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله والسلام على أهل طاعة الله . فلما قدم الكتاب على الحجاج خرج موائلا قد أخذ بطرف ردائه وألقى الطرف

الآخر يجره من خلفه حتى صعد المنبر ونودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس . ثم قال :

نقاتلهم ولا نشتم عدواً * وشر عداوة المرء السباب

امرؤ وعظ نفسه بنفسه ، امرؤ تعاهد غفلة نفسه وتفقدها جهده ، امرؤ وعظ بغيره فاتعظ ، قد تبين لكم ما تأتون وما تبغون العجب العجب وماهو أعجب من العير الابتر إلى وجهته ومن معه من المنافقين سبعمائة وزن سبعة سواء فانطلقوا فى نحور العدو ثم أقبلوا على راياتهم لقتال أهل الاسلام من أجل عير ابتر ومن كيده ما هو أعجب العجب على حين أننا قد أمنا الخوارج وأطفأنا الفتن وتتابعت اليهم فكان من شكركم يا أهل العراق ليد الله فيكم ونعمته عليكم وإحسانه اليكم جرأتكم على الله وانتهاككم حرمته واغتراركم بنعمة الله ألم يأتكم شبيب مهزوماذليلا فهلا توجهت اليه منكم خمسة وعشرون أمير جيش ليس منهم من أمير جيش إلا وهو فى جنده بمنزلة العروس التى يزف بها الى خدرها فيقتل أميرهم وهم وقوف ينظرون اليه لا يرون له حرمة فى صحبة وذماما فى طاعة فقبحت تلك الوجوه فما هذا الذى يتخوف منكم يا أهل العراق أما هذا الذى يتقى والله لقد أكرمنا الله بهوانكم وهانكم بكرامتنا فى مواطن شتى تعرفونها وتعرفون أشياء حرمكم الله اتخاذها وما الله بظلام للعبيد ؟ ثم خذلانكم لهذه المعلوجاء المقصصة انحرافا أولهذه المعلوجاء وأخلاطها من أهل العراق ، لقد هممت أن أترك بكل سكك منها جيفا منتفخين شائلة أرجلها تنهشهم الطير من كل جانب . يا أهل الشام أحدوا قلوبكم وأحدوا سيوفكم ثم قال ،

قد جد أشياعكم فجدوا * والقوس فيها وترعرد

* مثل ذراع البكر أو أشد *

هيهات ترك الخداع من أجرى من المائة ، ومن لم يزد عن حوضه يهدم ، وأرى لحزام قد بلغ الطبيين ، والتقتا حلقتا البطان ، ليس سلامان كعهدان ،

أنا ابن العرفة وابن الشيخ الأغر ، كذبتم ورب الكعبة ما الرأى كما رأيتم ولا الحديث كما حدثتم فافطنوا لعيوبكم وإياكم أن أكون أنا وأنتم كما قال القائل .

انك ان كلفتنى ما لم أطق * ساءك ماسرك منى من خلق

والمخبر بالعلم ليس كالراجم بالظنون ، فالتقدم قبل التندم، وأخو المرء نصيحته ، ثم قال :

لذى العلم قبل اليوم ماتقرع العصا * وما علم الانسان إلا ليعلما

ثم قال : احمدوا ربكم وصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم . ثم نزل وقال : اكتب يانافع وكان نافع مولاه وكاتبا يكتب بين يديه . بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج ابن يوسف الى عبد الرحمن ابن الأشعث سلام على أهل النزوع من التربيع وأسباب الرداء لا الى معادن السيء والتقحم فى الغى فانى أحمد الله الذى خلاك فى حيرتك إذ هتك فى السيرة . ووهلك للضرورة حتى أقحمك أموراً أخرجك بها عن طاعته . وجانب ولايته ، وعسكرت بها فى الكفر ، وذهلت بها عن الشكر ، أفلا تشكر فى السراء ، ولا تصبر فى الضراء ، أقبلت مستنا بحريم الحرة وتستوقد الفتنة لتصلي بحرها وجلبت لغيرك ضرها وقلت وثاق الاحتجاج، ومبارزة الحجاج، الا بل لامك الهبل وعزة ربك لتكن لنحرك، ولتدان لظهرك، ولتخبطن فريستك ولتدحضن حجتك . ولتذمن مقامك . ولتشغلن سهامك . كأنى بك تصبر الى غير مقبول منك إلا السيف هوجا هوجا عند كشوف الحرب عن ساقها ومبارزة أبطالها والسلام على من أناب الى الله وسمع وأجاب . ثم قال : من هاهنا من فتية بنى الأشعث بن قيس ؟ قيل سعيد بن جبير قال فاتى به قال له انطلق بهذا الكتاب الى هذه الطاغية الذى قد فتن فاردعه عن قبيح ما دخل فيه وعظيم ما أصر عليه من حق الله وحرمة ما انتهك عدو الله الى ما فى ذلك من سفك الدماء وإباحة الحريم وإنفاق الأموال فانى لولا معرفتى بأنك قد حويت علما . وأصبت فقها أخاف أن يكون عليك لا لك لاعهدت لك به عهداً تقفل به ولكن انطلق مرتك هذه قبل

الكتاب اليه واحمله على البريد . فخرج سعيد به متوجها حتى انتهى اليه . فلما قرأ عبد الرحمن الكتاب تبينت رعشته جزعا منه وهيبة له وسمع بذلك من كان يبايعه وهوى كالذى هوى وضم سعيد بن جبير فلم يظهره للناس وكتم الكتاب وجعل يستخلى بابن جبير فى الليل فيسمر معه ويسأله عبد الرحمن الدخول معه فيما رأى هو من خلع الحجاج فأبى سعيد ذلك عليه فمكث بذلك شهراً كريتافاستعفه سعيد ابن جبير بطلبه وسارع معه فى رغبته وخلعان طاعة الحجاج ثم أن عبد الرحمن تجهز من سجستان مقبلا يقوده من يقوده من أهل هواه وأهل رأيه وخرج الحجاج اليه بمن معه من أجناده من أهل الشام وبمن معه يومئذ من أهل الطاعة من أهل العراق حتى لقيه بدير من أديار الأهواز يسمى بنيسابور فناصبه للقتال ستة أشهر كريتة لا له ولا عليه حتى إذا كان فى جوف ليلة من الليالى خلا الحجاج بعنبسة بن سعيد بن العاص ويزيد بن أبى مسلم مولاه وحاجبه على ما وراء بابه وأما يحيى فوكله بالقيام خلف ظهره اذا دونسى أو غفل نخسه بمنخسة ثم قال اذكر الله ياحجاج فيذكر ما بدا له أن يذكر . وأما زياد فكان ذا رأى ومشورة وأدب وفقه ونصيحة . وأما عنبسة فكان بعيد الهمة طويل اللسان بديه الجواب فاصل الخطاب موفق الرأى فاستشارهم لما طال به وبعبد الرحمن القتال لايظفر واحد منهما بصاحبه ومع عبد الرحمن سعيد بن جبير والشعبى فكان هذا فقيه أهل الكوفة وهذا فقيه أهل البصرة فى أن يبيته فكره ذلك مواليه وأشار عنبسة أن يبيته فقال الحجاج أصبت أصاب الله بك الخير وما الامر إلا النصيحة والرأى شعوب فمخطىء منها ومنها مصيب غدا الاثنين فصوموا وصوموا واستعينوا الله بالخيرة وبيتهم الليلة المقبلة ليلة الثلاثاء فسوف أترجل ويترجل أهل مودتى ونصيحتى من ولدى وغيرهم ففعل. وأصبح صائما وبيتهم ليلة الثلاثاء وهو يقول. اللهم إن كان الحق لهم فعلا فلا تمتنا على الضلالة وإن كان الحق لنا فانصرنا عليهم. فحمل عليهم والنيران تتقد فأصاب منهم وأصيب منه وانهزم ابن الأشعث فى سواد

الليل وأصاب الحجاج عسكره وأسر سعيد بن جبير وأفلت عامر بن سعيد الشعبي مع ابن الأشعث فلما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال له : ويحك ياسعيد أما تستحي مني ومدك الشيطان فى طغيانك ألا استحيت من المراقب لى ولك والحافظ علي وعليك فقال : أصلح الله الأمير وأمتع به هى بلية وقعت وعذاب نزل والقول كما قال الامير وكما نسبه به وأضافه اليه الا اني أتيت رجلا قد أزهى وطنى ولبسته الفتنة وركب الشيطان كتفيه ونفث فى صدره وأملى على لسانه فخفته وأنفيته بالذى فعلت فان تعاقب فبذنب وإن تعف فسجية منك فقال له الحجاج فانا قد قد عفونا عنك وسنردك اليه تارة أخرى . ثم كتب كتابا وجه مع سعيد بن جبير الى عبد الرحمن فلما كان سعيد ببعض الطريق خرق الكتاب وقدم على عبد الرحمن فأخبره فنفر عبد الرحمن وخرج متوائلا الى أهل البصرة وقد قدمت عليه كتبهم يستبطئونه ويستعجلونه حتى قدم عليهم وبلغ ذلك الحجاج فسبقه الى البصرة فدخل الحجاج المسجد متنكبا قوسا فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وحرض الناس على قتال ابن الاشعث وحضهم على طاعة عبد الملك وتكلم رجل من أهل البصرة يقال له سلمة المنقرى من بنى تميم وكان رجلا منطقيا وله هوى فى الخوارج وكان الحجاج به خابراً فلما رآه عرف أنه يريد الكلام فقال ادن ياسلمة فدنى فقال له قل فقال : قد رضينا بالله رباً وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن إماما وبأمير المؤمنين خليفة وبالحجاج بن يوسف والياً والله لو كنا زمعاً وبنى زمع ما رضينا أن نكون تبعاً لهذا الحائك ، أمير المؤمنين أعزه الله وأعز أمرد أقرب قرابة وأوجب حقاً ونحن ألزم لطاعة الأمير أكرمه من أن نسارع له فى معصية أو نبطىء عنه فى طاعة . فأجابه الحجاج فقال ياسلمة هذا قول حسن لأدخله صدرى ولأردنه فى تحرك حتى نبتلي حقيقته إن شاء الله . وكان قوله هذا على المنبر وقد عسكر بأجناده بالزاوية والزاوية فى طرف من ناحية البصرة فى طرف بنى تميم . ثم انه خرج من المسجد وحشد الناس من كان فى الطاعة يومئذ من أهل العراق وقد

كان انهزم لابن الأشعث غير مامرة وقتل لها ابن الاشعث خلقا لاتحصى كثرة قبل هذه المرة حتى يئس من نفسه وقال أترون العجوز ابنة الرجل الصالح كذبتنى يعنى أسماء بنت أبى بكر الصديق لئن صدقت أسماء لا أقتل اليوم وكان الحجاج لما فرغ من قتال عبدالله بن الزبير بعث الى أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق أن تأتيه فأبت أن تأتيه فقال والله لئن لم تأتنى لأبعثن اليها من يجر بقرون رأسها ويسحبها حتى تصل إلى فقيل ذلك لها فقالت والله لا أسير اليه حيث يبعث إلى من يجر بقرون رأسى. فأقبل الحجاج حتى وقف عليها فقال لها كيف رأيت ما فعل الله تعالى بابنك عدو الله الشاق لعصا المسلمين المفتى لعباده والمشتت لكلمة أمة نبيه . فقالت : رأيته اختار قتالك فاختار الله له ما عنده إذ كان اكرامه خيراً من إكرامك ولكن ياحجاج بلغنى أنك تنتقصنى بنطاقى هذين أو تدرى ما نطاقى أما النطاق هـــذا فشددت به سفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر واما النطاق الآخر فأوثقت به خطام بعيره فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان لك به نطاقان فى الجنة ، فانتقص على بعد هذا أودع ولكن لا أخالك ياحجاج ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول منافق ثقيف يملأ الله به زاوية من زوايا جهنم يبيد الخلق ويقذف الكعبة بأحجارها ألا لعنة الله عليـــه ، فألجم الحجاج ولم يجد جوابا قال وسار الأشعث بعد ما هزم الحجاج مراراً الى الكوفة حتى نزل دير الجماجم فقتل للحجاج فيه خلق كثير وكتب الى عبد الملك بن مروان أن أمدنى بالرجال فأمده بمحمد بن مروان فى أناس من بنى أمية كثير وجعل الحجاج أميراً عليهم فسار الحجاج بن الأشعث فاقتتلوا أياما بدير الجماجم حتى كثر القتل فى الفريقين جميعا ثم أن ابن الأشعث لما حشدوا الحجاج البصرة عسكر على مسير ثلاثة أيام من البصرة على نهر يقال له نهر ابن عمر فكتب ابن الأشعث يسأله أن يتنحى عنهم لما كرهوا ولايته حتى يستعمل عليهم أمير المؤمنين غيره من هو أحب اليهم منه فلما انتهى اليه رسوله قال الحجاج أدخلوه فلما دخل سلم عليه

بالأمارة قال من أنت قال رجل من خزاعة قال من أهل البصرة أنت أم من أهل الكوفة قال لا بل من أهل سجستان قال هل تأخذ لأمير المؤمنين ديوانا قال لا قال أفمن وزراء ابن الأشعث أنت علينا فى هذه الفتنة يا أخا خزاعة قال والله ما هويتها ولقد جابنى اليك مكرها قال فكيف تسليمك على صاحبك اذا انصرفت اليه قال بالأمرة قال فهل ترى فى ذلك أنك صادق قال الله أعلم بأى الأمرين هو فى نفسك على الصواب أم على الخطأ قال الله أعلم أى الأمرين فى نفسى قال أما إنك يا أخا خزاعة قد رددت الأمر اليه وهو تعالى أعلم انطلق الى صاحبك بكتابك كما جئت به واعلمه بالذى كان من ردنا عليك فانه جوابه عندنا ونحن مناجزوه القتال ومحاكوه الى الله من يوم الاربعاء إن شاء الله . فليعد وليستعد لذلك فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وذلك يوم الاحد . فلما انصرف رسوله اليه ناوله الكتاب فلما رآه بخاتمه (أى مثل ما فعله) كف فلم يسأله أمام من حضر حتى ارتفع الناس ثم دعاه فأخبره الخبر قال وما وراء ظهرك إلا هذا قال له فى دون ما جئتك به ما يكفيك فقد رأيت أمراً صعبا ليس وراءه إلا المناجزة ثم أن الحجاج هتف هتفة أن اجتمعوا للعطية ففرق العطية على ثلاثة مواضع وكان قواده يومئذ ثلاثة : سفيان بن الابرد الكلبى على ميمنته وسعيد بن عمرو الجرشى على القلب وعبد الرحمن بن عبد الله العكى على ميسرته فأعطى الناس على هذا وأقام فى معسكره متربصا ومنتظراً ليوم الاربعاء . فلما رأى ابن الأشعث أنه لا يتقدم لقتاله وانه متربص ليوم الأربعاء بعث رجلا من معسكره حتى دنا من معسكر الحجاج فنزل قريبا منه على مقدار حضر الفرس رجاء أن يتحرش له أحد من معسكر الحجاج فينشب القتال قبل يوم الأربعاء فراراً منه وتطيراً به فلما رأى الحجاج ذلك علم ما أراده والذى توقع فتقدم الى أمراء أجناده وقواده والى أهل عسكره عامة ألا يكلم أحد منهم أحداً من عسكر ابن الأشعث ولا يعرضه نفسه وان أمكنته الفرصة منه الى يوم الأربعاء .

فلما كان صبيحة يوم الأربعاء وهو يوم يتطير به أهل العراق فلا يتنا كحون ولا يسافرون فيه ولا يدخلون من سفر ولا يبايعون فيه بشيء ولا بالبغل الأغر الأشقر فدعا الحجاج ببغلة شقراء محجلة فركبهاخلافا لرأيهم واستشعاراً بطيرتهم وتوكلا على الله ونادى مناديه فى عسكره أن انهضوا إلى قتال ابن الأشعث وأمر خاصته فركبوا معه وقدم رجالته وأخر خلفه مقاتلته حتى اذا كانوا من عسكر ابن الأشعث على منال السهم وقف نصف أصحابه وعبأهم للقتال وفعل مثل ذلك ابن الأشعث وترجل الحجاج وخاصته ووضع له منبراً من حديد فجلس عليه وترامى الناس حتى اذا كاد القتال ينشب خرج رجل من أصحاب ابن الأشعث وهو ينادى ألا مبارز فقام اليه عنبسة بن سعيد القرشي وهو يمشي مشية كان قد لامه الحجاج عليها وكرهها لهفلما رآه الحجاج وهو يمشي تلك المشية قال الحجاج ظلمتك يا عنبسة لو كنت تاركها يوماً عن دهرك لتركتها يومك هذا فلما دنا من الرجل قال له عنبسة فمن أنت يا شيخي فقال له رجل من بنى تميم ثم من بنى دارم فحمل عليه عنبسة فبدره بالضربة فقتله ثم انصرف الى مجلسه فجلس وقد تبين للناس حسن صنعه ثم زحف الفريقان بعضهم الى بعض واشتد قتالهم وانتحى سفيان على مركزه لم يرم والجرشي على مركزه لم يرم وكانت ميلتهم على الميسرة فنحوا عبد الرحمن العكى فلما رأى الحجاج قد انكسرت ناحية وزال عنها بعث اليه ابن عمه الحكم بن أيوب فى خيل فقال انطلق الى عدو الله فاضرب وجهه بالسيف حتى ترده الى مقامه ففعل وبعث الىسفيان بن الابرد يأمره بقتال القوم القوم ومحاربتهم فحمل عليهم سفيان وهم مشغولون بالميسرة قد طمعوا فيها وكان باذن الله الفتح والغلبة من ناحية سفيان وقد بعث اليه الجرشي يستأذنه للقتال فمنعه الحجاج وقال له لا إلا أن ترى أمراً مقبلا وتمكنا من فرصة فاجتمع الامر وثاب العكى وانهزم ابن الاشعث واستحقت هزيمته فدعا الحجاج بدابته فركبها وركب من كان مرتحلا معه بعدسجود ودعاء وشكر كان منه على ما صنع

الله به ومن كان معه وحمدوا الله تعالى كثيراً وكبروه تكبيراً عالياً ثم انتهوا الى ربوة فأوماً اليها ثم استقبل ناحيتهم والسيوف تأخذهم وحسر بيضته عن رأسه فجعل يقرع رأسه بخيزران فى يده وهو يتمثل بهذه الابيات وهى من قول عبيد ابن الابرص أو من قول اليشكرى

كيف ترجون سقوطى بعد ما · جلل الرأس بياض وصلع
ساء ما ظنوا وقد أوريتهم · عند غايات المدى كيف أقع
رب من أنضجت غيظا قلبه · قد تمنى لى موتا لم يطع
ويرانى كالشجى فى حلقه · عسراً مخرجه ما ينتزع
مزبد يهدر مالم يرنى · فاذا أسمعته صوتى انقمع
ويحيينى اذا لاقيته · واذا يخلو له لحمى رتع
ورث البغضاء عن والده · حافظا منه الذى كان استمع
ولسانى صيرفى صارم · كذباب السيف ما مس قطع

قال فلما فرغ الحجاج من هذه الابيات كبر ثم حمد الله بما هو أهله للذى كان من صنعه فبينا هو كذلك إذ أتاه من يخبره أن ابن الاشعث قد انخزل من أصحابه فى نفر يسير متوجها الى ناحية خراسان فدعا الحجاج ابن عم له كان يعرفه النصيحة والهوى فقطع معه ليلا وأرسله فى طلب ابن الاشعث الى مواضع شتى وعهد اليهم أن لا يدركوا أحداً إلا أتوا به أو برأسه أو يموت فوقف طويلا فى مكانه ذلك المرتفع ينظر الى معسكر ابن الاشعث وأصحابه ينتهبونه ثم رجع الى معسكره فنزل ودخل فسطاطه فجلس وأذن لأصحابه فدخلوا عليه فقام كل واحد منهم يهنئه بالفتح وجعل ابن جبلة يأتيه بالاسرى فكلما أوتى بأسير أمر به فضربت عنقه فكان ذلك فعله ذلك الى الليل فلما أصبح وتراجع اليه أكثر خيله أمر مناديه ينادى بالقفل فتقفل وقفلت معه أجناده وجميع أصحابه الى مدينة واسط فكان فيها وهو الذى بناها وضرب ابن الأشعث ظهرا لبطن ليلا ونهارا حتى لحق بخراسان ورجا فى لحوقه

بها النجاة من الحجاج والحذر لنفسه ولم يشعر بالخيل التى فى طلبه حتى غشيته فلم تزل تطلبه من موضع الى موضع حتى استغاث بقصر منيف فحصره ابن عم الحجاج فيه وأحاطت به الخيل من كل جانب حتى ضيق عليه ودعا بالنار ليحرقه فى القصر فلما رأى ابن الاشعث أنه لامحيص له ولا ملجأ وخاف النار فرمى بنفسه من بعض علالى القصر وطمع أن يسلم ولا يشعر به فيدخل فى غمار الناس فيخفي أمره ويكتم خبره فسقط فانكسرت ساقه وانخزل ظهره ووقع مغشياً عليه فشعر به أصحاب الحجاج فاخذوه وقد أفاق بعض الأفاقة ولا يقدر على النهوض فاتوا به الى ابن عم الحجاج فلما رآه بتلك الحال أيقن أنه لا يقدر على أن يبلغ الحجاج حتى يموت فامر به فضربت رقبته وانطلق برأسه الى الحجاج فلما قدم عليه أحدث لله شكراً وحمداً فيما كان من تمام الصنع وما هيا له من التأييد والظفر وأقام كذلك لايمر عليه يوم إلا وهو يؤتى فيه بأسرى فلما رأى كثرتهم ازداد حنقا وغيظا لمسارعتهم فى اتباع ابن الأشعث ومخالفتهم عن الحجاج فيأمر بقتلهم حردا على الخوارج ورجاء أن يستأصلهم فلا يخرج عليه خارجى بعدها فلما رأى كثرة من يؤتي به من الأسرى تحرى فجعل اذا أوتى باسير يقول له : أمؤمن أنت أم كافر ليعرف بذلك الخوارج من غيرهم فمن باء على نفسه بالكفر والنفاق عفي عنه ومن قال أنا مؤمن ضرب عنقه . وأسر عامر بن سعيد الشعبي فيمن أسر وكان مع ابن الأشعث فى جميع حروبه وكان خاص المنزلة منه ليس لأحد منه مثلها للذى كان عليه من حاله إلا سعيد بن جبير فلحق بمكة وأوتى بالشعبى الى الحجاج فى سورة غضبه وهو يقتل الأسرى الأول فالأول إلا من باء على نفسه بالكفر والنفاق فلما سار عامر بن سعيد الشعبى الى الدخول عليه لقيه رجل من صحابة الحجاج يقال له يزيد بن أبى مسلم وكان مولاه وحاجبه فقال : ياشعبى لهفي بالعلم الذى بين دفتيك ولبس بيوم شفاعة اذا دخلت على الأمير فبؤ له بالكفر والنفاق عسى أن تنجو ثم تدخل على الحجاج صادقه واضحا

رأسه لم يشعر فلما رفع رأسه ورآه قال له وأنت أيضا ياشعبي فيمن أعان علينا والب قال : أصلح الله الأمير انى أمرت باشياء أقولها لك أرضيك وأسخط الرب ولست أفعل ولكنى أقول أصلح الله فان الأمير وأصدقك القول كل شيء يقع بين يديك فهو فى الصدق إن شاء الله أخزن بنا المنزل وأجدب الجناب وا كتحلنا السهر واستجلسنا الخوف وضاق بنا البلد العريض فوقعنا فى حرب لم يكن فيه بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء ، فقال له الحجاج كذلك قال نعم أصلح الله الأمير وامتنع به قال فنظر الحجاج الى أهل الشام فقال صدق والله يا أهل الشام ما كانوا بررة اتقياء فيتورعوا عن قتالنا ولا فجرة أقوياء فيقووا علينا ثم قال . انطلق ياشعبي فقد عفونا عنك فأنت أحق بالعفو ممن يأتينا وقد تلطخ بالدماء ثم يقول كال وكان . قال وكان قد أحضر بالباب رجلان أحدهما من بكر بن وائل والآخر من تميم وكانا سمعا ما قيل للشعبي بالباب أن يقوله فلما أدخلا قال الحجاج للبكرى أمنافق أنت قال نعم أصلح الله الأمير لكن أخو بنى تميم لايبوء على نفسه بالنفاق . قال التميمي : أنا على دمى أخدع أصلح الله الأمير منافق ومشرك فتبسم الحجاج وأمر بتخلية سبيلهما فقال الشعبي فوالله ما أبى لذلك الأمر إلا نحو من سهرين حتى رفعت اليه فريضة اسكلت عليه وهى أم وجد وأخت فقال من هاهنا نسأله عنها قال فدل على فارسل الى وقال ياشعبي ماعندك فى هذه الفريضة أم وأخت وجد . فقلت : أصلح الله الأمير قال فيها خمسة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال : من قال فيها ؟ قلت قال فيها على ابن أبى طالب وأمير المؤمنين عثمان بن عفان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت قال : هات ما قال فيها علي فأخبرته قال فما قال فيها ابن مسعود فأخبرته قال فما قال فيها ابن عباس فوالله لقد كان متقفا فأخبرته . قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان فأخبرته قال فما قال فيها زيد بن ثابت قلت أخذها من تسعة أسهم وأعطى الجد أربعة أسهم وأعطى الأخت سهمين فلما سمع ما كان من قول كل واحد منهم

وعرف رأيهم فيها قال ياعلام قل للقاضي يمضيها على ما قال أمير المؤمنين عثمان . قال الشعبي ودخلت عليه الترك قد شدوا أوساطهم بعمائمهم وانتزعت السيوف من أعناقهم وأخذوا الطوامير بايمانهم فدخل عليه رجل من قبل أمير المؤمنين عبد الملك فقال له الحجاج كيف تركت أمير المؤمنين وأهله وولده وحشمه فأنبأه عنه وعنهم بصلاح فقال ما كان وراءك من غيث قال نعم أصلح الله الأمير أصابتني سحابة في موضع كذا فواد سائل وواد نارع ، فارض مدبرة وأرض مقبلة حتى صدعت عن الكمأة أما كنها فما أتيتك إلا في مثل مجرى الضب فقال للحاجب ائذن للناس فدخل رجل أتاه من قبل نجد فقال له ما كان وراءك من غيث فقال كثير الاعصار وأغبر البلاد واكل ما اشرف من الحشيشة فاستيقنا انه عام سنة . فقال بئس المخبر أنت قال أخبرتك بالذى كان فقال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل أتاه من قبل اليمامة فقال هل كان وارءك من غيث قال نعم وسمعت الرواد يدعون الى ريادها وسمعت رايد يقول هلموا أظعنكم محلة تطفوا فيها النيران وتشتكي فيها النساء وتنافس فيها المعز فقال له ويحك إنما تحدث أهل الشام فأفهمهم فقال أصلح الله الأمير اما تطفوا النيران فيستكثر فيها الزبد واللبن والتمر فلا توقد ناراً واما أن يشتكي النساء فانه من جذبها على إبريق لبنها فتظل تمخض لبنها فتبيت ولها أنين من عضديها وأما تنافس المعز فانها ترأم من نوار النبات وألوان الثمر ما يشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلاءت أكراشها من الكظة ثمرة تنزل به الدرة . ثم قال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل من الموالى كان أشجع الناس في زمانه يقال له عمرو ابن الصلت فقال له الحجاج هل كان وراءك من غيث قال نعم أصلح الله الأمير أصابتني سحابة بموضع كذا وكذا فلم أزل أطلب أثرها حتى دخلت على الأمير فقال له الحجاج أما والله لئن كنت في المطر أقصرهم خطبة انك بالسيف لأطولهم خطرة . ولما انهزم ابن الأشعث قام بعده عبد الرحمن بن عياش بن ربيعه فقاتل الحجاج ثلاثة أيام ثم انهزم فوقع

بأرض فارس ثم صار الى السند فمات هناك وتحصن ناس من أصحاب بن الأشعث في قلعة بأرض فارس منهم عبد الرحمن بن الحارث بن نوفل والفضل بن عياش وعمرو بن موسى التيمى ومحمد بن سعيد بن أبى وقاص وعبيدالله ومحمد وإسحاق وعون بنو عبد الله بن الحارث فى ناس من قريش ولحق سعيد بن جبير بمكة فشعر به الحجاج فغفل عنه ولم يهجه فبعث الحجاج بزيد بن المهلب فحاصرهم بفارس . قال أبو معشر حدثنى عون قال كتب الينا يزيد بن المهلب أن أخبرونى بآية بينى وبينكم حتى أخرجكم فكتب اليه عبد الله بن الحارث يوم كذا وكذا فى دارنا قال فأخرجته وبنيه فسكناه عمان وأسر من بقى وأسروا اثنى عشر رجلا من وجوه الناس عامتهم من قريش منهم عمرو بن موسى التيمى ومحمد بن سعيد ابن أبى وقاص فبعث بهم الى الحجاج فحبسهم عنده وكتب الى عبد الملك يخبره بأمرهم وجعل يذكر فى كتابه إن سعيداً قد أنكر الخروج مع هؤلاء القوم فكتب اليه عبد الملك يأمره بضرب أعناقهم ويقول فى كتابه لم أبعثك مشفعا وإنما بعثتك منفذاً لأهل الخلاف والمعصية . فأبرزهم الحجاج فقال لعمرو بن موسى يا عاتق قريش وكان شبا جميلا مالك أنت وللخروج إنما أنت عاتق صاحب ثياب ولعب فقال عمرو بها الرجل امض لما تريد فانما نزلت بعهد الله وميثاقه فان شئت فأرسل يدى وقد برئت منى الذمة فقال له الحجاج كلا حتى أقدمك الى النار فضربت رقبته ثم جيء بمحمد بن سعد فقال، يا ظل الشيطان وكان رجلا طويلا الست بصاحب كل موطن أنت صاحب الحرة وصاحب يوم الزاوية وصاحب الجماجم فقال له إنما نزلت بعهد الله وميثاقه أرسل أيدى وقد برئت منى الذمة قال لا حتى أقدمك الى النار ثم قال لرجل من أهل الشام اضرب لى مفرق رأسه فضرب فمال نصفه ها هنا ونصفه ها هنا وقتل الباقين

(ذكر قتل سعيد بن جبير)

قال وذكروا أن مسلمة بن عبد الملك كان وليا على أهل مكة فبينما هو يخطب على المنبر إذ أقبل خالد بن عبد الله القسرى من الشام واليا عليها فدخل المسجد فلما قضي مسلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقى فى الدرجة الثالثة تحت مسلمة أخرج طوماراً مختوما ففضه ثم قرأه على الناس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى أهل مكة اما بعد فانى وليت عليكم خالد ابن عبد الله القسرى فاسمعوا له وأطيعوا ولا يجعلن امرؤ على نفسه سبيلا فانما هو القتل لا غير وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير والسلام . ثم التفت اليهم خالد . وقال : والذى نحلف به ونحج اليه لا أجده فى دار أحد إلا قتلته وهدمت داره ودار كل من جاوره واستبحت حرمته وقد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام : ثم نزل ودعا مسلمة برواحله ولحق بالشام : فأتى رجل الى خالد فقال له ان سعيد بن جبير بواد من أودية مكة مختفيا بمكان كذا فارسل خالد فى طلبه فأتاه الرسول فلما نظر اليه الرسول قال إنما أمرت بأخذك وأتيت لأذهب بك اليه وأعوذ بالله من ذلك فالحق بأى بلد شئت وأنا معك قال له سعيد بن جبير ألك هاهنا أهل وولد قال نعم قال انهم يؤخذون وينالهم من المكروه مثل الذى كان ينالنا قال الرسول فانى أكلهم الى الله فقال سعيد لايكون هذا . فأتى به خالد فشده وثاقا وبعث به الى الحجاج فقال له رجل من أهل الشام : إن الحجاج قد انذر به وأشعر قبلك فما عرض له فلو جعلته فيما بينك وبين الله لكان أزكى من كل عمل يتقرب به الى الله : فقال خالد وقد كان ظهره الى الكعبة قد استند اليها . والله لو علمت أن عبد الملك لايرضى عنى إلا بنقض هذا البيت حجرا حجرا لنقضته فى مرضاته . فلما قدم سعيد على الحجاج قال له ما اسمك قال سعيد قال ابن من ؟ قال ابن جبير قال بل أنت شقى ابن كسير قال سعيد أمى أعلم باسمى

وإسم أبي قال الحجاج شقيت وشقيت أمك قال سعيد الغيب يعلمه غيرك قال الحجاج لأردنك حياض الموت قال سعيد أصابت إذاً أمي اسمي فقال الحجاج لابدلنك بالدنيا ناراً تلظى قال سعيد ولو أعلم أن ذلك بيدك لاتخذتك الها قال الحجاج فما قولك في محمد قال سعيد نبي الرحمة ورسول رب العالمين إلى الناس كافة بالموعظة الحسنة ، فقال الحجاج فما قولك في الخلفاء قال سعيد لست عليهم بوكيل كل امرىء بما كسب رهين قال الحجاج اشتمهم أم أمدحهم قال سعيد لا أقول مالا أعلم إنما استحفظت أمر نفسي . قال الحجاج أيهم أعجب اليك قال حالاتهم يفضل بعضهم على بعض قال الحجاج صف لي قولك في علي أفي الجنة هو أم في النار قال سعيد لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ولو رأيت من في النار علمت فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب ، قال الحجاج فأي رجل أنا يوم القيامة ؟ فقال سعيد أنا أهون على الله من أن يطلعني على الغيب . قال الحجاج أبيت أن تصدقني قال سعيد بل لم أود أن أكذبك فقال الحجاج فدع عنك هذا كله أخبرني ما لك لم تضحك قط قال . لم أر شيئاً يضحكني وكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ومنقلبه الى الجزاء واليوم يصبح ويمسى في الابتلاء ، قال الحجاج فأنا أضحك فقال سعيد كذلك خلقنا الله أطوارا قال الحجاج هل رأيت شيئا من اللهو ؟ قال لا أعلمه . فدعا الحجاج بالعود والناى قال فلما ضرب بالعود ونفخ في الناى بكى سعيد قال الحجاج ما يبكيك قال يا حجاج ذكرتني أمراً عظيما والله لاشبعت ولا رويت ولا اكتسيت ولا زلت حزينا لما رأيت قال الحجاج وما كنت رأيت هذا اللهو فقال سعيد بل هذا والله الخرق أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور وأما هذا المصران فمن نفس ستحشر معك الى الحساب وأما هذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق ، فقال أنا قاتلك قال سعيد قد فرغ من تسبب موتي قال الحجاج أنا أحب إلى الله منك قال سعيد لايقدم أحد على ربه حتى يعرف منزلته منه والله بالغيب أعلم ، قال الحجاج كيف لا أقدم على ربي في مقامي هذا وأنا مع إمام الجماعة وأنت مع إمام

الفرقة والفتنة قال سعيد ما أنا بخارج الجماعة ولا أنا براض عن الفتنة ولكن قضاء الرب نافذ لامرد له ، قال الحجاج كيف ترى ما نجمع لأمير المؤمنين قال سعيد لم أر فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والجوهر فوضع بين يديه قال سعيد : هذا حسن إن قمت بشرطه قال الحجاج وما شرطه قال : ان يشترى له بما تجمع الامن من الفزع الأكبر يوم القيامة وإلا فان كل مرضعة تذهل عما أرضعت وتضع كل ذى حمل حمله ولا ينفعه إلا ما طاب منه قال الحجاج فترى جمعنا طيبا ؟ قال برأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه قال الحجاج أتحب أن نأت منه شيئا قال لا أحب ما لا يحب الله قال الحجاج ويلك قال سعيد الويل لمن زحزح عن الجنة فادخل النار قال الحجاج اذهبوا به فاقتلوه قال إنى أشهدك ياحجاج أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله استحفظكهن يا حجاج حتى ألقاك فلما أدبر ضحك قال الحجاج ما يضحكك ياسعيد قال عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك قال الحجاج إنما أقتل من شق عصا الجماعة ومال الى الفرقة التى نهى الله عنها اضربوا عنقه قال سعيد حتى أصلي ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول : وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ، قال الحجاج : اصرفوه عن القبلة الى قبلة النصارى الذين تفرقوا واختلفوا بغيا بينهم فانه من حزبهم، فصرف عن القبلة فقال سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله الكافى بالسرائر ، قال الحجاج لم نوكل بالسرائر وإنما وكلنا بالظواهر قال سعيد : اللهم لاتترك له ظلمى واطلبه بدمى واجعلنى آخر قتيل يقتل من أمة محمد فضربت عنقه . ثم قال الحجاج هاتوا من بقى من الخوارج فقرب اليه جماعة فأمر بضرب أعناقهم وقال ما أخاف الادعاء من هو فى ذمة الجماعة من المظاهرين فاما أمثال هؤلاء فانهم ظالمون حين خرجوا من جمهور المسلمين وقائد سبيل المترسمين ، وقال قائل أن الحجاج لم يفرغ من قتله حتى خولط فى عقله وجعل يصيح . قيودنا قيودنا يعنى القيود التى كانت فى رجل سعيد بن جبير ويقال متى كان الحجاج يسأل عن القيود أو يعبأ بها وهذا يمكن القول فيه لأهل الاهواء فى الفتح والاغلاق

(ذكر بيعة الوليد وسليمان ابنى عبد الملك)

قال وذكروا أنه لما فرغ الحجاج من قتل الخوارج وتم له أمر العراق فاستقر ملك عبد الملك كتب اليه الحجاج أن يبايع للوليد ابنه ويكتب له عهده للناس فأبى ذلك عبد الملك لأن أخاه عبد العزيز كان حيا وكان قد استعمله عبد الملك على مصر وكتب اليه الحجاج يوبخه ويقول له مالك أنت والتكلم بهذه وكانت البيعة بالشام لهما جميعا اذا مات مروان وكان عبد العزيز نظير عبد الملك فى الحزم والرأى والعقل والزكاء وكان عبد الملك لا يفضل عبد العزيز فى شىء إلا باسم الخلافة حتى لربما كان عبد الملك يأمر بالشىء فيريد عبد العزيز غيره ويرى خلافه فيرده الى رأيه ولا يمضيه وكان لا ينكر ذلك عبد الملك فلما كانت سنة إحدى وثمانين عقد عبد الملك لموسى بن نصير على أفريقية وما حولها ووجهه الى من بها من البربر يقاتلهم وضم اليه برقة فلما قدم موسى بن نصير متوجها انتهى ذلك الى عبد العزيز فرده من مصر الى الشام وبعث قرة بن حسان الثعلبى فانصرف موسى بن نصير الى الشام لعبد الملك وذكر امتهانا ناله من عبدالعزيز وما استقبله من كلام كبير فقال له عبد الملك إن عبد العزيز صنو أمير المؤمنين وقد أمضينا فعله . فتوجه قرة بن حسان الى أفريقية فهزم بها وقتل غالب أصحابه فلما كانت سنة أربع وثمانين توفى عبد العزيز بن مروان بمصر ثم ولى محمد بن مروان الى سنة ست وثمانين فلما توفى عبد العزيز أجمع عبد الملك على بيعة الوليد ثم من بعد الوليد سليمان فكتب الى الحجاج ببيعة الوليد وسليمان فبايع لهما الحجاج بالعراق فلم يختلف عليه أحد وبويع لهما بالشام ومصر واليمن وكتب عبد الملك الى هشام بن اسماعيل وهو عامله على المدينة أن يأخذ بيعة أهل المدينة فلما أتت البيعة لهما كره ذلك سعيد بن المسيب وقال : لم أكن لأبايع بيعتين فى الاسلام بعد حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا

كانتا بيعتين فى الاسلام فاقتلوا الأحدث منهما ، فأتاه عبد الرحمن بن عبد القارىء فقال انى مشير عليك بثلاث خصال اختر أيها شئت قال وما هى قال له أنك تقدم حيث يراك هشام بن اسماعيل فلو غيرت مقامك قال ما كنت لأغير مقاما قمته منذ أربعين سنة لهشام بن اسماعيل قال فثانية قال وما هى قال أخرج معتمراً قال سعيد ما كنت لأجهد نفسى وأنفق مالى فى شىء ليس لى فيه نية قال له فثالثة قال وما هى قال تبايع للوليد ثم لسليمان قال سعيد أرأيت إن كان الله قد أعمى قلبك كما أعمى بصرك فما علي قال وكان أعمى قال فدعاه هشام بن اسماعيل الى البيعة وكان ابن عم سعد بن المسيب فلما علم بذلك القرشيون أبو هشام فقالوا له لا تعجل على ابن عمك حتى نكلمه ونخوفه القتل فعسى به أن يبايع ويجيب قال فاجتمع القرشيون فأرسلوا الى سعيد مولى له كان فى الحرس فقالوا له اذهب اليه نخوفه القتل وأخبره أنه مقتول فلعله يدخل فيما دخل فيه الناس فجاءه مولاه فوجده قائما يصلى فى مسجده فبكى مولاه بكاء شديداً فقال له سعيد ما يبكيك ويحك قال أبكى مما يراد بك قال له سعيد وما يراد بى ويحك قال جاء كتاب من عبد الملك بن مروان الى هشام بن اسماعيل إن لم تبايع وإلا قتلت فجئتك لتطهر وتلبس ثيابا طاهرة وتفرغ من عهدك ان كنت لا تريد أن تبايع فقال له سعيد لا أم لك قد وجدتنى أصلى فى مسجدى أفتراني كنت أصلى ولست بطاهر وثيابى غير طاهرة وأما ما ذكرت من أن أفرغ من عهدى بعد ما حدثنى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما حق امرىء مسلم يبيت ليلة له شىء يوصى به إلا ووصيته مكتوبة . فاذا شاؤا فليفعلوا فانى لم أكن لأبايع بيعتين فى الاسلام قال فرجع اليهم فأخبرهم بما ذكر فكتب صاحب المدينة هشام ابن اسماعيل الى عبد الملك يخبره أن سعيد بن المسيب كره أن يبايع لهما (للوليد وسليمان) فكتب عبد الملك اليه : مالك ولسعيد وما كان علينا منه أمر تكرهه وما كان حاجتك أن تكشف عن سعيد وتأخذه ببيعته ما كنا نخاف من سعيد

فأما وقد ظهر ذلك وانتشر فى أمره للناس فادعه الى البيعة فان أبى فاجلده مائة سوط أو احلق رأسه ولحيته وألبسه ثيابا من شعر وأوقفه فى السوق على الناس لكيلا يجترىء علينا أحد غيره . قال فلما وصل الكتاب أرسل اليه هشام فانطلق سعيد اليه فلما أتاه دعاه الى البيعة فأبى أن يجيبه فألبسه ثيابا من شعر وجرده وجلده مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وأوقفه فى السوق وقال لو أنه ليس إلا هذا ما نزعت ثيابي طائعا ولا أجبت الى ذلك قال بعض الابليين الذين كانوا فى الشرط بالمدينة . لما علمنا أنه لا يلبس الثياب طائعا قلنا له يا أبا محمد انه القتل فاستر بها عورتك قال فلبس فلما تبين له إنا خدعناه قال : يا معلجة أهل ايلة لولا انى ظننت أنه القتل ما لبسته قال فكان هشام بن اسماعيل بعد ذلك اذا خطب الناس يوم الجمعة تحول اليه سعيد بن المسيب أن يقبل عليه بوجهه ما دام يذكر الله حتى إذا وقع فى مدح عبد الملك وغيره أعرض سعيد عنه بوجهه فلما فطن هشام لذلك أمر حرسيا يحصب وجه سعيد اذا تحول عنه ففعل ذلك به فقال سعيد إنما هى ثلاث وأشار بيده قال فما مر به إلا ثلاثة أشهر حتى عزل هشام

(موت عبد الملك وبيعة الوليد)

قال وذكروا أن عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة جمع بنيه قال لهم : اتقوا الله ربكم واصلحوا ذات بينكم وليجل صغيركم كبيركم وكبيركم صغيركم انظروا أخاكم مسلمة فاستوصوا به خيرا فانه شيخكم ومجنكم الذى به تستجنون وسيفكم الذى به تضربون ، أوصيكم به خيراً وانظروا الى ابن عمكم عمر بن عبد العزيز فاصدروا عن رأيه ولا تخلوا عن مشورته اتخذوه صاحبا لا تجفوه ووزيراً لا تعصوه ، فانه ما علمتم فضله ودينه وذكاء عقله فاستعينوا به على كل مهم وشاوروه فى كل حادث . قال ثم دخل عليه خالد وعبد الرحمن ابنا يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فقال لهما أتحبان أن أسألكما بيعة الوليد وسليمان فقالا

يا أمير المؤمنين معاذ الله من ذلك قال فأومأ بيده الى وصلى كان مضجعاً عليه فاخرج من تحته سيفه مصلتا فقال لهما والله لو قلتما غير ذلك لضربت أعناقكما بهذا السيف ثم خرجا من عنده ودخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال له عبد الملك يا أبا حفص استوص خيراً باخويك الوليد وسليمان إن زلا فشلهما وان مالا فاقمهما وان غفلا فذكرهما وإن ناما فايقظهما وقد أوصيتهما بك وعهدت اليهما أن لايقطعا شيئاً دونك . فقال عمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين أوصيتهما بكتاب فليقيماه فى عباده وبلاده أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليجيباها ويحملا الناس عليها فقال عبد الملك قد فعلت وولى فيكم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ثم قال وقد علمت ياعمر مكان ناطمة منى ومحلها من قلبى وانى آثرتك بها على جميع آل مروان لفضلك وورعك فكن عند ظنى بك ورجائى فيك وقد علمت انك غير مقصر ولا مضيع حقها ولكن الله قد قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين قوموا عصمكم الله وكفاكم ثم خرجوا من عنده . قال : ثم دعا عبد الملك بالوليد وسليمان فدخلا عليه فقال الوليد : اسمع ياوليد حضر الوداع ، ذهب الخداع وحل القضاء قال فبكى الوليد فقال له عبد الملك لاتعصر عينيك على كما تعصر الأمة الوكساء . اذا أنا مت فاغسلنى وكفنى وصل على وأسلمنى الى عمر بن عبد العزيز يدلينى فى حفرتى واخرج أنت الى الناس والبس لهم جلد نمر واقعد على المنبر وادع الناس الى بيعتك فمن مال بوجهه عنك كذا فقل له بالسيف كذا وتنكر للصديق والقريب واسمع للبعيد وأوصيك بالحجاج خيراً فانه هو الذى وطأ لكم المنابر وكفاكم تقحم تلك الجرائم . قال فلما توفى عبد الملك ومات من يومه ذلك خرج الوليد الى الناس وقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : نعمة الله ما أجلها ومصيبة ما أعظمها وإنا لله وانا اليه راجعون نقل الخلافة وفقد الخليفة ثم دعا الناس الى البيعة فلم يختلف عليه أحد ثم كان أول ما ظهر من أمره وتبين من حكمه أن أمر بهدم كل دار ومنزل من دار عبد الملك

الى قبره فهدمت من ساعتها وسويت بالأرض لئلا يعرج بسرير عبد الملك يميناً وشمالا وليكون النهوض به الى حضرته تلقاء منزله ثم كتب ببيعته الى الآفاق والامصار والى الحجاج بالعراق فبايع له الناس ولم يختلف عليه أحد فدخل عليه سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين أعزل الحجاج بن يوسف عن العراقيين فان الذى أفسد الله به أكثر مما أصلح فقال له الوليد أن عبد الملك قد أوصانى به خيراً فقال سليمان عزل الحجاج والانتقام منه من طاعة الله وتركه من معصية الله فقال الوليد سنرى فى هذا الامر وترون إن شاء الله . ثم كتب الحجاج الى الوليد : أما بعد فان الله تعالى استقبلك يا أمير المؤمنين فى حداثة سنك بما لا أعلمه أستقبل به خليفة قبلك من التمكين فى البلاد والملك للعباد والنصر على الاعداء فعليك بالاسلام فقوم أوده وشرائعه وحدوده ودع عنك محبة الناس وبغضهم وسخطهم فانهم قل مايؤتى الناس من خير وشر إلا أفشوه فى ثلاثة أيام والسلام .

(تولية موسى بن نصير على البصرة)

قال وحدثنا يزيد بن سعيد مولى مسلم ان عبد الملك بن مروان لما أراد أن يولى أخاه بشر بن مروان على العراق كتب الى أخيه عبدالعزيز بن مروان وهو بمصر وبشر معه يقود الجنود وكان يومئذ حديث السن : انى قد وليت أخاك بشراً البصرة فاشخص معه موسى بن نصير وزيراً ومشيراً وقد بعثت اليك بديوان العراق فادفعه الى موسى واعلمه انه المأخوذ بكل خلل وتقصير فشخص بشر من مصر الى العراق ومعه موسى بن نصير حتى نزل البصرة فلما نزلها دفع الى موسى ابن نصير خاتمه وتخلى عن جميع العمل فلبث موسى مع بشر ما لبث ثم أن رجل من أهل العراق دخل على بشر بن مروان فقال له هل لك أن أسقيك شرابا لاتشيب معه أبداً بعدأن اشترط عليك شروطا . قال بشر وما هى قال : لاتغضب

ولا تركب ولا تجامع امرأة فى أربعين ليلة ولا تدخل حماماً فقبل ذلك بشر وأجابه وشرب ما أسقاه واحتجب عن قريب من الناس وبعيدهم وخلا مع جواريه وخدامه فكان كذلك حتى أتته ولاية الكوفة وقد ضمت اليه مع البصرة فاتاه من ذلك ما لم يحمل فرحه ولا السرور به فدعا بركاب ليركبها فأتاه الرجل فناشده لا يخرج ولا يركب وان لا يتحرك بحركة من مكانه فلم يلتفت بشر الى كلامه ولم يقبل ما أمره به فلما رأى الرجل عزمه قال له فاشهد لى على نفسك بانك قد عصيتنى ففعل بشر ذلك وأشهد أنه قد أبراه فركب وهو يريد الكوفة فلم يسر إلا أميالا حتى وضع يده على لحيته فاذا هى فى كفه قد سقطت من وجهه فلما رأى ذلك انصرف الى البصرة فلم يلبث إلا قليلا حتى هلك فلما بلغ عبد الملك موته وجه الحجاج بن يوسف واليا عليها فقال له موسى بن نصير ما فاتك فلا يفوتك وكان عبد الملك قد أراده لأمر عتب عليه منه . فكتب خالد بن أبان من الشام الى موسى بن نصير : إنك معزول وقد وجه اليك الحجاج بن يوسف وقد أمر فيك بأغلظ أمر فالنجاة النجاة والوحا الوحا فاما ان تلحق بالفرس فتأمن وإما أن تلحق بعبد العزيز بن مروان مستجيراً به ولا تمكن ملعونا ثقيفا من نفسك فيحك فيك . فلما أتاه الكتاب ركب النجائب ولحق الشام وبها يومئذ عبد العزيز بن مروان قد وفد بأموال مصر فكتب الحجاج من العراق يا أمير المؤمنين إنه لا قدر لما اقتطعه موسى بن نصير عن أموال العراق وليس بالعراق فابعث به إلى

(دخول موسى بن نصير على عبد الملك بن مروان)

قال وذكروا أن عبد الرحمن بن سالم حدثهم عن أبيه أنه حضر يومئذ شأن موسى بن نصير ودخوله على عبد الملك قال وكانت لموسى يد عظيمة عند عبد العزيز ابن مروان يطول ذكرها قال سالم قال لى موسى لما قدمت الشام ألفيت بها عبد العزيز وكان ذلك من صنع الله فأدخلنى على عبد الملك فلما رآنى عبد الملك

قلت موسى قال ما تزال تعرض لحيتك علينا قال قلت لم يا أمير المؤمنين قال لجرأتك على واقتطاعك الفيء قال فعلت ما فعلت يا أمير المؤمنين وما ألوتك نصحا واجتهاداً وإصلاحا قال أقسم لتؤدين ديتك خمسين مرة قال قلت لم يا أمير المؤمنين قال فما تركني أتمها حتى قال قم لتؤدينها مائة مرة فذهبت لأتكلم فأشار إلى عبد العزيز أن قل نعم فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم فأعانني عبد العزيز بخمسين ألفاً وأديت خمسين ألفاً في ثلاثة أشهر تحملها على

(تولية موسى بن نصير على أفريقية)

قال وذكروا أن عبد العزيز لما رجع الى مصر سار موسى معه فكان من أشرف الناس عنده فأقام بها ما أقام حتى قدم حسان بن النعمان من أفريقية يريد الشام الى عبد الملك وقد فتح له بها فتحا وقتل الكاهنة فأجازه عبد الملك وزاده برقة ورده اليها (الى أفريقية) واليا فأقبل حتى نزل مصر وبعث معه بعثا من هناك فأخذوا أعطياتهم منه ثم ساروا حتى نزلوا ذات الجماجم قال فبلغ ذلك عبد العزيز أن حسان بن نعمان يطلب برقة من عند عبد الملك وإنه قد ولاها إياها فبعث اليه فقال له أولاك أمير المؤمنين برقة قال نعم فقال له عبد العزيز لا تعرض وكان عليها مولى لعبد العزيز فقال حسان ما أنا فاعل فغضب عبد العزيز وقال له ائت بعهدك عليها إن كنت صادقا قال فأتى به حسان فلما أقرأه عبد العزيز وجدها فيه فالتفت إلى حسان فقال ما أنت بتاركها قال والله لا أنزل عما ولانيه أمير المؤمنين قال فاقعد في بيتك وسيولى هذا الأمر من هو خير منك وأولى به منك في تجربته ومعرفته وسياسته ويغنى الله أمير المؤمنين عنك ثم أخذ عبد العزيز عهده ومزقه ودعا بموسى بن نصير فعقد له على أفريقية يوم الخميس في صفر سنة تسع وسبعين فتجهز موسى بن نصير وحمل الأموال الى ذات الجماجم وبها الجيوش ينتظرون واليهم فقدم عليهم موسى بن نصير فلما صار على الجيش الأول

أتى عصفور حتى وقع على صدره فأخذه موسى فدعا بسكين فذبحه موسى ولطخ بدمه صدره من فوق الثياب ونتف ريشه وطرحه على صدره وعلى نفسه ثم قال الفتح ورب الكعبة والظفر إن شاء الله

(خطبة موسى بن نصير رحمه الله)

قال وذكروا أن موسى لما قدم ذات الجماجم وقد توافت الجيوش بها جمع الناس فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن أمير المؤمنين أصلحه الله رأى رأيا فى حسان بن النعمان فولاه ثغركم ووجهه أميراً عليكم وإنما الرجل فى الناس بما أظهر والرأى فيما أقبل وليس فيما أدبر فلما قدم حسان بن النعمان على عبد العزيز أكرمه الله كفر للنعمة وضيع الشكر ونازع الأمر أهله فغير الله ما به : وإنما الأمير أصلحه الله صنو أمير المؤمنين وشرائكه ومن لا يتهم فى عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولانى مكانه عليكم ولم يأل أن أجهد نفسه فى الاختيار لكم وإنما أنا رجل كأحدكم فمن رأى منى حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها ومن رأى منى سيئة فلينكرها فانى أخطىء كما تخطئون وأصيب كما تصيبون وقد أمر الأمير أكرمه الله لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثا فخذوها هنيئا مريئا ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها على ما عز وهان مع المواساة إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

(دخول موسى بن نصير أفريقية)

قال وذكروا أن موسى لما سار متوجها إلى المغرب بقية صفر ثم ربيع وربيع ودخل فى جمادى الأولى يوم الاثنين لخمس خلون منه سنة تسع وسبعون فأخذ سفيان ابن مالك الفهرى وأبا صالح فغرم كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ووجههما إلى عبد الملك فى الحديد . قال وكان قدوم موسى أفريقية وما حولها مخوف بحيث

لا يقدر المسلمون أن يبرزوا فى العيدين لقرب العدو منهم وأن عامة بيوتها الخصوص وأفضلها القباب وبناء المسجد يومئذ بالحظير غير أنه قد سقف ببعض الخشب وقد كان ابن النعمان بنى القبلة وما يليها بالمدر بنيانا ضعيفا وكانت جبالها كلها محاربة لاترام وعامة السهل

(خطبة موسى بأفريقية)

قال وذكروا أن موسى لما قدم أفريقية ونظر الى جبالها والى ما حولها جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنما كان قبلي على أفريقية أحد رجلين مسالم يحب العالية ويرضى بالدون من العطية ويكره أن يكلم ويحب أن يسلم أو رجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهوينا . وليس أخو الحرب إلا من اكتحل السهر وأحسن النظر وخاض الغمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دون أن يكلم أو يكلم ويبلغ النفس عذرها فى غير خرق يريده ولا عنف يقاسيه متوكلا فى حزمه جازما فى عزمه مستزيداً فى علمه مستشيراً لأهل الرأى فى أحكام رأيه متحنكا بتجاربه ليس بالمتجابن اقداما ، ولا بالمتخاذل أحجاما ، إن ظفر لم يزده الظفر إلا حذراً ، وإن نكب أظهر جلادا وصبراً راجيا من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجالهم إياها لقول الله تعالى أن العاقبة للمتقين أى الحذرين . وبعد فان كل من كان قبلي كان يعمد الى العدو الأقصى ويترك عدواً منه أدنى ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العورة ويكون عونا عليه عند النكبة وأيم الله لا أريم هذه القلاع والجبال المتمنعة حتى يضع الله أرفعها ويذل أمنعها ويفتحها على المسلمين بعضها أو جميعها أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين

(فتح زعوان)

قال وقد ذكروا انه كان بزعوان قوم من البربر يقال لهم عبدوه عليهم عظيم من عظمائهم يقال له ورقطان فكانوا يغيرون على سرح المسلمين ويرصدون غرتهم والذى بين زعوان وبين القيروان يوم الى الليل فوجه اليهم موسى خمسمائة فارس عليهم رجل من خشين يقال له عبد الملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل صاحبهم ورقطان وفتحها الله على موسى فبلغ سبيهم يومئذ عشرة آلاف رأس وانه كان فى أول سبي دخل القيروان فى ولاية موسى وجه ابنا له يقال عبد الرحمن بن موسى الى بعض نواحيها فأتاه بمائة ألف رأس ثم وجه ابنا يقال له مروان فأتاه بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين ألف رأس

(قدوم كتاب الفتح على عبد العزيز بن مروان)

قال وذكروا أن موسى بن نصير كتب الى عبد العزيز بن مروان بمصر يخبره بالذى فتح الله عليه وأمكن له ويعلمه أن الخمس بلغ ثلاثين ألفا وكان ذلك وهما من الكاتب فلما قرأ عبد العزيز الكتاب دعا الكاتب قال له ويحك اقرأ هذا الكتاب فلما قرأه هذا وهم من الكاتب فراجعه فكتب اليه عبد العزيز انه بلغنى كتابك وتذكر فيه أنه قد بلغ خمس ما أفاء الله عليك ثلاثين ألف رأس فاستكثرت ذلك وظننت أن ذلك وهم من الكاتب فاكتب إلى بعد ذلك على حقيقة واحذر الوهم ، فلما قدم الكتاب على موسى كتب اليه : بلغنى أن الأمير أبقاه الله يذكر أنه استكثر ماجاءه من العدة التى أفاء الله على وانه ظن أن ذلك وهم من الكاتب فقد كان ذلك وهما على ماظنه الأمير والخمس أيها الأمير ستون ألفا حقا ثابتا بلا وهم ، قال فلما أتى الكتاب الى عبد العزيز وقرأه ملأه سروراً

(إنكار عبد الملك تولية موسى بن نصير)

وذكروا أن عبد العزيز لما ولى موسى وعزل حسان كما تقدم وفتح الله لموسى بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكره ذلك وأنكره ثم كره رد رأى عبد العزيز ثم هم بعزل موسى لسوء رأيه فيه ثم رأى أن لا يرد ما صنع عبد العزيز فكتب عبد الملك الى عبد العزيز : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك فى عزل حسان وتوليتك موسى مكانه وعلم الأمر الذى له عزلته وقد كنت أنتظر منك مثلها فى موسى وقد أمضى لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيت وولايتك من وليت فاستوص بحسان خيراً فانه ميمون الطائر والسلام .

(جوابه)

فلما قدم الكتاب على عبد العزيز كتب الى أخيه عبد الملك : أما بعد فقد بلغنى كتاب أمير المؤمنين فى عزل حسان وتوافقى موسى بن نصير وقد كان لمثلها منى منتظراً فى موسى ويعلمنى أنه قد أمضى لى من رأيى فيما أمضيت وولايتى من وليت وقد علمت أن أمير المؤمنين يتفاءل بحسان للذى فتح الله على يديه ولم أعد مع نظرى لأمير المؤمنين بأن عزلت حسان ووافيت موسى فى يمن طائره وحسن أثره فأما قول أمير المؤمنين قد كنت أنتظرها منك فلعمرى لقد كنت لها فيه مرصداً ولأمير المؤمنين أن يسبق بها اليه منتظراً حتى حضر أمر جهدت فيه نفسى لأمير المؤمنين ولنفسى الرأى والنصيحة والسلام

(كتاب عبد العزيز بالفتح الى عبد الملك)

قال وذكروا أن عبد العزيز كتب الى عبد الملك : أما بعد فانى كنت وأنت ياأمير المؤمنين فى موسى وحسان كالمتراهنين أرسلا فرسيهما الى

الى غايتهما فأتيا معا وقدمت الغاية لأحدهما ولو لك عنده مزيد إن شاء الله وقد جاءنى يأمير المؤمنين كتاب من موسى وقد وجهته اليك لتقرأه وتحمد الله عليه والسلام

(جوابه)

فكتب اليه عبد الملك . أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم المثل الذى مثلته فى حسان وموسى ويقول لك عند احدهما مزيد وكل قد عرف الله على يده خيراً ونصراً وقد أجريت وحدك وكل مجر بالخلاء مسروراً والسلام . ثم وجه عبد الملك رجلا الى موسى ليقبض ذلك منه على ما ذكر موسى وعلى ما كتب به فلما قدم الرسول على موسى دفع اليه ما ذكر وزاده ألفا للوفاء

(فتح هوارة . وزناتة . وكتامة)

قال وذكروا أن موسى أرسل عياش بن اخيل الى هوارة وزناتة فى ألف فارس فأغار عليهم وقتلهم وسباهم فبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس وكان عليهم رجل منهم يقال له كامون فبعث به موسى الى عبد العزيز فى وجوه الاسرى فقتله عند البركة التى عند قرية عقبة فسميت بركة كامون فلما أوجع عياش فيهم دعوا الى الصلح فقدم على موسى بوجوههم فصالحوهم وأخرجوهم وكانت كتامة قد قدمت على موسى فصالحته وولى عليهم رجل منهم وأخذ منهم رهونهم وكتب أحدهم الى موسى إنما نحن عبدانك قتل أحدنا صاحبه وأنا خير لك منه فلم يشك موسى إن ذلك إنما كان عن ممالاة من كتامة وقد كانت رهون كتامة استأذنوا موسى قبل ذلك بيوم ليتصيدوا فأذن لهم فلما أتاه ما أتاه تحقق ظنه فيهم وانهم إنما هربوا فوجه الخيل فى طلبهم فأتى بهم فاراد صلبهم فقالوا لا تعجل أيها الأمير بقتلنا حتى يتبين أمرنا فان آبائنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا فى خلاف أبداً ونحن فى يدك

وأنت على البيان أقدر منك على استحيائنا بعد القتل فأوقرهم حديداً وأخرجهم معه إلى كتامة وخرج هو بنفسه فلما بلغهم خروج موسى تلقاه وجوه كتامة معتذرين فقبل منهم وتبينت له براءتهم واستحيي رهونهم .

(فتح صنهاجة)

قال وذكروا أن الجواسيس أتوا موسى فقالوا له أن صنهاجة بغرة منهم وغفلة وأن أبلهم تنتج ولا يستطيعون براحا فاغار عليهم موسى باربعة آلاف من أهل الديوان والفين من المتطوعة ومن قبائل البربر وخلف عياشا على أثقال المسلمين وعيالهم بطبية فى الف فارس وعلى مقدمة موسى عياض بن عقبة وعلى ميمنته المغيرة بن أبي برده وعلى ميسرته زرعة بن أبى مدرك فسار موسى حتى غشى صنهاجة ومن كان منها من قبائل البربر وهم لايشعرون فقتلهم قتل الفناء فبلغ سبيهم مائة الف رأس ومن الأبل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب ما لايحصى ثم انصرف قافلا الى القيروان وهذا كله فى سنة ثمانين فلما سمعت الاجناد بما فتح الله علي موسى وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا فى الخروج الى العرب فخرج نحو مما كان معه فالتق بالمغيرة وصنهاجة فاقتتلوا قتالا شديدا ثم أن الله منحه اكتافهم وهزمهم فبلغ سبيهم ستين الف رأس ثم انصرف قافلا

(فتح سجوما)

قال وذكروا أنه لما كانت سنة ثلاث وثمانين قدم علي موسى نجدة بن موسى فى طالعة أهل مصر فلما قدم عليه أمر الناس بالجهاد والتأهب ثم غزا يريد سجوما وما حولها واستخلف عبد الله بن موسى على القيروان ثم خرج وهو فى عشرة آلاف من المسلمين وعلى مقدمته عياض بن عقبة وعلى ميمنته زرعة بن أبي

مدرك وعلى ميسرته المغيرة بن أبى بردة القرشى وعلى ساقته نجدة بن مقسم فاعطى اللواء ابنه مروان فسار حتى اذا كان بمكان يقال له سجن الملوك خلف به الاثقال وتجرد فى الخيول وخلف على الأثقال عمرو بن أوس فى الف وسار بمن معه حتى انتهى الى نهر يقال له علويه فوجده حاملا فكره دخول المقام عليه خوفا من نفاذ الزاد وأن يبلغ العدو مخرجه ومكانه فاحدث مخاضة غير مخاضة عقبة بن نافع وكره أن يجوز عليها فلما أجاز عليها وانتهى اليهم وجدهم قد أنذروا به وتأهبوا وأعدوا للحرب فاقتتلوا قتالا شديداً فى جبل منيع لا يوصل اليهم إلا من أبواب معلومة فاقتتلوا يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت الى العصر فخرج اليهم رجل من ملوكهم فوقف والناس مصطفون فنادى بالمبارزة فلم يجبه أحد فالتفت موسى الى مروان ابنه فقال له أخرج اليه أى بنى فخرج اليه مروان ودفع اللواء الى أخيه عبد العزيز ابن موسى فلما رآه البربرى ضحك ثم قال له ارجع فانى أكره أن أعدم منك أباك وكان حديث السن قال فحمل عليه مروان فكرده حتى ألجأه الى جبله ثم انه زرق مروان بالمزراق فتلقاه مروان بيده وأخذه ثم حمل مروان عليه وزرقه به زرقة وقعت فى جنبه ثم لحقت حتى وصلت الى جوف برذونه قال فوقع به البرذون ثم التقى عليه الناس فاقتتلوا قتالا شديداً أنساهم ما كان قبله ثم أن الله هزمهم وفتح للمسلمين عليهم وقتل ملكهم كسيلة بن لمزم وبلغ سبيهم مائتى الف رأس فيهن بنات كسيلة وبنات ملوكهم وما لا يحصى من النساء السلسات اللاتى ليس لهن ثمن ولا قيمة قال فلما وقفت بنات الملوك بين يدى موسى قال على بمروان ابنى قال فأتى به قال له أى بنى اختر قال فاختار ابنة كسيلة فاستسرها فهى أم عبد الملك بن مروان هذا . قال قاتل يومئذ زرعة بن أبى مدرك قتالا شديداً أبلى فيه حتى اندقت ساقه قال فآلى موسى أن لا يعبر إن على رقاب الرجال حتى يدخل بالقيروان وبان يحمله خمسون رجلا كل يوم يتعاقبون بينهم ثم انصرف موسى وقد دانت له البلاد كلها وجعل يكتب الى عبد العزيز فتح بعد فتح وملات سبايا ه

الاجناد وتمايل الناس اليه ورغبوا فيما هنالك لديه فكان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يقول اذا جاءه فتح موسى . لنهنئك الغلبة أبا الاصبغ ثم يقول وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً . قال وبعث موسى الى عياض وعثمان والى عبيدة بن عقبة فقال اشتفوا وضعوا أسيافكم فى قتلة قال فقتل منهم عياض ستمائة رجل صبراً من خيارهم وكبارهم فارسل اليه موسى أن أمسك فقال أما والله لو تركتنى ما أمسكت عنهم ومنهم عين تطرف

(قدوم الفتح على عبد الملك بن مروان)

قال وذكروا أن موسى لما قدم وجه بذلك الفتح الى عبد العزيز بن مروان مع على بن رياح فسار حتى قدم على عبد العزيز بمصر فاجازه ووصله ووجهه الى عبد الملك بن مروان أخيه فلما قدم عليه أجازه أيضاً وزاده فى عطائه عشرين فلما انصرف قال له عبد العزيز كم زادك أمير المؤمنين قال عشرين قال ولولا أكره أن أفعل مثل ما فعل لزدتك مثلها ولكن تعدها زيادة عشرة وكتب عبد الملك الى موسى يعلمه أنه قد فرض لجميع ولده فى مائة وبلغ به هو الى المائتين وفرض فى مواليه وأهل الجزاء والبلاء من معه خمسمائة رجل ثلاثين ثلاثين وكتب اليه أن أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة ألف التى أغرمها لك فخذها من قبلك من الأخماس قال فلما قدم على موسى كتاب عبد الملك بن مروان يأمر بأخذ المائة الف مما قبله قال فانى أشهدكم أنه رد على المسلمين ومعونة لهم وفى الرقاب وكان موسى إذا أفاء الله عليه شيئا اشترى من ظن منهم أن يقبل الاسلام وينجب فيعرض عليه الاسلام فان رضى قبله من بعد أن يمحص عقله ويجرب فطنة فهمه فان وجده ماهراً أمضى عتقه وتولاه وإن لم يجد فيه مهارة رده فى الخمس والسبا . قال وكتب موسى إلى عبد العزيز ببلاء زرعة بن أبى مدرك وما أوصله وإنه لولا ذلك أو رده إلى أمير

المؤمنين ففرض له عبد العزيز فى مائة وفرض لثلاثين رجلا من قومه وانصرف موسى قافلا وذلك فى سنة أربع وثمانين

(غزوة موسى فى البحر)

قال وذكروا أن موسى أقام بالقيروان بعد قفله شهر رمضان وشوال فأمر بدار صناعة بتونس وجرى البحر اليها فعظم عليه الناس ذلك وقالوا له هذا أمر لا نطيقه فقام الى موسى رجل من مسالمة البربر ممن حسن إسلامه فقال له . أيها الأمير قد مر علي مائة وعشرون سنة وإن أبي حدثني أن صاحب قرطاجنة لما أراد بناء قناتها أتاه الناس يعظمون عليه ذلك فقام اليه رجل فقال له أيها الملك إنك إن وضعت يدك بلغت منها حاجتك فان الملوك لا يعجزها شيئا لقوتها وقدرتها فضع يدك أيها الأمير فان الله تعالى سيعينك فيما نويت ويؤجرك فيما توليت . فسر بذلك موسى وأعجبه قول هذا الشيخ فوضع يده فبنى دار صناعة بتونس وجرى البحر اليها مسيرة اثنى عشر ميلا حتى أقحمه دار الصناعة فصارت مشتا للمراكب إذا هبت الأنواء والأرياح ثم أمر بصناعة مائة مركب فأقام بذلك سنة أربع وثمانين وقدم عطاء بن أبي نافع الهذلى فى مراكب أهل مصر وكان قد بعثه عبدالعزيز يريد سردانية فارسى بسوسة فأخرج اليه موسى الاسواق وكتب اليه إن ركوب البحر قد فات فى هذا الوقت وفى هذا العام فأتم لا تغرر بنفسك فانك فى تشرين الآخر فأقم بمكانك حتى يطيب ركوب البحر ، قال فلم يرفع عطاء لكتاب موسى رأساً وشحن مراكبه ثم رفع فصارحتى أتى جزيرة يقال لها سلسلة وافتتحها وأصاب فيها مغانم كثيرة وأشياء عظيمة من الذهب والفضة والجواهر ثم انصرف قافلاً فأصابته ريح عاصف فغرق عطاء وأصحابه وأصيب الناس ووقعوا بسواحل أفريقية فلما بلغ ذلك موسى وجه يزيد بن مسروق فى خيل الى سواحل البحر يفتش على ما بلقى البحر من سفن عطاء

وأصحابه فأصاب تابوتا منحوتا قال فمنه كان أصل غناه يزيد بن مسروق قال ولقد لقيت شيخا متوكئا على قصبة فذهبت لأفتشه فنازعنى فأخذت القصبة من يده فضربت بها عنقه فانكسرت فتناثر منها اللؤلؤ والجواهر والدنانير . ثم أن موسى أمر بتلك المراكب ومن نجا من النوتية فأدخلهم دار الصناعة بتونس .
ثم لما كانت سنة خمس وثمانين أمر الناس بالتأهب لركوب البحر وأعلمهم أنه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه إلا وقد ركب حتى إذا ركبوا فى الفلك ولم يبق أحد إلا أن يرفع دعا برمح فعقده لعبد الله بن موسى بن نصير وولاه عليهم وأمره ثم أمره أن يرفع من ساعته وإنما أراد موسى بما أشار من مسيره أن يركب أهل الجلد والنكاية والشرف فسميت غزوة الأشراف ، ثم سار عبد الله بن موسى فى مراكبه وكانت تلك أول غزوة غزيت فى بحر افريقية قال فأصاب فى غزوته صقلية فافتتح مدينة فيها فأصاب مالا يدرى فبلغ سهم الرجل مائة دينار ذهبا وكان المسلمون ما بين الألف إلى التسعمائة ثم انصرف قافلا سالما فأتت موسى وفاة عبد العزيز بن مروان واستخلاف الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين فبعث اليه بالبيعة وبفتح عبد الله بن موسى وما أفاء الله على يده ثم أن موسى بعث زرعة بن مدرك إلى قبائل البربر فلم يلق حربا منهم ورغبوا فى الصلح فوجه رؤسهم الى موسى فأعطاهم الأمان وقبض رهونهم وعقد لعياش بن اخيل على مراكب أهل أفريقية فشتى فى البحر وأصاب مدينة يقال لها سركوسة ثم قفل فى ست وثمانين . ثم أن عبد الله بن مرة قام بطالعة أهل مصر على موسى فى سنة تسع وثمانين فعقد له موسى على بحر أفريقية فأصاب سردانية وافتتح مدائنها فبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والفضة والحرث وغيره

(غزوة السوس الاقصى)

قال وذكروا أن موسى وجه مروان ابنه إلى السوس الأقصى وملك السوس

يومئذ مزدانة الأسوارى فسار فى خمسة آلاف من أهل الديوان ، فلما اجتمعوا ورأى مروان أن الناس قد تعجلوا إلى قتال العدو وإن فى يده اليمنى القناة وفى يده اليسرى الترس وإنه ليشير بيده إلى الناس كما أنتم . فلما التقى مروان ومزدانه اقتتل الناس إذ ذاك قتالا شديداً ثم انهزم مزدانة ومنح الله مروان أكتافهم فقتلوا قتلة الفناء فكانت تلك الغزوة استئصال أهل السوس على أيدى مروان فبلغ السبي أربعين الفا وعقد موسى على بحر أفريقية حتى نزل بميورقه فافتتحها

(قدوم الفتوحات على الوليد بن عبد الملك)

قال وذكروا أن خادما للوليد بن عبد الملك بن مروان أخبرهم قال : انى لقريب من الوليد بن عبد الملك وبين يديه طشت من ذهب وهو يتوضأ منه إذا أتى رسول من قبل قتيبة بن مسلم من خراسان يفتح من فتوحها فأعلمته قال خذ الكتاب منه فأخذه فقرأه فما أتى على آخره حتى أتى رسول آخر من قبل موسى بن نصير يفتح السوس من قبل مروان بن موسى . فأعلمته قال هاته فقرأه فحمد الله وخر ساجداً لله حامد ثم التفت إلى قال امسك الباب لايدخل أحد قال وكان عنده ابن له يحبوا بين يديه فلما خر الوليد ساجداً شاكراً الله جاء الصبي إلى الطشت فاضطرب فيه وصاح فما التفت اليه قال وصرت لا استطيع أن أغيثه لما أمرني به من إمساك الباب وأطال السجود حتى خفي صوت الصبي ثم رفع رأسه فصاح بي فدخلت وأخذت الصبي وانه لما به روح

(فتح قلعة ارساف)

قال ثم أن صاحب ارساف أغار على بعض سواحل افريقية فنال منهم وبلغ موسى خبره فخرج اليه بنفسه فلم يدركه فاشتد ذلك علي موسى قال قتلنى الله إن لم أقتله وأنا مقيم هنا قال فاقام موسى ما أقام ثم أنه دعا رجلا من أصحابه فقال له

انى موجهك فى أمر وليس عليك فيه بأس ولك عندى فيه حسن الثواب خذ هذين الأذنين فسر فيهما بمن معك حتى موضع كذا وكذا فى مكان كذا فانك تجد كنيسة وتجد الروم قد جعلوها لعيدهم فاذا كان الليل فادن من ساحلها ودع إحدى هذين الاذنين بما فيها ثم انصرف الى بالاذن الأخرى وبعث معه موسى قبة من الخز والوشى ومن طرائف أرض العرب شيئا مليحا وكتب كتابا بالرومية جوابا لكتاف كانه كان كتب به الى موسى يسأله الأمان على أن يدله على ثورة الروم وكتاب فيه أمان من موسى مطبوع : فسار حتى انتهى الى الموضع الذى وصف له موسى فترك الأذن بما فيها وانصرف راجعا فى الأذن الأخرى حتى قدم على موسى ، وأن الروم لما عثروا على اذن موسى استنكروها فارتفع أمرها اليه بطريق تلك الناحية فأخذ ما فيها فلما رأى ما فيها من الكتب والهدية هاب ذلك فبعث بها كما هى الى الملك الأعظم : فلما أفضت اليه وقرأ الكتاب تحقق ذلك عنده فبعث الى ارساف رجلا وملكه عليها وأمر أن يضرب عنق صاحبها الذى أغار على ساحل افريقية ففعل فقتله الله بحيلة موسى

(فتح الاندلس)

قال وذكروا أن موسى وجه طارقا مولاه الى طنجة وما هنالك فافتتح مدائن البربر وقلاعها ثم كتب الى موسى انى قد أصبت ست سفن فكتب اليه موسى أتممها سبعا ثم سر بها الى شاطىء البحر واستعد لشحنها وأطلب قبلك رجلا يعرف الشهور السريانيين فاذا كان يوم أحد وعشرين من شهر ادار بالسريانى فاشحن على بركة الله ونصره فى ذلك اليوم فان لم يكن عندك من يعرف شهور السريان فشهور العجم فانها موافقة لشهور السريان وهو شهر يقال له بالاعجمية مارس فاذا كان يوم أحد وعشرين منه فاشحن على بركة الله كما أمرتك إن شاء الله فاذا أجريت فسر حتى يلقاك جبل أحمر وتخرج منه عين شرقية الى جانبها صنم فيه تمثال صور

فاكسر ذلك التمثال وأنظر فى من معك الى رجل طويل أشقر بعينيه قبل وبيده شلل فاعتقد له على مقدمتك ثم أقم مكانك حتى يغشاك ان شاء الله . فلما انتهى الكتاب الى طارق كتب الى موسى. انى منته الى ما أمر الأمير ووصف غير انى لم أجد صفة الرجل الذى أمرتنى به إلا فى نفسى فسار طارق فى الف رجل وسبعمائة وذلك فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وقد كان لوذريق ملك الاندلس قد غزا عدوا يقال له البشكيس واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير فلما بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين كتب الى لوذريق : انه قد وقع بارضنا قوم لاندرى أمن السماء نزلوا أم من الارض نبعوا .فلما بلغ لوذريق ذلك أقبل راجعا الى طارق فى سبعين الف عنان ومعه العجل تحمل الأموال والزخرف وهو على سرير بين دابتين وعليه قبة مكللة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ومعه الحبال وهو لا يشك فى أسرهم . فلما بلغ طارقا دنوه منهم قام فى أصحابه فحمد الله ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم فى الشهادة وبسط لهم فى آمالهم ثم قال . أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس ثم والله إلا الصدق والصبر فانهما لايغلبان وهما جندان منصوران ولا تضر معهما قلة ، ولاتنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة ، أيها الناس ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ان حملت فاحملوا وان وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد فى القتال إلا وانى عامد الى طاغيتهم بحيث لا أنهيه حتى أخالطه واقتل دونه فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم فتبددوا بين قتيل وأسير . وأياكم اياكم أن ترضوا بالدنية ولا تعطوا بايديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة والذلة وما قد حل لكم من ثواب الشهادة فانكم ان تفعلوا والله معكم ومعيذكم تبوؤن بالخسران المبين وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين وها أنا ذا حامل حتى اغشاه فاحملوا بحملتى . فحمل وحملوا فلما غشيهم اقتتلوا قتالا شديدا ثم أن الطاغية قتل وانهزم جميع العدو فاحتز طارق رأس لوذريق وبعث به الى موسى بن

نصير وبعث به موسى مع ابنه وجهز معه رجالا من أهل افريقية فقدم به على الوليد بن عبد الملك ففرض له فى الشرف وأجاز كل من كان معه ورده الى أبيه موسى وان المسلمين قد أصابوا اما كان مع لوذريق مالا يدرى ماهو ولا ما قيمته قال : وكتب طارق الى مولاه موسى ان الامم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث، فلما أتاه الكتاب نادى فى الناس وعسكر وذلك فى صفر سنة ثلاث وتسعين وكان أحب الخروج اليه يوم الخميس أول النهار فاستخلف عبد الله بن موسى على افريقية وطنجه والسوس وكتب ساعة قدم عليه كتاب طارق الى مروان بامره بالمسير فسار مروان بمن معه حتى أجاز الى طارق قبل دخول أبيه موسى وخرج موسى بن نصير والناس معه حتى أتى المجاز فأجاز بمن زحف معه فى جموعه وعلى مقدمته طارق مولاه فوجد الجموع قد شردت اليه من كل مكان فسار حتى افتتح قرطبة وما يليها من حصونها وقلاعها ومدائنها فغل الناس يومئذ غلولا لم يسمع بمثله ولم يسلم من الغلول يومئذ إلا أبو عبد الرحمن الجبلي ثم أن موسى سار لا يرفع له شيء إلا هذه يفتتح له المدائن يمينا وشمالا حتى انتهى الى مدينة الملوك وهى طليطلة فوجد فيها بيتا يقال له بيت الملوك وجد فيها أربعة وعشرين تاجا تاج كل ملك ولى الأندلس كان كلما هلك ملك جعل تاجه فى ذلك البيت وكتب على التاج إسم صاحبه وابن كم هو ويوم مات ويوم ولى ووجد فى ذلك البيت أيضا مائدة عليها اسم سليمان بن داود عليه السلام ومائدة من جزع فعمد موسى الى التيجان والآنية والموائد فقطع عليها الأغشية وجعل عليها الامناء ليس منها شيء يدرى ما قيمته ، فأما الذهب والفضـــة والمتاع فلم يكن يحصيه أحد

(اتهام الوليد موسى بالخلع)

قال وذكروا أن الوليد بن عبد الملك بن مروان لما بلغه مسير موسى بن نصير الى الأندلس ظن أنه يريد أن يخلع ويقيم فيها ويمتنع بها وقيل ذلك له وأبطاته

كتب موسى عليه لاشتغاله بما هنا لك من العدو وتوطئة لفتح البلاد فأمر الوليد القاضي أن يدعو على موسى اذا قضى صلاته وان موسى لما دخل طليطلة بعث على ابن رياح لفتحها وأوفد معه وفداً فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد فألفى القاضي يدعو على موسى. فقال أيها الناس الله الله فى موسى والدعاء عليه والله ما نزع يداً من طاعة ولا فارق جماعة وانه لفى طاعة أمير المؤمنين والذب عن حرمات المسلمين والجهاد للمشركين وإنى لأحدثكم عهداً به وما قدمت الآن إلا من عنده وأن عندى خبره وما أفاء الله على يده لأمير المؤمنين وما أيد به المسلمين ما يقر به أعينكم ويسر به خليفتكم

(دخول وفد موسى على الوليد بن عبد الملك)

قال وذكروا أن الوليد لما بلغه خبر هذا المتكلم الوافد من عند موسى أرسل اليه فأدخل عليه ثم قال له ماوراءك فقال كل ما تحب يا أمير المؤمنين بركت موسى بن نصير فى الأندلس وقد أظهره الله ونصره وفتح على يديه ما لم يفتح على يد أحد وقد أوفدنى الى أمير المؤمنين فى نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه فدفع اليه الكتاب من عند موسى فقرأه الوليد فلما أتى على آخره خر ساجداً فلما رفع رأسه أتاه فتح آخر فخر أيضا ساجداً ثم رفع رأسه فأتاه آخر بفتح آخر وخر ساجداً حتى ظننت انه لا يرفع رأسه

(ذكر ما وجد موسى فى البيت الذى وجد فيه المائدة مع صور العرب)

قال وذكروا أن هرم بن عياض حدثهم عن رجل من أهل العلم أنه كان مع موسى بالأندلس حين فتح البيت الذى كانت فيه المائدة التى ذكروا أنها كانت لسليمان بن داود عليه السلام فقال: كان بيتا عليه أربعة وعشرون قفلا كان كلما تولى ملك جعل عليه قفلا اقتداء منـــه بفعل من كان قبله حتى اذا كانت ولاية

لوذريق القرطبي الذى افتتحت الأندلس على يديه وفى ملكه قال والله لا أموت بغم هذا البيت ولأفتحنه حتى أعلم ما فيـــه فاجتمعت اليه النصرانية والأساقفة والشمامسة وكل منهم معظم له فقالوا له ما تريد بفتح هذا البيت فقال والله لا أموت بغمه الا وعلمت ما فيه فقالوا أصلحك الله أنه لا خير فى مخالفة السلف وترك الاقتداء بالأولياء فاقتد بمن كان قبلك وضع عليه قفلا كما صنع غيرك ولا يحملك الحرص على ما لم يحملهم عليه فانهم أولى بالصواب منا ومنك فأبى الا فتحه فقالوا له انظر ماظننت أن مافيه من المال والجواهر وما خطر على قلبك فانا ندفعه اليك ولا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا فانهم كانوا أهل معرفة وعلم فأبى إلا فتحه ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب ووجد كتابا فيه . إذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هـــذه البلاد فملكوها ، فكان دخول المسلمين من العرب اليه فى ذلك العام

(ذكر ما أفاء الله عليهم)

قال وذكروا عن الليث بن سعد أن موسى لما دخل الاندلس ضربوا الأوتاد لخيولهم فى جدار كنيسة من كنائسها فتلفت الاوتاد فلم تلج فنظروا فاذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام قال وذكروا أن رجلا كان مع موسى ببعض غزواته بالاندلس وانه رأى رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة والجوهر والياقوت فلما أثقلتهما أنزلاها ثم حملا عليها بالفأس فقطعاها نصفين فأخذا نصفا وتركا الآخر قال فلقد رأيت الناس يمررن يمينا وشمالا ما يلتفتون اليها استغناء عنها بما هو أنفس منها وأرفع قال وأقبل رجل الى موسى فقال ابعث معادلكم على كنز فبعث معه موسى رجالا فقال الذى دلهم انزعوها فنزلوا فسال عليهم من الزبرجد والياقوت مالم يروا مثله قط فلما رأوه بهتوا وقالوا لايصدقنا موسى ارسلوا اليه فارسلوا حتى جاء ونظر قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقضبان الذهب

والفضة المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد قال وكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفاس فيضربا وسطها ويأخذ منها ما أمكنها اشتغالا بغير ذلك مما هو أنفس منه قال الليث وبلغني أن رجلا غل في غزوة عطاء بن نافع فحمل ما غله حتى جعله في مزفت بين كتفيه وصدره فحضره الموت فجعل يصيح المزفت المزفت وحدثنا ابن أبي ليلى التجيبي عن حميد عن أبيه أنه قال لقد كانت الدابة تطلع في بعض غزوات موسى فينظر في حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة . قال وكتب موسى حين افتتح الأندلس الى أمير المؤمنين . انها ليست كالفتوح يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر . وأخبرني عن عبد الحميد بن حميد عن أبيه أنه قال قدمت الأندلس امرأة عطارد فخرجت بخمسمائة رأس فأما الذهب والفضة والآنية والجوهر كذلك لايحاط بعلمه قال وحدثني يس بن رجاء أنه قدم عليهم رجل من أهل المدينة شيخ فجعل يحدثنا عن الاندلس وعن دخول موسى إياها فقلنا له فكيف علمت هذا قال إني والله من سببه وإني اخبركم بعجيب والله اما شترني الذي اشتراني إلا بقبضة من فلفل لمطبخ موسى بن نصير فقلنا له ما أقدمك فقال أبي كان من وجوه الاندلس فلما سمع بموسى بن نصير عمد الى عين ماله من الذهب والفضة والجوهر وغير ذلك فدفنـــه في موضع قد عرفته فتقدمت أنا للخروج الى ذلك الموضع لاستخراجه قلنا له وكم لك منذ فارقته قال سبعون سنة قلنا له أفنسيته قال نعم فلم ندر بعد ما فعل

(غزوة موسى بن نصير البشكيس والافراج)

قال وذكروا أن موسى خرج من طليطلة بالجموع غازياً بفتح المدائن جميعا حتى دانت له الاندلس وجاءوجوه جليقية فطلبوا الصلح فصالحهم وغزا البشكيس فدخل في بلادهم حتى أسرقوما كالبهائم ثم مال الى أفرنجة حتى انتهى الى سرقسطة فافتتحها وافتتح ما دونها من البلاد الى الاندلس قال فأصاب فيها ما لا يدرى ما هو ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة وبين سرقسطة وقرطبة شهراً أو أربعين

ليلة قال وذكروا أن عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة قال كنت ممن غزا مع موسى الاندلس حتى بلغنا سرقسطة وكانت من أقصى ما بلغنا مع موسى إلا يسيراً من ورائها فاتينا مدينة على بحر ولها أربعة أبواب قال فبينما نحن محاصروها إذ أقبل عياش بن أخيل صاحب شرطة موسى قال أيها الأمير إنا قد فرقنا الجيش ارباعا على نواحى المدينة وقد بقى الباب الاقصى وعليه رتبة قال له موسى بن نصير دع ذلك الباب فانا سننظر فيه ثم ان موسى التفت إلى وقال لى كم معك من الزاد قلت ما بقى معى غير تليس قال فأنت لم يبق معك غير تليس وأنت فى أمراء الجيش فكيف غيرك اللهم اخرجهم من ذلك الباب قال المغيرة فأصبحنا فى تلك الليلة وقد خرجوا من ذلك الباب فدخلها موسى منه ووجه ابنه مروان فى طلبهم فأدركهم فاسرع القتل فيهم فأصابوا مما كان معهم ومما فى المدينة شيئاً عظيما قال وذكروا أن جعفر بن الاشتر قال كنت فيمن غزا الاندلس مع موسى فحاصرنا حصنا من حصونها عظيما بضعا وعشرين ليلة ثم لم نقدر عليه فلما طال ذلك عليه نادى فينا أن أصبحوا على تعبئة وظننا أنه قد بلغه مادة من العدو وقد دنت منا وانه يريد التحول عنهم فاصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال: أيها الناس إنى أمام الصفوف فاذا رأيتمونى قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا فقال الناس سبحان الله أترى فقد عقله أم عزب عنه رأيه يأمرنا نحمل على الحجارة ومالا سبيل اليه: قال فتقدم بين الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة فأطال ونحن منتظرين تكبيره فاستعددنا ثم ان موسى كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس فانهدت ناحية الحصن التى تلينا فدخل الناس منها وما راعنى إلا خيل المسلمين تمرح فيها وفتحها الله علينا فأصبنا من السبى والجوهر مالا يحصى قال وحدثتنى مولاة لعبد الله بن موسى وكانت من أهل الصدق والصلاح أن موسى حاصر حصنها الذى كانت من أهله وكان تلقاءه حصن آخر قالت فاقام لنا محاصراً حينا ومعه أهله وولده وكان لا يغزو إلا بهم لما يرجو فى ذلك من الثواب قالت ثم أن

أهل الحصن خرجوا الى موسى فقاتلوه قتالاً شديداً ففتح الله عليه قالت فلما رأى ذلك أهل الحصن الآخر نزلوا على حكمه ففتحها موسى فى يوم واحد فلما كان فى اليوم الثاني أتى حصنا ثالثا فالتقى الناس فاقتتلوا قتالا شديدا أيضا حتى حال المسلمون حوله قال فامر موسى بسرادقه فكشطه عن نسائه وبناته حتى برزن قال فلقد كسرت بين يديه من أعماد السيوف ما لا يحصى المسلمون واحتدم القتال ثم ان الله فتح عليه ونصره وجعل العاقبة له وقال عبد الرحمن بن سلام كنت فيمن غزا مع موسى فى غزواته كلها فلم ترد له رأيه قط ولا هزم له جمع قط حتى مات وقال أبن صخر لما قدم موسى الاندلس قال أسقف من أساقفتها : إنا لنجدك فى فى كتب الحدثان عن دانيال بصفتك صياداً بشبكتين رجل لك فى البر ورجل فى البحر تضرب بهما ها هنا وهاهنا فتصيد . قال فسر بذلك موسى وأعجبـــه قال عبد الحميد بن حميد عن أبيه أن موسى لما وغل وجاوز سرقسطة اشتد ذلك على الناس وقالوا أين تذهب بنا حسبنا ما فى أيدينا وكان موسى قال حين دخل أفريقية وذكر عقبة بن نافع : لقد كان غرر بنفسه حين وغل فى بلاد العدو والعدو عن يمينه وعن شماله وامامه وخلفه اما كان معه رجل رشيد فسمعه حبيش الشيباني قال فلما بلغ موسى ذلك المبلغ قام حبيش فأخذ بعنانه ثم قال : أيها الامير إنى سمعتك وأنت تذكر عقبة بن نافع تقول غرر بنفسه وبمن معه اما كان معه رجل رشيد وأنا رشيدك اليوم أين تذهب تريد أن تخرج من الدنيا أو تلتمس أكثر واعظم مما أتاك الله عز وجل واعرض مما فتح الله عليك وخوّلك انى سمعت من الناس ما لم تسمع وقد ملئوا أيديهم وأحبوا الدنيا قال فضحك موسى ثم قال أرشدك الله وكثر فى المسلمين مثلك ثم انصرف قافلا الى الاندلس فقال موسى يومئذ أما والله لو انقادوا إلى لقدمتهم الى رومية ثم يفتحها الله على يدى إن شاء الله

(خروج موسى بن نصير من الاندلس)

قال وذكروا أن عبد الرحمن بن سلام أخبرهم وكان مع موسى بن نصير

بالاندلس قال أقام موسى بقية سنته تلك وأشهراً من سنة أربع وتسعين ثم خرج وافداً الى الوليد بن عبد الملك وكان ما أقام بها موسى عشرين شهراً واستخلف عبد العزيز ابن موسى فجاز موسى البحر على الاندلس فغزا بالناس حتى بلغوا أربونة ومعه أبناء الملوك من الافرنج وبالتيجان والمائدة والآنية والذهب والفضة والوصفاء والوصائف ومالا يحصى من الجوهر والطرائف وخرج معه بوجوه الناس قال وذكر عن صفة المائدة عن عبد الحميد أنه قال . كانت مائدة خوان ليست لها أرجل قاعدتها منها وكانت من ذهب وفضة خليطين فهي تتلون صفرة وبياضاً مطوقة بثلاثة أطواق طوق لؤلؤة وطوق ياقوت وطوق من زمرد قال قالت فما عظمها قال . كنا بموضع والناس معسكرون إذ قلت بغل لرجل من موالى موسى يقال له صالح أبو ريشة على رمكة فكردها فى العسكر فقام الناس اليه بأعمدة الأخبية وجال فى العسكر جولة فتطلع موسى قال ما هذا وتطلع الجوارى ناذا هو بالبغل يكرد الرمكة وقد أدلى فغار موسى وقال احملوا عليه المائدة فلم يبلغ بها إلا منقلة حتى تفتحت قوائمه لكثرة ثقلها على هذا البغل القوى

(قدوم موسى أفريقية)

قال وذكروا أن يزيد بن مسلم مولى موسى أخبرهم أنه لما جاز موسى الحصن أمرهم بصناعة العجل فعملت له ثلاثون ومائة عجلة ثم حمل عليها الذهب والفضة والجوهر وأصناف الوشى الأندلسى حتى أتى أفريقية فلما قدمها بنى بها سنة أربع وتسعين ثم قفل واستخلف ابنه عبد الله على أفريقية وطنجة والسوس وخرج معه ولده مروان بن موسى وعبد الأعلى بن موسى وعبد الملك بن موسى وخرج معه مائة رجل من أشراف الناس من قريش والأنصار وسائر العرب ومواليها منهم عياض بن عقبة وعبد الجبار بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف والمغيرة

ابن أبي بردة وزرعة بن أبي مدرك وسليمان بن نجدة ووجوه من وجوه الناس وأخرج معه من وجوه البربر مائة رجل فيهم بنو كيلة وبنو قصدر وبنو ملوك البربر وملك السوس مزدانة ملك قلعة ارساف وملك ميورقة وخرج بعشرين ملكا من ملوك جزائر الروم وخرج معه مائة من ملوك الأندلس ومن الأفرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم وخرج معه أيضاً باضاف ما في كل بلد من بزها ودوابها ورقيقها وطرائفها ومالا يحصى وأقبل بجر الدنيا وراءه جراً لم يسمع بمثله ولا بمثل ما قدم به

(قدوم موسى الى مصر)

قال وذكروا أن يزيد بن سعيد بن مسلم قال لما أتى موسى مصر وانتهى ذلك الى الوليد بن عبد الملك كتب الى قرة بن شريك أن أدفع إلى موسى من بيت مال مصر ما أراد فأقبل حتى إذا كان في بعض الطريق لقيه خبر موت قرة بن شريك ثم قدم مصر سنة خمس وتسعين فدخل المسجد فصلى عند باب الصوال وكان قرة قد استخلف بن رفاعة على الجند حتى توفي فلما سمع بموسى خرج مبادراً حتى لحقه حين استوى على دابته فلقيه فسلم عليه فقال له موسى من أنت يا ابن أخي فانتسب له فقال مرحبا وأهلا فسار معه حتى نزل منية عمرو بن مروان فعسكر بها موسى فكلمه حينئذ رفاعة في المال الذى كان استخرجه من سفيان ابن مالك الفهري وذلك بعد مهلك سفيان فقال هو لك قال فأمر بدفع عشرة آلاف دينار الى ولد سفيان بن مالك قال فأقام موسى ثلاثة أيام تأتيه أهل مصر في كل يوم فلم يبق شريف إلا وقد أوصل اليه موسى صلة ومعروفا كثيراً وأهدى لولد عبد العزيز بن مروان فأكثر لهم وجاءهم بنفسه فسلم عليهم ثم سار متوجها حتى أتى فلسطين فتلقاه آل روح بن زنباع فنزل بهم فبلغني أنهم نحروا له خمسين جزوراً وأقام عندهم يومين وخلف بعض أهله وصغار ولده عندهم وأجاز آل مروان

وآل روح بن زنباع بجوائز من الوصائف وغير ذلك من الطرف

(قدوم موسى على الوليد رحمهما الله تعالى)

قال وذكروا أن محمد بن سليمان وغيره من مشايخ أهل مصر أخبروهم أن موسى لما قدم على الوليد وكان قدومه عليه وهو فى آخر شكايته التى توفى منها وقد كان سليمان بن عبد الملك بعث الى موسى من لقيه فى الطريق قبل قدومه على الوليد يأمره بالتثبط فى مسيره وان لا يعجل فان الوليد بآخر رمقه . فلما أتى موسى بالكتاب من سليمان وقرأه قال : حييت والله ما غدرت وما وفيت والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكنى أسير بمسيرى فان أوافيه حيا لم أتخلف عنه وإن عجلت منيته فأمره الى الله فرجع الرسول الى سليمان فأعلمه فقال لئن ظفر بموسى ليصلبنه أو ليأتين على نفسه فلما قدم موسى على الوليد وكان الوليد لما بلغه قدوم موسى واقترابه منه وجه اليه كتابا يأمره اليه بالعجلة فى مسيره خوفا من أن تعجل به منيته قبل قدوم موسى عليه وإنه أراد أن يراه وإن يحرم سليمان ما جاء به فلم يكن لموسى شىء يثبطه حين أتاه كتاب الوليد فأقبل حتى دخل عليه وقدم تلك الطرائف من الدر والياقوت والزبرجد والوصفاء والوصائف والوشى ومائدة سليمان بن داود عليه السلام ومائدة ثانية من جزع ملون والتيجان قال فقبض الوليد الجميع وأمر بالمائدة فكسرت وعمد الى فخر ما فيها والتيجان والجزع فجعله فى بيت الله الحرام وفرق غير ذلك ولم يلبث الوليد ان مات رحمه الله .

(خلافة سليمان بن عبد الملك وما صنع بموسى بن نصير)

قال وذكروا أن عبد الرحمن بن سلام أخبرهم أن سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة اليه بعث الى موسى فأوتى به فعنفه بلسانه وكان فيما قال له يومئذ

أجرأت وأمرى خالفت والله لأقلن عددك ولا فرقن جمعك ولا بددن مالك ولا ضعن منك ما كان يرفعه غيرى ممن كنت تمنيه أمانى الغرور وتخدعه من آل سفيان وآل مروان . فقال له موسى : والله يا أمير المؤمنين ما تحتل على بذنب سوى انى وفيت للخلفاء قبلك وحافظت على ولى النعمة عنده فيه فاما ماذكر أمير المؤمنين من أنه يقل عددى ويفرق جمعى ويبدد مالى ويخفض حالى فذلك بيد الله والى الله وهو الذى يتولى النعمة على الاحسان الى وبه استعين ويعيذ الله عز وجل أمير المؤمنين ويعصمه أن يجرى على يديه شيئا من المكروه لم استحقه ولم يبلغه ذنب اجترمته فأمر به سليمان فوقف فى يوم صائف شديد الحر على طريقه قال وكانت بموسى نسمة فلما أصابه حر الشمس واتعبه الوقوف هاجت عليه قال وجعلت قرب العراق تحتوره فمازال كذلك حتى سقط وعمر بن عبد العزيز حاضر الى أن نظر سليمان الى موسى وقد وقع مغشيا عليه قال عمر بن عبد العزيز : ما مر بى يوم كان أعظم عندى ولا كنت فيه أكرب من ذلك اليوم لما رأيت من الشيخ موسى وما كان عليه من بعد اثره فى سبيل الله وما فتح الله على يديه . قال فالتفت الى سليمان فقال يا أبا حفص ما أظن إلا قد خرجت من يمينى قال عمر . فاغتنمت ذلك منه فقلت يا أمير المؤمنين شيخ كبير بادن وبه نسمة قد أهلكته وقد أتت على ما فيه من السلامة لك من يمينك وهو موسى البعيد الأثر فى سبيل الله العظيم الثناء عن المسلمين قال عمر والذى منعنى من الكلام فيه ما كنت أعلم من يمينه وحقده عليه فخشيت إن ابتدأته أن يلح عليه وهو لحوح قال فلما قال لى ما قال حمدت الله على ذلك وعلمت أن الله قد أحسن اليه وأن سليمان قد ندم فيه فقال سليمان من يضمه فقال يزيد بن المهلب أنا أضمه يا أمير المؤمنين قال وكانت الحال بين يزيد وموسى لطيفة خاصة قال سليمان فضمه اليك يا يزيد ولا تضيق عليه قال فانصرف به يزيد وقدقدم اليه دابة ابنه مخلد فركبها موسى فاقام أياما قال ثم أنه تقارب ما بين موسى وسليمان فى الصلح حتى افتدى منه موسى بثلاثة آلاف دينار

(عدد موالى موسى بن نصير)

قال وذكروا عن بعض البصريين أن رجلا منهم أخبرهم أن يزيد قال لموسى ذات ليلة وقد سهر سهراً طويلا يا أبا عبد الرحمن كم تعد مواليك وبأهل بيتك فقال كثيراً قال يكونون الفا قال له موسى نعم ألفا وألفا حتى ينقطع النفس لقد خلفت من الموالى ما أظن أن أحداً خلف مثلهم قال له يزيد أنك لعلى مثل ما وصفت وتعطى يدك ألا أقمت بدار عزك وموضع سلطانك وبعثت بما قد قدمت به فان أعطيت الرضا أعطيت الطاعة وإلا كنت على التخير من أمرك فقال موسى والله لو أردت ذلك مالنا ولو أطرفا من اطرافى الى أن تقوم الساعة ولكن آثرت حق الله ولم أر الخروج من الطاعة والجماعة ثم خرج يزيد من عنده فنظر اليه موسى قال لمن عنده والله أن فى رأس أبى خالد لنفرة وليأتين عليها

(ذكر مارآه موسى بالغرب من العجائب)

قال وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر قال لما بعث موسى رحمه الله بالخمس الذى أفاء الله عليه وكان مائة الف رأس فنزلوا بالاسكندرية ونزل بعضهم كنيسة فيها فسميت كنيسة الرقيق الى اليوم ونزلوا موضعا بالفسطاط فتسوقوا فيه فسمى سوق البربر الى اليوم قال محمد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ان موسى اتخذ لنفسه دارا وسكنا حتى كان من أمر سليمان ما قد ذكر وهو الذى أخرجه وأهله من المغرب قال وحدثنا بعض أهل افريقية أن موسى ركب يوما حتى خرج من القيروان فوقف قريباً من افريقية على رأس أميال فأخذ بيده ترابا فشمه ثم أمر بحفر بئر وابتنى داراً واتخذ فيها خيلا فسميت بئر منية الخيل فليس يعلم بالمغرب بئر أعذب منها. وحدثنا العكرير أبو بكر عبد الوهاب بن عبد الغفار شيخ من مشايخ تونس قال أن موسى

انتهى الى صنم يشير باصبعه خلفه ثم تقدم الى صنم أمام الصنم الأول فاذا هو يشير باصبعه الى السماء ثم تقدم فاذا بصنم على نهر ماء جار يشير باصبعه تحت قدميه فلما انتهى موسى الى الصنم الثالث قال موسى احفروا فاذا بمحدث مختوم الرأس قد أخرج فامر به موسى فكسر فخرجت ريح شديدة فقال موسى للجيش أتدرون ما هذا قالوا لا والله أيها الأمير ماندرى قال ذلك شيطان من الشياطين التى سجنها نبي الله سليمان بن داود قال حدثنا بعض مشائخ أهل المغرب ان موسى أرسل ناسا فى مراكب فأمرهم أن يسيروا حتى ينتهوا الى صنم يشير بأصبعه أمامه فى جزيرة فى البحر ثم يسيروا حتى يأتوا صنما آخر فى جزيرة يشير بأصبعه أمامه ثم يسيروا الليالى والأيام ويجدوا فى السير حتى يأتوا صنما آخر فى جزيرة فى البحر فيها أناس لا يعرفوا كلامهم قال فاذا بلغتم ذلك فارجعوا وذلك فى أقصى المغرب ليس وراءه أحد من الناس إلا البحر المحيط وهو أقصى المغرب فى البر والبحر . قال وحدثنا بعض المشائخ من أهل المغرب أن موسى بلغ نهرا من أقصى المغرب فاذا عليه فى الشق الأيمن أصنام ذكورا وفى الأيسر أصنام اناث وأن موسى لما انتهى الى ذلك الموضع خاف الناس فلما رأى ذلك منهم رجع الناس ثم مضى فى وجهه ذلك حتى انتهى الى أرض تميـــد بأهلها ففزع الناس وخافوا فرجع بهم قالوا وحدثنا عبد الله بن قيس قال بلغنى أن موسى لما جاوز الأندلس أتى موضعاً فاذا فيه قباب من نحاس فأمر بقبة منها فكسرت فخرج منها شيطان نفخ ومضى فعرف موسى انه شيطان من الشياطين التى سجنها سليمان بن داود فأمر موسى بالقباب فتركت على حالها وسار بالناس قال وحدثنا عمارة راشد قال بلغنا أن موسى كان يسير فى بعض غزواته وهو بأقصى المغرب إذ غشى الناس ظلمة شديدة فحجب الناس منها وخافوا وسار بهم موسى فى ذلك إذ هجم على مدينـــة عليها حصن من نحاس فلما أتاها أقام عليها وطاف بها فلم يقدر على دخولها فأمر بنبل ورماح وندب الناس فجعل يقول من يصعد هذه وله خمسمائة دينار فصعد رجل

فلما استوى على سورها تردى فيها ثم ندب الناس موسى ثانية وقال من يصعد وله ألف دينار فصعد آخر ففعل به مثل ذلك ثم ندب الناس ثالثة وقال من يصعد وله ألف وخمسمائة دينار فصعد رجل ثالث فأصابه ما أصاب صاحبيه فكلم الناس موسى فقالوا هذا أمر عظيم أصيب إخواننا وغررت بهم حتى هلكوا فقال لهم على رسلكم يأتيكم الأمر على ما تحبون إن شاء الله ثم أمر موسى بالمنجنيق فوضعت على حصن المدينة ثم أمر أن يرمى الحصن فلما علم من فى الحصن ما عمل موسى ضجوا وصاحوا وقالوا يا أيها الملك لسنا بغيتك ولا نحن ممن تريد نحن قوم من الجن فانصرف عنا فقال لهم موسى أين أصحابى وما فعلوا قالوا هم عندنا على حالهم فقال اخرجوهم الينا قالوا نعم فأخرج الثلاثة نفر فسألهم موسى عن أمرهم وما صنع بهم فقالوا مادرينا ما كنا فيه وما أصابتنا شوكة حتى أخرجنا اليك فقال موسى الحمد لله كثيراً ثم تقدم بالناس سائراً يفتح كل ما مر به . ثم نرجع الى حديث سليمان بن عبد الملك

(تولية سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة وما أشار به موسى عليه)

قال وذكروا أن سعيد بن عبد الله أخبرهم قال أن سليمان بن عبد الملك بعث مسلمة الى أرض الروم ووجه معه خمسمائة وثلاثين ألف رجل وخمسمائة رجل من قد ضمه الديوان واكتتب العطاء وتقلب فى الأرزاق ثم دعا سليمان بموسى بعد أن رضى عنه على يد عمر بن عبد العزيز فقال له سليمان أشر علي يا موسى فلم تزل مبارك الغزوة فى سبيل الله بعيد الأثر طويل الجهاد فقال له موسى : أرى يا أمير المؤمنين أن توجهه بمن معه فلا يمر بحصن إلا يصير عليه عشرة آلاف رجل حتى يفرق نصف جيشه ثم يمضى بالباقى من جيشه حتى يأتى القسطنطينية فانه يظفر بمن يريد يا أمير المؤمنين . قال فدعا سليمان مسلمة فأمره بذلك من مشورة موسى وأوعز اليه فلما علم مسلمة بالمشورة فكأنه كره ذلك وكان فى مسلمة بعض الاباية ثم رجع

الى قول موسى فيما صنع بأرض الروم حين ظفر ببطريق ليس فوقه إلا ملك الروم فقال البطريق لمسلمة آمنى على نفسى وأهلي ومالى وولدى وانه آتيك بالملك فأمنه ومضى البطريق الى الملك الاعظم فاعلمه بما فعل مسلمة وما ظفر به منه ومن حصون الروم فلما رأى ذلك ملك الروم أعظم ذلك وسقط فى يديه فقال البطريق له عند ذلك مالى عليك ان صرفت مسلمة عنك وجميع من معه فقال الملك اجعل تاجى على رأسك وأقعدك مكانى فقال البطريق انا اكفيك ذلك فرجع البطريق الى مسلمة فقال اخرنى ثلاثا حتى آتيك بالملك فبعث البطريق الى جميع الحصون فأمرهم بالتقلع الى الجبال وحمل ماقدروا عليه من الطعام وأمر باحراق الزرع وغير ذلك مما يؤكل وينتفع به مما كان خلفه مسلمة وجنده وما بين المسلمين وملك الروم فلما فعلوا ما أمروا به وعلم انه أحكم أمره بعث الى مسلمة فقال له لو كنت له أمرأة لفعلت بك كما يفعل الرجل بامرأته . قال فتغيظ مسلمة وآلى ألا يبرح حتى يظفر بملك الروم

(سؤال سليمان موسى عن المغرب)

قال وذكروا أن محمد بن سليمان أخبرهم أن سليمان بن عبد الملك قال لموسى من خلفت على الأندلس قال له عبدالعزيز بن موسى قال ومن خلفت على أفريقية وطنجة ومسوس قال عبد الله ابنى فقال له سليمان لقد أنجبت ياموسى فقال موسى ومن أنجب منى يا أمير المؤمنين إن ابنى مروان أتى بملك الأندلس وابنى عبد الله أتى بملك ميورقة وصقلية وسردانية وإن ابنى مروان أتى بملك السوس الأقصى فهم متفرقون فى الأمصار وغيرهم يغيرون فيأتون من السبي بما لا يحصى فمن أنجب منى يا أمير المؤمنين قال فغضب سليمان فقال ولا أمير المؤمنين ليس بأنجب منك فقال موسى شأن أمير المؤمنين شأن ليس فوقه شأن وكل شأن وإن عظم دونه لأنه به ومنه وعلى يديه وأمره . قالوا وحدثنا عبد الله بن شريح قال بلغنى أن موسى لما نزل الحيرة عند قدومه من المغرب أتاه رجالا من بنى أميـة فقال له ياموسى

أنت ملك المغرب وأعلم الناس تخرج الى الوليد وتعلم من سليمان فقال له موسى : يا ابن أخي حسبك من قريش ثم من بني أمية ما تعلم ألا ترى يا ابن أخي أن الصبي يأخذ العظم فيعقفه بحبل ثم ينصبه ويهيئه ويضع فيه حبة براد ذره فينصب للهدهد العالم بما تحت الأرض ثم تدفعه المقادير إلى الوقوع فيه فاحذر يا ابن أخي أن تراك الشام أو تراها . فخرج موسى الى الوليد بدمشق فمات الوليد واستخلف سليمان أخاه فلقي منه موسى ما ذكرنا وأخرج القرشي إلى الشام فضربت عنقه .

(ذكر قدوم موسى على الوليد)

قال وذكروا أن موسى لما قدم على الوليد وذلك يوم الجمعة في حين جلوس الوليد بن عبد الملك على المنبر وكان موسى قال لبعض من وفد معه بأن يلبس كل رجل من الأسرى تاجا وثياب ملك ذلك التاج ثم يدخلوا معه المسجد قال فالبس ثلاثين رجلا ثلاثين تاجا وهيأهم هيئة الملوك وأمر بأبناء ملوك البربر فهيئوا وأمر بأبناء ملوك الجزائر والروم فهيئوا كذلك ولبسوا التيجان وأمر بأبناء ملوك الاسبان فهيئوا بمثل ذلك وأمر بالأموال والجواهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة المحرش باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فوقف الجميع بباب الوليد وأبناء ملوك افرنجة وأقبل موسى بالذين ألبسهم التيجان حتى دخل مسجد دمشق والوليد على المنبر يحمد الله وهو مرهون قد أثرت فيه العلة وأنهكه المرض وإنما كان متحملا لأجل قدوم موسى ومن معه فلما رآهم بهت اليهم وقال الناس موسى موسى ثم أقبل حتى سلم على الوليد ووقف الثلاثون بالتيجان عن يمين المنبر وشماله ثم أن الوليد أخذ في حمد الله والثناء عليه والشكر لما أيده الله ونصره فتكلم بكلام لم يسمع منه وأطال حتى فات وقت الجمعة ثم صلى بالناس فلما فرغ جلس ثم دعا بموسى فصب عليه الوليد الخلع ثلاث مرات وأجازه بخمسين الف دينار وفرض لولده جميعا في الشرف وفرض

لخمسمائة من مواليه ثم أدخل عليه موسى ملوك البربر وملوك الروم وملوك الاسبان وملوك افرنجة ثم أدخل عليه رؤوس البلاد ممن كان معه من قريش والعرب فأحسن جوائزهم وفرض لهم فى الشرف ثم أقام موسى عند الوليد أربعين يوما ثم أن الوليد هلك .

(ذكر اختلاف الناقلين فى صنع سليمان بموسى)

قالوا لما استخلف سليمان بعد أخيه الوليد فكان أحنق الناس على الحجاج وموسى بن نصير وكان يحلف لئن ظفر بهما ليصلبنهما وكان حنقه عليهما لأمر يطول ذكره . قال فأرسل سليمان الى عمر بن عبد العزيز فأتاه فقال انى صالب غداً موسى بن نصير فبعث عمر الى موسى فأتاه فقال له : يا ابن نصير انى أحبك لأربع خصال الواحدة بعد أثرك فى سبيل الله وجهادك لعدو الله والثانية حبك لآل محمد صلى الله عليه وسلم والثالثة حبك عياض بن عقبة لما تعلم من حسن رأيى فيه وكان من عباد الله الصالحين والرابعة أن لأبى عندك يداً وصنيعته حيث كانت وقد سمعت أمير المؤمنين يذكر انه صالبك غداً فاحدث عهدك وانظر فيما أنت فيه ناظر من أمرك فقال له موسى قد فعلت وأسندت ذلك اليك فقال له عمر لو قبلت ذلك من أحد قبلت منك ولكن أسند الى من أحببت فانصرف فلما أصبح اغتسل وتحنط وراح ولم يشك فى الصلب فلما انتصف النهار واشتد الحر وذلك فى حمارة الصيف دعا سليمان موسى فادخل عليه متعبا وكان باديا جسيما به نسمة لا تزال تعرض له فلما وقف بين يديه شتمه وخونه وتواعده فقال له موسى أما والله يا أمير المؤمنين ما هذا بلائى ولا قدر جزائى انى البعيد الأثر فى سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين مع قدمة آبائى مع آبائك ونصيحتى لهم . قال فيقول له سليمان كذبت قتلنى الله إن لم أقتلك فلما أكثر على موسى قال له أما والله لمن فى بطن الأرض أحب إلى ممن على ظهرها فقال سليمان ومن أولئك واستطير فقال له موسى

مروان وعبد الملك والوليد أخوك وعبد العزيز عمك قال فكاد سليمان ينكسر ثم يقول قتلنى الله إن لم أقتلك فيقول له موسى ما أنت بفاعل يا أمير المؤمنين فيقول ولم لا أم لك فيقول له موسى انى لأرجو أن لا يكرم موسى بهوان أمير المؤمنين وموسى حينئذ قائم فى الشمس ارتفع نفسه وعظم بهره ثم التفت سليمان الى عمر بن عبد العزيز فقال ما أرى يمينى الاقد برئت ياعمر قال عمر فاغتنمتها منه ولم أبال أن يحنث باحياء رجل من المسلمين فقلت أجل يا أمير المؤمنين أمرؤ كبرت سنه وكثر لحمه وبه نسمة وبهر وسقم فما أراه إلا ميتاً قال ثم التفت سليمان الى جلسائه فقال من يأخذ هذا الشيخ فيستخرج منه هذه الأموال فقال يزيد ابن المهلب أنا يا أمير المؤمنين قال نخذه ولا تمسه وضع العذاب على ابنيه مروان وعبد الاعلى فخرج به يزيد فحمله على دابة ابنه ثم انصرف به الى منزله فا كرمه وبره وقال له : اطع امرى وأجب أمير المؤمنين الى مقاضاته عن نفسك وعن ابنيك وحملني كلما قاضيته عليه . فقال له موسى أما اذا كنت أنت صاحب هذا الشأن فانا غير مخبرك فيما ضمنت لأمير المؤمنين وأيم الله لو أمر سواك بى وأمره فبسط علي لكان أحب الى أن ألقى الله عز وجل وأقرب الى من أن يأخذ منى ديناراً واحداً ولكن أديا يا ابنى عن أنفسكما وعن أبيكما فقال نعم فغدا يزيد ابن المهلب الى سليمان فاعلمه بذلك وبرضا موسى بمقاضاته فادخله سليمان عليه فقال موسى أرأيت لو لم أقاضك ما كنت فاعلا فقال سليمان أضع العذاب عليك وعلى ابنيك حتى أبلغ ما أريد أو آتى على نفسكم فقال موسى الآن طابت نفسك يا أمير المؤمنين فاعطنى أربع خصال ولك ما دعوتك اليه من هذا المال فقال وما هن قال لاتعزل عبد الله بن موسى عن أفريقية وجميع عمله سنتين وأن كل ماجباه عبد الله بأفريقية وعبد العزيز بالأندلس فهو لي فيما قاضيت عليه أمير المؤمنين وأن تدفع الى طارقا مولاى وأكون أعلا عينا به وبماله فقال له سليمان أما ما سألت

من أن أقر عبد العزيز وعبد الله على مكانهما فذلك لك وأما ما سألت من دفع طارق اليك فتكون أعلا عينا به وبماله فليس هذا جزاء أهل النصيحة لأمير المؤمنين فلست بفاعل ولا مخل بينك وبين عقوبته ولا آخذ ماله فقضاه موسى على مال فأجله فى ذلك وخلى سبيله

(نسخة القضية) هذا ما قاضى عليه عبد الله سليمان أمير المؤمنين موسى بن نصير قاضاه على أربعة آلاف ألف دينار وثلاثين ألف دينار وخمسين ديناراً ذهبا طيبة يؤديها الى أمير المؤمنين وقد قبض منها أمير المؤمنين مائة ألف وبقى على موسى سائر ذلك أجله أمير المؤمنين الى مسير رسول أمير المؤمنين الى ابن موسى الذى بالاندلس يمكث شهراً بالاندلس وليس له أن يمكث وراءه ذلك يوما واحداً حتى يقبل راجعا بالمال إلا ما كان من أفريقية ومادتها وليس لموسى أن يتكثر بشىء مما كان عليه من العمل منذ استخلف الله أمير المؤمنين من ذمة أو فى أو أمانة فهو لأمير المؤمنين يأخذه ويقضيه ولا يحسبه موسى من غرامته فان أدى موسى الذى سمى أمير المؤمنين فى كتابه هذا من المال الى ما قد سمى أمير المؤمنين من الأجل فقد برىء موسى وبنوه وأهله ومواليه وليست عليهم تبعة ولا طلبة فى المال ولا فى العمل يقرون حيث شاؤا وما كان قبض موسى أو بنوه من عمال موسى الى قدوم رسول أمير المؤمنين أفريقية فهو من الذى على موسى المال يحسب له من الذى عليه مالم يقبض قبل وصول رسول أمير المؤمنين فليس منه فى شىء وقد خلى أمير المؤمنين بين موسى وبين أهله ومواليه ليس له ظلم أحد منهم غير أن أمير المؤمنين لا يدفع اليه طارقا مولاه ولا شيئا من الذى قد أباه عليه أول يوم شهد أيوب ابن أمير المؤمنين وداود ابن أمير المؤمنين وعمر بن عبد العزيز وعبد العزيز بن الوليد وسعيد بن خالد ويعيش بن سلامه وخالد بن الريان وعمر بن عبد الله ويحيى بن سعيد وعبد الله بن سعيد وكتبه جعفر بن عثمان فى جمادى سنة تسع وتسعين فلما تقاضيا أمر سليمان يزيد بن المهلب بتخلية

موسى وأبنيه والكف عنه فاعانه يزيد بن المهلب بمائة ألف دينار فاهدى اليه موسى حقا فيه ثلاث خرزات فبعث بهن الى ابن المهلب فقومهن فقوبلن بثلاثمائة ألف دينار فقال ابن المهلب لموسى أتدرى لم قلت لأمير المؤمنين أنا أضمه قال لا قال خفت أن يجيبه قبلي من لا يرى فيك ما أنا عليه لك وكانت لك يد عند المهلب رحمه الله فأحببت أن أجزيك بها عنه كلمه وبالله لو لم تفعل وأبيت عن المقاضاة ما شاكتك عندى شوكة حتى لا يبقى لآل المهلب مال ولا ثوب . قال فجزاه موسى خيراً

(ذكر يد موسى إلى المهلب)

قال وذكروا أن مخبراً أخبرهم من شيوخ الشام ممن أدرك القوم وصحبتهم قال كانت اليد التى أسداها موسى الى المهلب أن عبد الملك بن مروان لما ولى العراق بشراً أخاه جعل معه موسى بن نصير وزيراً ومديراً لأمره وقد كانت الأزارقة أفسدت ما هنالك فأمر عبد الملك بشر بن مروان أن يولى المهلب قتالهم وكان بشر للمهلب مسيئاً فلما قدم بشر العراق وعلم المهلب برأيه اعتزل بشراً فلم يأته فولى بشر بن مروان قتال الأزارقة الوليد بن خالد فانهزم وافتضح ثم ولى بشر رجلا آخر فلم يصنع شيئاً فكتب عبد الملك الى بشر أخيه يفند رأيه فيما صنع ويوبخه لما خالف رأيه فصمم بشر على رأيه فلما استغلظ أمر الأزارقة استشار بشر بن مروان وأسماء بن خارجة وعكرمة بن ربعى وموسى بن نصير فى أمر المهلب فأما عكرمة وأسماء فوافقا هواه فيه وأما موسى فقال له إن أمير المؤمنين لا يحتملك على المعصية وليس مثل المهلب فى فضله وشرفه وقدره فى قومه ومعرفته أقصيت أو جفوت فان كان ما بلغك أمر يقال أنه أتاه فاكشفه عنه حتى تعلم عذره فيه أو ذنبه فلم يزل موسى يردد أمر المهلب على بشر ويعطيه عليه بعد أن كان هم بقتله إن ظفر به حتى أرسل اليه بشر فجاءه المهلب فتنصل اليه المهلب فقبل

منه بشر وولاه ما كان يلي فبعث اليه موسى بخمسين فرسا وبمائة بعير وقال له استعن بها على حربك ثم لم يزل موسى قائما بأمره عند بشر حتى هلك بشر . قالوا وأخبرنا محمد بن عبد الملك ان المهلب فى الأيام التى كان يخاف فيها بشر بن مروان على نفسه خرج الى مال له فكان فيه وحده فأتى رجل الى بشر وعنده موسى فقال له إن كان لك أيها الأمير بالمهلب حاجة فابعث خيلا الى موضع كذا وكذا فانه فيه فى غار وحده وليس معه فيه رجل من قومه فبعث بشر خيلا قال فنهض من مجلسه موسى فوهبه اليه غلاما له ثم قال له أنت حر لوجه الله إن أنت سقت هذا الخيل حتى تنتهى الى موضع كذا وكذا فتأتى المهلب فتقول له ان موسى يقول لك النجا بنفسك فخرج غلام موسى حتى انتهى الى المهلب فاعلمه فاستوى على فرسه فذهب وأتت الخيل فلم تجد أحداً هناك فانصرفوا راجعين الى بشر فاعلموه بذلك

(ذكر قتل عبد العزيز بن موسى بالأندلس)

وذكروا أن محمد بن عبد الملك أخبرهم قال أقام موسى بن نصير مع سليمان ابن الملك يطلب رضاه حتى رضى عنه وابنه عبد الله بن موسى على أفريقية وطنجه والسوس وابنه عبد العزيز على الأندلس كما هو فلما بلغ عبد العزيز الذى فعل سليمان بأبيه موسى تكلم بكلام خفيف حملته عليه حمية لما صنع بأبيه على حسن بلائه فنميت الى سليمان فخاف سليمان أن يخلع فكتب الى حبيب بن عبيده وابن وعلة التميمى وسعد بن عثمان بن ياسر وعمرو بن زياد اليحصبي وعمرو بن كثير وعمرو بن شرحبيل كتب الى كل رجل منهم كتابا يعلمه بالذى بلغه عن عبد العزيز ابن موسى وما هم به من الخلع وانه قد كتب الى عبد الله بن موسى يأمره بأشخاصهم الى عبد العزيز وأعلمه انما دعاه الى ذلك الذى أحب من مكانكم لأنه بازاء العدو وأعظم العدو ان من قبله منهم ذوو أمن مكانه . وكتب الى

عبد الله بن موسى انى نظرت فاذا عبد العزيز بازاء عدو يحتاج فيه الى الغناء والبلاء فسأل امير المؤمنين فأخبر أن معك رجالا منهم فلان وفلان فأشخصهم الى عبد العزيز ابن موسى . وكتب سليمان الى عبد العزيز أما بعـــد فان أمير المؤمنين علم ما أنت بسبيله من العدو وحاجتك الى الرجال أهل النكاية والغناء فذكر لهأن بأفريقية رجالا منهم فكتب أمير المؤمنين الى عبدالله بن موسى يأمره باشخاصهم اليك فولهم أطرافك وثغورك واجعلهم أهل خاصتك وكتب اليهم سليمان انى قد بعثت لكم بكتاب الى أهل الأندلس بالسمع والطاعة لكم والغدر فى قتله فاذا ولاكم أطرافه فأقروا عهدى على من قبلكم من المسلمين ثم أرجعوا اليه حتى تقتلوه فلما قدم الكتاب على عبد الله بن موسى بأفريقية أشخص القوم فخرجوا حتى قدموا على عبد العزيز بالأندلس بكتاب سليمان فى الطافهم وإكرامهم فقربهم عبد العزيز وأكرمهم وحياهم وقال لهم اختاروا أى نواحى وثغورى شئتم فضربوا الرأى فقالوا إنكم إن فعلتم ما أنتم فاعلون ثم رجعتم اليه من أطرافه لم نأمن أن يميل معه عظيم الناس فان فى يديه الأموال والقوة من مواليه وغيرهم ولكن اعملوا رأيكم فى الفتك به قالوا فان ها هنا رجلا ان دخل معنا استتم لنا الأمر ووصلنا الى ما أردنا وهو أيوب بن حبيب ابن أخت موسى قال فلقوه ودعوه الى أنه إن قتله فهو مكانه فقبل وبايعوه على ذلك ثم أنهم أتوا عبد الله بن عبد الرحمن الغافقى وكان سيد أهل الأندلس صلاحا وفضلا فادلموه ثم اقرأوه كتاب سليمان فقال لهم قد علمتم يد موسى عند جميعكم صغيركم وكبيركم وانما بلغ أمير المؤمنين أمر كذب عليه فيه والرجل لم ينزع يده من الطاعة ولم يخالف فيستوجب القتل وانتم ترون وأمير المؤمنين لايرى فاطيعونى ودعوا هذا الأمر فأبوا ومضوا على رأيهم فأجمعوا على قتله فوقفوا له فلما خرج لصلاة الصبح ودخل القبلة وأحرم وقرأ بأم القرآن الكريم واستفتح (اذا وقعت الواقعة) ضربه حبيب بن أبى عبيدة ضربة فدهش ولم يصنع شيئا فقطع عبد العزيز الصلاة وخرج وتبعوه فقتله ابن وعلة التميمى

وأصبح الناس فاعظموا ذلك فاخرجوا كتاب سليمان بذلك فلم يقبله أهل الاندلس وولوا عليهم عبد الله بن عبد الرحمن الغافقي ووفد حبيب بن أبي عبيدة برأس عبد العزيز بن موسى رحمهما الله

(قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان)

وذكروا أن سليمان لما ظن أن القوم قد دخلوا الاندلس وفعلوا ما كتب به اليهم عزل عبد الله بن موسى عن افريقية وطنجه والسوس فى آخر سنة ثمان وتسعين فى ذى الحجة وأقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان وموسى بن نصير لا يشعر بقتل عبد العزيز ابنه فلما دخلوا على سليمان ووضع الرأس بين يديه بعث الى موسى فأتاه فلما جلس وراء القوم قال له سليمان أتعرف هذا الرأس ياموسى فقال نعم هذا رأس عبد العزيز بن موسى فقام الوفد فتكلموا بما تكلموا به . ثم أن موسى قام فحمد الله ثم قال : وهذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين فرحمة الله تعالى عليه فلعمر الله ما علمته نهاره إلا صواما وليله إلا قواما شديد الحب لله ورسوله بعيد الأثر فى سبيله حسن الطاعة لأمير المؤمنين شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين فان يك عبد العزيز قضى نحبه فغفر الله له ذنبه فوالله ما كان بالحياة شحيحا ولا من الموت هائبا وليعز على عبد الملك وعبد العزيز والوليد أن يصرعوه هذا المصرع ويفعلوا به ما أراك تفعل وهو كان أعظم رغبة فيه وأعلم بنصيحة أبيه أن يسمعوا فيه كاذبات الأقاويل ويفعلوا به هذه الافاعيل . فرد سليمان عليه قال بل ابنك المارق من الدين والشاق عصا المسلمين المنابذ لأمير المؤمنين فهلا أيها الشيخ الخرف فقال موسى . والله ما بى من خرف ولا أنا عن الحق بذى جنف ولن ترد محاور الكلام مواضع الحمام وأنا أقول كما قال العبد الصالح «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون» فأذن فى رأسه يا أمير المؤمنين واغرورقتا عيناه . فقال له سليمان نعم نخذه فقام موسى فأخذه وجعله فى طرف قميصه الذى كان عليه

ثم أدبر فى السماطين فوق الطرف الآخر عن منكبيه وهو يجر لا يحفل به ولا يرفعه فقال له خالد بن الريان ارفع ثوبك يا ابن نصير فالتفت موسى وقال ما أنت وذاك ياخالد قال سليمان دعه حسبه ما فعلنا به فلما توارى موسى قال سليمان إن فى الشيخ لبقية بعد . ثم أن موسى التفت الى حبيب بن ابى عبيدة فكلمه بكلام غليظ حتى ذكر أمراً خفياً من نسبه فالجمه ثم أن سليمان كشف عن أمر عبد العزيز فالفى ذلك باطلا وأن عبد العزيز لم يزل صحيح الطاعة مستقيم الطريقة فلما تحقق عند سليمان باطل ما رفع اليه عن عبد العزيز ندم وأمر بالوفد فاخرجوا ولم ينظر فى شيء من حوائجهم وأهدر عن موسى بقية القضية التى كان سليمان قاضاها عليها وكان سليمان قد آلى قبل خلافته لئن ظفر بالحجاج بن يوسف وموسى بن نصير ليعزلنهما ثم لا يليان معه من أمور الناس شيئا فلما رضى عن موسى جعل يقول ما ندمت على شيء ندامتى لا كنت خلوا من اليمين على موسى فى أن لا أوليه شيئا ما مثل موسى استغنى عنه . قال وان موسى دخل على سليمان فى آخر يوم من شعبان عند المغرب وهو مستشرف على سطح وعنده الناس فلما رآه سليمان قال عندكم والله من أن سألتموه عن الهلال ليخبرنكم أنه قد رآه وقد غمى يومئذ عن سليمان والناس فلما دنى موسى وسلم قال له سليمان أرأيت الهلال بعد ياموسى قال نعم يا أمير المؤمنين ها هو ذاك وأشار باصبعه الى ناحية وهو مقبل على سليمان بوجهه فرمى الناس بابصارهم حيث أشار موسى فابصروا الهلال فلما جلس موسى قال إنى والله لست باحدكم بصرا ولكنى أعلمكم بمطالعه ومناسقه قال فخرج فلقيه يزيد ابن المهلب فقال له : يا أبا عبد الرحمن بنه أنت أدهى الناس وأعلمهم أقبلت تسوق نفسك حتى تضعها فى يد سليمان فقال له موسى أما علمت يا أبا خالد أن الهدهد يهندس الماء ويعرفه من الارض الفضاء ومن الحزونة والسهل ويبصر القريب منه والبعيد ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة وما أشبهها فلا يبصر ذلك حتى يقع فيه فيؤخذ وذلك أنه لا حذر ينجى من قدر ولا رأى ولا بصر وكذلك كنت وسليمان بن

عبدالملك . قال و ذكروا أن سليمان خرج يوما الى بعض أمواله متنزها فخرج معه موسى ابن نصير فعرضت عليهم غنم حلب نحو من الف رأس فاعجب سليمان ما رأى منها والتفت الى موسى قال له هل رأيت مثلها قط قال نعم فرددها سليمان كالمغضب عليه قال موسى نعم يا أمير المؤمنين وما هذا فيما أفاء الله عز وجل على يدى لقد كانت الألف تباع بعشرة دراهم أو دونها ولقد كانت فى بعض المواطن وما لها قيمة ولا يلتفت اليها أحد يا أمير المؤمنين ولغير ذلك مما أفاء الله عليهم ولقد رأيت العلج العتل والوصيف الفاره والجارية الحسناء وان أكثر ما تبلغ خمسين درهما لكثرة ذلك من صنوفه كلها ولقد رأيت الذود من الأبل لا تبلغ قيمته عشرين درهما أكثر يا أمير المؤمنين ما أعلمتك فيما تسمع قال سليمان لا وحد الله . وذكروا أن موسى دخل علي سليمان يوما وعنده الناس فلما رآه سليمان قال ذهب سلطان الشيخ وابصره موسى حين تكلم فلم يفهم ما قال فلما سلم قال يا أمير المؤمنين رأيتك لما نظرتنى داخلا تكلمت بكلام ظننتك عنيتنى به قال نعم قلت ذهب سلطان الشيخ قال له موسى ، أما والله لئن ذهب سلطان الشيخ لقد أثر الله فى دينه أثرا حسنا ولقد كنت طويل الجهاد فى الله حريصاً فى اظهار دين الله حتى أظهره الله وكانت ممن تم الله به موعده لنبيه ولئن أدبر معك لقد كان مع آبائك ناضر الغصن ميمون الطائر . فقال سليمان هو ذاك فقال موسى وهو ذاك فلم يزل يرددها سليمان ويرددها موسى حتى سكت سليمان

(سؤال سليمان بن عبد الملك موسى عن أخباره وأفعاله)

وذكروا أن سليمان قال لموسى . ما الذى كنت تفزع اليه فى مكان حربك من أمور عدوك ؟ قال التوكل والدعاء الى الله يا أمير المؤمنين . قال له سليمان هل كنت تمتنع فى الحصون والخنادق أو كنت تخندق حولك قال كل هذا لم أفعله قال فما كنت تفعل قال كنت أنزل السهل وأستشعر الخوف والصبر وأتحصن

بالسيف والمغفر وأستعين بالله وأرغب اليه فى النصر قال له سليمان فمن كان من العرب فرسانك قال حمير قال فأى الخيل رأيت فى تلك البلاد أصبر قال شقرها قال فأى الأمم كانوا أشد قتالا قال أنهم يا أمير المؤمنين أكثر مما أصفهم قال له أخبرنى عن الروم قال : أسود فى حصونهم عقبان على خيولهم نساء فى مواكبهم إن رأوا فرصة انتهزوها وإن خافوا غلبة فأوعال ترقل فى اجبال لا يرون عاراً فى هزيمة تكون لهم منجاة . قال فأخبرنى عن البربر قال هم يا أمير المؤمنين أشبه العجم بالعرب لقاء ونجدة وصبراً وفروسية وسماحة وبادية غير أنهم يا أمير المؤمنين غدر قال فاخبرنى عن الاسبان قال ملوك مترفون وفرسان لا يجبنون قال فاخبرنى عن الافرنج قال : هناك يا أمير المؤمنين العدد والعدة والجلد والشدة وبين ذلك أمم كثير ومنهم العزيز ومنهم الذليل وكل قد لقيت بشكله فمنهم المصالح ومنهم المحارب المقهور والعزيز البذوخ . قال فاخبرنى كيف كانت الحرب بينك وبينهم أكانت عقبا قال لا يا أمير المؤمنين ما هزمت لى راية قط ولا فض لى جمع ولا نكب المسلمين معى نكبة مذ اقتحمت الاربعين الى أن شارفت الثمانين قال فضحك سليمان وقال فأين الراية التى حملتها يوم مرج راهط مع الضحاك قال تلك يا أمير المؤمنين زبيرية وإنما عنيت المروانية فقال صدقت وأعجبه قوله وذكروا أن محمد بن عبد الملك حدثهم عن ريان بن عبد العزيز بن مروان قال إنا لجلوس عند سليمان وهو على سطح فسيح والناس يدخلون حتى دخل موسى من الباب فتحرك بنا سقف السطح من شدة وطئه فسلم ثم جلس فذكر سليمان بيت الذهب الذى فتحه قتيبة بن مسلم فجعل يردد فيه فقال له موسى وما هذا يا أمير المؤمنين بيت لا يكون فيه عشرة آلاف دينار والله لقد بعثت الى أخيك الوليد بثور من زمرد أخضر يصب فيه اللبن فيخضر وإنه لمن أدنى ما بعثت به اليه ولقد أصبت كذا وكذا وأصاب المسلمون كذا وكذا وجعل يحدث سليمان بالعجائب قال ريان حتى والله أبهته فلم يزل موسى بباب سليمان عظيم المنزلة عنده

فلما كانت سنة ثمان وتسعين تجهز سليمان للحج وأمر موسى بالشخوص والحج معه فذكر له أنه ضعيف فأمر له سليمان بثلاثين نجيبا مـ فورة جهازا ومجمرة من حجره وجائزة فحج سليمان وحج معه موسى فبينما هو يسير يوما إذ دعا بموسى فناداه خالد بن الريان وكان موسى يساير رجلا فلم يلتفت موسى الى ندائه ثم دعا به فناداه خالد أيضا فلم يلتفت اليه فقال له الرجل غفر الله لك ألم تسمع دعاء أمير المؤمنين إنى أخافه وأخاف أن يغضب فقال موسى ذاك لو كان عبد الملك أو الوليد فاما هذا فانه يرضيه مايرضى الصبى ويسخطه مايسخطه وسترى ذلك ثم تقدم موسى حتى لحق ولصق بسليمان فقال له أين كنت ياابن نصير فقال له يا أمير المؤمنين أين دوابنا من دوابك انى لمنذ دعانى أمير المؤمنين فى كد حتى لحقت أمير المؤمنين فضحك سليمان وأمر له بدواب من مراكبه فسايره وحادثه ثم انصرف عنه فلحق الرجل اليه فقال له موسى كيف رأيت قال أنت كنت أعلم به فسار سليمان حتى نزل المدينة فى دار يزيد بن رومان قال فحدثنى بعض أهل المدينة أن موسى قال يوما لبعض من يثق به . ليموتن الى يومين رجل قد بلغ ذكره المشرق والمغرب فلم نظن إلا أنه يعنى الخليفة فلما كان اليوم الثانى لم أشعر وأنا فى مسجد الرسول حتى سمعت الناس يقولون مات موسى بن نصير فاذا هو وصلى سليمان عليه ودفن رحمه الله . وذكروا أن عبد الله بن صخر أخبرهم قال بينما موسى يسير يوما على دابة له وكان طويلا جسيما فمر به رجلان من قريش وقد تدلت رجلاه وانحنتا وهما لايعرفانه فقالا ادبر والله الشيخ فسمعها موسى فقال لهما من أنتما فانتسبا له فقال أما والله أن أميكما لما أفاء الله على يدى هـذا الشيخ فاهداهما الى أبويكما فقالا له ومن أنت يرحمك الله قال موسى بن نصير فقالا مرحباً وأهلا صدقت وبررت والله ما عرفناك فقالا لا عليكما قد والله أدبر عنى وبقى منى . وذكروا أن ابراهيم بن سليمان أخبرهم عن من حدثه عن موسى أن الناس قحطوا بافريقيا عاما فخرج موسى بالناس فاستسقى فامر رجلا فقص على الناس ورفقهم فجعل يذكر ثم أنه انتحى فى الدعاء للوليد بن عبد الملك فاكثر

فارسل اليه موسى . أنا لم نأت هاهنا للدعاء للوليد فاقبل على ماله جئنا فعدنا . فلم يلتفت ورجا أن يبلغ الوليد فامر به فسحب حتى خرج من الناس ثم قام موسى ودعا بالناس فما برحنا حتى انصبت السماء بمثل القرب فاوتى موسى بدابة من دوابه فقال والله لاركبت ولكن أخوض الطين وانصرف ماشيا ومشى الناس فسمعته يومئذ يردد فى دعائه . اللهم الشهادة فى سبيلك أو موتا فى مدينة رسولك قال فذكروا أن عرفة بن عكرمة حدثهم عن مشائخ من مراد عن رجل منهم كان مع موسى بالأندلس قال . كنت أبصر من مجارى الشمس والقمر شيئا فوقع فى عند موسى وقيل له عنده علم فوالله ماشعرت حتى تبت فاخذت فادخلت عليه فاذا بين يديه عصفور مذبوح مسقوق البطن قال لى أدخل يدك فانظر قلت أصلح الله الأمير طلقت امرأتى البتة ان كان يعلم قليلا أو كثيراً إلا ما يعلم الناس من مجارى الشمس والقمر قال فأمر بى فنحيت ثم دعا برجل من الأعاجم قال ادخل يدك فانظر ماذا ترى وكان من الأسارى فادخل يده فى جوف العصفور فحركه طويلا ثم قلبه ثم قال للترجمان بلسانه أنه ليس يموت ها هنا ولكنه يموت بالمشرق فى بلاد العرب فنظر اليه موسى ثم قال له قاتلك الله ما أعلمك قال ثم أمر به فقتل ثم دعانى فأخذ على الايمان أن لا أتكلم به ما بقى ففعلت وكان دخول موسى المغرب سنة تسع وسبعين فى جمادى الاولى وكان يومئذ ابن ستين سنة فاقام بافريقية ست عشرة سنة وقفل منها سنة خمس وتسعين ومات سنة ثمان وتسعين وولى عبد الله بن موسى بافريقيا وطنجة والسوس بعد موسى أبيه سنتين وكان عزله عنها فى ذى الحجه سنة سبع وتسعين وقيل سنة تسع وتسعين .

(ذكر ولاة الاندلس بعد موسى بن نصير)

وذكروا أن عبد العزيز بن موسى ولى الأندلس بعد أبيه سنة ثم قتل وولى بعده أيوب بن حبيب ستة أشهر ثم الحارث بن عبد الرحمن ثلاث سنين ونصف ثم

عنبسة سنتين وتسعة أشهر ثم يحى بن سلمة سنة وثلاثة أشهر ثم الهيثم بن عبيد سنة وشهرين ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى أربع سنين ثم عبد الملك بن قطن القرشى أيضا سنة ثم ابن بشر القسرى ستة أشهر ثم ثعلبة بن سلام العاملى خمسة أشهر ثم عبد أبوالخطار بن ضرا الكلبى ثلاث سنين ثم ثوابة بن مسلمة سنة وشهراً فلما وهن سلطان بنى أمية بالمشرق ولوا على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن القرشى الفهرى من غير عهد من الخليفة فملك الأندلس عشر سنين الى أن دخل عليه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وذكروا أنه لما حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز وذلك فى سنة ثمان وتسعين فلما انتهى الى عقبة بن عسفان نظر سليمان الى السرادقات التى قد ضربت له ما بين أحمر وأخضر وأصفر وكان يوسف بن عمر قد عمل له باليمن ثلاث سرادقات فكان الذى بنى منها للناس من خز أخضر والذى يليه من خز أصفر ثم الذى يكون هو فيه من وشى أحمر محبر من حبرات اليمن مزرر بالذهب والفضة وفى داخله فسطاط فيه أربعة أفرشة من أحمر مرافقها من وشى أصفر وضربت حجب نسائه من وراء فسطاطه وحجر بنيه وكتابه وحشمه قرب ذلك فلما استوى سليمان فى قبة العقبة ونظر الى ما نصب له قال ياعمر كيف ترى هاهنا ؟ قال أرى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضا أنت المسؤول عنها والمأخوذ بها فبينما هما كذلك إذ طار غراب من سرادق سليمان فى منقاره كسرة فصاح الغراب فقال سليمان ما يقول هذا الغراب ياعمر قال عمر ما أدرى ولكن إن شئت أخبرتك بعلم قال سليمان أخبرنى فقال عمر : هذا غراب طار من سرادقك بكسرة هو ياكلها وأنت المأخوذ بها والمسئول عنها من أين دخلت وأين أخرجت قال سليمان إنك لتجىء بالعجائب يا أبا حفص فقال عمر أفلا أخبرك بأعجب من هذا يا أمير المؤمنين قال اخبرنى قال : من عرف الله تعالى كيف يعصاه ومن عرف الشيطان كيف يطيعه ومن أيقن بالموت كيف يهنيه العيش ويسوغ له الطعام ومن أيقن بالنار

كيف يضحك . فقال سليمان نغصت علينا ما نحن فيه يا أبا حفص ومن يطق ما تطيق أنت يا عمر أنت والله الموفق المطيع

(ما قال طاووس اليمانى لسليمان بمكة)

قالوا أن ابراهيم بن مسلم أخبرهم عن رجاء بن حيوه أنه نظر الى طاووس اليمانى يصلى فى المسجد الحرام فانصرف رجاء إلى سليمان بن عبدالملك وهو يومئذ بمكة قد حج ذلك العام فقال انى رأيت طاووس فى المسجد فهل لك أن ترسل اليه فأرسل اليه سليمان فلما أتاه قال رجاء لسليمان يا أمير المؤمنين لا تسأله عن شىء حتى يكون هو الذى يتكلم فلما قعد طاووس سكت طويلا ثم قال : ما أول شىء خلق فقلنا لا ندرى فقال خلق القلم ثم قال أتدرون أول شىء كتب قلنا لا قال أول ما كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ثم كتب القدر خيره وشره الى يوم القيامة ثم قال أتعلمون من أبغض الخلق الى الله قلنا لا فقال إنه عبد أشركه الله فى سلطانه فعمل فيه بمعاصيه ثم نهض . قال رجاء فاظلم على البيت فما زلت خائفاً عليه حتى توارى فرأيت سليمان يحك رأسه بيده حتى خشيت أن تخرج أظفاره لحم رأسه

(ما قال أبو حازم لسليمان)

قالوا وأن يحيى بن المغيرة أخبرهم عن عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبى حازم قال لما حج سليمان ودخل المدينة زائرا لقبر رسول الله ومعه ابن شهاب الزهرى ورجاء بن حيوة فأقام بها ثلاثة أيام فقال أما ها هنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله فقيل له بلى ها هنا رجل يقال له أبو حازم فبعث اليه فجاءه وهو أقور أعرج فدخل عليه فوقف منتظراً للاذن فلما نظر اليه سليمان ازدرته عينه فقال له يا أبا حازم أهذا الجفاء الذى ظهر منك وأنت توصف برؤية أصحاب رسول الله

مع فضل ودين تذكر به فقال أبو حازم وأى جفاء رأيت منى يا أمير المؤمنين فقال سليمان إنه أتانى وجوه أهل المدينة وعلماؤها وخيارها وأنت معدود فيهم ولم تأتنى فقال أبو حازم : أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن ما جرى بينى وبينك معرفة آتيك عليها قال سليمان صدق الشيخ فقال يا أبا حازم مالنا نكره الموت فقال لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فأنتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال سليمان صدقت فكيف القدوم على الآخرة قال نعم . أما المحسن فانه يقدم على الآخرة كالغائب يقدم على أهله من سفر بعيد وأما قدوم المسيء فكالعبد الآبق يؤخذ فيشد أكتافه فيؤتى به الى سيد فظ غليظ فان شاء عفا وإن شاء عذب فبكى سليمان بكاء شديداً وبكى من حوله ثم قال ليت شعرى مالنا عند الله يا أبا حازم فقال اعرض نفسك على كتاب الله فانك تعلم مالك عند الله قال سليمان يا أبا حازم وأين أصيب تلك المعرفة فى كتاب الله قال عند قوله تعالى « إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم » قال يا أبا حازم فأين رحمة الله قال رحمة الله قريبة من المحسنين قال يا أبا حازم من أعقل الناس قال أعقل الناس من تعلم العلم والحكمة وعلمها الناس قال فمن أحمق الناس فقال من حط فى هوى رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال فما اسمع الدعاء قال أبو حازم دعاء المخبتين الخائفين فقال فما أزكى الصدقة عند الله قال جهد المقل قال فما تقول فيما ابتلينا به قال أعفنا عن هذا وعن الكلام فيه أصلحك الله فانه نصيحة تلقيها فقال . ما أقول فى سلطان استولى عنوة بلا مشورة من المؤمنين ولا اجتماع من المسلمين فسفكت فيه الدماء الحرام وقطعت به الأرحام وعطلت به الحدود ونكثت به العهود وكل ذلك على تنفيذ الطينة وجمع لمتاع الدنيا المشينة ثم لم يلبثوا أن ارتحلوا عنها فياليت شعرى ما تقولون وماذا يقال لكم فقال بعض جلسائه : بئس ما قلت يا أقور أأمير المؤمنين يستقبل بهذا فقال أبو حازم اسكت يا كاذب فانما أهلك فرعون هامان وهامان فرعون إن الله قد أخذ على العلماء ليبينه للناس ولا يكتمونه أى

لا ينبذونه وراء ظهورهم قال سليمان يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح ما فسد منا فقال المأخذ فى ذلك قريب يسير فاستوى سليمان جالساً من اتكائه فقال كيف ذلك فقال : تأخذ المال من حله وتضعه فى أهله وتكف الأكف عما نهيت وتمضيها فيما أمرت به قال سليمان ومن يطيق ذلك فقال أبو حازم من هرب من النار الى الجنة ونبذ سوء العادة الى خير العبادة . فقال سليمان أصحبنا يا أبا حازم وتوجه معنا تصب منا ونصب منك قال أبو حازم أعوذ بالله من ذلك قال سليمان ولم يا أبا حازم قال أخاف أن أركن الى الذين ظلموا فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات فقال سليمان فتزورنا قال أبو حازم : إنا عهدنا الملوك يأتون الى العلماء ولم يكن العلماء يأتون الملوك فصار فى ذلك صلاح الفريقين ثم صرنا الآن فى زمان صار العلماء يأتون الملوك والملوك تقعد عن العلماء فصار فى ذلك فساد الفريقين جميعاً قال سليمان فأوصنا يا أبا حازم وأوجز . قال اتق الله أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك من حيث أمرك قال سليمان ادع لنا بخير فقال أبو حازم اللهم إن كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة وإن كان عدوك فخذ الى الخير بناصيته قال سليمان زدنى قال قد أوجزت فان كنت وليه فاغتبط وإن كنت عدوه فاتعظ فان رحمته فى الدنيا مباحة ولا يكتبها فى الآخرة إلا لمن اتقى فى الدنيا فلا نفع فى قوس يرمى بلا وتر فقال سليمان هات يا غلام الف دينار فأتاه بها فقال خذها يا أبا حازم فقال لا حاجة لى بها لأنى وغيرى فى هذا المال سواء فان سويت بيننا وعدلت أخذت وإلا فلا لأنى أخاف أن يكون ثمنا لما سمعت من كلامى وإن موسى بن عمران لما هرب من فرعون ورد ماء مدين وجد عليه الجاريتين تذودان فقال ما لكما معين قالتا لا فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال . « رب انى لما أنزلت الى من خير فقير » ولم يسأل الله أجراً فلما أعجل بالجاريتين الانصراف أنكر ذلك أبوهما فقال لهما ما أعجلتكما اليوم قالتا وجدنا رجلا صالحا قويا سقى لنا قال ما سمعتماه يقول قالتا تولى الظل وهو يقول « رب انى

لما أنزلت الي من خير فقير » فقال ينبغى لهذا أن يكون جائعا تنطلق إحداكما له فتقول له . ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فأتته إحداهما تمشى على استحياء (أى على إجلال له) قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فجزع موسى من ذلك وكان طريداً فى الفيافى والصحراء فقال لها قولى لأبيك ان الذى سقى يقول لا أقبل أجراً على معروف اصطنعته فانصرفت إلى أبيها فأخبرته فقال اذهبى فقولى له أنت بالخيار من قبول ما يعرض عليك أبي وبين تركه فأقبل فانه يحب أن يراك ويسمع منك فأقبل والجارية بين يديه فهبت الريح فوصفتها له وكانت ذات خلق كامل فقال لها كونى ورائى وأرينى سمت الطريق فلما بلغ الباب قال استأذنى لنا فدخلت على أبيها فقالت انه مع قوته لأمين فقال شعيب وبم علمت ذلك فأخبرته ما كان من قوله عند هبوب الريح عليها فقال أدخليه فدخل فاذا شعيب قد وضع الطعام فلما سلم رحب به وقال أصب من طعامنا يافتى فقال موسى أعوذ بالله قال شعيب لم قال لأنى من بيت قوم لانبيع ديننا بملء الأرض ذهباً قال شعيب لا والله ما طعامى لما تظن ولكنه عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فأكل . وهذه الدنانير يا أمير المؤمنين إن كانت ثمنا لما سمعت من كلامى فان أكل الميتة والدم فى حال الضرورة أحب إلى من أن آخذها فأعجب سليمان بأمره عجبا شديداً فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين ان الناس كلهم مثله قال لا قال الزهرى إنه لجارى منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط فقال أبو حازم صدقت لأنك نسيت الله ونسيتنى ولو ذكرت الله لذكرتنى قال الزهرى أتشتمنى قال له سليمان بل أنت شتمت نفسك أو ما علمت أن للجار على الجار حقا . قال أبو حازم ان بنى إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج الى العلماء وكانت العلماء تفر بدينها من الأمراء فلما رؤى قوم من أراذل الناس تعلموا العلم وأتوا به الأمراء استغنت الأمراء عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وهلكوا ولو كان علماؤنا هؤلاء

يصونون عليهم لكانت الأمراء تهابهم وتعظمهم فقال الزهرى كأنك إياى تريدانى أتعرض قال هو ما تسمع . قال سليمان يا أبا حازم : عظنى وأوجز قال حلال الدنيا حساب وحرامها عذاب وإلى الله المآب فاتق عذابك وأودع . قال لقد أوجزت فأخبرنى مالك قال الثقة بعدله والتوكل على كرمه وحسن الظن به والصبر الى أجله واليأس مما فى أيدى الناس قال يا أبا حازم ارفع الينا حوائجك قال رفعتها الى من لا تختزل دونه فما أعطانى منها قبلت وما أمسك عنى رضيت مع انى قد نظرت فوجدت أمر الدنيا يؤول الى شيئان أحدهما لى والآخر لغيرى فأما ما كان لى فلو احتلت عليه بكل حيلة ما وصلت اليه قبل أوانه وحينه الذى قد قدر لى وأما الذى لغيرى فذلك لا أطمع فيه فكما منعنى رزق غيرى كذلك منع غيرى رزقى فعلام أقتل نفسى فى الاقبال والادبار

وذكروا أن غلمانا لسليمان نازعوا غلمانا لعمر بن عبد العزيز فتعدى غلمان عمر على غلمان سليمان فرفع ذلك الى سليمان وأغرى بعمر فقال له سليمان ألا تنصف غلمانى وهو كالمغضب مما فعل بهم فقال عمر ما علمت هذا قبل هذا الوقت وما سمعت هذا إلا فى مقامى هذا فقال سليمان كذبت لقد علمته فقال عمر : كذبت والله ما كذبت ولا تعمدت كذبا منذ شددت مئزرى على نفسى وان فى الأرض عن مجلسك لسعة . ثم خرج عمر فتجهزوا وهو يريد مصر ليسكنها فبلغ ذلك سليمان فندم على ما كان من قوله وأرسل اليه أن يبرح وأمر رجلا يقول له لا تعتب أمير المؤمنين على قوله ولا تذكر هذا فترك عمر الخروج وجلس وأقل الاختلاف الى سليمان

(ذكر وفاة سليمان واستخلافه عمر بن عبد العزيز)

قال وذكروا أن خالد بن أبى عمران أخبرهم وكان قد أدرك القوم قال مرض سليمان مرضه الذى مات فيه وذلك فى شهر صفر سنة تسع وتسعين فدخل عليه

عمر بن عبد العزيز عائداً فدعا سليمان بنين له صغاراً فقلدهم السيوف فوقعوا في الارض فقال سليمان قد أفلح من كان له بنون كبار فقال عمر ليس هكذا قال الله فقال سليمان وكيف قال الله فقال عمر قال الله تعالى «وقد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى» فقال سليمان إني أريد أن أعهد اليك وأوليك أمور الناس بعدي فقال عمر لاحاجة لي بذلك فقال سليمان ولم ذلك فقال لأني لا أريد أخذ أموالهم فاذا لم أرد أخذ أموالهم فما الذي يدعوني إلى ضرب ظهورهم فقال سليمان لابد من هذا فقال عمر ولم ذلك ولك في ولد عبد الملك سعة فاعفني من هذا يعف الله عنك فقال له سليمان والله لا أوليها غيرك بعدي فقال عمر وما الذي يدعوك الى هذا فقال سليمان إني رأيت في منامي قائلا يقول لي : ان عمر بن عبد العزيز لك جنة ووقاية وجسر تتخطاه فاولات ذلك إن شاء الله أن أوليك الامر من بعدي لتكون توليتي لك جنة من النار وجسراً أركبه لأنجو عليه من عذاب يوم القيامة ثم ليزيد بعدك فانه أرشد ولد عبد الملك فسكت سليمان وظن أن عمر رضى بما قال له ثم دعا سليمان بصحيفة ثم كتب ويده ترتعش من شدة العلة لايعلم أحد بما يخط فكتب عهد عمر ثم من بعد عمر ليزيد ثم ختم عليه بيده متحاملا لذلك وعمر لايشك أن الأمر فيه قد صار لغيره ثم دعا سليمان برجاء بن حيوة فقال له خذ هذا الكتاب فانه عهدي فاجمع اليك قريشا وأمراء الأجناد واعلمهم انه عهدي وإن من كان اسمه في كتابي هذا فهو الخليفة بعدي فمن نزع عن ذلك وأباه فالسيف السيف والقتل . ثم رفع سليمان يديه الى السماء فقال اللهم إن ذنوبي قد عظمت وجلت وهي صغيرة يسيرة في جانب عفوك فاعف عني يا من لاتضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اعف عني ما بيني وبينك من الذنوب واحمل عني ما بيني وبين خلقك وارضهم بما شئت يا أرحم الراحمين اللهم إن كنت تعلم مني وتطلع من ضميري إني إنما أردت بعهدي هذا وتوليتي من وليت فيه وجهك ورضاك فاغفر لي وارحمني ثم تخلخل لسانه فلم يقو على الكلام من ثقل العلة ثم سكت وأغمي عليه

قال رجاء فخرجت وعمر معي فقلت له ما أراك إلا صاحب الأمر فقال عمر ما أحسب ذلك فقلت ومن عسى أن يكون فى آل مروان من يريد سليمان توليته غيرك فقال عمر ما أراه عهد إلا لأحد الرجلين إما القاسم أو سالم قال رجاء فقلت له أسمعت ذلك منه فقال عمر ما سمعته ولكنه دار بيني وبينه كلام آنفا قبل دخلتك لا أشك أنه أراد أحدهما قال رجاء فقلت والله هذا الاختلاف فى أمة محمد والفتن الظاهرة القاصمة للظهور الفانية للانفس فقال عمر ولم ذلك فقال رجاء لأن قريشاً ونحوها لا ترضى بهذا ولا تصير اليه ولا آل أمية وعبد شمس حيث كانت من الأرض فقال عمر أن الأمر لله من قبل ومن بعد يؤتى الملك من يشاء فقال رجاء فخرجت الى الناس وأعلمتهم بعهد أمير المؤمنين فقالوا سمعا وطاعة ثم أعلمتهم بابتهاله ورغبته الى الله وما قال فلم يشك الناس أن عمر بن عبد العزيز صاحبهم فارادوا أن يسلموا عليه بالخلافة وذلك لما أيقنوا بهلاك سليمان فقلت لهم لا تعجلوا فان عمر قال لى أرى سليمان ما أراد إلا القاسم أو سالما وهذا أفطن منى بهذا الأمر لأنه كان حاضراً وسليمان يكتب العهد بيده فضج الناس من ذلك واختلفوا . فقالت فرقة سمعنا وأطعنا لمن استخلف علينا كان من كان وقالت فرقة لا والله لا نقر بهذا ولا نطيعه ولا يستخلف علينا الأمر واتى ولا تبقى منا عين تطرف فى الدنيا . فقال رجاء لعمر كيف ترى قولى والله لئن كان هذا إنه لهو البلاء المبين وأنها الفتنة قد فتح بابها فقال عمر أرجو الله أن يغلقه إن شاء الله قال رجاء فقلت لعمر ما نحن صانعوه إن كان هذا فقال عمر لا أدرى ما أقول فى موقفي هذا قال رجاء ولم فقال عمر : لأنى والله ماوقفت موقفاً قط لا رأى لى فيه ولا بصيرة إلا موقفي هذا فاني قد أجدني قد ذهب روعى وفقدت رأيي ولا أدرى ما أستقبل من أمرى وما استدبر ولو استطعت الفرار لفررت من موضعى هذا حيث لا أدرك ولا أرى . قال رجاء فلما قاولنى بهذا علمت انه الذى أريد من فقده لرأيه وبصيرته قال رجاء فقلت له يا أبا حفص فاين نحن من المفزع الى الله والرغبة فى الصلاح علينا وعلى المسلمين ويعزم لنا على ما فيه الخير

والخيرة فقال عمر بلى والله هذا الملجأ وهذا الحصن والمعقل الشديد قال رجاء فبتنا ليلتنا لا نألوا على أنفسنا فى الدعاء والاستخارة لله فلما أصبحنا قلت لعمر ماترى يا أبا حفص فقال أرى أن أسمع وأطيع لمن فى هذا الكتاب فان كان أحد الرجلين سمعت له وأطعت ووددت من أدبر عنه بمن أقبل عليه حتى أموت فبينا هما كذلك اذا أقبل وصيف يسعى اليهما يقول قد قضى أمير المؤمنين نحبه فخرجا فاذا بالعويل والنوح فرجعا الى المسجد ترعد فرائصهما والناس يسلمون على عمر بالخلافة وهو يقول لست به لست به حتى دخل المسجد وقد اجتمع الناس وهم مستعدون للفتنة والقتال إن خالف العهد ما يريدون فقام رجاء الى جانب المنبر فحمد الله وحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة وأعلمهم بما فى الفرقة والاختلاف من ذهاب الدين والدنيا ثم أخرج العهد ففضه بمحضر منهم قرأه عليه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عهد أنه يشهد لله بالربوبية والوحدانية وأن محمداً عبده ورسوله بعثه الى محسنى عباده بشيراً وإلى مذنبيهم نذيراً وأن الجنة والنار مخلوقتان حق ، خلق الجنة رحمة لمن أطاعه والنار عذابا لمن عصاه وواجب العفو لمن عفى عنه وان سليمان مقر على نفسه بما يعلم الله من ذنوبه موجبا على نفسه استحقاق ماخلق من النقمة واجبا لنفسه ماخلق من الرحمة ووعد من المغفرة راج لما وعد من الرحمة وأن المقادير كلها خيرها وشرها من الله وأنه هو الهادى لم يستطع أحد لمن خلق الله لرحمته غواية ولا لمن خلق لعذابه هداية ، وأن الفتنة فى القبور بالسؤال عن دينه ونبيه الذى أرسل الى أمته لا منجى لمن خرج من الدنيا الى الآخرة من هذه المسألة وسليمان يسأل الله بواسع فضله وعظيم منه الثبات على الحق عند تلك المسألة والنجاة من هول تلك الفتنة وأن الميزان حق يقين يضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فاولئك هم الخاسرون . وأن حوض محمد صلى الله عليه وسلم يوم الحشر والموقف حق عدد آنيته كنجوم السماء من شربه

منه لم يظمأ أبداً وسليمان يسأل الله برحمته أن لا يرده عنه عطشان . وأن أبا بكر وعمر خير هذه الأمة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم والله يعلم بعدهما حيث الخير وفيمن الخير من هذه الأمة . وأن هذه الشهادة المذكورة في عهده هذا يعلمها من سره واعلانه وعقد ضميره وان بها عبد ربه في سالف أيامه وماضي عمره وعليها إيتاء يقين ربه وتوفاه أجله وعليها يبعث بعد الموت ان شاء الله وأن سليمان كانت له بين هذه الشهادة بلايا وسيئات لم يكن له عنها محيص ولا دونها مقصر بالقدر السابق والعلم النافذ في محكم الوحي فان يعف ويصفح فذلك ما عرف منه قديما ونسب اليه حديثا وذلك الصفة التي وصفت به نفسه في كتابه الصادق وكلامه الناطق وأن يعاقب وينتقم فيما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد واني أخرج على من قرأ عهدي وسمع ما فيه من حكمه إن ينتهي اليه في أمره وتهيبه بالله العظيم وبمحمد صلى الله عليه وسلم وأن يدع الاحن ويأخذ بالمكارم ويرفع يديه الى السماء بالابتهال الصحيح والدعاء الصريح يسأله العفو عني والمغفرة لي والنجاة من فزعي والمسألة في قبري لعل الودود أن يجعل منكم مجاب الدعوة بما على من صفحه أن يعود إن شاء الله . وان ولي عهدي فيكم وصاحب أمري بعد موتي في كل من استخلفني الله عليه الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز بن عمي لما بلوت من باطن أمره وظاهره ورجوت الله بذلك وأردت رضاه ورحمته إن شاء الله ثم ليزيد بن عبد الملك من بعده فاني ما رأيت منه إلا خيراً ولا اطلعت له على مكروه وصغار ولدي وكبارهم الى عمر إذ رجوت ألا يألوهم رشداً وصلاحا والله خليفتي عليهم وهو أرحم الراحمين واقرأ عليكم السلام ورحمة الله ، ومن أبى عهدي هذا وخالف أمري فالسيف ، ورجوت أن لا يخالفه أحد ومن خالفه فهو ضال مضل يستعتب فان أعتب وإلا فالسيف (والله المستعان) ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الاحسان .

(أيام عمر بن عبد العزيز)

وذكروا عن خالد بن أبي عمران انه قال : إني لحاضر يوم قرىء عهد سليمان في المسجد بدمشق على الناس فما رأيت يوما أكثر باكياً ولا داعيا له بالرحمة من ذلك اليوم فلم يبق محب ولا مبغض ولا خارجي ولا حروري الا أخذ الله له بقلوبهم وابتهلوا بالدعاء وأخلصوا له بالسؤال بالعفو من الله ورضى الناس أجمعون فعله قال خالد ثم بايع الناس لعمر في المسجد بيعة تامة جامعة طيبة بها النفوس لايشوبها غش ولا يخالطها دنس . قال خالد وسمعت رجاء يقول لما تمت البيعة إني مهما شككت في شيء فاني لم أشك يوم البيعة لعمر بالنجاة والرحمة لسليمان إن شاء الله واستفتح عمر ولايته ببيع أموال سليمان ورباعه وكسوته وجميع ما كان يملكه فبلغ ذلك أربعة وعشرين ألف دينار فجمع ذلك كله وجعله في بيت المال ثم دخل على زوجته فاطمة ابنة عبد الملك فقال لها يا فاطمة فقالت لبيك يا أمير المؤمنين فجعل يبكي وكان لها محبا وبها كلفا ثم استفاق من بكائه فقال لها اختاريني أو اختاري الثوب الذي عمله لك أبوك وكان قد عمل لها أبوها عبد الملك ثوبا منسوجا بالذهب منظوما بالدر والياقوت أنفق عليه مائة ألف دينار فقال لها إن اخترتيني فاني آخذ الثوب فاجعله في بيت المال وإن اخترت الثوب فلست لك بصاحب فقالت أعوذ بالله يا أمير المؤمنين من فراقك لاحاجة لي بالثوب فقال عمر وأنا أفعل بك خصلة اجعل الثوب في آخر بيت المال وأنفق ما دونه فان وصلت اليه أنفقته في مصالح المسلمين وإنما هو من أموال المسلمين أنفقت فيه وإن بقي الثوب ولم أحتج اليه فلعل أن يأتي بعدي من يرده اليك قالت افعل ما بدا لك ثم دخل عليه ابن له وعليه قميص قد تذعذع فقال له عمر رقع قميصك يابني فوالله ما كنت قط بأحوج اليه منك اليوم

(ذكر قدوم جرير ابن الخطفى على عمر بن عبد العزيز)

ذكروا عن عبد الأعلى بن أبى المشاور أنه أخبرهم قال قدم جرير شاعر أهل العراق وأهل الحجاز على عمر أول ما استخلف فدخل عليه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ثم قال . أن الخلفاء كانت تتعاهدنى فيما مضى بجوائز وصلات ثم أنشأ يقول

قد طال قولى اذا ماقمت مبتهلا	يارب اصلح قوام الدين والبشر
إنا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا	من الخليفة ما نرجو من المطر
أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت	أم قد كفانى ما بلغت من خبر
ما زلت بعدك فى هم يؤرقنى	قد طال فى الحل أصعادى ومنحدرى
لا ينفع الحاضر المجهود باديه	ولا يعود لنا باد على حضر
كم باليمامة من شعثاء أرملة	ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به	خبلا من الجن أو مسا من البشر
فان تدعهم فمن يرجون بعدكم	أو تنج منها فقد أنجبت من ضرر
هذى الأرامل قد قضيت حاجتها	فمن الحاجة هذا الأرمل الذكر
خليفة الله ماذا تأمرن بنا	لسنا اليكم ولا فى دار منتظر
أنت المبارك والمهدى سيرته	تعصى الهوى وتقوم الليل بالسور

قال فبكى عمر وهملت عيناه وقال ارفع حاجتك الينا ياجرير قال جرير ماعودتنى الخلفاء قبلك قال وما ذلك قال أربعة آلاف دينار وتوابعها من الحملان والكسوة قال عمر أمن أبناء المهاجرين أنت قال لا قال أفمن أبناء الأنصار أنت قال لا قال أفقير أنت من فقراء المسلمين قال نعم قال فاكتب لك الى عامل بلدك أن يجرى عليك مايجرى على فقير من فقرائهم . قال جرير انا أرفع من هذه الطبقة يا أمير المؤمنين قال فانصرف

جرير فقال عمر ردوه علي فلما رجع قال له عمر قد بقيت خصلة أخرى عندي نفقة وكسوة أعطيك بعضها ثم وصلها باربعة دنانير فقال وأين تقع مني هذه يا أمير المؤمنين فقال أنها والله لمن خالص مالي ولقد أجهدت لك نفسي فقال جرير والله يا أمير المؤمنين انها لاحب مال كسبته . ثم خرج فلقيه الناس فقالوا له ماوراءك قال : جئتكم من عند خليفة يعطي الفقراء ويمنع الشعراء واني عنه لراض

(دخول الخوارج على عمر بن عبد العزيز)

وذكروا أن ابن حنظلة أخبرهم قال بعثني وعون بن عبدالله عمر بن عبدالعزيز الى خوارج خرجت عليهم بالحيرة رأسهم رجل من بني شيبان يقال له شوذب وكتب معنا كتابا اليهم فقدمنا عليهم فبعثوا معنا اليه رجلين أحدهما من العرب فأتينا بهما عمر فدخلنا عليه وتركناهما بالباب قال فتشوهما ألا يكون معهما حديد أو شيء ففعلنا ثم أننا أدخلناهما عليه . فلما دخلا قالا السلام عليكم قال وعليكم السلام أجلسا فلما جلسا قال لهما عمر ما الذي أخرجكم علينا فقال العربي وكان أشدهما كلاماً وأتمهما عقلا أما أنا لم أنكر عليك عدلك ولا سيرتك ولكن بيننا وبينك أمر هو الذي يجمع ويفرق بيننا فان أعطيتناه فنحن منك وأنت منا وإن لم تعطناه فلسنا منك ولست منا . فقال عمر فما هو فقال . خالفت أهل بيتك وسميتهم الظلمة وسميت أعمالهم المظالم فان زعمت أنك على الحق وأنهم على الباطل فالعنهم وتبرأ منهم فقال عمر . إنكم لم تتركوا الأهل والعشائر وتعرضتم للقتال إلا وأنتم في أنفسكم مصيبون ولكنكم أخطأتم وضللتم وتركتم الحق فأخبراني عن الدين أواحد أو اثنان قالا بل واحد قال أفيسعكم في دينكم شيء يعجز عني قالا لا قال فاخبراني عن أبي بكر وعمر ما حالهما عندكم قالا أفضل الناس أبو بكر وعمر قال . ألستما تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي ارتدت العرب فقاتلهم أبو بكر فقتل الرجال وسبي النساء والذرية قالا بلى قال عمر فلما توفي

أبو بكر وقام عمر ورد تلك النساء والعزارى الى عشائرها فهل تبرأ عمر من أبي بكر ولعنه بخلافته إياه قالا لا قال فتولونهما على خلاف سيرتهما قالا نعم فقال عمر فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم فى السيرة والأحكام لم يتبرأ بعضهم من بعض ولا لعن بعضهم بعضاً وأنتم تتولونهم على خلاف سيرتهم فهل وسعكم فى دينكم ذلك ولا يسعنى حين خالفت أهل بيتى فى الأحكام والسيرة حتى ألعنهم وأتبرأ منهم . أخبراني عن اللعن فرض على العباد قالا نعم فقال عمر متى عهدك بلعن فرعون قال ما بالى به من عهد منذ زمان قال عمر هذا رأس من رؤوس الكفار ليس لك عهد بلعنه منذ زمان وأنا لا يسعنى أن ألعن من خالفتهم من أهل بيتى ألستم أنتم الذين تؤمنون من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفه وتخيفون من كان رسول الله يؤمله فقالا لا نبرأ الى الله تعالى من هذه الصفة . فقال بلى فأخبركما عن ذلك ألستما تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج والناس أهل كفر فدعاهم أن يقروا بالله ورسوله فمن أبي قاتله وخوفه ومن أقر بهما أمنه وكف عنه ؟ وأنتم اليوم من مر بكم مقر بهما قتلتموه ومن لم يقر بهما أمنتموه وخليتم سبيله فقال العربى تالله ما رأيت حججا أقرب مأخذاً ولا أوضح منهاجا منك أشهد أنك على الحق وأنا على الباطل وقال الآخر : لقد قلت قولا حسنا وما كنت لأفتات على أصحابي حتى ألقاهم فلحق أصحابه وأقام الآخر عند عمر فأجرى عليه العطاء والرزق حتى مات عنده

(وفاة عمر بن عبد العزيز)

وذكروا أن عبد الرحمن بن يزيد أخبرهم قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى ابن أبى زكريا أما بعد فاذا نظرت فى كتابى فأقدم مقدم عليه فقال مرحبا يا ابن أبى زكريا قال وبك يا أمير المؤمنين قال حاجة لى قبلك قال بين الأنف والعين حاجتك يا أمير المؤمنين ان قدرت عليها قال لست أكلفك إلا ما تقدر عليه

قال نعم قال أحب أن تثنى على الله بمبلغ علمك حتى اذا فرغت سألت الله أن يقبض عمر فقال . « إنا لله وإنا اليه راجعون » بأس وافدأمة عهد أن هذا لا يحل لى قال فانى أعزم عليك بحق الله وبحق رسوله وبحقى إن كان لى عليك حق إلا ما فعلته فبكى ثم استرجع ثم اقبل يثنى على الله وإنه ليبكى حتى إذا فرغ قال : اللهم ان عمر سألنى بحقك وبحق رسولك وشفعه على أن أدعوا فى قبضه اليك فاقبض عمر اليك كما سأل ولا تبقى بعده وجاء حينئذ ابن لعمر فسقط فى حجره فقال وهذا أى ربى معنا فاني أحبه . قال فما كانوا كخرزات فى خيط فانقطع الخيط فاتبع بعضها بالسقوط بعضا

(ذكر رؤيا عمر بن عبد العزيز)

وذكروا أن مزاحم مولى عمر قال أخبرتنى فاطمة ابنة عبد الملك امرأة عمر قالت كان لعمر بن عبد العزيز مكان يخلو فيه فأبطأ على ذات ليلة فقلت لآتينه فوجدته نائما فهبته أن أيقظه فما لبث إلا قليلا حتى رفع رأسه فقال من هذا فقلت أنا فاطمة فقال يا فاطمة لقد رأيت رؤيا ما رأيت أحسن منها فقلت حدثنى بها يا أمير المؤمنين قال . رأيت كأنى فى أرض خضراء لم أر أحسن منها ورأيت فى تلك الأرض قصراً من زبرجد ورأيت جميع الخلائق حول ذلك القصر فما لبثت إلا قليلا حتى خرج المنادى فقال اين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقام النبى عليه السلام فدخل القصر فقلت سبحان الله أنا فى جمع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم عليه فما لبثت إلا قليلا حتى خرج المنادى فنادى أين أبو بكر أين أبي قحافة فقام أبو بكر فدخل فما لبثت إلا قليلا حتى خرج المنادى فنادى أين عمر بن الخطاب أين الفاروق فقام عمر فدخل فقلت سبحان الله أنا فى ملأ فيهم جدى لم أسلم عليه فما لبثت إلا قليلا حتى خرج المنادى فقال أين عثمان بن عفان فقام عثمان فدخل فما لبثت إلا قليلا حتى خرج المنادى فنادى أين علي

ابن أبي طالب فقام فدخل فما لبث إلا قليلا حتى خرج المنادى فنادى أين عمر ابن عبد العزيز فقمت فدخلت فلما صرت فى القصر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعثمان وعلى أمامه فقلت أين أقعد لا أقعد إلا جانب عمر قال فرأيت فيما بين النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر شابا حسن الوجه حسن الهيئة فقلت لعمر من هذا قال هذا عيسى بن مريم عليه السلام فما لبث إلا قليلا حتى خرج عثمان بن عفان وهو يقول الحمد لله الذى نصرنى ربى ثم خرج علي وهو يقول الحمد لله الذى غفر لى ربى ثم نودى لى فقمت فصرت بين يدى ربى فحاسبنى فلقد سألنى عن النقير والفتيل والقطمير حتى خفت أن لا أنجو ثم قمت فخرجت فقيل لى اثبت وتمسك على ما أنت عليه فبينما أنا سائر فاذا بجيفة قد علا نتنها الخلائق فضربتها برجلي وقلت لمن هذه الجيفة فقيل لى هذا الحجاج ابن يوسف فضربته برجلي فقلت له ما فعل الله بك يا حجاج قال يا أمير المؤمنين والله لقد قتلت بكل قتيل قتلته قتلة بسيف من نار ولقد قتلت بسعيد بن جبير اثنين وسبعين قتلة . فقلت فآخر أمرك ما هو قال أنا ها هنا أنتظر ما ينتظر من وحد الله وآمن برسله . قالت فاطمة فلم يبق عمر بعد هذا الرؤيا إلا يسيراً حتى مرض مرضه الذى مات فيه فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال له يا أمير المؤمنين إنك لتترك ولدك عائلة على الناس فأوص بهم الى أ كفك أمرهم فانك لم تمولهم شيئا ولم تعطهم فقال عمر . يا أبا سعيد ان ولدى لهم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ثم دعاهم عمر وهم أربعة عشر غلاما فنظر اليهم عمر وقد لبسوا الخشن من قباطى مصر فاغرورقت عيناه بالدموع . قال لهم أوصيكم بتقوى الله العظيم وليجل صغيركم كبيركم وليرحم كبيركم صغيركم . ثم قال لمسلمة يا أبا سعيد إنما ولدى على أحد أمرين اما عامل بطاعة الله فلن يضيعه الله واما عامل بمعصيته فلا أحب أن يعينه بالمال قوموا عصمكم الله وفقكم . ثم دعا رجاء ابن حيوة فخلا به فقال يا رجاء إن الموت قد نزل وأنا أعهد اليك عهداً لا أعهده

الى غيرك إذا أنا مت فكن ممن يقبرني فاذا سويت على اللبن فارفع لبنة ثم أكشف وجهي وانظر اليه فاني قبرت ثلاثة رجال بيدي وكشفت عن وجوههم فنظرت وجوههم قد اسودت وعيونهم قد برزت من وجوههم فأكشف عن وجهي يا رجاء وانظر اليه فان رأيت شيئاً من هذا فاستر على ولا تعلم به أحداً وان رأيت غير ذلك فاحمد الله عليه قال رجاء ففعلت ذلك فلما سوينا عليه اللبن رفعت لبنة وكشفت وجهه فاذا وجهه مثل القمر ليلة البدر واذا على صدره صك فيه خط ليس من كتابة الآدميين . بسم الله الرحمن الرحيم كتاب بالقلم الجليل من الله العزيز العليم براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الأليم .

(ما علم به موت عمر رحمه الله فى الأمصار)

وذكروا أن رجلا من أهل المدينة قال وفد قوم من أهل المدينة الى الشام فنزلوا برجل فى أوائل الشام موسعا عليه إبل كثيرة وأبقار وأغنام فنظروا فى شيء لا يعلمونه غير ما يعرفون من غضارة العيش إذ أقبل بعض رعاته فقال ان السبع عدا اليوم على غنمى فذهب منها بشاة فقال الرجل إنا لله وإنا اليه راجعون ثم جعل يأسف أسفا شديداً فقلنا بعضنا لبعض ما عند هذا خير يتأسف ويتوجع من شاة أكلها السبع فكلمه بعض القوم قال له : إن الله تعالى قد وسع عليك فما هذا التوجع والتأسف قال إنه ليس مما ترون ولكني أخشى أن يكون عمر بن العزيز قد توفى الليلة والله ما تعدى السبع على الشاة إلا لموته فأثبتوا ذلك اليوم فاذا عمر توفى فى ذلك اليوم وذكروا أنهم سمعوا رجلا يحدث ويقول بينا رجل باليمن نائم على سطح ذات ليلة إذ تسور عليه كلب فسمعه وهو يقول لهرة له أى جنة هل من شيء أصيبه فإنى والله أكال فقالت له الهرة ما ثم شيء لقد غطوا الآنية واكفؤا الصحفة فقال لها هل تدلينى من لبن أو قدر لم

تغسل أشمها لترتد لى روحى قالت الهرة ما كنت لأخونهم أماتى فمن أين أقبلت تشكو الكلل والجوع قال من الشام شهدت وفاة عمر بن عبد العزيز وحضرت جنازته قالت إنا لله وإنا اليه راجعون نور كان فى الدنيا فطمس ثم زالت عنه وتنحت وفرت منه وهابته خوفا من أن يعدو عليها ثم انسل الكلب ذاهبا فلما أصبح الرجل جعل يقول للهرة أى جنة جزاك الله عنا خيراً قال فاستوبرت الهرة وذهبت فلم ترتعد فكتب ذلك اليوم فجاءهم موت عمر فى ذلك اليوم

(ولاية يزيد بن عبد الملك بن مروان)

وذكروا أن الأمر صار بعد عمر بن عبدالعزيز الى يزيد بن عبد الملك بعهد سليمان أخيه بذلك والى عمر وكان يزيد قبل ولايته محبوبا فى قريش بجميل مأخذه فى نفسه وهديه وتواضعه وقصده وكان الناس لا يشكون اذا صار اليه الأمر أن يسير بسيرة عمر لما ظهر منه فلما صارت اليه الخلافة حال عما كان يظن به وسار بسيرة الوليد أخيه واحتذى على مثاله وأخذ مأخذه حتى كاد الوليد لم يمت فعظم ذلك على الناس وساروا من ذلك الى أحوال يطول ذكرها حتى هموا بخلعه وجاءهم بذلك قوم من أشراف قريش وخيار بنى أمية وكانت قلوبهم قد سكنت الى هدى عمر واطمأنت الى عدله بعد النفار والانكار لسيرته وعاد ذلك من قلوبهم الى الرضا بأمره والقنوع بقصده عليهم وتقصيره فى إدراك المطامع والعطايا عليهم واتهم منهم نفر بالخلع والخروج فأخذهم عمه محمد بن مروان ابن الحكم فأسكنهم السجن عشرين شهراً ثم دس لهم السم فماتوا جميعا وأقصى من سائر قريش ثلاثين رجلا بعد أن أغرمهم مائة الف الف رباع وعقر أموالهم ورباعهم وحمل العذاب عليهم والنكال حتى أصارهم عالة يتكففون الناس متفرقين فى كور الشام وآفاق البلاد وصلب من الناس جملة من ألف هؤلاء القوم واتهم بمصانعتهم ومصاحبتهم وكانت ولايته فى ربيع الأول سنة إحدى ومائة ومات سنة ست ومائة

(ولاية هشام بن عبد الملك)

وذكروا أن عبدالملك بن مروان بينما هو يوما فى بعض بوادى الشام يتطوف إذ نظر الى ساع يسعى اليه فوقف منتظراً له فلما قاربه قال له ما وراءك فقال ولدت المخرومية غلاما قال فما سمته قال هشاما قال هشم الله رأسها فقال له قبيصة بن ذؤيب ولم يا أمير المؤمنين قال أخبرنى أبى مروان أنه سمع بشرة بنت صفوان تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : راحة أصحابى معاوية ولا راحة لهم بعد معاوية وراحة العرب هشام ولا راحة لهم بعد هشام . وذكروا أن هشاماً صارت اليه الخلافة فى سنة ست ومائة فكان محمود السيرة ميمون النقيبة وكان الناس معه فى دعة وسكون وراحة لم يخرج عليه خارج لم يقم عليه قائم إلا ما كان من قيام زيد بن علي بن الحسين فى بعض نواحى الكوفة فبعث اليه ابن هبيرة وكان عامل الكوفة فأخذ زيد فأتى به ابن هبيرة فأمر بقتله دون رأى هشام فلما بلغ ذلك هشام عظم عليه قتله وأعظم فعل ابن هبيرة واجترائه على قتل قرشى دون مشورة حتى جعل يقول : مثل زيد بن علي فى شرفه وفضله يقتله ابن هبيرة وما كان عليه من قيامه إن هذا لهو البلاء المبين ما يزال ابن هبيرة مبغضاً لأهل هذا البيت من آل هاشم وآل عبد المطلب ووالله لازلت لهم محبا حتى أموت ثم عزل ابن هبيرة عن الكوفة وأغرمه ألف ألف ولم يقل له شيئا حتى مات وكانت أيام هشام عشرين سنة وولى سنة ست ومائة وتوفى سنة ست وعشرين ومائة بعد أن حج إحدى عشر حجة وهو خليفة

(قدوم بن صفوان بن الأهتم على هشام)

وذكروا أن شبيب بن شبة أخبرهم عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال أوفدنى

يوسف بن عمر الى هشام فى وفد العراق فقدمت عليه وقد خرج متبدبا فى قرابته وأهله وحشمه وحاشيته من أهله الى بعض بوادى الرصافة فنزل فى أرض قاع صحصح أفيح فى عام قد بكر وسميه وقد ألبست الأرض أنواع زهرتها وأخرجت ألوان زينتها ، وقد ضرب له سرادقات من حبرات اليمن مزرورة بالذهب والفضة وضرب له فسطاطه فى وسطه فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة خز أحمر وعمامة مثلها وضربت حجر نسائه من وراء سرادقه وعنده أشراف قريش وقد ضربت حجر بنيه وكتابه وحشمه بقرب فسطاطه ثم أمر الربيع حاجبه فأذن للناس إذنا عاما فدخلوا عليه وأخذ الناس مجالسهم قال خالد فأدخلت رأسى من ناحية السماط فأطرق ثم رفع رأسه ونظر الى شبه المستنكر وكنت قد حليت عنده ببلاغة وفهم وحكمة فقلت أتم الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وكرامته وسوغك شكره يا أمير المؤمنين ومدلك فى المزيد بفضله ثم وصلها بعد بطول العمر وتتابع الكرامة الباقية التى لا انقطاع لها ولا نفاد لشىء منها حتى يكون آجل ذلك خيراً من عاجله وآخره أفضل من أوله وعاقبته خيراً من ابتدائه وما أجد يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك شيئا أبلغ فى حقك وتوفير مجلسك إذ من الله على بمجالستك والنظر الى وجهك منى وما أجد فيما أظهر ذلك إلا فى مذاكرتك نعم الله التى أنعم بها عليك وأحسن فيها اليك ونبهك الى شكرها . ثم إنى لا أجد شيئاً هو أبلغ فى ذلك ولا أجمع من ذكر حديث لملك خلا من الملوك كان فى سالف الأمم فان أذن أمير المؤمنين أكرمه الله حدثته قال وكان هشام متكئا فاستوى جالسا وقال هات يا ابن الأهتم .
قال : قلت يا أمير المؤمنين أن ملكا كان فيما خلا مجتمعاً له فيها فتاء السن واعتدال الطبائع وتمام الجمال وكثرة المال وتمكين الملك ، وكان له ذلك الى البطر والمرح داعيا وعلى الغفلة والذهول معينا فخرج متنزها الى بعض منازله فصعد جوسقا له فأشرف على أرض قد أخضلها ربيع عامه كان شبيها بعامك هذا يا أمير المؤمنين فى خصبه وعشبه وكثرة زهره وحسن منظره فنظر فرجع اليه بصره كليلا عن بلوغ أقصى أمواله

من الضياع والابل والخيل والنعم فقال لنفر من ناديه لمن هذا قيل له لك فأعجبته نفسه وما بسط له من ذلك حتى أظهر فرحه وزهوه ثم قال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه أم هل أوتى أحد مثل ما أوتيت . وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والعلم والمضى على أدب الحق ومنهاج الصدق فى الضمير والمقالة . وقد قيل أن الله الجليل لم يخل الأرض منذ أهبط آدم من قائم يقوم بحجة الله فيها وكان ذلك الرجل مما يسامره قال . أيها الملك قد سألت عن أمر أفتأذن لى بالجواب فيه قال نعم قال : أرأيتك هذا الذى أعجبك مما عابنه اطالك نظارك واستطال ملكك وسلطانك أشىء لم يزل لك ولم يزل عنك أم شىء كان لغيرك فزال عنه اليك ثم هو صائر الى غيرك كما صار اليك ؟ قال الملك . بل كما ظننت ومنات قال : فانى أراك أعجبت بما يفنى وزهدت فيما يبقى وسررت بقليل وحسابه غداً طويل قال ويحك فكيف المطلب وأين المهرب وما الحيلة فى المخرج قال إحدى خصلتين إما أن تقيم فى ملكك فتعمل فيه بطاعة ربك على ما ساءك وسرك وامضك وإما أن تضع تاجك ونجادك وتذكر ذنوبك وتلحق فى الخلاء بمن يغفر لك فتعبد فيه ربك حتى يوافيك أجلك وتنقضى مدتك وأنت عامل لربك فيما يعطيك قال فاذا فعلت ذلك فمالى فقال ملك خالد لايفنى ونعيم لاينقضى ومزيد وكرامة وصحة لاتسقم أبداً وسرور لاينصرم وشباب لايشوبه هرم ، وقرار لايخالطه هم قال الملك سأنظر الى نفسى فى الاختيار لما مما ذكرت لى فاذا كان وقت السحر فاقرع على بابى لتعرف رأيى فانى مختار إحدى المنزلتين فان أقمت فى ملكى واخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لاتعصى وان خلوت كنت رفيقاً لاتجفى فلما كان السحر قرع عليه بابه فاذا هو قد وضع تاجه ولبس أطماره فلحق بالجبل فلم يزالا يعبدان الله فيه حتى بلغ أجلهما وانقضى عمرهما . فبكى هشام حتى بل لحيته ثم نكس رأسه طويلا ثم أمر بنزع أبنيته وانتقله وأقبلت العامة من الموالى على ابن الأهتم فقالوا له ما أردت لأمير المؤمنين أفسدت عليه لذته ونغصت عليه مروءته وتسحرهنا ما أملنا فيه . قال اليكم

عنى فانى عاهدت الله ربى إنى لاأخلو بملك إلا ذكرته الله ونبهته ورشدته . ثم رجع خالد إلى فسطاطه كئيبا حزينا متخوفا يظن انه هلك وكان للربيع صديقا فبينما هو كذلك إذ أتاه رسول الربيع فقال ياصفوان يقول لك أخوك الربيع : من كان فى حاجة الله كان الله فىحاجته . إنك لما وليت أمير المؤمنين جعل يقول لله در ابن الأهثم أى رجل دنيا وأخرى مره ياربيع فليرفع حوائجه وليغد الينا بها نقضها له فقال الربيع فاغد علينا بحوائجك رحمك الله واحمده على ماصنع واذهب من مخافتك . فغدا عليه بحوائجه فقضيت . وذكر انه لم يكن فى بنى أمية ملك أعظم من هشام ولا أعظم قدراً ولا أعلى صوتا منه دانت له البلاد وملك جميع العباد وأديت اليه الجزية من جميع الجهات من الروم والفرس والترك والأفرنج والزنج . السند والهند وكان قريبا من الضعفاء مهتما باصلاح الادواء لم يجترىء أحد معه على ظلامة ولم يسلك أحد معه إلا سبيل الاستقامة وكان له موضع بالرصافة أفيح من الأرض يبرز فيه فتضرب له السرادقات فيكون فيه ستين بارزا للناس مباحا للخلق لايفنى أيامه تلك الابرد المظالم والأخذ على يد الظالم من جميع الناس وأطراف البلاد ويصل إلى مخاطبته بذلك الموضع داعى العوام والامة السوداء فمن دونهما . قد وكل رجالا أدباء عقلاء بادناء الضعفاء والنساء واليتامى منهم وأمرهم باقتضاء أهل القوة والكفاية عنه حتى يأتى على آخر ما يكون من أمره فيما يرفع اليه لاينضم اليه رجل يريد الوصول اليه فينظروا أوضع منه إلا أدنوا الاوضع وأبعدوا الارفع حتى ينظر فى شأنه ويعرف أمره وينفذ فيه ماأمر ولايرفع اليه ضعيف ولاامرأة أمراً وظلامة على غطريف من الناس مرتفع القدر ولا مستخدم به إلا أمر باقتضاء يمينه واغداه بمطلبه لايقبل لهم حجة ولا يسمع لهم من بينة حتى لربما تمر به المرأة والرجل أوعابر سبيل لاحاجة له فيما مر به فيقال له ماحاجتك وماقصتك وما ظلامتك فيقول إنما سلكت أريد موضع كذا أروم بلد كذا فيقول لله لعلك ظلمك أحد من آل الخلفة

الخليفة تهاب أمره وتتوقع سطوته فذلك الذى منعك عن رفع ظلامتك إلى أمير المؤمنين فيقول لا والله لاأبغى الا ماقلت فيقال له اذهب بسلام . حتى لربما أتت عليه تارات من الليل وساعات من النهار لاينظر فى شىء ولا يأتيه أحد فى خصومة لاستغناء الناس عن المطالب وتعففا من المظالم ووقاية من سطواته وتخوفا من عقوبته وقد وسع العباد أمنه وأشعرهم عدله وصارت البلاد المتنائية الشاسعة كدار واحدة ترجع إلى حاكم قاضى يرقبه الناس فى المواضع النائية عنه كما يرقبه من معه وقد وضع العيون والجواسيس من خيار الناس وفضلاء العباد فى سائر الأمصار والبلدان يحصون أقوال الولاة والعمال ويحفظون أعمال الأخيار والأشرار قد صار هؤلاء أعقابا يتعاقبون ينهض قوم باخبار ماباوا فى المصر الذى كانوا فيه ويقبل آخرون يدخلون مسترقين ويخرجون متفرقين لايعلم منهم واحد ولايرى لهم عابر فلا خبر يكون ولاقصة تحدث من مشرق الأرض ولا مغربها إلا وهو يتحدث به فى الشام وينظر فيه هشام ، وقد أقصر نفسه على هذه الحال وحببت اليه هذه الافعال ، فكانت أيامه عند الناس أحمد أيام مرت بهم وأعناها وأرجاها قد لبس جلباب الهيبة على أهل العنود والكنود وارتدى برداء التواضع إلى أهل الخشوع والسكون ، وكان قد حبب اليه الكاثر من الدنيا والاستمتاع بالكساء لم يلبس ثوبا قط يوما فعاد اليه حتى لقد كان كساء ظهره وثياب مهنته لايستقل بها ولا يحملها الا سبعمائة بعير من أجلد ما يكون من الابل وأعظم مايحمل عليه من الجمال وكان مع ذلك يتقللها وطالت أيامه واستبطأ صاحب العهد موته فناوأه وعاداه وانتقل عن الموضع الذى كان به هو والوليد بن يزيد ابن عبد الملك فمات هشام والوليد غائب فأتاه موته فأمر بقفل الخزائن فلم يجدوا لهشام ما يكفنونه به واستؤذن الوليد فى اقباله فلم يدفن هشام حتى قدم الوليد وذلك فى ثلاثة أيام

(بدء الفتن والدولة العباسية)

وذكروا أن الهيثم بن عدى أخبرهم قال اختلفت روايات القوم الذين عنهم حملنا وروينا ذكر الدولة فحملنا عنها مااختلفوا فيه والفناه فكان أول مااختلفت فيه الرواية ولم تلائمه الحكاية أشياء سنذكرها فى موضعها من هذا الكتاب إن شاء الله واقتصرنا على معانيها وقيد بعض الفاظها لطول أخبارها واجتنبنا الجزل السمين من اللفظ ورددنا هزيله لبرر فائدته وقلة عائدته وقد اختصرنا وأشبعنا إذ لم نترك من المعانى المتقدمة شيئا والله الموفق للصواب . فكان مما الفنا بدءاً من ذكر الدولة مااخبرنا عن الهيثم بن عدى عن الرجال الذين حدثوه قالوا : لما سلم الحسن بن على الأمر إلى معاوية بن أبى سفيان قامت الشيعة من أهل المدينة وأهل مكة وأهل الكوفة واليمن وأهل البصرة وأرض خراسان فى ستر وكتمان فاجتمعوا إلى محمد بن على وهو محمد بن الحنفية فبايعوه على طلب الخلافة إن أمكنه ذلك وعرضوا عليه قبض زكاتهم لينفقها يوم الوثوب على فرصته فيما يحتاج من النفقة على مجاهدته فقبلها وولى على شيعة كل بلد رجلا منهم وأمره باستدعاء من قبله منهم فى سر وتوصية اليهم ألا يبوحوا بمكتومهم الا لمن يوثق به حتى يرى للقيام موضعا . فأقام محمد بن الحنفية إمام الشيعة قابضا لزكاتهم حتى مات . فلما حضرته الوفاة ولى عبد الله ابنه من بعده وأمره بطلب الخلافة ان وجد إلى ذلك سبيلا واعلم الشيعة بتوليته اياه فأقام عبد الله بن محمد بن على وهو أمير الشيعة فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك فى أول خلافته ان الشيعة قد بايعت عبد الله بن محمد بن على بعد أبيه فبعث اليه وقد أعد له فى أفواه الطرق رجالا معهم أشربة مسمومة وأمرهم إذا خرج من عنده ان يعرضوا عليه الشراب . فلما دخل على سليمان أجلسه إلى جانبه ثم قال له بلغنى ان الشيعة بايعتك على هذا الأمر فجحده عبد الله وقال بلغك الباطل ومازال لنا أعداء يبلغون الأئمة قبلك عنا مثل ما بلغك ليغزوهم

بنا فيدفع الله عنا كيد من ناوأنا وأنا بما يلزمني من موتى أشغل متى بطلب هذا الأمر ثم خرج من عنده فى وقت شديد الحر . فكان لا يمر بموضع إلا قام اليه الرجل بعد الرجل يقول له هل لك فى شربة سويق اللوز وسويق كذا وكذا يا ابن بنت رسول الله ونفسه موجسة منهم فيقول بارك الله لكم حتى إذا خرج إلى آخر الطريق خرج اليه رجل من خبائه وبيده عس فقال هل لك فى شربة من لبن يا ابن بنت رسول الله فوقع فى نفسه ان اللبن مما لا يشم فشرب منه ثم مضى فلم ينشب إن وجد للسم حسا فاستدل على الطريق إلى الحميمة وبها جماعة آل عباس وقال لمن معه ان مت ففي أهلي ثم توجه فنزل على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فأخبره الخبر وقال له اليك الأمر والطالب للخلافة بعدى فولاه وأشهد له من الشيعة رجالا ثم مات . فأقام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ودعوة الشيعة له حتى مات فلما حضرته الوفاة ولى محمد بن ابراهيم الأمر فأقام وهو أمير الشيعة وصاحب الدعوة بعد أبيه

(دخول محمد بن على على هشام)

وذكروا أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس دخل وهو شيخ كبير قد غشى بصره على هشام بن عبد الملك متوكئا على ولديه أبى العباس وأبي جعفر فسلم ثم قال له هشام ما حاجتك ولم يأذن له فى الجلوس فذكر قرابته وحاجته ثم استجداه. فقال له هشام ما هذا الذى بلغنى عنكم يا بنى العباس ثم يأتى أحدكم وهو يرى انه أحق بما فى أيدينا منا والله لا أعطيتك شيئا فخرج محمد بن علي فقال هشام كالمستهزىء ان هذا الشيخ ليرى أن هذا الأمر سيكون لولديه هذين أو لأحدهما فرجع محمد نحوه فقال . اما والله إنى أرى ذلك على رغم من رغم . فضحك هشام وقال أغضبنا الشيخ ثم مضى محمد بن علي

(ولاية الوليد بن يزيد وفتن الدولة)

وذكروا أن الوليد بن يزيد لما تولى الأمر بعد هشام أساء السيرة وانتحى على أهله وجماعة قريش واحدث الاحداث العظيمة وسفك الدماء وأباح الحريم وكانت ولايتـــه فى ست وعشرين ومائة فلما استوى على الأمر بعث الى أشراف الأجناد فقدموا عليه وقدم خالد فيمن قد قدم فلم يأذن لواحد منهم وكان مشتغلا بلهوه ولعبه ومرض خالد فاستؤذن له فى الانصراف فأذن له فانصرف الى دمشق فأقام بها شهراً . ثم كتب اليه الوليد أن أمير المؤمنين قد علم الخمسين ألف ألف التى تعلم فأقدم بها على أمير المؤمنين مع رسوله فقد أمره أن لا يعجلك عن جهازك فبعث خالد الى عدة من ثقاته فيهم عمارة بن أبى كلثوم فاقرأهم كتاب الوليد وقال أشيروا على برأيكم . فقالوا أن الوليد ليس بمأمون فالرأى أن تدخل مدينة دمشق فتأخذ بيوت الأموال وتدعو الى من أحببت والناس قومك ولن يختلف منا عليك إثنان فقال لهم وماذا قالوا تأخذ بيوت الأموال وتجمع اليك قومك حتى تتوثق لنفسك قال وماذا قالوا تتوارى . فقال أما قولكم أن أدعو الى من أحببت فانى أكره أن تكون الفرقة على يدى وأما قولكم أن آخذ بيوت الأموال حتى أتوثق لنفسى فأنتم لا تأمنونى عليها ولا ذنب لى فكيف لى ترجون وفاء بما يعطينى وقد فعلت ما فعلت وأما قولكم فى التوارى فوالله ما قنعت رأسى خوفا من أحد قط فالآن وقد بلغت من السن ما بلغت ولكنى أمضى وأستعين بالله تعالى

(قتل خالد بن عبد الله القسرى)

وذكروا أن خالد بن عبد الله القسرى شخص الى الوليد بن يزيد حتى قدم على معسكره فلم يدع به الوليد ولم يكلمه وهو يختلف اليه غدوة وعشية حتى قدم برأس يحى بن يزيد بن علي بن الحسين من خراسان فجمع الناس الاذن فحضر

الاشراف وجلس الوليد وجاء خالد الى الحاجب فقال ان حالى كما ترى لا أقدر على المشى وإنما أحمل فى الكرسى قال الحاجب ما يدخل أحد على أمير المؤمنين على هذه الحال ثم أذن له فحمل على كرسيه ثم دخل على الوليد وهو جالس فى سريره والمائدة موضوعة فلما دخل عليه قال له الوليد أين ولدك يزيد بن خالد فقال قد أصابه من هشام ظفر فخلى سبيله ثم طلب فهرب فكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى استخلفه الله فقال له الوليد لكنك خلفته طالبا للفتنة فقال خالد قد علم أمير المؤمنين إنا أهل بيت طاعة أنا وأبى وجدى فقال له الوليد لتأتينى بابنك أو لأزهقن نفسك فقال له خالد . هذا الذى تدور عليه وهو الذى تريد والله لو كان ابنى تحت قدمى ما رفعتهما لك فاصنع ما بدالك . فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه والاخذ له وقال له اسمعنى صوته فذهب به غيلان الى رحله فعذبه بالسلاسل والحديد فلم يتكلم بكلمة فرجع غيلان الى الوليد فقال له والله لا أعذب إنسانا لا يتكلم فقال له كف عنه واحبسه ففعل فقام يوسف بن عمر فقال أنا أشتريه بخمسين ألف ألف فأرسل الوليد الى خالد ان يوسف بن عمر قد سأل أن يشتريك بخمسين ألف ألف فان ضمنتها لأمير المؤمنين وإلا دفعتك اليه . قال خالد ما عهدنا العرب تباع فدفعه الى يوسف بن عمر فنزع ثيابه وألبسه عباءة وألحفه أخرى وحمله على محمل ليس تحته وطاء فبسط عليه وعذبه وخالد لا يكلمه بكلمة ثم ارتحل حتى اذا كان ببعض الطريق عذبه يوما ثم وضع المصرمة على صدره فقتله فى الليل فدفن فى الحيرة وذلك فى المحرم سنة سبع وعشرين ومائة

(وثوب أهل دمشق على الوليد بن يزيد وقتله)

وذكروا أن يزيد بن خالد دب فى أهله وتحمل فى عشائره فاجتمع أمرهم على الوليد بن يزيد فبينما هم يدبرون أمرهم إذ انطلق ساع الى الوليد قال له أدلك على يزيد

ابن خالد قال نعم فبعث الوليد مولى له وأمره ان يكمن النهار ويسير الليل حتى أتى دمشق ليلا ويزيد مختف بدمشق فى منزل رجل عند باب السوق فاقتحم عليه المنزل فأخذه وشخص به من ساعته حتى قدم الوليد فأمر بالبعث به إلى يوسف بن عمر بالعراق قال له يزيد يا أمير المؤمنين أنا أدفع لك الخمسين ألف ألف التى طلبت من خالد فى ثلاث سنين علي ان تكتب إلى الآفاق بأمان من كانت لى عنده وديعة وأمان فيها ذمتى وموالى فقبل منه الوليد ذلك فأمر بالكتب إلى العراق والحجاز وكور الشام فى ذلك واحتبس يزيد عنده وجعل عليه القيود والحرس ثم ارتحل الوليد ومعه خدمه وشرطته وتواعد أهل اليمن ان يثوروا إذا صلوا العتمة فى المسجد وكانت العلامة بينهم ان يلتمس أحدهم صاحبه. فلما تفرق أهل المسجد خرجوا فاستخرجوا يزيد بن الوليد من منزله ثم أتوا به القصر وعلى دمشق يومئذ رجل من بنى الحجاج وكان قد خرج من الطاعون واستخلف رجلا من قيس فدخلوا عليه فاوثقوه كتافا وأوثقوا كل من خافوا خلافه فنسلل رجل حتى أتى الوليد بن يزيد فأخبره الخبر فلما أصبحوا غدوا إلى الوليد فبعث الوليد فى طلب يزيد بن خالد وهو عنده فى الحديد فقال له إن قومك قد خرجوا بين يدى الوليد فارددهم عن أمير المؤمنين ولك علي ان أوليك العراق وادفع اليك يوسف فتقتله بأبيك فقال له يزيد بن خالد وتوثقنى يا أمير المؤمنين قال نعم فتوثق به وحلف قال فارسلنى اليهم حتى أردهم عنك فقال له الوليد بل اكتب اليهم قال إن كتابي لا يغنى شيئا وقد علموا انى فى يديك وإنى سأكتب بما تريد فأمر باطلاقه من الحديد ورده الى حبسه وأمر الحرس يتحفظون به ثم ارتحل الوليد بيزيد بن خالد معه فلما كان الفجر صبحته أوائل الخيل خيل أهل اليمن فأرسل الوليد الى يزيد بن خالد فقال له يزيد خل عنى حتى أردهم عنك فبينما هم على ذلك إذ التقى القوم فشدت الميمنة وقد طلعت الشمس واختلط الناس وكثر القتل وتخلص يزيد بن خالد من الحرس فهرب فأتوه ببرذون من براذين الوليد وأتى بسيف

فتقلده ثم نادى مناديه من جاء برأس الوليد فله مائة ألف دينار ونودى فى العسكر من دخل رحله فهو آمن . فنادى الوليد ياأهل الشام ألم أحسن اليكم ألم أفعل كذا فسدد إحسانه . فقال عبد السلام بلى قد فعلت ولكنك عمدت الى شيخنا وسيدنا خالد بن عبد الله قد عزله الخليفة قبلك وأخذ أمواله ثم خلا عنه فدفعته الى يوسف بن عمر بالبيع فأدرعه ثم حمله على محمل بلا وطاء ثم انطلق به فعذبه حتى قتل شر قتل يكون فقال لهم الوليد فاخلعوا فى قميصى هذا وولوا من شئتم فانصرفوا الى قومهم فاعلموهم بما رضى من الخلع فقالوا لا إلا رأسه فندلى القوم إلى القصر وانتهى يزيد بن خالد إلى الباب وعليه سلسلة فأمر بها فكسرت وكسر الباب وخرج الوليد يسعى حتى دخل بيتا من بيوت القصر ودخل عليه نحو من ثلاثين رجلا وهو قائم بيده السيف منكسا رأسه لاينظر اليهم وهو يذب عن نفسه فضربه رجل ضربة ثم صرعه ثم اكب عليه فاحتز رأسه فخرج به وانصرف الناس إلى دمشق . فبايع الناس ليزيد بن الوليد بن عبد الملك وذلك فى ذى الحجة من سبع وعشرين ومائة فكان خليفة ستة أشهر ثم مات فى جمادى الأولى ثم ولى ابراهيم بن الوليد فبويع له فى جمادى الأولى فمكث ثلاثة أشهر ثم خلع وهرب

(ولاية مروان بن محمد بن مروان بن الحكم)

وذكروا أنه لما خلع ابراهيم بن الوليد خرج مروان بن محمد فى صفر سنة تسع وعشرين ومائة ومعه أهل الجزيرة وأهل حمص فدعا الى نفسه بالبيعة ووعد الناس خيراً فرضى به أكثر الناس لشجاعة كانت فيه وسخاء يوصف به فملك الشام واستقل له الأمر وغلظ شأنه واستعلى سلطانه وبايع له أهل العراق والحجاز وهابه الناس وخافوه واستعمل العمال فى الآفاق والأمصار وكانت الشيعة تتكاتب على الكتمان لذلك وتتلاقى على السر فلما كانت سنة ثمان

أجتمعت الشيعة

(خروج أبي مسلم الخراسانى)

وذكروا أن الشيعة لما اجتمعت وغلظ أمرهم بخراسان قدم منهم سليمان بن كثير وقحطبة بن شبيب قال : فلقوا ابراهيم بمكة المشرفة فقالوا له قد قدمنا بمال قال : وكم هو؟ قالوا : قدمنا بعشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم وبمسك ومتاع قال : ادفعوا إلى عروة مولى محمد بن علي ففعلوا فكان يحي بن محمد يتبعهم ويسألهم فيقول ما قصتكم وفي أي شيء جئتم فلا يخبروه فذكر ذلك لابراهيم فقال احذروه فانه قليل العقل ضعيف الرأي فجاء الى ابراهيم فقال له أن علي دينا وبالله لئن لم تعطني قضاء ديني لأرفعن أمرك الى عبد العزيز بن عمر وهم يومئذ على الموسم فأعطاه خمسة آلاف درهم وقدموا بأبي مسلم معهم وقد خرج أصحابه من السجن فأعلموا ابراهيم أنه مولاه فقال لسليمان قدر بى أمركم فانت على الناس فأخرج الى خراسان وقد كان أبو مسلم قدم على ابراهيم قبل أن يصرف أصحابه فرأى عقله وظرفه . فكتب إلى أصحابه أني قد أمرته على خراسان وما غلب عليها فأتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة فأعلمهم أبو مسلم انهم لم ينفذوا كتابه قال ابراهيم انه قد جمع رأيه على هذا فاسمعوا له وأطيعوا ثم قال لأبى مسلم يا أبا عبد الرحمن انك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي : أنظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم فان الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم وانظر هذا الحي من ربيعة فانهم معهم وانظر هذا الحي من مضر فانهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت فى أمره ومن وقع فى نفسك منه تهمة . فقال أيها الامام فان وقع فى أنفسنا من رجل هو على غير ذلك أحبسه حتى تستبينه قال لا السيف السيف لا تتق العدو بطرف ثم قال للشيعة من أطاعني فليطع هذا يعني أبا مسلم ومن عصاه فقد عصاني ثم قال له إن استطعت أن لا تدع بخراسان أرضا فيها عربى فافعل وأيما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله ولا تخاف هذا الشيخ يعني سليمان ابن كثير ولا تعصه فشخصوا الى خراسان ووقعت العصبية بخراسان

بين نصر بن سيار كان عامل مروان عليها وبين الكرمانى فدخل على نصر بن سيار رجل فقال له أن مروان بن محمد قد خالف ما ظن به الناس وقد كان رجى وأمل وما أرى أمره إلا وقد انتقض واجترأت عليه الخوارج وانتقضت عليه البلاد وخرج عليه ثابت بن نعيم ورأى الاشتغال بالذاته أهم عليه فلو اجتمعت كلمتك مع الكرمانى فاني خائف أن يوقعك هذا الخلاف فيما نكره وأنت شيخ العرب وسيدها وأرى والله فى هذه الكور شيئاً واسمع أموراً أخاف أن تذهب أو تذهل منها العقول فقال نصر بن سيار والله ما أتهم عقلك ولا نصيحتك ولكن أكنف عن هذا القول فلا يسمعن منك فالتحم ما بين الرجلين وهاجت الحرب وتقاتلوا وجعلت رجال الشيعة تجتمع فى الكور الأنف والألفان فيجتمعون فى المساجد ويتعاون أى يتعارفون بينهم فبلغ ذلك نصر واغتنم لذلك وخاف أن وجه اليهم من يقاتلهم أن يتجاوزوا الى الكرمانى فلما استفحل أمر القوم وقام بأمرهم أبو مسلم الخراسانى ثم اجتمعوا وأظهروا أمرهم . فكتب نصر بن سيار الى مروان ابن محمد .

أرى خلل الرماد وميض نار * ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وأن الحرب أولها الكلام
أقول من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ أمية أم نيام
فان كانوا لحينهم نياما * فقل قوموا فقد حان القيام
ففرى عن رحالك ثم قولى * على الاسلام والعرب السلام

فكتب اليه مروان : ان الشاهد يرى ما يرى الغائب فقال نصر لما قرأ الكتاب أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده وجعل أبو مسلم يكتب الكتب ثم يقول للرسل مروا بها على اليمانية فانهم يتعرضون لكم ويأخذون كتبكم فاذا رأوا فيها إنى رأيت المضرية لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثق بهم ولا تطمئن اليهم فانى أرجو أن

يريك الله فى اليمانية ما تحب ويرسل رسولا آخر بمثل ذلك على اليمانية فيقول مر على المضرية فكان الفريقان جميعاً معه. وجعل يكتب إلى نصر بن سيار والى الكرمانى: ان الامام قد أوصانى بكم ولست أعدوا رأيه فيكم فجعل نصر يقول. ياعباد الله هذه والله الذلة رجل بين أظهرنا يكتب الينا بمثل هذا لانقدر له على ضر ولا نفع فلما تبين القوم أن لانصير لهم كتب أبو مسلم الى أصحابه فى الكور أن أظهروا أمركم فكان أول الناس من سود أسيد بن عبد الله فنادى يا محمد يامنصور فتعود معه العكى ومقاتل بن حكم وعمر بن غزوان وأقبل أبو مسلم حتى نزل الخندقين فهابه الفريقان جميعا فقال لست أعرض لواحد منكم إنما ندعوا الى آل محمد فمن تبعنا فهو منا ومن عصانا فالله حسيبه. فلما جعل أصحابه يكثرون عنـــده وهو يطمع الفريقين جميعا فى نفسه كتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد يذكر استعلاء أمر أبى مسلم ويعلمه بحاله وخروجه وكثرة شيعته وانه قد خاف أن يستولى على خراسان وانه يدعو الى ابراهيم بن محمد فأتى مروان الكتاب وقد أتاه رسول أبى مسلم بجواب ابراهيم فأخذ جواب ابراهيم وفيه لعن ابراهيم لأبى مسلم حين ظفر بالرجلين الا يدع بخراسان عربياً إلا قتله فانطلق الرسول بالكتاب الى مروان فوضعه فى يده. فكتب مروان الى الوليد بن معاوية وهو على دمشق: أن أكتب الى عاملك بالبلقاء فليأخذ ابراهيم بن محمد فليشده وثاقا ثم يبعث به اليك ثم وجه به إلى فأتى اليه وهو جالس فى مسجد القرية فأخذ الى دمشق ودخل على مروان فأنبه وشتمه فاشتد لسان ابراهيم عليه ثم قال يا أمير المؤمنين ما أظن ما يرى الناس عنك إلا حقاً فى بعض بنى هاشم فقال: أدركك الله بأعمالك إذهب به فان الله لا يأخذ عبداً عند أول ذنب إذهب به الى السجن. فقال أبو عبيدة فكنت آتيه فى السجن ومعه عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز فوالله أنى ذات ليلة فى سقيفة السجن بين النائم والقيظان اذا مولى لمروان قد استفتح ومعه عشرون رجلا من موالى مروان من الاعاجم ومعه صاحب السجن ففتح لهم فدخلوا وأصبحنا فاذا عبد الله بن عمر وابراهيم

بن محمد ميثان فانكسر لذلك أبو مسلم بخراسان إذ بلغه موت ابراهيم وانكسرت الشيعة واستعلى أمر الكرمانى فلما رأى أبو مسلم ذلك قال له أنا معك ثم دارت الأحوال بين نصر والكرمانى حتى غدر نصر بالكرمانى فقتله وصلبه فخاف نصر على نفسه من أبى مسلم

(ذكر ما أمال أصحاب الكرمانى الى أبى مسلم)

وذكروا أن أبا مسلم كتب الى نصر: انه قد جاءنا من الامام كتاب فلم يعرضه عليك فان فيه بعض ما تحب فدخل عليه رجل فقال . أن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين . فقال نصر ادخل فالبس ثيابى فدخل بستانا له وقد تقدم الى صاحب دوابه فأتاه بدواب فركب وهرب معه داود بن أبى داود وهرب معه بنوه وتفرق أصحابه وجاء القوم الى أبى مسلم فأعلموه انه خرج ولا يدرون أين توجه فاستولى أبو مسلم على خراسان فاستعمل عليها عماله ثم وجه أبا عون فى ثلاثين ألفا الى مروان فلما بلغ مروان الخبر خرج حتى أتى حران فتحمل بعياله وبناته وأهله وقد كان يتعصب قبل فجفا أهل اليمن وأهل الشام وغيرهم وقتل ثابت ابن نعيم والسمط بن ثابت وهدم مدائن الشام وتحول الى الجزيرة . قال اسماعيل ابن عبد الله القسرى . دعانى مروان فقال يا أبا هاشم وما كان تكنينى قبلها قد ترى ما حل من الأمر وأنت الموثوق به ولا مخبأ بعد بؤس ما الرأى فقلت يا أمير المؤمنين على ما أجمعت قال على أن ارتحل بموالى وعيالى وأموالى ومن تبعنى من الناس حتى أقطع الدرب ثم أميل الى مدينة من مدائن الروم فانزلها وأكاتب صاحب الروم واستوثق منه فما يزال يأتينى الخائف والهارب حتى يلتفت أمرى قال اسماعيل : وذلك والله الرأى فلما رأيت ما أجمع عليه ورأيت سوء آثاره فى قومى وبلائه القبيح عندهم قلت له أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأى أن تحكم ذلك أهل الشرك وفى بناتك وحرمك وهم الروم

لاوفاء لهم ولاندرى ماتأتى به الأيام فان أنت حدث عليك حادث بالروم ولا يحدث الأخير ضاع أهلك من بعدك ولكن أقطع الفرات ثم استدعى الشام جندا جنداً فانك فى كنف وجماعة وعزة لك فى كل جند صارم يسيرون معك حتى تأتى مصر فانها أكثر أرض الله مالا ورجالا ثم الشام أمامك وافريقية خلفك فان رأيت ماتحب انصرفت الى الشام وإن كانت الأخرى مضيت الى افريقية قال صدقت ثم استخار الله وقطع الفرات فمر بكور من كور الشام فوثبوا عليه فأخذوا مؤخر عسكره فانتهبوه ثم مر بحمص فصنعوا له مثل ذلك ثم مر بأهل دمشق فوثبوا عليه ووثب به الوليد بن معاوية وكان عامل مروان على دمشق ثم مضى الى الأردن فوثب به هاشم بن عمر ثم مر بفلسطين فوثب به الحكم ثم مضى الى مصر فاتبعه الحجاج بن زمل السكسكى فقيل له أتتبعه وقد عرفت بغضه لقومك فقال ويحكم أنه اكرمنى لمثل هذا اليوم لأخذله وتبعه أيضا أبو سلمة الخلال وثعلبة بن سلامة وكان عامله على الأردن وتبعه أيضا الرماحس فقال إنى لأسير مع مروان حيث جزنا فلسطين فقال يارماحس انفرجت عنى قيس انفراج الرأس ماتبعنى منهم أحد وذلك انا وضعنا الأمر فى غير موضعه وأخرجناه من قوم أيدنا الله بهم وخصصنا به قوما والله مارأينا لهم وفاء ولاشكراً

(تولية أبى مسلم قحطبة بن شبيب قتال مروان)

وذكروا أن الهيثم بن عدى أخبرهم عن رجال أدركوا الدولة وصحبوا أهلها قالوا : لما استولى ابو مسلم على خراسان وولى قحطبه الطائى قتال مروان بن محمد وبعث معه ثلاثين ألفا من رجال اليمن وأهل الشيعة وفرسان خراسان وخرج مروان وهو يريد أبا مسلم بخراسان ومعه مائة الف فارس سوى أصحاب الحمولة فهرب من بين يديه ابو العباس وابو جعفر وعيسى بن على بن عبد الله بن عباس فلحقوا بالكوفة فبعث أبو العباس الى أبى سلمة الخلال واسمه حفص بن سليمان

وكان والياً لابراهيم بن محمد على الشيعة بالكوفة فأمره أن بلغه أمر فيه قوة لأبي مسلم بخراسان أن يظهر أمره بالكوفة ويدعو اليه ويناهض صاحب الكوفة ففعل ذلك ابو سلمة فلما غلظ أمر أبي مسلم بخراسان واستولى عليها وبعث الجيوش الى مروان أظهر أمره بالكوفة وطرد عامل الكوفة فخرج هاربا .

(ذكر البيعة لأبي العباس بالكوفة)

وذكروا أن أبا مسلم لما بلغه أن أبا سلمة قد أظهر أمره بالكوفة ودعا الى محمد وجه رجلا من قواده الى الكوفة فى الفي فارس وأمره أن يسرع السير حتى يأتيها فأقبل ذلك القائد حتى دخل الكوفة فلقي غلاما أسود لأبي العباس فقال له اين مولاك قال هو فى دار هاهنا قال دلني عليه فدله على الدار فاستفتح الباب ثم دخل عليه فسلم عليه بالخلافة وكان ابو سلمة يريد صرف الخلافة الى ولد علي بن أبي طالب وكان ينهى أبا العباس عن الخروج ويقول له أن الأمر لم يتم وان موالى بنى أمية قائمون بالحرب والأمر أشد مما كان فقال ابوالعباس أن أبا سلمة منعني عن الخروج حتى يولى العمال ويعمل الخراج فقال القائد لعن الله أبا سلمة والله لا أجلس حتى تخرج الى الناس فخرج له مع رجاله الى المسجد ونودى الصلاة جامعة فصعد أبو العباس المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم ذكر بنى أمية وسوء آثارهم وذكر العدل فحض عليه ووعد الناس خيراً ورجا لهم الاصلاح وقسمة الفيء على وجهه ثم دخل دار الامارة وجلس الناس فلما بلغ أبا سلمة خروجه أتاه يعتذر فقبل منه وأراه المكانة منه والخاصة به وقد كان علم أبو العباس الذى أراده أبو سلمة من صرفه الخلافة إلى ولد علي بن أبي طالب :

(حرب مروان بن محمد وقتله)

وذكروا أن قحطبة بن شبيب لما انتهى إلى بعض كور الشام التقى بمروان فقاتله فانهزم مروان فاقحم قحطبة فى طلب مروان فرسه فى الفرات فحمله الماء فمات فيه وقد أصاب أهل عسكر قحطبة من أموال مروان وأمتعة عسكره مالا يحصى كثرة فتناول اللواء حميد بن قحطبة وعبر الفرات حتى الشام فقيل له أن مروان ترك الطريق إلى دمشق وذهب صالح بن على بن عبد الله بن عباس وكان بناحية من الشام وقد اجتمع اليه الناس لما علموا من قرابته لأمير المؤمنين فلما اجتمع مع حميد بن قحطبة سلم اليه الأمر وقال الناس أنه خرج باظهار الدعوة لأبى العباس من غير أمره فلما سلم الأمر إلى صالح بن على أتاه كتاب أبى مسلم أن يرجع بن قحطبة ببعض عساكره إلى العراق فيكون فيها حتى يأتيه أمره فأتى صالح بن على كتابه بأنه قد صير اليه الشام وما وراءها إلى المغرب ويأمره فيه ببعثه الجيوش فى طلب مروان فولى صالح بن على رجلا من الازد يقال له أباعون على مصر وأمره بطلب مروان فى أرض المغرب وبعثه فى عشرين ألفاً وكان سليمان بن هشام قد نافر مروان وقاتله مراراً قبل ان يشتد أمر أبى مسلم فسار اليه فى أربعة آلاف وذلك بعد خروج قحطبة من عند أبى مسلم فنزل به سليمان وكانت بينه وبين أبى العباس مودة قديمة فبايع أبا مسلم على طاعة أبى العباس فسر به أبو مسلم وشيعته ثم سيره فى طلب قحطبة مدداً له وقد قاتل مروان قحطبة قبل قدوم سليمان بيومين فلما نظر مروان إلى دخول سليمان بن هشام فى عسكر قحطبة وكثرة من جاء معه انهزم فمضى سليمان مع حميد ابن قحطبة فى طلبه ولم يكن مروان انهزم عنه غلبة ولكنه كان نظر فى كتب الحدثان فوجد فيها ان طاعة المسودة لاتجاوز الزاب فقال ذلك لوزرائه فقال له ان بمصر زابا آخر قال فاليها نذهب اذاً والزاب الذى أراد عليه هو بأرض المغرب فأقبل مروان وهو يريد

مصر فالتفت الخيل فانهزم خيل أبي عون وأسر القوم وصاحب ابراهيم فأتى مروان بالاسارى فقال مروان شدوا أيديكم بالاسرى فقد أجنا الليل وبات مسرورا فلما أصبح جعل يهيء أصحابه للقاء القوم فأقبل سليمان بن هشام وأبو عون وكان مروان قد أرخى حبال الجسر وتوسط أصحابه فيما هنالك وهم آمنون فقال أبو عون للقبط هل لهذا النهر من مخاضة فقالوا له ما علمنا ذلك ولا بلغنا أن أحدا خاضه قط فقطع عما قصد وأراه . فكتب إلى صالح بن علي بذلك ويسأله أن يبعث اليه بمراكب ساحل البحر عاجلا فبينما هو فى ذلك إذ أتاه رجل من القبط فقال له إن أبي كان يقرأ الكتاب وكان يحدثنا بأمور تكون بعده ويصف لنا موضعاً يجعله الله لكم تخوض فيه الخيل عند تلك الأمور وقد اختبرت ذلك الليلة فسر بذلك أبو عون ثم بعث معه الخيل إلى ذلك الموضع بعد أن وصله ووعده خيراً وكان مروان نظر إلى الرايات السود بناحية مصر ونظر إلى الخيل تعدو النهر ولا يشك انهم لايجدون سبيلا إلى عبوره فلم ينشب أهل عسكر مروان ان نظروا إلى خيل أبي عون قد جاوزت النيل فعبأ مروان أصحابه وأهل بيته ثم خطبهم وحضهم على الصبر وقال لهم . أن الجزع لايزيد فى الأجل وأن الصبر لاينقص الأجل وأقبل القوم فاقتتلوا من وقت صلاة الصبح إلى ان مالت الشمس فاصيب عبد الله ومحمد ابنا مروان وبنو أبيه أكثرهم وولد عبد العزيز وصابر القوم فلما لم يبق حوله إلا قدر الثلاثين حمل على القوم فأكردهم ورجع فجعل أصحابه يفترقون عنه . فلما رأى ذلك نزل عن فرسه وأنشأ يقول متمثلا

ذل الحياة وهو الممات وكلا أراه وخيما وبيلا
فان كان لابد من ميتة فسيرى إلى الموت سيرا جميلا

فوثب رجل إلى فرسه فأخذه فقال له مروان أكرمه فانه اشقر مروان ثم كسر غمد سيفه وقاتل قتالا شديدا ثم أصيب فنزل أبو عون فأمر بضرب قبابه وأمر سليمان بن هشام بطلب المنهزمين حتى أصيب عامتهم واستأثر منهم من

استأثر وكان فيمن أسر منهم عبد الحميد كاتبه وحكم المكى مؤذنه فاستبقاهما أبو عون وبعث بهما إلى صالح بن على ثم أمر أبو عون بطلب جثة مروان على شاطىء النيل فلما كان من الغد ركب أبو عون وسليمان بن هشام لينظر مروان فنظر اليه ثم تحول أبو عون إلى سليمان فقال . الحمد لله الذى شفى صدرك قبل الموت من مروان فهل لك يا أبا أيوب ان تذهب إلى أمير المؤمنين بكتابي وبما هيأ الله على يديك وشفي به صدرك فيفعل بك خيراً ويعرف من قرابتك ونصحك ماأنت أهله فرضى بذلك سليمان فكتب وصار فلما قدم سليمان بن هشام على أبى العباس أمير المؤمنين رحب به وقربه واستلطفه وأنزله بعض دور الكوفة وفعل به مالم يفعل بأحد سواه من البر والاكرام وكان سليمان يختلف إلى مائدة أبى العباس فى كل يوم فيتغدى معه ويتعشى وكان كأحد وزرائه وفوقهم وكان يجلس أبا جعفر عن يمينه وسليمان عن يساره

(قتل أبى سلمة الخلال)

وذكروا أن أبا العباس لما تمت له الأمور واستوثقت استشار وزراءه فى قتل أبى سلمة فأدار القوم الرأى فيه وكان أبو سلمة يظهر الادلال والقدرة على أمير المؤمنين وكان يقيم عنده فى كل ليلة الى حين من الليل فاذا أراد الخروج والرجوع الى منزله قربت اليه دابته الى المجلس فيركب منه دون غيره ثم يخرج الى داره . فقالوا له أنك إن قتلته ارتاب أبو مسلم ولكن الرأى أن تكتب اليه بأمره اليه فلما قدم الكتاب الى أبى مسلم كتب الى أبى العباس إن كان رأيك منه ريب فاضرب عنقه فلما أتاه الكتاب قال له وزراءه لا تأمن أن يكون ذلك غدراً من أبى مسلم وأن يكون إنما يريد أن يجد السبيل الى ما تتخوف منه ولكن اكتب اليه أن يبعث اليك برجل من قواده يضرب عنقه فكتب اليه بذلك وذكر فى كتابه انى لا أقدم ولا أؤخر إلا برأيك فبعث اليه برجل يقال مرار الضبي

فلما قدم على أبا العباس أمر ذلك الصبي أن يقعد له فى الظلمة فى داخل دار الأمارة بالكوفة فاذا خرج ضربه بالسيف ثم يأتيه برأسه ، فقتله ثم أمر بصلبه فلما أصبح الناس إذا هم بأبى سلمة مصلوبا على دار الامارة

(قتل رجال بنى أمية بالشام)

وذكروا أن أبا العباس ولى عمه عبد الله بن على الذى يقال له السفاح وأمره أن يسكن فلسطين وأن يجد السير نحوه وهنأه بما أصاب من أموال بنى أمية وكتب الى صالح بن على أن يلحق بمصر والياً عليها . فقدم السفاح فلسطين وتقدم صالح الى مصر فأتاها بعد قتل مروان بيومين وان السفاح بعث الى بنى أمية وأظهر للناس أن أمير المؤمنين وصاه بهم وأمره بصلبهم والحاقه فى ديوانه ورد أموالهم عليهم فقدم عليه من أكابر بنى أمية وخيارهم ثلاثة وثمانون رجلا وكان فيهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وابان بن معاوية بن هشام وعبد الرحمن بن معاوية وغيرهم من صناديد بنى أمية . فأما عبد الرحمن بن معاوية فلقيه رجل كان صنع به براً وأسداه خيراً وأولاه جميلا فقال له : أطعنى اليوم فى كلمة ثم اعصنى الى يوم القيامة . فقال له عبد الرحمن وما أطيعك فيه اليوم فقال له الرجل : ادرك موضع سلطانك وقاعدتك المغرب ، النجا النجا فان هذا غدر من السفاح ويريد قتل من بقى من بنى أمية فقال له عبد الرحمن ويحك إن كتاب أبى العباس قدم عليه يأمره فيه بصلتنا ورد أموالنا الينا وإلحاقنا بالعطاء الكامل والرزق الوافر . فقال له الرجل ويحك أتغفل والله لا يستقر منك بنى العباس ولا يستولون على سلطان ومنكم عين تطرف . فقال له عبد الرحمن ذكرت والله عالما بهذا الأمر أما لئن قلت ذلك لقد وقفت بين يديه وأنا غلام يوم توفى أبى معاوية وهشام يومئذ خليفة فكشفت عن ظهرى فنظر الى ما نظرت اليه فقال لهشام جدى وهو يبكى : هذا اليتيم يا أمير المؤمنين صاحب ملك المغرب

فقال له هشام وما الذى أبكاك يا أبا سعيد لهذا تبكى فقال أبكى والله على نساء بنى أمية وصبيانهم كأنى بهم والله وقد أبدلوا بعـــد أساورة الذهب والفضة والأغلال والحديد وبعد الطيب والدهن البقل والعقار وبعد العز الذل والصغار فقال هشام أحان زوال ملك بنى أمية يا أبا سعيد فقال مسلمة أى والله حان وإن هذا الغلام يعمر منهم ثم يصير الى المغرب فيملكها . فقال له الرجل فاقبض منى هذا المال واخرج بمن تثق به من غلمانك فقال عبد الرحمن والله إن هذا الوقت ما يوثق فيه بأحد فولى ذاهباً وخرج لا يدرى متى خرج فلحق بالمغرب وأقبل القوم من بنى أمية وقد أعدلهم السفاح مجلسا فيه أضعافهم من الرجال ومعهم السيوف والأجرزة فأخرجهم عليهم فقتلهم وأخذ أموالهم . واستعفى عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك وكان عبد الواحد قد بذ العابدين فى زمانه وسبق المجتهدين فى عصره فركب السفاح الى موالى عبد الواحد وكان عبد الواحد قد اتخذ أموالا معجبة تطرد فيها المياه والعيون فأمره السفاح أن يصيرها اليه فأبى عليه واختفى منه فأخذ رجالا من أهله فتواعدهم السفاح وأمر بحبسهم حتى دلوه عليه فلما قبضه أمر بقتله ثم استقصى ماله فبلغ ذلك أبا العباس أمير المؤمنين وكان أبو العباس يعرفه قبل ذلك وكان عبد الفاضل أفضل قرشى كان فى زمانه عبادة وفضلا . فقال أبو العباس رحم الله عبد الواحد أما والله كان يقاتل المقاتلة ولا ممن يشار اليه بفاحشة وما قبلته إلا أمواله ولو أن السفاح عمى وذمامه ورعاية حقه على واجب لأقدت منه ولكن الله طالبه وقد كنت أعرف عبد الواحد برآ تقيا صواما قواما . ثم كتب الى عمه السفاح ألا يقتل أحداً من بنى أمية حتى يعلم به أمير المؤمنين فكان هذا أول ما نقم به أبو العباس على عمه السفاح

(ذكر قتل سليمان بن هشام)

وذكروا أن عيسى بن عبد البر أخبرهم قال كان سليمان بن هشام أكرم الناس ،

على أبى العباس أمير المؤمنين لحسن بلائه مع قحطبة وقيامه معه على مروان ابن عمه وكان هو الذى تولى كبره وقتل على يديه فكان لذلك أخص الناس بأبى العباس فبينما هما يوما وقد تضاحكا وتداعبا إذ أتى رجل من موالى أبى العباس يقال له سديف فناول أبا العباس كتابا فيه :

أصبح الملك ثابت الأساس ... بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثارا ... واقطعن كل نخلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها ... وبها منكم كحز المواسى
ولقد غاظنى وغاظ سوائي ... قربهم من منابر وكراسى
أذكرن مقتل الحسين وزيداً ... وقتيلا بجانب المهراس

فقرأه أبو العباس ثم قال له نعم ونعما عين وكرامة سننظر فى حاجتك ثم ناول الكتاب أبا جعفر ثم سلم سليمان بن هشام ثم قام وخرج فتطلع رجل من موالى بنى أمية كانت له خاصة وخدمة فى بنى العباس فعرف بعض مافى الكتاب فلما خرج من عند أمير المؤمنين مر بسليمان بن هاشم فى غرفة له بالكوفة فسلم ثم قال لسليمان من عندك يا أبا أيوب فقال له ما عندى غير ولدى فقال له : إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين . فخرج سليمان من ليلته هاربا فلحق ببعض نواحى الجزيرة وكتب الى مواليه وصنائعه فاجتمع اليه منهم خلق كثير فبعث اليه أبو العباس بعثا يقاتله فانهزم ذلك البعث ثم بعث اليه بعثا آخر فهزمه أيضا قال فتنقل سليمان عن ذلك الموضع الى غيره ثم بعث اليه بعثا آخر فأسر سليمان وولده فأتى بهما أسيرين الى أبى العباس فأمر فقطعت لهما خشبتان وقدمتا اليهما فأمر بضرب رقابهما وصلبهما فقال سليمان لولده تقدم يا بنى على مصيبتى بك فتقهقر الغلام ثم تقدم فقتل ثم قتل سليمان وصلبا على باب الأمارة بالكوفة

(خروج السفاح على أبى العباس وخلعه)

وذكروا أن الهيثم بن عدى أخبرهم قال لما تولى السفاح الشام واستصفى أموال بنى أمية لنفسه أعجبته نفسه وحسد ابن أخيه على الخلافة فأظهر الطعن على أبى العباس والتنقص له فلما بلغ ذلك أبا العباس كتب اليه يعاتبه على ما كان منه فزاده ذلك عجبا وحسداً بما فيه فحبس الخراج ودعا الى نفسه وخلع طاعته ثم قرب موالى بنى أمية وأطعمهم وسد ثغورهم وأبدى العزم وأظهره على محاربة أبى العباس فلما انتهت أخباره الى أبى العباس كتب الى أبى مسلم يستغيثه ويذكر عظيم يده عنده ويسأله القدوم عليه لأمر السفاح فقدم أبو مسلم فأقام عنده أياما ثم خرج الى السفاح ومعه أجناده وقواده فالتقى السفاح على الفرات فهزمه واستباح عسكره وأخذه أسيراً فقدم به على أبى العباس فلما قدم اليه وأدخل عليه قال : ياعمى احسنا وواسينا فحسدت وبغيت وقد رأيت تعطفا عليك وصلة لرحمتك ان أحبسك رقيقا حتى تؤدب نفسك ويبدو ندمك ثم أمر فبنى له بيت جعل أساسه قطع الملح فحبسه فيه فلما كان بعض أيام أرسل الماء حول البيت فذاب الملح وسقط البيت عليه فمات فيه ورد أبا مسلم الى عمله بخراسان فأقام فيها بقية عامه ثم أخرج أبو العباس أبى جعفر واليا على الموسم وخرج أبو مسلم أيضا حاجا من خراسان

(اختلاف أبى مسلم على أبى العباس)

وذكروا أن أبى العباس وجه أبا جعفر فى ثلاثين رجلا الى أبى مسلم وكان فيهم الحجاج بن ارطاة الفقيه والحسن بن الفضل الهاشمى وعبد الله بن الحسين فلما توجه أبو جعفر الى أبى مسلم بخراسان وقدم عليه استخف به بعض الاستخفاف ولم يزد الاجلال له وجعل يعظم فى كلامه وفعله الخليفة ولم يزل أبو مسلم

يتخوف أن يصنع به مثل ما صنع بأبي سلمة الخلال وكان لا يظهر ذلك لأحد فلما قدم أبو جعفر عليه ومعه الثلاثون رجلا وفيهم عبد الله بن الحسين قام اليه سليمان بن كثير فقال يا هذا إنا كنا نرجو أن يتم أمركم فاذا شئتم فادعوا الى ما تريدون فظن أنه دسيس من أبي مسلم فخاف ذلك فبلغ أبا مسلم ان سليمان ابن كثير سامر عبد الله بن الحسين بن علي فقال لسليمان بلغني أنك سامرت هذا الفتى قال أجل له قرابة وحق علينا وحرمة فسكت فأتى عبد الله بن الحسين أبا مسلم فذكر له ذلك وظن أنه إن لم يفعل اغتاله أبو مسلم فبعث أبو مسلم الى سليمان بن كثير فقال له أتحفظ قول الامام من اتهمته فاقتله قال نعم قال قد اتهمتك فقال ناشدتك الله قال لا تناشدني وأنت منطو على غش الامام فأمر فضربت عنقه وكتب أبو مسلم الى محمد بن الأشعث أن يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم واستعمل أبو العباس عيسى بن علي على فارس فأخذه محمد فهم بقتله فقيل لمحمد إن هذا لا يسوغ لك قال أمرني أبو مسلم أن لا يقدم علي أحد إلا ضربت عنقه فقال ما كان أبو مسلم ليفعل شيئا إلا بأمر الامام فلما قدم أبو جعفر من عند أبي مسلم قال لأبي العباس لست بخليفة ولا آمرك بشيء ان لم تقتل أبا مسلم فقال أبو العباس وكيف ذلك قال لا والله ما يعبأ بنا ولا يصنع إلا ما يريد فقال له أبو العباس اسكت واكتمها

(قتال ابن هبيرة وأخذه)

وذكروا أن أبا العباس وجه أبا جعفر الى مدينة واسط تقدم على الحسين بن قحطبة وهو على الناس وكتب أبو العباس الى الحسين بن قحطبة ان العسكر عسكرك والقواد قوادك فان أحببت أن يكون أخي حاضرا فأحسن مؤازرته ومكانفته وكتب الى أبي نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك وذكروا أن ابن هبيرة كان تعصب لمضر وبين المدينتين فقال اليمانية الذين مع ابن هبيرة لا والله لا نعين على دعوة بني أمية أبدا لسوء رأيهم فينا

و بعضهم لنا وقالت القيسية لا والله لا نقاتل حتى يقاتل اليمانية فلم يكن يقاتل مع ابن هبيرة إلا صعاليك الناس وأهل العطاء . وكان من رأى بن هبيرة ان لا يعطى طاعة لبنى العباس وكان رأيه أن يدعو الى محمد بن عبد الله بن الحسين فاطلع على ذلك أبو العباس وخاف أن يثور اليمانية مع ابن هبيرة فى ذلك . فكاتبهم أبو جعفر وقال فى كتابه لهم السلطان سلطانكم والدولة دولتكم وكتب الى زياد بن صالح الحارثى بذلك وكان عامل ابن هبيرة فى المدينة وكان عامله قبل ذلك على الكوفة فأجاب زياد ابن صالح وذلك لما خاف أن يدخل المدينة فيقتل بها فلما كان مغيب الشمس قاموا اليه فلما صلى المغرب ركب فطاف فى مسالحه وأبوابه فرجع عتمة فتعشى ثم صلى فأقبل علي ابن الهيثم فقال والله ما أتخاف غصه أعظم ولا أهم الى منك لأنك مع هؤلاء ولست أدرى ما يكون بعد اليوم وأرى الأمر قد استتب لهؤلاء القوم فى المشرق والمغرب ولكن ان لقيت أبا العباس أعلمته من أمرى قال ما أخاف تقصيرك ثم قال لست أثق بولد ولا بغيره ثقتى بك فيما أريد أن أوطده ، تأخذ مفاتيح هذه المدينـــة حتى تصبح فتأتى بها ابن هبيرة فقلت انظر ما تصنع فى خروجك أتثق بالقوم قال هم قد جرى بينى و بينهم ما أثق به وأتانى كتاب أبى العباس بكل ما أحب وكتاب أبى جعفر فقلت يا أبا الربيع أخاف أن لا يوفى لك . فلما أدهم الليل وانتصف قام فصلى ركعات وأمر غلمان فحملوا امتاعه ثم أخرج أربعة غلمان له وابنه ثابت على برذون له وخرج وأغلق الباب فلما انتهى الخبر الى ابن هبيرة بكى وقال ما يوثق بأحد بعد زياد بن صالح بعد إيثارى إياه وإكرامى وتفضيلي له "وما صنعت به قلت هو هنا لك والله خير لك منه هاهنا . قال وترى ذلك ؟ قلت نعم ثم مشت الكتب والرسل بينهم أى بين أبى جعفر وابن هبيرة حتى صار أمرهم الى أن يلقاه ونهض ابن هبيرة لهم وتخلى مما بيده لهم .

(كتاب الأمان)

وذكروا أن رجلا من قيس يقال له أبو بكر بن مصعب العقيلي سعى فى كتاب

الصلح والأمان عند أبي جعفر حتى تم له فأتى به ابن هبيرة وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن علي أبي جعفر ولي أمر المسلمين ليزيد بن هبيرة
ومن معه من أهل الشام والعراق وغيرهم في مدينة واسط وأرضها من المسلمين
والمعاهدين ومن معهم من وزرائهم . إني أمنتكم بأمان الله الذي لا إله إلا هو الذي
يعلم سرائر العباد ويعلم ماتخفي الصدور واليه الأمر كله، أمانا صادقا لا يشوبه غش
ولا يخالطه باطل على أنفسكم وذراريكم وأموالكم وأعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة
ومن أمنته في أعلا كتابي هذا بالوفاء بما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه الذي واثق
به الأمم الماضية من خلقه وأخذ عليهم به أمره عهداً خالصا وذمة الله وذمة محمد
ومن مضى من خلفائه الصالحين وأسلافه الطيبين التي لا يسع العبادة نقضها ولا
تعطيل شيء منها ولا الاحتقار بها ، وبها قامت السموات والأرض والجبال فأبين
أن يحملنها وأشفقن بها تعظيما لهـــا وبها حقنت الدماء ، وذمة روح الله وكلمته
عيسى بن مريم وذمة ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وأعطيتك
ما جعلت له من هذه العهود والمواثيق ولمن معك من المسلمين وأهل الذمة بعد
استئماري فيما جعلت لك منه عبد الله بن محمد أمير المؤمنين أعز الله نصره وأمر
بانفاذه لكم . فاطمئن الى ما جعلت لك من الأمان والعهود والمواثيق وثق بالله
وبأمير المؤمنين فيما سلم منه ورضى به وجعلته لك ولمن معك على نفسي ولك على
الوفاء بهذه العهود والمواثيق والذمم أشد ما أخذ الله وحرمه وما أنزل الله تبارك
وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه جعله كتابا مبينا لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ونوراً وحجة على العباد حتى ألقى الله وأنا عليه ، وأنا
أشهد الله وملائكته ورسله ومن قرىء عليه كتابي هذا من المسلمين والمعاهدين
بقبول هذه العهود والمواثيق وإقراري بها على نفسي وتوكيدي فيها وعلى تسليمي
لك ما سألت ولا يغادر منها شيء ولا ينكث عليك فيها ، وأدخلت في أماناتي
هذا جميع من قبلي من شيعة أمير المؤمنين من أهل خراسان ومن الأمير المؤمنين

عليه طاعة من أهل الشام والحرب وأهل الذمة وجعلت لك أن لا ترى مني انقباضا ولا مجانبة ولا ازورارا ولا شيئا تكرهه فى دخولك علي الى مفارقتك إياى ولا ينال أحد معك أمرا يكرهه وأذنت لك ولهم فى المسير والمقام . جعلت لهم أمانا صحيحا وعهدا وثيقا وان عبد الله بن محمد ان نقض ما جعل لكم فى أمانكم هذا فنكث أو غدر بكم أو خالف الى أمر تكرهه أو تابع على خلافة أحد من المخلوقين فى سر أو علانية أو أضمر لك فى نفسه غير ما أظهر لك أو ادخل عليك شيئا فى أمانه وما ذكر لك من تسليم أمير المؤمنين التماس الخديعة والمكر بك وإدخال المكروه عليك أو نوى غير ما جعل لك من الوفاء لك به فلا قبل الله منه صرفا ولا عدلا وهو برىء من محمد بن علي وهو يخلع أمير المؤمنين ويتبرأ من طاعته وعليه ثلاثون حجة يمشيها من موضعه الذى هو به من مدينة واسط الى بيت الله الحرام الذى بمكة حافيا راجلا . وكل مملوك يملكه من اليوم الى ثلاثين حجة بشراء أو هبة أحرار لوجه الله وكل امرأة له طالق ثلاثا وكل ما يملكه من ذهب أو فضة أو متاع أو دابة أو غير ذلك فهو صدقة على المساكين وهو يكفر بالله وبكتابه المنزل على نبيه والله عليه فيما وكدوجعل على نفسه فى هذه الايمان راع وكفيل وكفى بالله شهيدا . قالوا وكان من رأى أبى جعفر الوفاء لابن هبيرة وأصحابه

(قدوم ابن هبيرة على أبى العباس)

وذكروا أن ابن هبيرة وأصحابه لما جاءهم الكتاب بالايمان ترددوا فيه أربعين يوما يتدبرونه ويستخيرون الله فى الخروج اليهم ثم عزم الله له فى القدوم على أبى العباس وأبى جعفر وكان أبو مسلم كثيرا ما كتب لأبى العباس إنه قل طريق سهل يلقى فيه حجارة إلا ضر ذلك بأهله ولا والله يصلح طريق فيه ابن هبيرة وأصحابه . وكان أبو الجهم بن عطية عين أبى مسلم على أبى العباس فكان يكتب اليه بالاخبار

وكان أبو العباس لا يقطع أمرا دون رأى أبى مسلم وقد كان ابن هبيرة فى تلك الأربعين ليلة يجمع لذلك الكتاب من يعبر الكلام والفقه طرفى النهار فيترددون فيه حتى بلغوا فيه الغاية التى يريدون . ثم خرج ابن هبيرة إلى أبى جعفر فى الف وثلاثمائة فلما قدم أراد ان يدخل دار الامارة على دابته فقام الاذن فقال مرحبا بك أبا خالد انزل راشدا وقد طاف بالدار يومئذ نحو من عشرة آلاف رجل من أهل خراسان مستلئمين فى السلاح أعينهم تزهوا من تحت المغافر على عواتقهم السيوف مشهورة وعمد الحديد بأيديهم . فأتى ابن هبيرة بوسادة فطرحت له فجلس عليها ثم دعا الحاجب بالقواد فدخلوا على أبى جعفر ثم خرج سلام بن سلام فقال أدخل أبا خالد قال ومن معى ؟ قال إنما استأذنت لك فدخل فوضعت له وسادة فجلس فحدثه أبو جعفر طويلا ثم نهض فركب فاتبعه أبو جعفر ببصره حتى انصرف .

(قتل ابن هبيرة)

وذكروا أن أبا العباس كتب إلى أبي جعفر . أن اقتل ابن هبيرة فرادده أبو جعفر بالكتاب فكتب اليه أبو العباس . والله لتقتلنه أو لأبعثن اليك من يخرجه من عندك ويتولى ذلك عليك . وكان ابن هبيرة إذا ركب إلى أبي جعفر ركب فى ثلاثمائة فارس وخمسمائة رجل فقدم يزيد بن حاتم على أبي جعفر فقال أصلح الله الأمير ماذهب من سلطان ابن هبيرة شيء يأتينا فيتضعضع به العسكر فقال أبو جعفر ياسلام قل لابن هبيرة يركب فى مثل تلك الجماعة وليأتنا فى حاشيته . قال عدى فأصبحنا فخرج ابن هبيرة أيضاً فى مثل هذه الجماعة الذين كانوا يركبون معه فخرج اليه سلام فقال يقول لك الأمير ما هذه الجماعة لاتسير إلا فى حاشيتك فتغير وجه ابن هبيرة فلما أصبح أتى فى نحو من ثلاثين رجلا قال له ابن سلام كأنك إنما تأتينا مباهيا فقال ابن هبيرة ان أحببتم ان نمشى اليكم فعلنا فقال سلام

ما نريد بذلك استخفافا بك ولكن أهل العسكر إذا رأوا جماعة من معك غمهم ذلك فكانى هذا من الأمير نظراً لك فمكث طويلا جالسا فى الرواق فقيل له أن الأمير يحتجم فانصرف راشداً فلم يزل يركب يوماً ويقيم آخر لايجيء إلا فى رجلين أوغلامه وقد ختموا على الخزائن وبيوت الأموال وجعل القواد يدخلون على أبى جعفر فيقولون ما تنتظر به فيقول ما أريد إلا الوفاء له حتى إذا اجتمع أمرهم على قتله بعث إلى الحسين بن قحطبة فأتاه فقال لو سرت إلى هذا الرجل فأرحتنا منه فقال لا نريد ذلك ولكن أبعث اليه رجلا من قدمه من مضر حتى يقتله فتفرق كلمتهم عند ذلك فدعا حازم بن حزيمة والهيثم بن شعبة قال لهم أبو جعفر ائتوا إلى ابن هبيرة فجددوا على بيوت المال الختم وعلى الخزائن وبعث معهما من المضربة والقيسية أن يحضروا الاذن وأريحونا من الرجل ففعلوا ثم دخلوا رحبة القصر فى مائة رجل فأرسلوا إلى ابن هبيرة إنا نريد حمل ما بقى فى الخزائن فقال ادخلوا فدخلوا الخزائن فطافوا بها ساعة وجعلوا يخلفون عند كل باب عدة حتى دخلوا عليه فقالوا ارسل معنا من يدلنا على المواضع وبيوت الأموال فقال ياعثمان ارسل معهم من يريدون فطاف حازم وأصحابه فى القصر ساعة وابن هبيرة عليه قميص له مصرى وملاءة موردة وهو مستند ظهره إلى حائط المسجد فى رحبة القصر ومعه ابنه داود وحاجبه وكاتبه عمر بن أيوب وعدة من مواليه وبنيه وفى حجر ابن هبيرة ولد صغير . فلما توثقوا من كل شيء أقبلوا نحوه فلما رآهم قد أقبلوا اليه قال والله إن فى وجوه القوم لشراً . فلما دنوا منه قام أبو عثمان فقال ماوراءكم فنفحه الهيثم بالسيف فأصاب حبل عاتقه فصرعه وقام ابنه داود فقاتل فتفرقوا عليه فقتلوه ومواليه ثم مضوا نحو ابن هبيرة فخر ساجداً وقال ويحكم انحو عنى هذا الصبى حتى لا يرى مصرعى قال فضرب حتى مات ساجداً ثم أخذوا رؤسهم فأتوا بها أبا جعفر ونادى المنادى بواسط أمن الأمير خلق الله جميعاً إلا الحكم بن بشير وعمرو بن ذر قال فضاقت على والله الأرض بما رحبت

حتى خرجت على دابتى مالى هجير إلا آية الكرسى أتلوها والله ماعرض لى أحد حتى تواريت فلم أزل خائفاً حتى استأمن لى زياد بن عبد الله بن العباس فأمنه وهرب الحكم بن عبد الله بن بشير الى عسكره وضاقت بخالد بن مسلمة الأرض حتى أتى أبا جعفر فاستأذن عليه فأمنه . وبلغ ذالك أبا العباس فكتب الى أبى جعفر والله لو كانت له الف نفس لاتيت فاعليها أضرب عنقه فهرب أبو علاقة الفزارى وهشام بن هبيرة وصفوان بن يزيد فلحقهم سعد بن شعيب فقتلهم وقبض على أصحاب ابن هبيرة فقتل من وجوههم نحوا من خمسين ثم أمن الناس جميعا ونادى منادى أبى جعفر من أراد أن يقيم فليقم بالجابية ومن أحب أن يشخص فليشخص وهرب القعقاع بن ضرار وحميد وعدة حتى أتوا زياد بن عبد الله فاستأمن لهم فأمنوا جميعا وقوى ملك بنى العباس واستقرت قواعده فلما قتل ابن هبيرة ونودى فى أهل الشام الحقوا شامتكم فلا حاجة لنا بكم فسار أهل الشام حتى قدموا الكوفة منهم من قدم ومنهم من أخذ على عين التمر ومنهم من أخذ على طريق المدائن ثم لحقوا بالشام على طريق الفرات واستعمل أبو جعفر على واسط ومن فيها الهيثم بن زياد وخلف معه خيلا ثم انصرف أبو جعفر الى أبى العباس وهو يومئذ بالحيرة ثم وجه داود بن على الى الحجاز فقتل من ظفر به من بنى أمية وغيرهم فتوجه الى المثنى بن زياد بن عمر ابن هبيرة باليمامة فقتله وأصحابه ثم تبعهم محمد بن عمارة وكان على الطائف فقتلهم وتحول أبو العباس من الحيرة الى الأنبار فأمر أبو العباس برأس ابن هبيرة فوضع بالحيرة على خشبة ومعه غيره من عمال مروان وبها رفع رأس مروان بن محمد وعن يمينه رأس ثعلبه بن سلامه ورأس عثمان بن نجيب عن يساره واعضدت نسيمة بنى أمية وطلبوا تحت كل حجر ومدر

(اختلاف أبى مسلم على أبى العباس)

وذكروا أن أبا مسلم كتب إلى أبى العباس يستأذنه فى القدوم عليه فقدم عليه فتلقاه الناس جميعا ومعه القواد والجماعة والخيل والنجائب ثم استأذن أبا العباس فى الحج لولا أن أبا جعفر يحج لاستعملتك على الموسم فقال أبوجعفر لأبى العباس اطعنى واقتل أبا مسلم فوالله أن فى رأسه لغدرة . فقال له أى أخى قد عرفت ثلاثة وما كان منه فقال أبوجعفر هو أخطأ بذلك والله لو بعثت سنوراً مكانه لبلغ مابلغ فى مثل الدولة . قال أبو العباس كيف نقتله قال اذا دخل عليك فحادثه فاذا أقبل عليك دخلت فأتيت من خلفه فضربته ضربة آتى منها على نفسه فقال أبوالعباس أى أخى فكيف تصنع باصحابه الذين يؤثرونه على أنفسهم ودينهم قال يؤول ذلك الى خيروالى ماتريد. قال يا أخى انى أريد أن تكف عن هذا فقال أبوجعفر أخاف إن لم تنفذه يتعشاك فقال أبوالعباس فدونكه يا أخى قال وكان مع أبى مسلم من أهل خراسان عشرة آلاف قد قدم بهم يأخذون العطاء عند غرة كل شهر أوفر مايكون من الأرزاق سوى الأعاجم فلما دخل أبو مسلم على ابي العباس دعا أبو العباس خصيا له فقال إذهب فاعرف مايصنع أبو جعفر فأتاه فوجده محتفيا بسيفه فقال أبو جعفر أجالس أمير المؤمنين فقال الوصيف قد تهيأ للجلوس ثم رجع الوصيف فذكر ذلك لأبى العباس فرده أيضا الى أبى جعفر وقال قل له عزمت عليك أن لاتنفذ الأمر الذى عزمت عليه فكف عن ذلك فسار الى مكة حاجا وللموسم . وخرج أبومسلم فكان اذا كتب الى أبى جعفر يبدأ بنفسه ثم يكتب اليه لايهولنك ما فى صدر الكتاب فاني لك بحيث تحب ولكنى أحب أن يعلم أهل خراسان أن لى منزلة عند أمير المؤمنين

(كتاب أبى مسلم الى أبى جعفر وقد هم أن يخلع ويخالف)

وذكروا ان أبا مسلم لما رجع من عند أبى العباس وقد قيل له بالعراق أن القوم

أرادوك لولا ماتوقفوا من معك من أهل خراسان فلما كان فى بعض الطريق كتب الى أبى جعفر أما بعد فانى كنت اتخذت أخاك إماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه وكان فى محله من العلم وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث كان فقمعنى بالفتنة واستجهلنى بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعا فى قليل قد نعاه الله الى خلقه فمثل الضلالة فى صورة الهدى فكان كالذى ضل بغروره حتى وترت اهل الدين والدنيا فى دينهم واستحللت بما كان من ذلك من الله النقمة وركبت المعصية فى طاعتكم وتوطئة سلطانكم حتى عرفكم من كان يجهلكم وأوطأت غيركم العشواء بالظلم والعدوان حتى بلغت فى مشيئة الله ما أحب ثم أن الله بمنه وكرمه أتاح لى الحسنة وتداركنى بالرحمة واستنقذنى بالتوبة فان يغفر فقدبما عرف بذلك وان يعاقب فبما قدمت يداى وما الله بظلام للعبيد . فكتب اليه ابوجعفر . أروم مارمت وازول حيث زلت ليس لى دونك مرمى ولا عنك مقصر الرأى مارأيت ان كنت انكرت من سيرته شيئا فانت الموفق للصواب والعالم بالرشاد انا من لايعرف غير يديك ولم ينقلب الا فى فضلك فانا غير كافر بنعمتك ولا منكر لاحسانك لا تحمل على أمر غيرى ولا تلحق ما جناه سواى بى إن أمرتنى أن أشخص اليك والحق بخراسان فقلت الأمر أمرك والسلطان سلطانك والسلام

(موت أبى العباس واستخلاف أبى جعفر)

وذكروا أن أبا جعفر لما انقضى الموسم وانصرف راجعا جاءه موت أبى العباس وكان بينه وبين أبى مسلم مرحلة . فكتب الى أبى مسلم أنه قد حدث حدث ليس مثلك غائب عنه فالعجل العجل قال اسحاق ابن مسلم . فقلت لأبى جعفر وأنا أسايره ونحن مقبلون من مكة أيها الرجل لا ملك لك ولا سلطان مع هذا العبد فقال أبو جعفر ظهر غشك وبدأ منك ما كنت تكتم

بأبي مسلم يفعل هذا قلت نعم فاني أخاف عليك منه يوم سوء فقال كذبت قال
اسحاق فسكت ثم لقيته بعد ذلك من الغد ولا والله ما عرفتها فيه وعاودني بمثل
كلامه الأول فقلت له أكثر أم أقل ان لم تقتله والله يقتلك . قال فهل شاورت
في هذا أحداً قلت لا قال اسكت فسكت . فقدم الكوفة فاذا عيسى بن موسى قد
سبقه الى الأنبار وغلب على المدينة والخزائن وبيوت الأموال والدواوين وخلع
عبد الله وتوثب على أبي جعفر ودعا أهل خراسان فألحقهم باليمن وجعل لهم
الجعائل الجليلة والعطايا الجزيلة . فلما قدم أبو جعفر سلم الأمر لعيسى بن موسى
وتوثب عبد الله بن علي على أهل خراسان فقتلهم ودعا الى نفسه وأتاه أبو غانم
عبد الحميد بن ربعي فقال إن أردت أن يصفو لك الأمر فاقتل أهل خراسان
وابدأ بي . فلما قدم أبو جعفر من مكة قال لأبي مسلم إنما هو أنا وأنت والأمر
أمرك فامض الى عبد الله بن علي وأهل الشام فلما سار اليه أبو مسلم سار معه
القواد وغيرهم فلقي عبد الله بن علي وأهل الشام فهزمهم وأسر عبد الله بن علي
وبعث به الى أبي جعفر فاستنكر قعود أبي مسلم عنه فبعث اليه يقطين بن موسى
ورجلا معه على القبض فقال أبو مسلم لا يوثق بهذا ونحوه فوثب وشتم وقال
قولا قبيحا فقال له يقطين بن موسى جعلت فداك لا تدخل الغم على نفسك إن
أحببت رجعت الى أمير المؤمنين فانه إن علم أن هذا يشق عليك لم يدخل عليك
مكروها . ثم قدم أبو جعفر من الأنبار حتى قدم المدائن وخرج أبو مسلم فأخذ
طريق خراسان مخالفا لأبي جعفر فكتب اليه أبو جعفر . قد أردت مذا كرتك
في أشياء لم تحملها الكتب فأقبل فان مقامك عندنا قليل . فلم يلتفت أبو مسلم الى
كتابه فبعث اليه أبو جعفر جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي وكان
أبو مسلم يعرفه فقال له أيها الأمير ضربت الناس عن عرض أهل هذا البيت ثم
تنصرف عن مثل هذه الحال إن الأمر عند أمير المؤمنين لم يبلغ ما تكره ولا
أن تنصرف على هذه الحال فيقول أبو مسلم ويحك اني دليت بغرور وأخاف عدوه

(قتل أبي مسلم)

وذكروا أن جريراً لم يزل بأبي مسلم حتى أقبل به . وكان أبو مسلم يقول والله لأقتلن فى الروم فأقبل منصرفا فلما قدم على أبى جعفر وهو يومئذ بالرومية من المدائن أمر الناس يتلقونه وأذن له فدخل على دابته ورحب به وعانقه ثم قال له انصرف وادخل الحمام ليذهب عنك كلال السفر وأكرمه بضع أيام ثم أقبل على التجنى . فأتى أبو مسلم عيسى بن موسى فقال اركب معى الى أمير المؤمنين فانى قد أردت عتابه بحضرك فقال عيسى أنت فى ذمتى وركبوا حتى وصلوا الى أمير المؤمنين وأراد أبو مسلم الدخول فقيل له انزع سيفك فقال ما كان يصنع بى هذا فقيل وما عليك فنزع سيفه وعليه قباء أسود وتحته جبة خز فدخل فسلم وجلس على وسادة ليس فى المجلس غيرها وخلف ظهره القوم خلف ستر . فقال أبو مسلم صنع بي يا أمير المؤمنين مالم يصنع بأحد نزع سيفى من عنقى قال ومن فعل ذلك قبحه الله ثم أقبل يعاتبه فعلت وفعلت فقال يا أمير المؤمنين لم يقال هذا الى بعد حسن بلائى وما كان منى ؟ فقال له أبو جعفر يا ابن الخبيثة والله لو كانت أمة أن امرأة مكانك بلغت ما بلغت فى دولتنا ولو كان ذلك اليك فتيلا . ألست الكاتب الى تبدأ بنفسك والكاتب الى تخطب آمنة ابنة على ابن عمى وتزعم أنك أبو مسلم بن سليط عن عبد الله بن العباس فلما رأى أبو مسلم غضبه قال . يا أمير المؤمنين لاتدخل على نفسك هذا الغم من أجلى فان قدرى أصغر مما بلغ منك هذا ، فصفق أبو جعفر بيده فخرج عثمان بن نهيك فضربه ضربة خفيفة فأومأ أبو مسلم الى رجل أبى جعفر يقبلها ويقول : أنشدك يا أمير المؤمنين استبقنى لأعدائك فدفعه برجله وضربه شبيب على حبل العاتق فأسرعت فيه فقال أبو مسلم : واتعساه ألا قوة ألا مغيث اضرب لا أم لك فاعتوره القوم بأسيافهم فقتلوه فأمر به أبو جعفر فكفن بمسح ثم أمر أبو جعفر برأسه

فطرح الى من بالباب من قواد أبى مسلم فجالوا جولة وهموا أن يبسطوا سيوفهم على الناس ثم ردهم عن ذلك انقطاعهم من بلادهم وتغربهم واحاطة العدو بهم : فأمر أبو جعفر بالعطاء لهم . قال فكأنها نار طفئت فقالوا رضينا يا اميرالمؤمنين كلما فعلت فأنت الموفق فمنهم من رضى بالمقام معه ومنهم من لحق بخراسان

(ثورة عيسى بن زيد بن على بن الحسين)

وذكروا أن أبا جعفر لما قتل أبو مسلم واستولى على ملك العراقين والشام والحجاز وخراسان ومصر واليمن ثار عليه عيسى بن زيد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب فقاتله فيما بين الكوفة وبغداد ولقيه فى جموع كثيرة نحواً من عشرين ومائة ألف فأقام أياماً يقاتله فى كل يوم حتى هم أبو جعفر بالهزيمة وركب فرسه ليهرب ثم جعل يشجع أصحابه ويعدهم بالعطايا الواسعة والصلات الجزيلة فقاتلوا ثم أن أبا جعفر غلبته عيناه وهو على فرسه فرأى فى نومه أنه يمد يديه ورجليه على الأرض . فاستيقظ ودعا عياراً كان معه فأخبره بما رأى فقال له ابشر يا أمير المؤمنين فان سلطانك ثابت وسيليه بعدك جماعة من ولدك وهذا الرجل منهزم فما كان بأسرع من أن نظر الى عيسى بن زيد منهزما

(هروب مالك بن الهيثم)

وذكروا أن مالك بن الهيثم خرج هاربا حتى أتى همدان وعليها يومئذ زهير بن التركى مولى خزاعة . فكتب اليه أبو جعفر : إن الله مهرق دمك إن فاتك مالك فجاء زهير بن التركى الى مالك بن الهيثم فقال له جعلت فداك قد أعددت لك طعاما فلو أكرمتنى بدخولك منزلى فقال له نعم وكان قد هيأ له زهير أربعين رجلا . فلما دخل مالك قال لزهير عجل طعامك وقد توثق زهير من الباب وهيأ أصحابه فخرج عليه الأربعون فشدوه وثاقا ثم وضعوا القيود فى رجله ثم قال أبا نصر جعلت فداك والله ماعرفت هذه الدعوة حتى أدخلتنى فيها ودعوتنى اليها فما الذى يخرجك منها

والله ما أخليك حتى تزور أبا جعفر فبعث به اليه فعفا عنـــه أبو جعفر وولاه الموصل .

(قصة سابور ملك فارس)

وذكروا أن أبا جعفر دعا إسحاق بن مسلم العقيلي فقال له حدثني عن الملك الذى كنت حدثتني عنه بحران فقال : نعم أكرمك الله . أخبرني أبي عن حصين بن المنذر أن ملكا من ملوك فارس يقال له سابور الأكبر كان له وزير ناصح قد أخذ أدبا من آداب الملوك وشاب ذلك يفهم فى الدين فانتصف من أهلها فملا وسنا فوجهه سابور داعية الى أهل خراسان وكانوا قوما يعظمون الدنيا جهالة بالدين واستكانة لحب الدنيا وذلا لجبابرتها . فجمعهم على كلمة من الهدى يكيد بها مطالب الدنيا وكان يقال . لكل ذليل دولة ولكل ضعيف صولة فلما استوثقت له البلاد جعل الى سابور أمرهم وأحال عليه طاعتهم قوما لا يرومونه الى ما سبق اليهم قبله فلم ينتصف سابور من طاعتهم واستمالة أهوائهم مع مالا يأمن من زوال القلوب وغدرات الوزراء فاحتال على قطع رجائه عن قلوبهم فصمم فقتلهم ووقف بهم بين الفرقة وتحطب الأعداء ، فنادى الرجعة واليأس من صاحبهم فرأوا أن يستتموا الدعوة فى طاعة سابور ويتحرضوه من الفتنة فملكهم ثمانين عاما . فأطرق أبو جعفر ثم قال متمثلا

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ٭ وما علم الانسان إلا ليعلما

(خروج شريك بن عون على أبي جعفر وخلعه)

وذكروا أن أبا جعفر لما استقامت له الأمور واستولى على الملك خرج عليه شريك بن عون الهمداني وقال ما على هذا بايعنا آل محمد على أن يسفك الدماء وأن يصلوا بغير الحق فخالف أبا جعفر وتبعه أكثر من ثلاثون ألفا فوجه اليه

أبو جعفر زياد بن صالح الخزاعى فقاتله شهوراً ونهى أبو جعفر أن يسبى أحد منهم أو يقتل أحد من رجالهم لأنه كان فيهم قوم أخيار ورجال أشراف وكان خروجهم ديانة وأنكالا للدماء وللعمل بغير الحق فلذلك لم يقتلوا . وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً وقد عفونا عنكم مرتكم هذه فان الله على دمائكم فاحقنوها .

(اجتماع شبيب بن شيبة مع أبى جعفر قبل ولايته وبعدها)

وذكروا أن شبيب بن شيبة قال حججت عام هلك هشام بن عبد الملك فبينما أنا مريح ناحية المسجد إذ طلع علي من بعض أبوابه فتى أسمر رقيق السمرة موفر اللمة ، يعرف الشرف فى تواضعه والعفو فى صورته واللب فى مشيته فما ملكت نفسى أن نهضت فى أثره سائلا عن خبره فتحرم بالطواف . فلما قضى طوافه قصد المقام ليركع وأنا أرعاه ببصرى ثم نهض منصرفا كأن عينا أصابته فكبا كبوة دميت منها أصبعه فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به أمسح رجله من عفر التراب فلا يمتنع علي ثم شققت حاشية ثوبى فعصبت على رجله فلم ينكر ذلك ثم نهض متوكئا علي وأنقدت له حتى أتى بناء بأعلى مكة فابتدره غلامان تكاد صدورهما تنفرج من هيبته ففتحا له الباب فدخل واجتذبنى فدخلت بدخوله فخلى يدى وأقبل على القبلة فصلى ركعتين . ثم استوى فى صدر مجلسه فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال لم يخف على مكانك منذ اليوم فمن تكون ؟ فقلت شبيب بن شيبة التميمى فقال الأهتمى ؟ فقلت نعم فرحب وقرب ووصف قومى بأبين وصف وأفصح لسان . فقلت أصلحك الله أحب المعرفة وأجل عن المسألة . فتبسم وقال : لطف أهل العراق أنا عبد الله ابن محمد بن علي بن عباس فقلت بأبى أنت وأمى ما أشبهك وأدلك على سلفك قال لكن أرجو أن أراك وترانى قريباً إن شاء الله قلت عجـــل الله ذلك ووهب لى السلامة منكم فانى محبكم . فتبسم وقال ، لا بأس عليك ما أعاذك الله من ثلاثة قلت

وما هى ؟ قال قدح فى الدين وهتك للملوك وتهمة فى حرمة واحفظ عنى ما أقول لك أصدق وإن ضرك الصدق وأنصح وإن باعدك النصح ولا تخالطن لنا عدواً وإن أحظيناه ، فانه مخذول ولا تخذلن ولياً وإن أقصيناه وأصبحنا بتركك الما كرة وتواضع اذا رفعوك وصـــل اذا قطعوك ولا تسخف فيمقتوك ولا تنقبض فيحتشموك ولا تخطب الأعمال ولا تعرض للأموال وأنا رائح من عشيتى هذه فهل من حاجة فنهضت لوداعه فودعته ثم قلت أوقت لظهور الأمر ؟ ومتى؟قال : الله الموقت والمنذر فخرجت من عنده فاذا مولى له يتبعنى فأتاني بكسوة من كسوته وقال لى يأمرك أبو جعفر أن تصلى فى هذه ثم افترقنا فوالله ما رأيته إلا وحرسيان قابضان على يدفعانى الى بيعتى فى جماعة من قومى لنبايعه . فلما نظر إلى أثبتنى وقال للحرسيان : خليا عمن صحت مودته وتقدمت قبل اليوم حرمته وأخذت بيعته فأكبر الناس ذلك من قوله ، ثم قال لى أين كنت أيام أبي العباس أخى فذهبت أعتذر فقال : امسك فان لكل شيء وقتا لا يعدوه ، وإن يفوتك إن شاء الله حظ مودتك وحق مشايعتك واختر منى رزقا يسعك أو خطة ترفعك أو عملا ينهضك. فقلت إنى لوصيتك حافظ فقال وأنا لها أحفظ إني إنما نهيتك أن تخطب الأعمال ولم أنهك عن قبولها إن أعرضت عليك . فقلت الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب إلى فقال وذلك أحب إلى لك وهو اجمع لقلبك وأودع لك وأعفى إن شاء الله فهل زدت أحداً فى عيالك بعد . وقد كان سألنى عنهم فعجبت من حفظه فقلت زدت الفرس والخادم فقال قد ألحقنا عيالك بعيالنا وخادمك بخدامنا ولولم يسعنى حملت لك على بيت المال فهل تحملك مائتا دينار لكل غرة أو نزيدك فقلت يا أمير المؤمنين ان شطرها ليحملنى العامين قال فانها لك فى كل غرة فاقبضها من عاملى فى أى بلد أحببت وإن شئت فقـــد ضممتك الى المهدى فانه أفرغ لك منى وأرضاه لك إن شاء الله

(حج أبي جعفر واتيانه مالك بن أنس وما قال له)

ذكروا أن أبا جعفر أمير المؤمنين لما استقامت له الأمور واستولى على السلطان خرج حاجا الى مكة وذلك فى سنة ثمان وأربعين ومائة فلما كان بمنى أتاه الناس يسلمون عليه ويهنئونه بما أنعم الله عليه وجاءه رجال الحجاز من قريش وغيرهم وفقهائهم وعلمائهم ممن صاحبه وألفه معه على طلب العلم ورواية الحديث فكان فيمن دخل عليهم مالك بن أنس فقال له أبو جعفر يا أبا عبد الله إنى رأيت رؤيا قال مالك يوفق الله أمير المؤمنين الى الصواب من الرأى ويلهمه الى الرشاد من القول ويعينه على خير الفعل فما رأى أمير المؤمنين فقال أبو جعفر : رأيت إنى وجلسك فى هذا البيت فتكون من عمار بيت الله الحرام واحمل الناس على علمك أعهد الى أهل الأمصار يوفدون اليك وفدهم ويرسلون اليك رسلهم فى أيام حجهم لتحملهم من أمر دينهم على الصواب والحق إن شاء الله وإنما العلم علم أهل المدينة وأنت أعلمهم فقال مالك : أمير المؤمنين أعلاعينا وأرشد رأيا وأعلم بما يأتى وما يدر وإن أذن لى أقول قلت ، فقال أبو جعفر فنعم فحقيق أنت أن يسمع منك ويصدر عن رأيك فقال مالك يا أمير المؤمنين ان أهل العراق قد قالوا قولا تعدوا فيه طورهم ورأيت إنى خاطرت بقولى لأنهم أهل ناحية وأما أهل مكة فليس بها أحد وإنما العلم علم أهل المدينة كما قال الأمير وإن لكل قوما سلفا وأئمة . فان رأى أمير المؤمنين أعز الله نصره قرارهم على حالهم فليفعل فقال أبو جعفر أما أهل العراق فلا يقبل أمير المؤمنين منهم صرفا ولا عدلا وإنما العلم علم أهل المدينة وقد علمنا أنك إنما أردت خلاص نفسك ونجاتها فقال مالك اجل يا أمير المؤمنين فاعفنى بعفو الله عنك فقال أبو جعفر قد أعفاك أمير المؤمنين وأيم الله ما أجد بعد يا أمير المؤمنين أعلم منك ولا أفقه

(دخول سفيان الثورى وسليمان الخواص على أبى جعفر وما قالا له)

وذكروا أنه لما كان أبو جعفر بمنى فى العام الذى حج فيه سفيان الثورى وسليمان الخواص قال أحدهما لصاحبه ألا ندخل على هذا الطاغى الذى زاحمنا بالأمس فى مجالس للعلم عند منصور والزهرى فنكلمه ونأمره بحق وننهاه عن باطل فلعل كلامنا أن يقع منه موقعا ينفع الله به المسلمين ويأجرنا عليه فقال سليمان الخواص إنى لأخشى أن يأتى علينا منه يوم سوء فقال الثورى : ما أخاف ذلك فان شئت فادخل وإن شئت دخلت . فدخل سليمان الخواص فأمره ونهاه ووعظه وذكره الله وما هو صائر اليه ومسؤول عنه . فقال أبو جعفر أنت مقتول ما تقول فى كذا وكذا لشيء سأله عنه من باب العلم فأجابه . فلما خرج قال سفيان الثورى ماذا صنعت قال أمرت ونهيت ووعظت وذكرت فرضا كان فى رقابنا أديناه مع انه لايقبل وسألنى عن مسئلة فأجبته قال سفيان ما صنعت شيئا فدخل سفيان الثورى فأمره ونهاه فقال له هاهنا أبا عبد الله إلى إلى أدن منى فقال إنى لا أطأ مالا أملك ولا تملك فقال أبو جعفر ياغلام ادرج البساط وارفع الوطاء فتقدم سفيان فصار بين يديه وقد ليس بينه وبين الأرض شيء وهو يقول (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) فدمعت عينا ابى جعفر ثم تكلم سفيان دون ان يستأذن فوعظ وأمر ونهى وذكر واغلظ فى قوله فقال له الحاجب ايها الرجل انت مقتول فقال سفيان وإن كنت مقتولا لساعة فسأله ابو جعفر مسألة فأجابه . ثم قال سفيان : فما تقول يا امير المؤمنين فيما انفقت من مال الله ومال امة محمد بغير إذنهم وقد قال عمر فى حجة حجها وقد انفق ستة عشر دينارا هو ومن معه ما ارانا إلا وقد اجحفنا بيت المال ، فقال له ابو عبيد الكاتب : أأمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا ؟ فقال له سفيان اسكت فانما اهلك فرعون هامان وهامان فرعون . ثم خرج سفيان فقال ابو عبيد الكاتب : الا تأمر بقتل هذا

الرجل فوالله ما أعلم احداً احق بالقتل منه فقال ابو جعفر : اسكت يا انوك فو الله ما بقى على الأرض احد اليوم يستحي منه غير هذا ومالك بن انس

(دخول ابي ذؤيب ومالك بن أنس وابن سمعان على أبي جعفر)

وذكروا أن مالك بن أنس قال: لما ولى أبو جعفر الخلافة ورقى اليه الملاقون والمشاؤون بالنميمة أعنى بكلام كان قد حفظ على ما فاتنى رسوله ليلا قال أجب أمير المؤمنين وذلك بعد مفارقتى له وخروجى عنه فلم أشك انه القتل ففزعت من عهدى واغتسلت وتوضأت ولبست ثياب كفنى وتحنطت ثم نهضت فدخلت عليه فى السرادق وهو قاعد على فراش قد نظم بالدر الأبيض والياقوت الأحمر والزمرد الأخضر، حكى لى انه كان من فرش هشام بن عبد الملك كان قد أهداه اليه صاحب القسطنطينية لا يعلم ثمنه ولا يدرى ما قيمته والشمع يخترق بين يديه وابن أبى ذؤيب وابن سمعان قاعدان بين يديه وهو ينظر فى صحيفة فى يده فلما صرت بين يديه سلمت فرفع رأسه فنظر إلى وتبسم فتبسم المغضب ثم رمى بالصحيفة وأشار لى الى موضع عن يمينه أقعد فيه فلما قعدت وأخذت مقعدى وسكن روعى رفعت رأسى أنظر تلقائى فاذا أنا بواقف عليه درع وبيده سيف قد شهره يلمع له ما حوله فالتفت عن يمينى فاذا أنا بواقف عليه جزر من حديد ثم التفت عن يسارى فاذا أنا بواقف عليه درع وبيده سيف قد شهره وهم أجمعون قد صغوا اليه ورفقوا بأبصارهم خوفا منهم أن يأمر فى أحد أمراً فيجده غافلا. ثم التفت يمينا قال: أما بعد معشر الفقهاء فقد بلغ أمير المؤمنين عنكم ما أخشن صدره وضاق به ذرعه ، وكنتم أحق الناس بالكف من ألسنتكم والأخذ بما يشبهكم وأولى الناس بلزوم الطاعة والمناصحة فى السر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم . قال مالك فقلت : يا أمير المؤمنين قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» فقال أبو جعفر على ذلكم أى الرجال انا عندكم من أئمة العدل أم من أئمة الجور ؟ فقال مالك فقلت يا أمير المؤمنين أنا متوسل

اليك بالله تعالى وأتشفع اليك بمحمد صلى الله عليه وسلم وبقرابتك منه إلا ما أعفيتنى من الكلام فى هذا قال قد أعفاك أمير المؤمنين . ثم التفت الى ابن سمعان فقال له أيها القاضى ناشدتك الله تعالى أى الرجال أنا عندك فقال ابن سمعان أنت والله خير الرجال والله يا أمير المؤمنين تحج بيت الله الحرام وتجاهد العدو وتؤمن السبل وتؤمن الضعيف بك أن يأكله القوى وبك قوام الدين فأنت خير الرجال وأعدل الأئمة ثم التفت الى ابن أبى ذؤيب فقال له ناشدتك الله اى الرجال أنا عندك ؟ قال . أنت والله عندى شر الرجال استأثرت بمال الله ورسوله وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وأهلكت الضعيف وأتعبت القوى وأمسكت أموالهم فما حجتك غداً بين يدى الله . فقال له أبو جعفر ويحك ما تقول أتعقل أنظر ما أمامك قال . نعم قد رأيت أسيافاً وإنما هو الموت ولا بد منه عاجله خير من آجله . ثم خرجا وجلست فقال لي [illegible] تخوفت عليك قلت أجل لما نمى اليك عنى ما نمى وجاءنى رسولك فى [illegible] هذه الليل فاغتسلت وتطيبت ولبست ثياب كفنى فقال أبو جعفر سبحان الله [illegible] الاسلام وأسعى فى نقضه أو ما ترانى أسعى فى أود الاسلام [illegible] الدين [illegible] الله مما قلت يا أبا عبد الله انصرف الى مصرك راشداً مهدياً [illegible] ما عندنا فنحن من لا يؤثر عليك أحداً ولا يعدل بك [illegible] أبو جعفر متوجها الى العراق

(كتاب عبيد الله العمرى الى أبى جعفر)

وذكروا أن أبا جعفر لما قفل من حجه [illegible] سأل عن عبيد الله بن عمر بن حفص بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو الشيخ المعروف بالعمرى فقيل له إنه لم يحج العام [illegible] داخل عليك فلا تقبل عليه أحداً ولا [illegible] علمت . فقال أبو جعفر والله [illegible] منه بأني

حاج فلذلك تخلف ولا والله ما زاده ذلك عندى إلا شرفا ورفعة وانى من التوقير به والاجلال له بحال لا أخال أحداً من الناس بذلك لشرفه فى قريش وعظم منزلته من هذا الأمر والموضع الذى جعله الله فيه والمكان الذى أنزله به . فلما قدم أبو جعفر بغداد ورد عليه كتاب عبد الله العمرى فيه : بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله أبى جعفر أمير المؤمنين من عبيد الله بن عمر سلام الله عليك ورحمة الله التى اتسعت فوسعت من شاء . أما بعد فانى عهدتك وأمر نفسك لك مهم وقد أصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أحمرها واسودها وأبيضها وشريفها ووضيعها يجلس بين يديك العدو والصديق والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق فانظر كيف أنت عند الله يا أبا جعفر ، وانى أحذرك يوما تفنى فيه الوجوه والقلوب وتنقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم بجبروته وأذلهم بسلطانه والخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه ، وانا كنا نتحدث ان أمر هذه الأمة سيرجع فى آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة واني أعوذ بالله أن تنزل كتابى سوء المنزل إنما كتبت به نصيحة والسلام .

(فأجابه أبو جعفر المنصور)

من عبد الله بن محمد أمير المؤمنين الى عبيد الله بن عمر بن حفص سلام عليك أما بعد فانك كتبت الى تذكر أنك عهدتنى وأمر نفسى الى مهم فأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة بأسرها وكتبت تذكر أنه بلغك أن أمر هذه الأمة سيرجع فى آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ولست إن شاء من أولئك وليس هذا زمان ذلك إنما ذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرغبة تكون رغبة بعض الناس الى بعض ، صلاح دنياهم أحب اليهم من صلاح دينهم وكتبت تحذرنى ما حذرت به الأمم من قبلى وقد ما كان يقال اختلاف الليل والنهار

يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة والنار وكتبت تعوذ بالله أن تنزل كتابك سوء المنزل وانك إنما كتبت به نصيحة ، فصدقت وبررت فلا تدع الكتب الى فانه لا غنى بى عن ذلك والسلام

(اجتماع أبي جعفر عبد الله بن مرزوق)

وذكروا أن أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين لما حج ودخل بالطواف بالبيت الحرام أمر بالناس فنحو عن البيت ثم طاف أسبوعه فوثب اليه عبد الله بن مرزوق وقال . من جرأك على هذا فلببه بردائه وهزه وقال له : من جعلك حق بهذا البيت من الناس تحول بينه وبينهم وتنحيهم عنه ؟ فنظر أبو جعفر فى وجهه فعرفه فقال عبد الله بن مرزوق ؟ فقال نعم . فقال من جرأك على هذا ومن أقدمك عليه فقال عبد الله بن مرزوق . وما تصنع بي بيدك ضراً و نفع ، والله ما اخاف ضرك ولا ارجو نفعك حتى يكون الله عز وجل يأذن لك فيه ويلهمك الى فعله . فقال له ابو جعفر انك احللت بنفسك واهلكتها فقال عبد الله بن مرزوق : اللهم إن كان يد ابي جعفر ضرى فلا تدع من الضر شيئاً إلا انزلته على وإن كان بيده منفعتى فاقطع عنى كل منفعة منه ، أنت يارب بيدك كل شيء وأنت مليك كل شيء . فأمر به أبو جعفر فحمل الى بغداد فسجنه بها وكان يسجنه بالنهار ويبعث اليه بالليل يبيت عنده ويسامره يلبث نهاره بالسجن اجمع ثم يسامره بالليل ليظهر للناس انه سجن من اعترض عليه لئلا يجترىء الجاهل فيقول قد وسع عفو أمير المؤمنين فلانا أفلا يسعنى . فكان دأبه هذا معه زمنا طويلا حتى نسى أمره وانقطع خبره ثم خلى سبيله فلحق بمكة فلم يزل بها حتى مات أبو جعفر وولى ابنه المهدى فلما حج المهدى فعل مثل ذلك ففعل به عبد الله بن مرزوق مثل ذلك أيضا فاراد قتله فقيل له : يا أمير المؤمنين إنه قد فعل هذا بأبيك فكان من صنيعه أن حمله

الى بغداد فسجنه بالنهار وسامره بالليل وأنت أحق من أخذ بهديه واحتذى علي مثاله وورث كراماته ، فحمله المهدى معه فمات ببغداد رحمه الله

(ذكر مانال مالك بن انس من جعفر بن سليمان)

وذكروا أنه هاج بالمدينة هيج فى ابتداء أيام أبي جعفر فبعث اليها أبو جعفر ابن عمه جعفر بن سليمان بن العباس ليسكن هيجها وفتنها ويجدد بيعة أهلها فقدمها وهو يتوقد ناراً على أهل الخلاف لهم فاظهر الغلظة والشدة وسطا بكل من ألحد فى سلطانهم وأشار الى المنازعة لهم وأخذ الناس بالبيعة وكان مالك بن أنس رحمه الله لم يزل صغيراً وكبيراً محسداً وكذلك كل من عظمت نعمة الله عليه فى علمه أو عمله أو فهمه أو ورعه فكيف بمن جمع الله ذلك فيه ، ولم يزل منذ نشأ كذلك قد منحه الله تعالى العلم والعمل والفهم واللب والنبل ووصل له ذلك بالدين والفضل عرف منه ذلك صغيراً وظهر فيه كبيراً ، واستلب الرئاسة ممن كان قد سبقه اليها بظهور نعمة الله عليه وسموها به علي كل سام فاستدعى ذلك منهم الحسد له والجأهم ذلك الى البغى عليه ، فدسوا الى جعفر بن سليمان من قال له أن مالكا يفتى الناس بأن إيمان البيعة لاتحل ولا تلزمهم لمخالفتك واستكراهك إياهم عليها وزعموا انه يفتى بذلك أهل المدينة أجمعين لحديث رواه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه . فعظم ذلك على جعفر واشتد عليه وخاف ان ينحل عليه ما أبرم من بيعة أهل المدينة وهم أن يبدر فيه بما عافاه الله منه وأنعم على المسلمين ببقائه فقيل له : لاتبدر فيه بادرة فانه من أكرم الناس على أمير المؤمنين وآثرهم عنده ولا بأس عليك منه فلا تحدث شيئا إلا بأمر أمير المؤمنين أو يستحق ذلك عندنا بأمر لايخفى على أهل المدينة فدس اليه جعفر بن سليمان بعض من لم يكن مالك يخشى أن يؤتى من قبله ولا من منه يؤتى الحذر فسأله عن الأيمان فى البيعة فافتاه مالك بذلك

طمأنينة اليه وحسنة فيه . فلم يشعر مالك إلا ورسول جعفر بن سليمان فيه فاتوا به اليه منتهك الحرمة مذال الهيبة فأمر به فضرب سبعين سوطا فلما سكن الهيج بالمدينة وتمت له البيعة بلغ بمالك ألم الضرب حتى أضجعه .

(انكار ابى جعفر المنصور لضرب مالك)

وذكروا أنه لما بلغ أبوجعفر ضرب مالك بن أنس وما أنزل به جعفر بن سليمان أعظم ذلك اعظاما شديداً وأنكره ولم يرضه وكتب بعزل جعفر بن سليمان عن المدينة وأمر أن يؤتى به الى بغداد على قتب . وولى على المدينة رجلا من قريش من بنى مخزوم وكان يوصف بدين وعقل وحزم وذكاء وذلك فى شهر رمضان من سنة إحدى وستين ومائة . وكتب ابو جعفر الى مالك بن أنس ليستقدمه الى نفسه ببغداد فأبى مالك وكتب الى أبى جعفر يستعفيه من ذلك ويعتذر له ببعض العذر اليه . فكتب ابوجعفر اليه أن وافنى بالموسم العام القابل إن شاء الله فانى خارج الى الموسم

(دخول مالك على أبى جعفر بمنى)

وذكروا أن مالكا حج سنة ثلاث وستين ومائة ثم وافى أبا جعفر بمنى أيام منى فذكروا أن مطرفا أخبرهم وكان من كبار أصحاب مالك قال . قال لى مالك لما صرت بمنى أتيت السرادقات فاذنت بنفسى فاذن لى ثم خرج الى الآذن من عنده فادخلنى فقال للآذن اذا انتهيت بى الى القبة التى يكون فيها أمير المؤمنين فاعلمنى فمر بى من سرادق الى سرادق ومن قبة الى اخرى فى كلها اصناف من الرجال بأيديهم السيوف المشهورة والاجرزة المرفوعة حتى قال لى الآذن هى تلك القبة ثم تركنى الآذن وتأخر عنى فمشيت حتى انتهيت الى القبة التى هو فيها [illegible] عن مجلسه الذى يكون فيه الى البساط الذى دونه [illegible]

ثياب مثله تواضعا لدخولي عليه وليس معه في القبة إلا قائم على راسه بسيف صلت . فلما دنوت منه رحب بي وقرب ثم قال ها هنا الى فاوميت للجلوس فقال ها هنا فلم يزل يدنيني حتى اجلسني اليه ولصقت ركبتي بركبتيه . ثم كان اول ما تكلم به ان قال الله الذي لا إله إلا هو يا أبا عبد الله ما امرت بالذي كان ولا علمته قبل ان يكون ولا رضيته إذ بلغني (يعني الضرب) قال مالك فحمدت الله تعالى على كل حال وصليت على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نزهته عن الأمر بذلك والرضا به ثم قال يا ابا عبد الله لا يزال اهل الحرمين بخير ما كنت بين اظهرهم واني اخالك امانا لهم من عذاب الله وسطوته ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة فانهم ما علمت اسرع الى الفتن واضعفهم عنها قاتلهم الله انى يؤفكون . وقد امرت ان يؤتى بعد والله من المدينة على قتب وأمرت بضيق مجلسه والمبالغة في امتهانه ولا بد أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه . فقلت له عافى الله أمير المؤمنين وأكرم مثواه قد عفوت عنه لقرابته من رسول الله ثم منك قال أبو جعفر وأنت فعفى الله عنك ووصلك . قال مالك ثم فاتحني فيمن مضى من السلف والعلماء فوجدته أعلم الناس بالناس ثم فاتحني في العلم والفقه فوجدته أعلم الناس بما اجتمع عليه وأعرفهم بما اختلفوا فيه حافظاً لما روى واعيا لما سمع . ثم قال لي : يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودونه ودون منه كتبا وتجنب شدائد عبد الله بن عمر ورخص عبدالله ابن عباس وشوارد ابن مسعود وأقصد إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضى الله عنهم لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبك ونبثها في الأمصار ونعهد اليهم أن لا يخالفوها ولا يقضوا بسواها . فقلت له أصلح الله الأمير إن أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون في علمهم رأينا فقال أبو جعفر يحملون عليه وتضرب عليه هاماتهم بالسيف وتقطع طي ظهورهم بالسياط فتعجل بذلك وضعها فسيأتيك محمد بن المهدي العام القابل إن شاء الله إلى المدينة ليسمعها منك فيجدك وقد فرغت من ذلك إن شاء الله قال مالك فبينما نحن قعود إذ طلع

له بنى صغير من قبة بظهر التى كنا فيها فلما نظر إلى الصبي فزع ثم تقهقر فلم يتقدم فقال له أبو جعفر تقدم ياحبيبى إنما هو أبو عبد الله فقيه أهل الحجاز ثم التفت إلى فقال ياأبا عبد الله أتدرى لما فزع الصبي ولم يتقدم فقلت لا فقال والله استنكر قرب مجلسك منى إذ لم ير به أحداً غيرك قط فلذلك قهقر قال مالك: ثم أمر لى بألف دينار عيناذهباً وكسوة عظيمة وأمر لابنى بألف دينار ثم استأذنته فأذن لى فقمت فودعنى ودعا لى ثم مشيت منطلقا فلحقنى الخصى بالكسوة فوضعها على منكبي وكذلك يفعلون بمن كسوه وإن عظم قدره فيخرج بالكسوة على الناس فيحملها ثم يسلمها إلى غلامه: فلما وضع الخصى الكسوة على منكبى انحنيت عنها بمنكبي كراهة احتمالها وتبرءاً من ذلك فناداه أبو جعفر بلغها رحل أبي عبد الله.

(ما قال أبو جعفر لعبد العزيز بن أبي رواد)

وذكروا أن أبا جعفر لما دخل فى الطواف بالبيت لقى عبد العزيز بن أبي رواد فى الطواف فقبض على يده ثم قال له أتعرفنى قال لا إلا أنى قبضتك قبضة جبار فقال له أنا أبو جعفر أمير المؤمنين فسلنى من حوائجك ماشئت أقضيها قال أسألك برب هذا البيت أن لا ترسل إلى بشىء حتى آتيك طوعا فقال له أبو جعفر ذلك لك فأقبل يمشى بمشيه فى طوافه وكان شيخا كبيرا ضعيفاً فأتعبه بقربه وثقل عليه كلامه فقال اسألك بحرمة هذا البيت الا تنحيت عنى فتنحى عنه أبو جعفر وخلى سبيله. وكان عبد العزيز بن أبي رواد هذا لا يرفع رأسه إلى السماء تخشعا لله فأقام كذلك أربعين سنة

(قدوم المهدى إلى المدينة)

وذكروا أن مالك بن أنس لما أخذ فى تدوين كتبه ووضع علمه قدم عليه

المهدى بن أبى جعفر فسأله عمن صنع فيما أمره به أبو جعفر فأتاه بالكتاب وهى كتب الموطأ فأمر المهدى بانتساخها وقرئت على مالك فلما تم قراءتها أمر له بأربعة آلاف دينار ولابنه بألف دينار

(موت أبى جعفر المنصور واستخلاف المهدى)

وذكروا أنه لما كانت سنة ست وستين ومائة قدم أبو جعفر مكة فلما قضى حجه احتضر ثلاثة أيام ثم توفى فى اليوم الرابع وولى ابنه محمد المهدى وكان معه يومئذ بمكة أخوه جعفر ببغداد وكان قد عهد اليه أبو جعفر فلما قفل المهدى إلى بغداد أتاه رجل فقال له أدرك أخاك جعفر فانه قد هم بمنازعتك وهو يريد خلعك فأخذ فى السير ومعه الجنود والأموال وصناديد الرجال من العراق ورجال العرب ووجوه قريش . فلما قدم العراق اعتذر اليه جعفر مما رفع اليه عنه وحلف له أنه ما نوى ولا اراد منازعته ولا اشار إلى خلافة ولاهم بها فقبل منه المهدى ذلك وعفى عنه وكان كريما سخيا حليما : فلما كانت سنة سبع وستين ومائة قدم حاجا فدخل المدينة زائراً لقبر رسول الله فدخل عليه مالك فحضه على الاحسان إلى اهل المدينة وحدثه بفضلها وفضل اهلها ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : امرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب « وهى المدينة » تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد ثم قال ياامير المؤمنين أفليس هؤلاء اهلا ان يعانوا على الصبر عليها وعلى جوار رسول الله فقال المهدى بلى والله ياابا عبد الله حتى لا اجد إلا مثل هذا ومد يده ليأخذ من الأرض شيئا فلم يجده ثم قال صدقت فيهم وبررت وحضضت على الرشد فأنت اهل إن يطاع امرك ويسمع قولك فأمر له بخمسة ابيات مال والبيت عندهم خمسمائة الف وامر مالكا ان يختار من تلامذته رجالا يثق بهم ويعتمد عليهم يقسمونها على اهل المدينه ويؤثرون اهل بيت رسول الله

واهل بيت ابي بكر وعمر وعثمان ثم اهل المهاجرين والأنصار ثم الذين اتبعوهم باحسان ففعل فأغنى اهل المدينة عامهم ذلك

(ذكر استخلاف هارون الرشيد)

وذكروا انه لما كانت ثلاث وسبعين ومائة توفى المهدى وذلك انه خرج يوما إلى بعض المنازل ومعه اهله وبعض بنيه وكان قد ذكر ان يستخلف ابنه عبد الله بعده ثم غفل عن ذلك وتركه فحمل عبد الله الحرص والطيش إلى ان دس على بعض الجوارى المتمكنات منه سمه وبذل لها على ذلك الأموال ومناها امانى الغرور . فلما سمته ووصل اليه السم عرف المهدى انه قد قتل فدعا كاتبه فقال له عجل واكتب عهد هارون الرشيد وخذ بيعة الجند وامراء الأجناد واكتب بذلك إلى ولاة الأمصار وكان الرشيد اصغر بنيه وكان ابن أمة لا يطمع خلافة ولا يظن بها فأدخله على نفسه وهو يجود بها والرشيد لا يعلم أنه مستخلف فقال له المهدى أى بنى والله ما أردت استخلافك ولا هممت به لحداثة سنك وقد كان قال لى جدك أبو جعفر وأنت يومئذ ندعرنت فى أول رؤية رآك : إن ابنى هذا الا عين سبيل هذا الأمر ويسير فيه سيرة صالحة فقلت يا أبت أتظن ذلك قال ما هو بالظن ولكنه اليقين ويكون ملكا بضعا وعشرين سنة وتقتله الحمى الربع فاندفع الرشيد باكيا فقال له ما يبكيك يا بنى قال : يا أبت إنك والله نعيت لى نفسى وعرفتنى متى أموت وبما أموت قال هو ذاك فشمر واجتهد وجد وأخذ بالحزم والكرم ودع الاحن وانظر أخاك عبد الله فلا ينله منك مكروه فقد عفوت عنه فقال الرشيد يا أبت وعفو عنه وقد أتى ما ذكرت وصنع ما وصفت فقال يا بنى وما على أن أعفو عمن أكرمنى الله على يديه وأرجو أن يغفر لى بصنيعته بى إن شاء الله عليك يا بنى بتقوى الله العظيم وطاعته فاتخذها بضاعة

يأتيك الربح من غير تجارة . أوصيك بأخوتك خيراً وأهل بيت رسول الله أقبل حسناتهم وتجاوز عن سيئاتهم واغفر زلاتهم وأوصيك بأهل الحرمين خيراً فقد علمت من هم وأبناء من هم أجزل لهم العطاء واحسن لهم الجزاء يكافئك الله فى الآخرة والأولى : ثم توفى المهدى من يومه ذالك واستخلف الرشيد وخرج الى الناس يبايعهم بوجه طلق ولسان سلط فبايعوه ببغداد وذلك يوم الخميس من المحرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وتمت له البيعة يوم الجمعة فى المسجد الجامع فلم يختلف عليه أحد ولا كره خلافته مخلوق فأحسن السيرة واحكم أهل الرعية وكان أوحد أهل بيته ولم يشبهه أحد من الخلفاء . من أهله رحمه الله

(قدوم هارون الرشيد المدينة)

وذكروا أنه لما كانت سنة أربع وسبعين ومائة خرج هارون حاجا الى مكة فقدم المدينة زائراً قبر النبي عليه السلام فبعث الى مالك بن أنس فأتاه فسمع منه كتاب الموطأ وحضر ذلك يومئذ فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن ولم يختلف منهم أحد إلا وحضر الموسم مع الرشيد وسمع وسمعوا من مالك موطأه الذى وضع وكان قارئه يومئذ حبيب كاتب الرشيد . فلما تم قراءته قال هارون لفقهاء الحجاز والعراق : هل أنكرتم شيئا من هذا العلم ؟ قالوا ما أنكرنا شيئا إلا ما ذكر من أمر الدماء والتدمية فى القتل فان هذا من انكر ما يكون من العلم وأبطله . يقول الرجل قتلنى فلان فيقبل منه ويحلف أولياؤه على القاتل خمسين يمينا ثم يقتل ولعل أولياءه لم يحضروا ولم يكونوا بمصره فيعرض بهم الحنث فى الايمان فيقبل قول رجل على غيره وهو لا يقبل فى ربع دانق يدعيه إلا ببينة تقوم إن هذا لهو الضلال وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه ابن عباس حيث قال : لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء قوم وأموالهم ولكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر قال الرشيد ويحكم إن

فى كتاب الله ما يصدق ذلك ولا أخال أبا عبد الله أخذه إلا من كتاب الله
فاستثبتوه فأرسل اليه فأقبل فقال هارون يا أبا عبد الله إن أصحابنا هؤلاء لم يختلف
منهم اثنان فى الانكار عليك فيما وضعت فى موطأك من التدمية وتصديق قول
من ادعى وأنت وهم تزعمون بطل دعوى من ادعى على رجل دانقا إلا ببينة
تقوم له فاخبر القوم وأوضح لهم حجتك فى ذلك وأنا معك عليهم فاني لا أعلم
بعد أمير المؤمنين أحداً أعلم منك فقال مالك يا أمير المؤمنين ان مما يصدق
القسامة مافى كتاب الله من القتل والأخذ بالدم الذى كان فى بنى اسرائيل قال
الله عز وجل « اضربوه ببعضها » فذبحت البقرة ثم ضربوه ببعض من أعضائها
فحيى القتيل ثم تكلم فقال فلان قتلنى فقتله موسى بن عمران عليه السلام بقوله
ذلك وهو حكم التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا فالذين أسلموا
محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد حكم بالتوراة رسول الله فى المرجوم اليهودى
الذى زنا فرجمه رسول الله وقد ذكر أنس بن مالك رضى الله عنه أن يهوديا
لقى جارية من جوارى الأنصار فى بعض أنقاب المدينة وعليها أوضاح من
ذهب وورق فأخذ الأوضاح منها وشدخ رأسها بين حجرين فأدركت الجارية
وبها رمق فاتهم بها اليهود فأتى بهم نعرضوا عليها رجلا رجلا وهى لا تتكلم حتى
أتى بصاحبها الذى قتلها فعرفته فقيل لها هذا الذى قتلك فأومأت برأسها أى نعم
فأمر رسول الله بشدخ رأسه بين حجرين فهذا يا أمير المؤمنين حكم الدماء
والقسامة فيها سنة قائمة من رسول الله والخلفاء تقدموا منه بذلك وصاروا الى
الرضاء بقوله والتصديق لروايته والتسليم لتأويل ما تأول من القرآن الكريم .
ثم قال له مالك ان أبالك يا أمير المؤمنين بعث الى فى هذا المجلس كما بعثت الى
وحدثته بما حدثتك به فى شأن أهل المدينة وما يصيرون عليه من البلاء وشدة
الزمان وغلاء الأسعار صبرا على ذلك واختيارا لجوار قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هارون ذلك إلى وأنا ان شاء الله سوف أفعل ما أفعل وأمر لأهل المدينة بعشر قارات

مال ضعفي ما امر لهم المهدى. وكان ابو يوسف القاضى مع الرشيد يومئذ فسأله ان يجمع بينه و بين مالك ليكلمه فى الفقه فقال الرشيد لمالك كلمه فأنف من ذلك مالك و تنزه عنه و قال لهارون هاهنا من فتيان قريش من تلامذتنا من يبلغ حاجة امير المؤمنين و يخصمه فيما يتكلم به و يذهب اليه فسر ذلك الرشيد حين أضاف ذلك الى قريش فقال من هو فقال المغيرة بن عبد الرحمن المخزومى فبعث اليه الرشيد فقال له كلمنى بما بدا لك أجاوبك فقال أبو يوسف القاضى يا أمير المؤمنين ان هؤلاء يعنى مالك و أصحابه يقضون بغير ما فى كتاب الله يقول الله عز وجل « واشهدوا ذوى عدل منكم » وقال « وأشهدوا شهيدين من رجالكم » وهؤلاء يقضون باليمين مع الشاهد ولا تسمع أن الله تعالى ذكر إلا شاهدين و أربعة شهداء ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى به وإنما يدور هذا الحديث الذى روى فيه سهيل عن أبى صالح عن أبيه ثم نسيه سهيل فكان يحدث و يقول حدثنى ربعة عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد فلما نسيه سهيل بطل الخبر وأثبت أصله فلا معنى لذكره قال المغيرة قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى به علي بالكوفة ، فقال أبو يوسف : أنا أكلمك بالقرآن وأنت تكلمنى بأفعال الناس أتراك تعرفنى بهذا و بما قضى به علي وغيره فقال المغيرة فأنت كافر بنبى قضى باليمين مع الشاهد أو مؤمن به فسكت أبو يوسف فحجه المغيرة فسر بذلك الرشيد و أمر للمغيرة بألف دينار . ثم أرسل الرشيد الى مالك فقال ماتقول فى هذا المنبر فانى أريد أن أنزع ما زاد فيه معاوية بن أبى سفيان وأرده الى الثلاث درجات التى كانت بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك لا تفعل يا أمير المؤمنين فانما هو من عود ضعيف قد تخرمته المسامير قال نقضته تفكك وذهب أكثره ومع هـــذا يا أمير المؤمنين لو أعدته الى ثلاث درجات لم آمن عليه ان ينتقل عن المدينة يأتى بعدك أحد فيقول او يقال له ينبغى لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون معك حيث كنت فانما المنبر للخليفة فينتقل كما انتقل من المدينة كلما كان بها من

آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعلم انه ترك له عليه الصلاة والسلام بها لا نعل ولا شعر ولا فراش ولا عصاة ولا قدح لا شيء مما كان له هاهنا من آثاره إلا وقد انتقل . فأطاعه الرشيد وانتهى عن ذلك برأى مالك بن أنس وكان ذلك رحمة من الله لأهل المدينة وتثبيتاً لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم

(مسير الرشيد الى فضيل بن عياض)

وذكروا ان الرشيد كان كثيراً ما يتاثم فيحضر مجالس العلماء بالعراق وهو لا يعرف . وكان قد قسم الأيام والليالي على سبع ليال : فليلة للوزراء يذاكرهم أمور الناس ويشاورهم فى المهم وليلة للكتاب يحمل عليهم الدواوين ويحاسبهم عما لزم من أموال المسلمين ويرتب لهم ما ظهر من صلاح أمور المسلمين وليلة لقواده وأمراء الأجناد يذاكرهم أمر الأمصار ويسألهم عن الأخبار ويوقفهم على ما تبين له من صلاح الكور وسد الثغور وليلة للعلماء والفقهاء يذاكرهم العلم ويدارسهم الفقه وكان من أعلمهم . وليلة للفقراء والعباد يتصفح وجوههم ويتعرف قدرهم ويستمع لمواعظهم ويرقق قلبه بكلامهم وليلة لنسائه وأهله ولذاته يتلذذ بنسائه ويأنس بنسائه . وليلة يخلو فيها بنفسه لا يعلم أحد قرب أو بعد ما يصنع ولا يدرى احد ما يخلو فيها بربه يسأله خلاص نفسه وفكاك رقبه . فبينما هو يوماً في مجلس ابن السماك وقد قصد لرؤيته يسمع لموعظته ولا يعلم احد بمكانه فسمع بعض من في المجلس يذكر الفضيل بن عياض ويصف فضله وعبادته وعلمه وورعه فاشتهى النظر اليه وتاقت نفسه الى رؤيته ومحادثته فتوجه من العراق الى الحجاز قاصداً اليه ومعه عبد الله بن المبارك فقيه اهل بغداد وعالمهم وكان الفضيل بن عياض يسكن العراق فلما قرب من موضعه قال عبد الله بن المبارك يا أمير المؤمنين ان الفضيل ان عرفك وعرف مكانك لم يأذن لك عليه ويسفر عنك فقال هارون استأذن انت عليه وتحيل مكاني عنه حتى يأذن بالدخول فاستأذن عليه ابن المبارك قال الفضيل من بالباب قال ابن المبارك قال مرحبا يا اخي

وصاحبي فقال بن المبارك ومن منا يدخل فقال الفضل ومن معك قال رجل من قريش فقال الفضل لا إذن ولا حاجة لي برؤية احد من قريش فقال له ابن المبارك إنه من العلم والعناية والفقه فيه بمكان فقال له الفضل او ما علمت ان ابليس افقه الناس فقال له ابن المبارك انه سيد قريش في زمانه هذا وفوقهم وإنما عنانه فوقهم في الدنيا وسيدهم فقال له الفضل فان كان كما تقول فليدخل فدخل الرشيد فسلم عليه ثم جلس بين يديه فتحدثوا ساعة فقال له ابن المبارك يا أبا الحسن تدري من هذا قال لا أدري فقال له هذا هارون بن محمد الرشيد أمير المؤمنين فنظر اليه الفضل ابن عياض ساعة ثم قال هذا الوجه الجميل يسأل غداً عن أمة محمد ويؤاخذ بها لئن كان العفو والغفران يسعك مع ما أنت فيه إن هذا لهو الفضل المبين . وكان الرشيد من أجمل الناس خلقاً وأحسنهم نطقا وأبلغهم لسانا وأعذبهم كلاما وأكثرهم علما وفهما . ثم جعل الفضل بن عياض يعظه ويخوفه حتى بكى هارون بكاء شديداً قال ابن المبارك ما رأيت أحداً يبكي بكاء الرشيد يومئذ ثم أفاق من بكائه فجعل ابن الفضل يذكر مثالبه ومثالب أهل بيته ورداءة سيرتهم وخلافهم الحق ثم لم يدع شيئا يعيبه به ولا أمراً ينتقصه فيه إلا واستقبله به فقال له الرشيد يا أبا الحسن اما لك ذنوب تخاف أن تهلك بها إن لم يغفرها الله لك فقال الفضل بلى فقال الرشيد فما جعلك بأحق أن ترجو المغفرة مني وأنا على دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفوا عن السيئات ومع ذلك فاني والله ما كنت لأخير بين شيء وبين الله إلا اخترت الله تعالى على ما سواه والله الشاهد على قولي والمطلع على نيتي وضميري وكفي بالله شهيداً وأنا مع هذا إلى من الاصلاح بين الناس والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مالا تليه أنت فما جعلك أحق أن ترجو المغفرة مني فسكت الفضل ساعة ثم قال ما ظلمك من حججك ثم قام هارون للخروج فقال الفضل يا أمير المؤمنين إني أخشى أن يكون العلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا فقال الرشيد أجل أنه ما قلت فلما قدم الرشيد العراق كان أول ما ابتدأ فيه النظر أن كتب الى

الأمصار كلها الى أمراء الأجناد أما بعد فانظروا من التزم الآذان عندكم فاكتبوه في ألف من العطاء ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم ومقاعد الأدب فاكتبوه في ألفي دينار من العطاء ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه في العلم واستبحر فاكتبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم فاسمعوا قولهم وأطيعوا أمرهم فان الله تعالى يقول « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » وهم أهل العلم . قال ابن المبارك فما رأيت عالما ولا قارئا للقرآن ولا سابقا للخيرات ولا حافظا للحرمات في أيام بعد أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء والصحابة أكثر منهم في زمن الرشيد وأيامه لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين ولقد كان الغلام يستبحر في الفقه والعلم ويروى الحديث ويجمع الدواوين ويناظر المعلمين وهو ابن إحدى عشر سنة.

(ذكر الحائك المتطفل)

وذكروا أن الرشيد لما انصرف من الحجاز وصار الى الرقة قال لوزيره عمرو بن مسعدة ما زلت تكلمني وتستلطفني في الرجحى حتى وليته الأهواز فقعد في سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ولم يوجه الينا درهما فاخرج اليه من ساعتك هذه حتى تحل ساحته ثم لا تدع له حرمة إلا انتهكتها ولا أكرومة إلا أهنتها ثم لا تسمع له حجة يرفعها ولا تقبل منه كلمة ينهيها . إن اعتذر فلا تقبل له عذراً . وإن قال فلا تقبل له قولا فشر قائل واكتب متظلم فقلت في نفسي أبعد الوزارة أصير مستحثا على عامل خراج ولكن لم أجد يداً من طاعة أمير المؤمنين إذ كانت ولايته بسببي فقلت اخرج يا أمير المؤمنين قال فاحلف أنك لا تبيت في بغداد إلا يوما فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد ثم خرجت فلما صرت بين دير هرقل وبين دير العاقول اذا رجل يصيح بالملاح رجل مقدام فقلت للملاح قرب الى الشط فقال ياسيدى

هذا رجل شحاذ وإن قعد معك أذاك فلم يلتفت اليه وأمرت الغلمان فأدخلوه فقعد فلما حضر الغذاء دعوته فكان يأكل أكل جائع بنهامة إلا أنه نظيف الأكل فلما رفع الطعام أردت أن يقوم ويغسل يديه فى ناحية فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يفعل فتشاغلت عنه ليقوم ثم قلت له يا هذا ما صناعتك قال لى حائك فقلت فى نفسى هذه شر من الأولى ما ألوم غير نفسى إذ لم أقبل ممن نصحنى وصرت أوكل الحوكة فقلت توضأ يا أخى فتوضأ ثم قال لى جعلت فداك قد سألتنى عن صناعتى فما صناعتك أنت فقلت فى نفسى هذه شر من الأولى وكرهت أن أذكر الوزارة وقلت اقتصر على الكتابة فقلت له كاتب فقال أن الكتابة على خمسة أصناف كاتب رسائل يحتاج أن يعرف الفصل من الوصل والصدور ورقيق الكلام والتهانى والتعازى والترهيب والترغيب والمقصور والممدود وجملا من العربية وكاتب جند يحتاج الى أن يعرف حساب التقدير وشيات الدواب وحلى الناس ونعوتهم وكاتب قاضى يحتاج أن يكون عالماً بالشروط والأحكام عارفا بالناسخ والمنسوخ من القرآن والحلال من الحرام والفروع والمواريث وكاتب شرعة يحتاج أن يكون عالماً بالجروح والقصاص والديات فقيهاً فى أحكام الدماء عارفا بدعوى التعدى وكاتب خراج يحتاج أن يعرف الزرع والمساحة وضروب الحساب فأيهم أنت أعزك الله ؟ قلت : فوالله ما قضى كلامه حتى صار أعظم الناس فى نفسى وأحبهم إلى وصار كلامه عندى أشهى من الماء البارد العذب على الظمآن . فقلت له أصلحك الله تقدم إلى وادن منى أكلك وأقعدك المقعد الذى يقعده مثلك فلولا أن من البر يكون عقوقا لأقعدتك مقعدى هذا . قال مقعدى الذى أنا به أولى بى فقلت أمتعك الله به أنا كاتب رسائل قال فاخبرنى لو كان لك صديق تكتب اليه فى المحبوب والمكروه وجميع الأسباب فتزوجت أمه كيف كنت تكتب اليه تهنئه أم تعزيه ؟ قلت . والله ما ادرى كيف الوجه فى هذا وهو بالتعزية أولى منه بالتهنئة قال صدقت كيف كنت تعزيه فقلت والله ما أقف على ما تقول قال . فلست بكاتب رسائل فأيهم

أنت ؟ قلت كاتب خراج قال فما تقول أصلحك الله وقد ولاك السلطان عملا
فبثثت عمالك فيه فجاء قوم يتظلمون من بعض عمالك فأردت أن تنظر فى أمرهم
وتنصفهم اذا كنت تحب العدل وتؤثر حسن الأحدوثة وطيب الذكر وكان لأحدهم
براح فأردت مساحته كيف كنت تمسحه قلت اضرب العطوف فى العمود وانظر الى
مقدار ذلك قال إذاً تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدته قال إذاً تظلم السلطان
قلت والله ما أدرى قال لست بكاتب خراج فأيهم أنت قلت كاتب جند قال فما تقول فى
رجلين اسم كل واحد منهما أحمد أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع
الشفة السفلى كيف كنت تنعتهما وتحليهما فقلت . كنت أكتب أحمد الأعلم وأحمد
الأعلم قال فكيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق ذاك ألف درهم فيقبض
هذا عطاء ذاك وذاك عطاء هذا فتظلم صاحب الألف. قلت والله ما أدرى قال فلست
بكاتب جند فأيهم أنت قلت كاتب قاضى قال فما تقول فى رجل خلف سرية
وزوجة وكان للزوجة بنت وللسرية ابن فلما كان تلك الليلة التى مات الرجل
أخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتها مكانه فتنازعتا فيه فقالت هذا ابنى
وقالت هذه بنتى كيف كنت تحكم بينهما وأنت خليفة القاضى ؟ فقلت والله ما أدرى
قال فلست بكاتب قاضى فأيهم أنت فقلت كاتب شرطة قال فما تقول فى رجل
وثب على رجل فشجه شجة موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مأمومة
كيف كنت تفتى بينهما فقلت ما أعلم قال فلست بكاتب شرطة فقلت : أصلحك
الله قد سألت ففسر لى ما ذكرت قال : أما الذى تزوجت أمه فتكتب اليه : أما
بعد فان أحكام الله تجرى بغير محاب المخلوقين والله يختار للعباد فخار الله فى قبضها
اليه فان القبر أكرم لها والسلام . وأما البراح فتضرب واحداً وثلثاً فى مساحة
العطوف فمن ثم بابه . وأما أحمد وأحمد فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا أحمد
الأعلم والمقطوع الشفة السفلى أحمد الأشرم . وأما المرأتان فيوزن لبن هذه ولبن
هذه فأيهما كان أخف فهى صاحبة البنت . وأما صاحب الشجة فإن فى الموضحة

خمساً من الابل وفى المأمومة ثلاثاً وثلاثين وثلثاً فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلثا . فقلت أصلحك الله فما أتى بك ها هنا قال ابن عم لى كان عاملا على ناحية فخرجت اليه فألفيته معزولا فقطع بى فأنا خارج اضطرب فى المعاش قلت ألست قد ذكرت أنك حائك ؟ فقال . جعلت فداك إنما احوك الكلام ولست بحائك الثياب . قال فدعوت المزين فأخذ من شعره وأدخل الحمام وطرحت عليه من ثيابى فلما صرت الى الاهواز كلمت فيه الرجحى فأعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معى فلما صرت الى أمير المؤمنين ألفيته قد توقد على ناراً وامتلأ غيظا وقد حلف بالمشى الى الكعبة أن ينالنى منه يوم سوء لطول مقامى واشتغالى عنه بالرجل فلما دخلت عليه قال ما كان من خبرك فى طريقك وما الذى شغلك بعد أمرى لك أن لا تلبث ببغداد إلا يوما واحداً ويمينك على ذلك ؟ فأخبرته خبرى حتى حدثته بحديث الرجل وقصتى معه قال لقد جئتنى بأعظم الفوائد فلأى شىء يصلح ويحك قلت هو والله يا أمير المؤمنين اعلم الناس بالفقه والعلم والحلال والحرام والهندسة والفلسفة والحساب والكتابة . فولاه هارون البناء والمرمة والمهم من الامور وأولاه على عمال الخراج يتقاضاهم ويحاسبهم فكنت والله ألقاه فى المواكب العظيمة فينحط عن دابته ساعيا حتى يقبل على يدى يقبلها فأحلف عليه فيقول سبحان الله إنما هذه نعمتك وبك نلتها ويقول :

فلو أن للشكر شخصا يرى اذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى ترى فتعلم انى امرؤ شاكر

قال عمرو بن مسعدة : ثم قال لى هارون ويحك لما أبطأت على حلفت بالمشى الى الكعبة أن ينالك منى يوم سوء ولا والله ما هذا جزاؤك لدى فما الرأى فقلت يا أمير المؤمنين أنت أعلى عيناً وأولى من بر يمينه فقال والله ما أريد ذلك قلت فليكفر أمير المؤمنين يمينه فان النبى عليه السلام قال : من حلف على يمين فرأى خير منها فليكفر وليأت الذى هو خير . فقال : ويحك إن العلماء لم يروا الكفارة

في هذا وإنما تأولوا قوله عليه السلام في الايمان بالله تعالى وقد أجمعت على المشي والمضي الى الكعبة راجلا فقلت انى لك بذلك وكيف تصل راجلا قال لا بد من ذلك فقال عمرو يا أمير المؤمنين فامهل عاملك هذا وأنا حتى أسهل لك طريقا وأجدد لك مراحل وأوقت لك مواقيت يسهل عليك ذلك إن شاء الله قال ذلك لك . فأمر عمرو بالأنهار فخرجت عن مسيلها وبالآكام والجبال فسويت وبالخنادق والأودية فردمت حتى صار ما بينه وبين مكة كالراحة موزونة وصارت الأنهار والأودية تسايره على طريقه ثم صنع له مراحل تحدد له عند كل مرحلة حداً وابتنى في كل مرحلة داراً وكانت المرحلة كلها بريدا قدرها اثنا عشر ميلاً ثم أمر بالمراحل ففرشت بالبسط الرهاوية ونصب له جدرانا بستور وسمكها بأكسية الخز الرفيع الملون وقد ضرب عند كل فرسخ قبة موزونة قد أقام فيها الفرش الممهدة وقد أحاط بها الظلال الممددة بالرواقات المكتنفة فيها أنواع الطعام والشراب وألوان الفواكه فلما تم صنعه ذلك وأبرم أمره قال يا أمير المؤمنين قد تم ما أردته وكمل ما حاولته فانهض على اسم الله العظيم . وكانت [illegible] وجهه التي قد أغرته عليه وحملته على اليمين لمقابلته فخرج الرشيد [illegible] ومعه دابته وزبيدة فكانت المرحلة تفرش والستور تنصب والسماك ترفع فيسير ثلاثة أميال ثم ينزل في قبة أمامها رواق فينال راحته ويصيب ما اشتهى من لذة في مأكل ومشرب ثم ينهض ثلاثة أخرى فينزل على مثل ذلك فاذا استكمل مشي أربع فراسخ نزل في قصر قد شيد له ودار قد بنيت فيها حمام طيب ينال فيها راحته مع أهله ويصيب لذته كما شاء وكيف شاء ثم يمكث يومه ثم يخرج في اليوم الثاني الى مثل ذلك [illegible] يسايره في طريقه الوزراء والقواد وأمراء الأجناد والعلماء والنقباء والجنود والعساكر [illegible] لا يزال يحاذره في طريقه اذا نزل في الرواق صار [illegible]
[illegible]

يأمر فيه بإيصاله لحيث شاء من الأماكن مسيرة الأيام والليالى فيأتيه الجواب من قومه على النجائب من مسيرة ثمانية أيام ويأتيه الجواب من يومه من مسيرة شهر ونحوه على أجنحة الحمام ، يعلق الكتاب فى جناحه فيرتفع فى الجو ارتفاعا يغيب شخصه عن من فى الأرض وينقض على وطنه وموضع فراخه فاذا نزل لايستقر نزوله حتى يؤخذ الكتاب من جناحه فيجاوب بما أحب ثم يسرح غيره فيرتفع فى الجو حتى يوازى وطنه وموضعه من بعد تلك الأماكن التى عليها طريق أمير المؤمنين فيؤخذ الجواب منه وقد صار الموكلون بذلك لايهتمون بغير ماقلدوا ولا يتشاغلون بغير ما حملوا فلم يزل كذلك ماشيا حتى وصل الى مكة فى ثلاثة أشهر فقضى حجه وشهد مناسكه ومشاعره ثم انصرف قافلا الى بغداد وذلك فى آخر شهر ذى الحجة من سنة ثمانين ومائة . فلما هم بالانصراف وذكر القفول الى العراق رفع اليه أهل مكة كتابا يسألونه فيه أن يولى عليهم قاضيا عدلا فأدخلهم على نفسه فقال إن شئتم فاختاروا منكم رجلا صالحا أوليه قضاءكم وإن أحببتم بعثت اليكم من العراق رجلا لا آلوكم فيه إلا خيراً فخرجوا فاختاروا رجلا فاختلفوا فيه فاختارت طائفة منهم رجلا واختارت أخرى رجلا آخر فلما اختلفوا ارتفعوا الى الرشيد يذكرون اختلافهم فقال لهم هارون ادخلوا على هذين الرجلين الذين اختلفتم فيهما فاذا برجلين أحدهما شيخ من قريش والآخر غلام حدث من الموالى فلما نظر اليهما الرشيد قال للشيخ أدن منى فدنا منه فقال الرشيد أيها القاضى إن بينى وبين وزيرى هذا خصومة وتنازعا فاقض بالحق بيننا فقال الشيخ : قصا على قصتكما فقصا عليه فقال الشيخ تقيم البينة يا أمير المؤمنين على ما ذكرته أو يحلف وزيرك هذا فقال له هارون ان أخى لا يدافعنى ما أقول ولا ينكر إلا قليلا مما أدعى فلم يزالا يترددان القول بينهما ويتنازعان حتى قضى القاضى لأمير المؤمنين على الوزير فقال له قم فقام عنه . ثم دعا بالغلام الحدث الذى دعته الطائفة الأخرى فدخل عليه فقال أدن منى فدنا منه فقال له هارون ان بينى وبين وزيرى تنازعا

وخصومة فاسمع منا قولنا ثم اقض بيننا بالحق . قال لهما : ان مقعدكما مختلف ومجلسكما متنائى وأخشى اذا اختلف مجلسكما أن يختلف قولكما فاذا تفاضل مجلس الخصوم اختلف بينهما القول وكان صاحب المجلس الارفع ألحق بحجته وادحض لحجة صاحبه وكان إصغاء الحاكم الى صاحب المجلس الارفع أكثر واليه أميل ولكن تقومان من مجلسكما هذا الذى قد استعليتما فيه فتجلسا بين يدى ثم لا أبالى على من دار منكما . فقال الرشيد صدقت وبررت فى قولك فقام الرشيد وقام عمرو بن مسعدة حتى صارا بين يديه جالسين فلما جلسا بين يديه ذهب الرشيد ليتكلم فقال له القاضى لو تركت هذا يتكلم فانه اسن منك فقال الرشيد ان الحق اسن منه فقال القاضى بلى ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحويصة ومحيصة كبر كبر . يريد ليتكلم عمكما لأنه اسن منكما وأكبر فتكلم عمرو بن مسعدة ثم تكلم الرشيد وتنازعا الخصومة وترافعا الحجة بينهما حتى رأى القاضى ان الحق لعمرو فقضى له به على الرشيد فلما قضى عليه قال لهما عودا الى مجلسكما فعادا فعجب الرشيد من قضائه وعدله واحتفاظه وقلة ميله فالتفت الى عمرو فقال إن هذا أحق بقضاء القضاة من الذى استقضيناه فقال عمرو بلى والله ولكن القوم أحق بقاضيهم إلا أن يأذنوا فيه فدعا الرشيد رجال مكة وأدخلهم على نفسه وأجزل لهم العطاء وأحسن على قاضيهم الثناء ثم قال لهم هل لكم أن تأذنوا أوليه قضاء القضاة فيسير الى العراق يقضى بينهم فقالوا نعم يا أمير المؤمنين أنت أحق به نؤثرك على أنفسنا . فأرسل اليه الرشيد فقال إنى قد وليتك قضاء القضاة تسير الى العراق لتقضى بينهم وتولى القضاة فى البلدان والأمصار من تحت يدك وتوليتهم اليك وعزلهم عليك فقال القاضى أن يجبرنى أمير المؤمنين عن ذلك فسمعا وطاعة وأن يخيرنى فى نفسى اخترت العافية وجوار هذا البيت الحرام فقال الرشيد ما ينبغى لى أن ادع المسلمين وفيهم مثلك لا أوليه عليهم فخذ على نفسك ما أنت مصيب قال فأبى إن شاء الله . فخرج الرشيد ومعه الذى جرى به الى العراق فولاه القضاء وجعل إليه قضاء القضاة

فلم يزل بها قاضيا حتى توفى وذلك بعد ثلاثة أعوام من توليته . فلما توفى اغتم الرشيد وشق عليه فجعل الناس يعزونه فيه علما منهم بما بلغ منه الغم اليه . فسأل عن قاضى يوليه قاضى القضاة والعراق بعد ذلك فرفعت اليه تسمية عشر رجال من خيار الناس وعلمائهم وأشرافهم فلما رفعت اليه التسمية أمر بهم فأدخلوا عليه رجلا رجلا ليتفرس فيهم من يوليه القضاء فنظر الى رجل منهم توسم فيه الخير والعلم فأمر به فقدم اليه فلما صار بين يديه قال له . ما إسمك ؟ قال معشوق قال فما كنيتك قال . أبو الهوى : قال فما نقش خاتمك قال . دام الحب دام وعلى الله التمام . فقال له قم لا قمت ثم دعا بالآخر وكان قد تفرس فيه ما تفرس فى صاحبه فقال له ما نقش خاتمك فقال « مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين » فقال له اخرج . فدعا الرشيد يحيى بن خالد بن برمك وكان ممن رفع اليه أسماءهم فعنفه بهم وقال رفعت إلى أسماء المجانين قال له والله ما فى العراقيين أعقل من الرجلين اللذين سألت ولا أفضل منهما فقال ويحك إنى اختبرت منهما جنونا قال يحيى انهما كانا كارهين لذلك وتهما اليه وإنما أراد التخلص منك قال ويحك أعدهما على فطلبا فلم يوجدا

(ذكر الاعرابى مع هارون الرشيد)

وذكروا أن إعرابيا قدم على هارون الرشيد مستجديا فأراد الدخول عليه فلم يمكنه ذلك فلما رأى أنه لم يؤذن له أتى عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال له توصل كتابى هذا الى أمير المؤمنين وكان الرشيد قد عهد الى حاجبه أن لا يحبس عليه كتاب أحد قرب أو بعد فأعطاه الاعرابى كتابا فيه أربعة أسطر . السطر الاول فيه . الضرورة والامل قادانى اليك . والثانى العدم يمنع من الصبر . والثالث . الانقلاب عنك بلا فائدة شماتة الاعداء . والرابع . فأما نعم مثمرة وآمالا يائسة مريحة . فلما وصل الكتاب الى الرشيد قال . هذا رجل قد ساقته الحاجة ووصلت اليه الفاقة فليدخل فدخل فقال له الرشيد ارفع حاجتك وحويجاتك

تقضى كلها فقال الاعرابى : تأمر لى يا أمير المؤمنين بكلب أصيد به فضحك الرشيد ثم قال له قد أمرنا لك بكلب تصيد به فقال تأمر لى يا أمير المؤمنين بدابة أركبها فقال له الرشيد قد أمرنا لك بدابة تركبها فقال تأمر لى يا أمير المؤمنين بغلام يخدم الدابة فقال له الرشيد قد أمرنا لك بغلام . قال الاعرابى : تأمر لى يا أمير المؤمنين بجارية تطبخ لنا الصيد وتطعمنا منه فقال الرشيد قد أمرنا لك بجاريتين جارية تؤنسك وجارية تخدمك فقال الاعرابى لابد لهؤلاء من دار يسكنونها فقال له الرشيد قد أمرنا لك بدار قال الاعرابى يا أمير المؤمنين يصيرون فيها عالة وعلى كلالة لابد لهم من ضيعة تقيمهم فقال له الرشيد قد اقطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة فقال الاعرابي وما الغامرة يا أمير المؤمنين قال الرشيد غير معمورة تأمر بعمارتها فقال الاعرابى أنا أقطعتك ألف ألف جريب من أرض اخوالى بنى أسد بالحجاز تأمر بعمارتها فضحك الرشيد وقال قد اقطعتكها عامرة كلها ثم قال الرشيد تمت حوائجك كلها يا اعرابى . فقال نعم وبقيت حاجتى العظمى فقال له الرشيد ارفعها نقضى فقال أقبل رأسك يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد هذا لا سبيل اليه فقال الاعرابى أتمنعنى حقا هو لى وتدفعنى عما بذلت لى يا أمير المؤمنين فقال الرشيد هذا الأمر لا يكون يا إعرابى ولا سبيل الى مثل هذا فقال الاعرابى لابد من أن أصل الى حق إلا أن أغصبه فقال له الرشيد يا اعرابى اشترى منك هذا الحق الذى وجب لك فقال له الاعرابى هذا الحق مما لا يشترى وهل فى الأرض من المال ما يكون ثمنا لهذا أو عوضاً منه لا والذى نفسى بيده ما فى الدنيا صفراء ولا بيضاء يشترى بها هذا فقال الرشيد تبيعه ببعض ماتراه من الثمن فانه لا يكون ولا يتوصل اليه فقال له الاعرابى فاذا قد أبيت فاعطنى مما أعطاك الله فأمر له بمائة الف دينار فأتى بها اليه فقال الاعرابي ما هذه فقيل له هذه مائة ألف دينار تأخذها فقال الاعرابى هى للغرماء على وهم أولى بها منى فضحك الرشيد ثم أمر له بمائة ألف أخرى فقال ما هذه فقيل له مائة الف ثانية والاولى

للغرماء وهذه لك فقال الاعرابى هذه لضعفاء أهلى يصلهم بها أمير المؤمنين فما أوسع على نفسى فأمر له الرشيد بمائة ألف ثالثة فقيل له هذه مائة ألف ثالثة توسع بها على نفسك فى معيشتك أرضيت يا اعرابى فقال نعم ثم انصرف الاعرابى راجعا الى الحجاز بأموال عظيمة لا يوصف أكثرها ولا يعرف أقلها وكل هذا يقل عما عرف من جود الرشيد وسخائه وجزيل عطائه

(قتل جعفر بن يحيى بن برمك)

قال عمرو بن بحر الجاحظ حدثنى سهل بن هارون . قال : والله كان سجاعو الخطب ومحبرو القريض أميالا على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى . ولو كان كلام يتصور دراً ، ويحيله المنطق السرى جوهراً لكان كلامهما والمنتقى من لفظهما ، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد فى بديهته وتوقيعاته فى أسافل كتبه عيين . ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم وكرم أعراقهم وسعة آفاقهم ورفق ميثاقهم ومعسول مذاقهم وسناأشراقهم ونقاوة أعراضهم وطيب أغراضهم واكتمال خلال الخير فيهم الى ملء الأرض مثلهم فى حب محاسن المأمون كالنفثة فى البحر ، وكالخردلة فى المهمة القفر . قال سهل انى لحصل أرزاق العامة بين يدى يحيى بن خالد فى داخل سرادقه وهو مع الرشيد بالرقة وهو يعقد بها جملا بكفه إذ غشيته سامة وأخذته سنة فغلبته عيناه فقال ويحك ياسهل طرق النوم شفرى عينى وأطنت السنة خواطرى فماذا ذاك ؟ قلت طيف كريم إن أقصيته أدركك وان غالبته غلبك وان قربته روحك وإن منعته عنتك وان طردته طلبك : فنام أقل من فواق بكية أو نزح ركية ثم انتبه مذعوراً فقال يا سهل لأمر كان ذهب والله ملكنا وذل عزنا وانطفت أيام دولتنا فقلت وما ذاك أصلح الله الوزير . قال كأن منشداً أنشدنى .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا   أنيس ولم يسمى بمكة سامر

فأجبته عن غير روية ولا إجالة فكر .

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا   صروف الليالى والجدود العواثر

فوالله مازلت أعرفها فيه وأراها ظاهرة منه الى الثالث من يومه وانى لفي مقعدى ذلك بين يديه أكتب توقيعات فى أسفل كتبه لطلاب الحوائج اليه قد كلفنى إكمال معانيها باقامة الوزن فيها إذ وجدت رجلا ساعيا اليه حتى أومأ مكبا عليه فرفع رأسه وقال مهلا ويحك ما أكتم خيراً ولا أستر شراً قال له قتل أمير المؤمنين الساعة جعفراً قال أو فعل قال نعم فما زاد أن رمى بالقلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة . قال سهل فلو انكفأت السماء على الأرض ما تبرأ منهم الحميم أو استبعد عن نسبهم القريب وجحد ولاءهم المولى واستعبرت لفقدهم الدنيا فلا لسان يخطر بذكرهم الا طرف ناظر يشير اليهم . وضم يحيى وبقية ولده والفضل ومحمداً وخالداً بنيه وعبد الملك ويحيى وخالداً بنى جعفر بن يحيى . والعاصى ويزيداً ومعمراً بنى الفضل بن يحيى ويحيى وجعفراً وزيد بنى محمد بن يحيى وابراهيم ومالكا وجعفراً وعمرو بنى خالد بن يحيى ومن انف لفهم أو هجس بنفسه أمل فيهم . قال سهل وبعث الى الرشيد فوالله لقد أعجلت عن النظر فدخلت ولبست ثياب أحزانى وأعظم رغبتى الى الله إلا راحة بالسيف وإلا نعيت كما نعى جعفر . فلما دخلت عليه ومثلت بين يديه عرف الذعر فى تعرض ريقى والتماد فى طريقى وشخوصى الى السيف المشهور ببصرى فقال هارون : أيها ياسهل من غمط نعمتى واعتدى وصيتى وجانب موافقتى أعجلته عقوبتى . فوالله ما وجدت جوابها حتى قال ليفرخ روعك وليسكن جأشك ولتطب نفسك ولتطمئن حواسك . فان الحاجة اليك قربت منك وأبقت عليك بما يبسط منقبضك ويطلق معقوالك ، فاقتصر على الاشارة قبل اللسان فانه الحاكم الفاصل والحسام الفاصل وأشار الى مصرع جعفر وهو يقول

من لم يؤدبه الجميل ففي عقوبته صلاحه

قال سهل . فوالله ما أعلمني انى عييت بجواب أحدقط غير جواب الرشيد يومئذ فما عولت فى شكره والثناء عليه إلا على تقبيل يديه وباطن رجليه . ثم قال لى : اذهب فقد أحللتك محل يحيى بن خالد ووهبتك ماضمته ابنيته وحوى سرادقه فاقبض الدواوين واحص جباءه وجباء جعفر لنأمرك بقبضه إن شاء الله . قال سهل فكنت كمن نشرعن كفن وأخرج من حبس فأحصيت جباءهما فوجدت عشرين ألف ألف دينار . ثم قفل الى بغداد راجعا وفرق البرد الى الأمصار بقبض أموالهم وغلاتهم وأمر بجيفة جعفر فنصبت مفصلة على ثلاثة جذوع رأسه فى جذع على رأس الجسر مستقبل الصراط وبعض جسده فى جذع آخر فى آخر الجسر الأول وأول الجسر الثانى وباقيه فى جذع على آخر الجسر الثانى مما يلي بغداد . قال سهل فلما دنونا من بغداد طلع الجسر الذى فيه وجه جعفر لنا أولا واستقبلنا وجهه واستقبلته الشمس فوالله لخلتها تطلع من بين حاجبيه وأنا عن يمينه وعبد الملك بن الفضل عن يساره فلما نظر اليه الرشيد كأنه قنىء شعره وطلى بنور بشره أربد وجهه وأغضى بصره قال عبد الملك بن الفضل لقد عظم ذنب لم يسعه عفو أمير المؤمنين فقال الرشيد . وأغرورقت عيناه حتى لعرفنا الجهش فى صدره من يرد غير مائه يصدر بمثل دائه ومن أراد فهم ذنبه يوشك أن يقوم على مثل راحلته . على بالنفاطات قال سهل فنضح عليها حتى احترقت عن آخرها وهو يقول : أما والله لئن ذهب أثرك لقد بقى خبرك ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك . قال سهل وأمر بضم أموالهم فوجد من العشرين ألف التى كانت مبلغ جبائهم اثنى عشر ألف ألف مكتوب على بدورها صكوك مختومة تفسيرها رقما جوابها فما كان منها حباء على عربية أو استطراف ملحة تصدق يحيى بها وأثبت ذلك فى ديوانها على تواريخ أيامها وساعات عطياتها فكان ديوان انفاق واكتساب فائدة وقبض من سائر أموالهم ثلاثين ألف ألف وستمائة ألف وستين ألفا الى سائر ضياعهم وغلاتهم ودورهم ورباعهم ورياشهم والدقيق والجليل من

مواهبهم فانه لا يصف أقله ولا يعرف أكثره إلا من أحصى الأعمال وعرف منتهى الآجال . وأبرزت حرمه الى دار البانوقة ابنة المهدى فوالله ما علمته عاش ولا عشن إلا من صدقات من لم يزل متصدقا عليه وصار من موجدة الرشيد فيما لم يعلم من ملك قبله على آخر ملكه . وكانت أم جعفر بن يحيى فاطمة بنت محمد بن الحسن بن قحطبة بن شبيب قد أوضعت الرشيد مع جعفر وكان ربى فى حجرها وغذى برسلها لأن أمه ماتت عن مهده فكان الرشيد يشاورها مظهراً لاكرامها والتبرك برأيها وكان قد آلى على نفسه وهو فى كفالتها أن لا يحجبها وان لا تستشفعه لأحد إلا شفعها وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلت عليه إلا مؤذنا لها ولا تشفعت لأحد لغرض دنيا . قال سهل فكم أسير فكت ومبهم عنده فتحت ومتغلق منه فرجت . قال واحتجب الرشيد بعد قدومه فطلبت الاذن عليه من دار البانوقة ومتت بوسائلها اليه فلم يأذن لها ولا أمر بشىء فيها فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية فى مشيتها حتى صارت بباب قصر الرشيد فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب . فقال ظئر أمير المؤمنين بالباب فى حالة تقلب شماتة الحاسد الى حنين الوالد وشفقة أم الواحد فقال له الرشيد ويحك يا ابن الفضل أو ساعية فقال نعم أصلح الله أمير المؤمنين حافية فقال : ادخلها يا عبد الملك فرب كبد كريم غذتها وكربة كشفتها وفرجة فرجتها وعورة سترتها . قال سهل فوالله ما شككت فى شىء قط ما شككت يومئذ فى طلابها واسعافها بحاجتها . فلما دخلت ونظر اليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين عمد المجالس فأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها ثم أجلسها معه فقالت يا أمير المؤمنين أيعدوا علينا الزمان ويجفون خوفا لك الأعوان يحردك بنا البهتان ويوسوس لك بأذانا الشيطان وقد ربيتك وأخذت برضاعى لك الأمان من دهرى ، فقال لها وما ذاك يا أم الرشيد . قال سهل : فآيسنى من رأفته بترك كنيتها آخراً ما كان اطمعنى منه فى بره بها أولا . قالت له ظئرك يحيى وأبوك

بعد أبيك ولا أرشحه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته وإشفاقه عليه وتعوضه للتحف فى شأن موسى أخيه فقال يا أم الرشيد قدر سبق وقضاء حم وغضب من الله نزل قالت يا أمير المؤمنين يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . فقال الرشيد صدقت فهذا مما لا يمحوه الله فقالت الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين . قال سهل فأطرق الرشيد يسيراً ثم قال .

وإذا المنية أنشبت أظفارها　　ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقالت بغير روية ما أنا ليحيى بتميمة يا أمير المؤمنين وقد قيل .

وإذا افتقرت الى الذخائر لم تجد　　ذخراً يكون كصالح الأعمال

هذا بعد قول الله « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » فأطرق هارون قليلا ثم قال

اذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكد　　اليـــه بوجه آخر الدهر تقبل

فقالت يا أمير المؤمنين وهو يقول

ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى　　يمينك فانظر أى كف تبدل

قال الرشيد رضيت فقالت يا أمير المؤمنين فهبه لله تعالى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك شيئا لله لم يوجده الله فأكب الرشيد مليا ثم رفع رأسه وهو يقول لله الأمر من قبل ومن بعد قالت يا أمير المؤمنين وقال عز وجل « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقال تعالى « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » فقال لها وما ذاك يا أم الرشيد قالت ما أقسمت لى به يا أمير المؤمنين أن لا يحجبك عنى حاجب فقال لها يا أم الرشيد أحب أن تشتريه محكمة فيه قالت أنصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقيلة لك ولا راجعة عنك قال بكم قالت برضاك عن من لم يسخطك قال : يا أم الرشيد أما لى عليك من الحق مثل الذى لهم ؟ قالت : بلى يا أمير المؤمنين إنك لأعز على وهم أحب الى . قال إذاً فتحكمى فى ثمنه بغيرهم قالت بلى قد وهبتكه وجعلتك فى حل منه وقامت عنه فبقى

الرشيد مبهوتا ما يحير لفظة قال سهل وخرجت عنه فلم تعد اليه ولا والله ان رأت عيني لعينها عبرة ولا سمعت أذني لنعيها آنة . قال سهل وكان الأمين رضيع يحي ابن جعفر قمت اليه يحي بن خالد بذلك فوعده استيهاب أمه إياهم ثم شغله اللهو عنهم . فكتب اليه يحي وقيل أنها لسليمان الأعمى أخى مسلم بن الوليد

يا ملاذي وعصمتي وعمادي ومجيري من الخطوب الشداد

بك قام الرجا فى كل قلب زاد فيـــه البلاء كل مزاد

إنمـا أنت نعمـة أعقبتهـا أمم نفعهـا لكل العبـاد

وعد مولاك أتممنه فابهى الد ر ما زين الحسنة بانعقاد

ما أظلت سحائب اليأس إلا خات فى كشفها عليك اعتمادى

إن تراخت يداك عنى فواقا أكلنى الأيام أكل الجراد

وبعث بها اليه فبعثها الأمين الى أمه زبيدة فأعطتها الرشيد وهو فى موضع لذاته وفى إقبال من أريحته وتهيأت للاستشفاع وهيأت جواريها ومغنياتها وأمرتهن بالقيام اليه معها فلما فرغ الرشيد من قراءتها لم ينفض جبوته حتى وقع فى أسفلها . عظيم ذنبك أمات خواطر العفو عنك . ورمى بهاالى زبيدة فلما رأت توقيعه علمت أنه لا يرجع عنه قال واعتل يحي فلمـا أشفى دعا برقعة فكتب فى عنوانها ينفذ أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله عهد مولاه يحي بن خالد وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم قد تقـدم الخصم لموضع الفصل وأنت على الاثر والله الحكم العدل . فلما ثقل قال للسجان هذا عهدى نوصله الى أمير المؤمنين فانه ولى نعمتى وأحق من نفذ وصيتى . فلما مات أوصل السجان عهد يحي الى الرشيد فلما قرأه استمد فكتب ولا أدرى لمن الرقعة .فقلت يا أمير المؤمنين ألا أكفيك قال كلا انى أخاف عادة الراحة أن يقوى سلطان العجز فيحكم فى الغفلة ويقضى بالبلادة . قال سهل فوقع فيها الحكم الذى رضيت به فى الآخرة لك هو أعدى الخصوم عليك فى الدنيا وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاءه ثم رمى الكتاب الى فلما رأيته علمت أنه ليحي

وان الرشيد أراد أن يؤثر الجواب عنه . قال سهل قلت لبعض من أثق بوفائه واعتقد صدق أخائه من خصيان القصر المتقدمين عند أمير المؤمنين والمتمكنين من كل ما يكون لديه . ما الذى يعنى جعفر بن يحيى وذويه عند أمير المؤمنين وما كان من ذنبه الذى لم يسعه عفوه ولم يأت عليه رضاه ؟ فقال : لم يكن له جرم ولا لديه ذنب كان والله جعفر على ما عرفته عليه وفهمته عنه من إكتمال خصال الخير ونزاهة النفس من كل مكروه ومحذور إلا أن القضاء السابق والقدر النافذ لابد منه كان من أكرم الخلق على أمير المؤمنين وأقربهم منه وكان أعظمهم قدراً وأوجبهم حقا فلما علم ذلك من حسن رأى أمير المؤمنين فيه وشديد محبته له استأذنته أخته فأخته بنت المهدى شقيقته فى اتحاف جعفر ومهاداته فأذن لها وكانت قد استعدت له بالجوارى الرائعات والفتيات الفاتنات فتهدى له كل جمعة بكراً يفتضها الى ما يصنع له من ألوان الطعام والشراب والفاكهة وأنواع الكسوة والطيب كل ذلك بمعرفة أمير المؤمنين ورأيه فاستمرت بذلك زمانا ومضت به أعواما فلما كانت جمعة من الجمع دخل جعفر القصر الذى استعدت له ولم يرع جعفر إلا بفاخته ابنة المهدى فى القصر كأنها جارية من الجوارى اللاتى كن يهدين له فأصاب منها لذته وقضى منها حاجته ولا علم له بذلك . فلما كان المساء وهم بالانصراف أعلمته بنفسها وعرفته بأمرها وأطلعته على شديد هواها وأفراط محبتها له فأزداد بها كلفا وبها حبا ثم استعفاها من المعاودة الى ذلك وانقبض عما أن يناله منها من جواريها واعتذر بالعلة والمرض فأعلم جعفر أباه يحيى فقال له يا بنى اعلم أمير المؤمنين ما كان معجلا وإلا فائذن لى فاعلمه فانى أخاف علينا يوم سوء أن نأخر هذا وبلغه من غيرنا وإعلامك له فى هذا الوقت يسقط عنا ذلك الذنب فهى أحق بالعقوبة منك قال جعفر لا والله لا أعلمته به أبداً فالموت على أيسر منه وأرجو الله أن لا يطلعه عليه فقال له يحيى لاتظن هذا يخفى عليه نأطعنى اليوم وأعلمه فقال جعفر والله لا أفعل هذا أبداً ولا أتكلم به وبالله أستعين فلم يرع الرشيد أن رفعت اليه جارية من جواريها رقعة

وأعلمت ذلك فيها فاستحق ذلك عند الرشيد باستعفاء جعفر لما كان من اتحافها واعتذاره بالعلة من غير مرض ينهكه فغفل عنه الرشيد ولم ير لذلك جفوة ولا زاد لها الا كرامة ولا لديه إلا حرمة ورفعة حتى قرب وقت الهلاك ودنى منقلب الحتف والله أعلم

فتم بعون الله تعالى ما به ابتدأنا وكمل وصف ما قصصنا من أيام خلفائنا وخير أئمتنا وفتن زمانهم وحروب أيامهم وانتهينا الى أيام الرشيد ووقفنا عند انقضاء دولته إذ لم يكن فى اقتصاص أخبار من بعده ونقل حديث ما دار على أيديهم وما كان فى زمانهم كبير منفعة ولا عظيم فائدة وذلك لما انقضى أمرهم وصار ملكهم الى صبية أعمار غلب عليهم زنادقة العراق فصرفوهم الى كل جنون ودخلوهم الى الكفر فلم يكن لهم بالعلماء والسنن حاجة واشتغلوا بلهوهم واستغنوا برأيهم وكان الرشيد مع عظم ملكه وقدر شانه معظما للخير وأهله محباً لله ورسوله ولما دخلت عليه سنة تسعين ومائة أخذته الحمى التى أخبر بها جده أبو جعفر المنصور وهو فى المهد صغيراً فعرف أنه قد دنى أجله وحان هلاكه فاجتمع اليه أطباء العراق يعالجونه ثم استعان بأطباء الروم والهند واستجلبهم من الآفاق فلم يزالوا يداوونه حتى مضت له ثلاثة أيام أعوام ولا قامت عنه ولا يزيده العلاج إلا شدة فلما دخلت سنة أربع وتسعين ومائة أثرت به وأنهكت بدنه واشتد ألمه وتمادى به وجعه فذكر البيعة لابنه المأمون فلما سمعت بذلك زبيدة وكانت ابنها منه محمد الأمين هجرته وتغاضت عنه وأكرهها ذلك وغمها حتى ظهر ذلك عليها وأثر الغم فى وجهها ودخلت عليه تعاتبه فى ذلك أشد المعاتبة وتؤاخذه أعنف المؤاخذة . فقال لها الرشيد : ويحك إنما هى أمة محمد ورعاية من استرعانى والله تعالى مطوقا بعنق وقد عرفت ما بين ابنى وابنك ليس ابنك يا زبيدة أهل للخلافة ولا يصلح للرعاية . قالت ابنى والله خير من ابنك وأصلح لما تريد ليس بكبير سفيه ولا صغير فهيه ، وأسخى من ابنك نفسا وأشجع قلبا . فقال هارون : ويحك ان ابنك قد

زينه فى عينك ما يزين الولد فى عين الأبوين فاتق الله فوالله أن ابنك لأحب إلى الا ان الخلافة لا تصلح إلا لمن كان لها أهلا وبها مستحقا ونحن مسئولون عن هذا الخلق ومأخوذون بهذا الأنام فما أغنانا أن نلقى الله بوزرهم وتنقلب اليه باثمهم فاقعدى حتى أعرض عليك ما بين ابنى وابنك . فقعدت معه على الفراش فدعا ابنه عبد الله المأمون فلما صار بباب المجلس سلم على أبيـــه بالخلافة فأذن له بالجلوس فجلس وأمر له فتكلم فحمد الله على ما من به عليه من رؤية أبيه ويرغب اليه فى تعجيل الفرج مما به ثم استأذن فى الدنو من أبيه فدنا منه وجعل يلثم أسفال قدميه ويقبل باطن راحتيه ثم انثنى ساعيا الى زبيدة فأقبل على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها ثم انحنى الى قدميها ثم رجع الى مجلسه فقال الرشيد : يابنى إنى أريد أن أعهد اليك عهد الامامة وأقعدك مقعد الخلافة فانى قد رأيتك لها أهلا وبها حقيقا فاستعبر عبد الله المأمون باكيا وصاح منتحبا يسأل الله العافية من ذلك ويرغب اليه أن لا يريه فقد أبيه فقال له يابنى إنى أرانى لما بى وأنت أحق وسلم الأمر لله وارض به واسأله العون عليـــه فلا بد من عهدى يكون فى يومى هذا فقال عبد الله المأمون يا أبتاه أخى أحق منى وابن سيدتى ولا أخال الا إنه أقوى على هذا الأمر منى ثم أذن له فقام خارجا ثم دعا هارون بابنه محمد فأقبل يجر ذيله ويتبختر فى مشيته فمشى داخلا بنعليه قد نسى السلام وذهل عن الكلام نخوة وتجبرا وتعظيما واعجابا فمشى حتى صار مستويا مع أبيه على الفراش فقال هارون وما تقول أى ابنى فانى أريد أن أعهد اليك ؟ فقال يا أمير المؤمنين ومن أحق بذلك منى وأنا اسن ولدك وابن قرة عينك فقال هارون أخرج يابنى ثم قال لزبيدة كيف رأيت ما بين ابنى وابنك ؟ فقالت ابنك أحق بما تريد فكتب عهد عبد الله المأمون ثم محمـــد الأمين بعده فلما كان سنة خمس وتسعين ومائة توفى الرشيد رحمه الله وعبد الله المأمون خارج عن العراق وكان وجهه أبوه بالجيوش الى بعض الفرس لشىء بلغه عنهم فاظل بمحمد الأمين قوم من شرار أهل العراق

فقيل له معك الأموال والرجال والقصور فادفع فى نحر أخيك المأمون فانك أحق بهذا الأمر منه وأعانته على ذلك أمه زبيدة فقدم أخوه عبد الله من بغداد ومعه الجيوش قد أخذ بيعتهم فنهض اليه الأمين قاصداً ومعه الجيوش فلم يرجع ولم يمانع ولم يختلف عليه أحد ثم انه غدر بأخيه الأمين لما بلغه عنه فنهض المأمون الى القصر فدخله فأخذ أخاه وشد وثاقه وحبسه وأشار الى أمه لما أعانته عليه فأقرب محمد من الحبس فبعث المأمون فى طلبه فأخذ وقتل والله تعالى أعلم

(تمت)

فهرست الجزء الاول

فهرست الجزء الثانى

